اسماء ومسميات من مصر القاهرة

محمد كمال السيد محمد



أسماء ومسميات

من :
تاريخ مصر - القاهرة

تأليف : محمد كمال السيد محمد



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٦

الإخراج الفنى : ألبير جورجى

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب وخطته

أحببت القاهرة . فقد نشأت بها . وتنقلت بين أحيائها المختلفة . وكانت القاهرة لغاية الأربعينات مدينة تعشق حقا . فشوارعها فسيحة هادئة . ومواصلاتها سهلة ومريحة . والتجول فيها متعة . ورؤية معروضات المحلات التجارية الغنية بمختلف الأزياء والتحف والمنقولات تسلية كبيرة . والسهرات فى أماكن اللهو المختلفة الأنواع والمشارب . مع جوها الجميل صيفا وشتاءا ـ فيها مايزيح عن النفس عناء العمل بالنهار . وكنت تجد أماكن كثيرة هادئة . عدد زوارها قليل . فتستمع بالجلسة مع أصدقائك . أو مع نفسك . لايقطع عليك التفكير أو الحديث الجلبة والضوضاء وتلاصق الموائد وازدحام المكان كما نجد الآن .

ودفعنى حبى للقاهرة أن أدرس خططها لأعلم كيف تطورت فقرأت خطط المقريزى وخطط على مبارك فى سن مبكرة عدة مرات . واسترعى انتباهى هذه الأسماء التى نطلقها على الميادين والشوارع والحارات والدروب والأزقة . فوجدت أن كثيراً منها قديم يرجع إلى عدة قرون . حتى أصبحت هذه الأسماء جزءا من تاريخ المدينة . وحلقات من تلك السلسلة الطويلة التى تبدأ بإنشاء مدينة الفسطاط سنة ٢٠هـ (٦٤١م) عند الفتح العربى وسنة ٣٥٨هـ (٩٦٩م) تاريخ إنشاء القاهرة الفاطمية . حتى تصل هذه السلسلة إلى عصرنا الحديث . أى مايقرب من أربعة عشر قرنا من الزمان .

وفى سنة ١٩٥٦ حصل العدوان الثلاثى من انجلترا وفرنسا وإسرائيل . وقامت مدينة بور سعيد بدورها الخالد فى مقاومة العدوان . وتسجيلا لهذا الدور أطلق اسمها على شارع من أطول شوارع القاهرة . هو شارع الخليج المصرى . فأصبح اسمه شارع بورسعيد .

وعزَّ على نفسى تغيير الاسم القديم . ففضلا عن أن الخليج المصرى كان شريانا يخترق المدينة من الجنوب إلى الشمال . ونشأت القطائع والقاهرة الفاطمية على جانبه الشرقى . فقد علمت من دراساتى أن الشارع كان خليجا فعلا حفرته الفراعنة فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد . واستمر حتى العصر الحديث حتى ردمته شركة الترام سنة ١٨٩٨ م . ليسير فيه أحد خطوط الترام . فكأن عمر هذا الخليج ما يقرب من ٣٨ قرنا . فواصلت دراستى لخطط المدينة عدة سنوات لأضع كتابا عن هذا الخليج ومجاوراته .

وتاريخ الخطط أحد فروع التاريخ . وهو علم أو فن برع فيه المؤرخون المصريون بنوع خاص فقد عشقوا عاصمتهم فوضعوا عشرات الكتب من عدة مجلدات عن خطط القاهرة وتطورها كما سنذكر بإذن الله . وهذه الكتب تذكر الخطط المختلفة للمدينة بالوصف وذكر مواقعها بالنسبة لبعضها . والوصف وحده لا يعطى الصورة الصحيحة الكاملة الواضحة مثل الخرائط المساحية التى لم تعرف إلا منذ قدوم الفرنسيين سنة ١٧٩٨ فوضعوا الخرائط للقاهرة . ووصفوها كما كانت أثناء وجودهم فى الكتاب الشهير (وصف مصر) .

وأردت أن أعالج خطط القاهرة من زاوية أخرى هى هذه الأسماء التى تزخر بها لافتات الشوارع فتوفرت على دراسة الكثير من هذه الأسماء فى شارع الخليج ومجاوراته لإرجاعها إلى أصولها التاريخية .

ولم تكن هناك قديما لجان لتسمية الشوارع . بل تجرى الاسماء على ألسنة الناس لواقع يرتبط بالمكان . مثل مسجد أو دار عظيم أو حرفة أو تجارة معينة أو غيرها من الأسباب . فيرتبط الإسم بالمسمى . فإذا زال المكان أو تطور . بقى الإسم بدلا من المسمى . فكأن الاسم أصبح قطعة تاريخية لها ما للآثار القديمة من أهمية وقيمة .

واستغرق وضع الكتاب عدة سنوات . ولكنها غير متصلة . حتى سنة ١٩٧٣ . وتناولت الخليج المصرى وبعض الأحياء المجاورة له من هذه الزاوية

المذكورة . ولم يقتصر البحث على القاهرة القديمة التى ذكرها المقريزى وعلى مبارك . بل تناولت بعض الأحياء الحديثة بالمدينة . أعتقد أننى كنت غير مسبوق فى بحثها . مثل جاردن سيتى والمنيرة والأزبكية وغيرها .

واطلع الأستاذ الكبير الدكتور عبد الرحمن فهمى محمد أستاذ الآثار الإسلامية بجامعة القاهرة على الكتاب فتفضل بتقديمه بتصدير مشرف أرجو أن يرى القارىء أن الكتاب جدير ببعضه .

وقدمت الكتاب إلى مجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٧٣ فأقره وقرر نشره . ولكن صادفته أزمة الورق . فتأخر نشره سنتين . فسحبته من المجمع . ونشرت موجزا لبعض فصوله فى مجلة الأزهر تحت عنوان (صفحات من تاريخ القاهرة) وصدر منه لغاية عدد ذى القعدة سنة ١٣٩٦ (نوفمبر سنة ١٩٧٦) ١٦ حلقة . وأضفت فى هذه المدة عدة فصول تناولت فيها أحياء أخرى غير مجاورات الخليج مثل القبة وجزيرة الروضة .

والكتاب مكون من مقدمة موضوعية وثلاثة أقسام . تناولت فى المقدمة التاريخين الميلادى والهجرى وأنواع التاريخ وفن دراسة الخطط والمؤرخين المصريين ونشأة القاهرة وعمرها وتطورها والاصطلاحات فى الخطط وغير ذلك مما يعتبر مدخلا للموضوع .

والقسم الأول من خمسة فصول عن الخليج المصرى منذ عهد الفراعنة وموقعه بالنسبة للقاهرة ولنهر النيل وتطوره . والقناطر والمناظر عليه ووفاء النيل وجبر الخليج . . الخ ما تجده فى الكتاب أو الفهرست .

والقسم الثانى من عشرة فصول تناولت فيها القصر العينى وجاردن سيتى والمنيرة والإنشاء والأزبكية وفم الخليج والسبع سواقى ومجرى العيون والقاهرة الفاطمية والحلمية الجديدة وبركة الفيل والحوض الموصود وحى القبة وجزيرة الروضة . وغيرها من الأحياء المجاورة لها .

ويتخلل القسمين تراجم كثيرة للأشخاص والآثار ومباحث متعددة مما يغطى جزءا كبيراً من تاريخ مصر القاهرة .

والقسم الثالث به تسعة عشر جدولا بها اسماء الخلفاء والولاة والسلاطين الذين حكموا مصر منذ الفتح العربي لغاية سنة ١٩٥٢ يستطيع القارىء أن يرجع إليها إذا أراد استجلاء بعض النقط التاريخية الواردة فى الكتاب أو خارج الكتاب .

واهتممت بالناحية التاريخية للأمكنة والأسماء . ولم ألجأ للناحية التخطيطية إلا بالقدر اللازم لترابط الموضوع . وزودت أغلب الفصول بخرائط كروكية للتوضيح .

والكتاب محاولة متواضعة لبحث موضوع هام . فالقاهرة كانت فى فترة من تاريخها أكبر مدن العالم قاطبة . والآن هى أكبر المدن الإسلامية مساحة وعدد سكان وأهمية .

والموضوع أكبر من أن يقوم ببحثه كاتب بمفرده . فالقاهرة التى ذكرها على مبارك فى ستة أجزاء فى خططه المكونة من عشرين جزءا كانت مساحتها فى وقته ٢٩٠٠ فدان والآن مساحتها ٦٠٠٠٠ فدان تقريباً أى تضاعفت عشرين مرة . فضلا عن قرن من الزمان يضاف لتاريخها وهو قرن حافل بالأحداث والأسماء .

وماتناولته فى الكتاب لا يغطى إلاّ أهم الأسماء فى الأحياء التى ورد ذكرها . كما أن ظروف الحرب الحالية مع اسرائيل تمنعنا من تحديد مواقع الكثير من الأماكن العامة مثل دور الحكومة ومصالحها المختلفة من بريد وتليفونات ومرافق وغير ذلك .

فأرجو أن يكون فى الكتاب متعة للقراء الذين يحبون القاهرة . وأن تتاح لى ولغيرى فرصة أخرى لا ستكمال بحث الموضوع بتفصيل أوسع وأشمل .

والله أسأل أن يجنبنا الخطأ وأن يوفقنا إلى الصواب .

محمد كمال السيد محمد المحامى

تصدير

بقلم الدكتور عبد الرحمن فهمى محمد[1]

لا شك أن مصر غنية بماضيها . غنية بتاريخها القومى . ولا شك أيضاً أن المشتغلين بالتاريخ الحضارى لمصر . وبالبحث فى تراث مصر وآثارها وخططها وعمرأنها . عليهم رسالة كبرى . هى استظهار واستقراء مجد هذا البلد التالد غذاء للروح الوطنى . ودعامة للعزة القومية .

ولقد كان من بين المؤرخين القدامى من ابتدع فن الخطط والآثار . مستقلاً به عن فنون التاريخ الإسلامى الأخرى . فتحدث بعضهم عن خطط الكوفة والبصرة ودمشق عواصم الإسلام الأولى . كما تناولوا بغداد وأمصار المغرب والأندلس . ولكن مع ذلك فقد انفرد مؤرخو مصر بكثير من الاستيعاب والتخصص . فتحدثوا

---

(١) الدكتور عبد الرحمن فهمى محمد أستاذ الأثار الاسلامية بكلية الاثار بجامعة القاهرة وأمين المتحف الإسلامى سابقاً . ومنتدب حالياً بجامعة أم القرى بمكة المكرمة . وزميل جمعيتى النميات (علم النقود والمسكوكات) فى لندن ونيويورك . له كثير من المؤلفات نذكر منها : (صنج السكة فى فجر الأسلام) و(تاريخ العرب فى الأسلام) و(النقود العربية ماضيها وحاضرها) و (موسوعة النقود العربية وعلم النميات) . والأخير صدر الجزء الأول منه فى ١٠٨٠ صحيفة . ويعتبر من أهم المراجع العالمية فى موضوعه فى جامعات أوربا وأمريكا . فضلاً عن عشرات الأبحاث فى السكة والسجاجيد والتحف والفنون والتاريخ الإسلامى .

عن تاريخ الفسطاط العاصمة الإسلامية الأولى فى مصر . وتطورات أحوالها ومجتمعاتها واحيائها . والحق أنه لا يوجد بين الأمصار والمدن الإسلامية ما حظى كمصر القاهرة بالآثار المتصلة الحلقات . وإذا استثنينا بغداد التى خص لها مؤرخها أبو بكر الخطيب مجلداً كبيراً فى تاريخه . نشره المستشرق سالمون . تناول فيه خططها وآثارها . فإن المدن الإسلامية فى الشرق والغرب لم تلق من العناية غير ماكتبه مؤرخون كالبلاذرى واليعقوبى والطبرى . أو جغرافيون كابن حوقل والاصطخرى والمقدسى والإدريسى وياقوت الحموى . أو رحالة كابن جبير وابن بطوطة . أو أدباء كابن بطوطة والمقّرى . فهؤلاء وهؤلاء تناولوا فى كتبهم تاريخ العواصم الإسلامية وأحوالها . فى نبذ عرضية أو فصول خاصة . وكلهم يكتفون فى الغالب بالتعميم دون الوقوف طويلا فى تتبع الخطط والآثار . أو الأسماء والمسميات . كما فعل المؤرخون المصريون فى استيعاب خطط مصر القاهرة وآثارها بكثير من الإفاضة .

ولعل الفضل فى ابتكار هذ النوع من الأدب التاريخى يرجع إلى المؤرخين المصريين . فهم أول من خصه بالكتابة والعناية . منذ عهد ابن عبد الحكم المصرى فى القرن ٣ هـ . (٩ م .) فهو أول مؤرخ لخطط مصر وآثارها . وتعيين مواضعها . وجاء من بعده الكندى (ت ٣٥٧ هـ) وابن زولاق (ت ٣٨٧ هـ) والمسبحى (ت ٤٢٠ هـ) . فوضع كل منهم مؤلفاً خاصاً بالخطط المصرية لم يصلنا . وجاء من بعدهم القضاعى (ت ٤٥٤ هـ) الذى فقد كتابه كذلك . وإن كنا نعرف عنه ما نقله المتأخرون منه مثل ابن دقماق فى (الانتصار) . والقلقشندى فى (صبح الأعشى) . والمقريزى فى الخطط . والسيوطى فى (حسن المحاضرة) . وابن أبى السرور البكرى فى (قطف الأزهار) .

والواقع أنه ليس بعد المقريزى من مراجع رئيسية عن الخطط المصرية وأسمائها غير أطالس الحملة الفرنسية التى وضعت توضيحاً لما جاء فى كتاب (وصف مصر) . حتى قيّض الله لهذا النوع من الدراسات مؤرخاً فذاً هو المرحوم على باشا مبارك (ت ١٣١١ هـ/١٨٩٣) الذى وضع كتاباً بعنوان (الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة) فى عشرين جزءاً . تناول فى الستة أجزاء الأولى تاريخ القاهرة المعزية ومقارنة أوضاعها القديمة بأوضاعها حتى سنة ١٨٨٥ م . فتحدث عن شوارع القاهرة وحاراتها ودروبها ومساجدها ومدارسها وأسبلتها . .

والواقع أن تاريخ الخطط المصرية لم يشهد منذ عهد المقريزى (القرن ٩ هـ/١٥ م .) مجهوداً له من الطرافة والإفاضة كمجهود على باشا مبارك . بل هو من بعض الوجوه أتم وأوفى من الخطط المقريزية . إذ تتبع على مبارك الخطط فى ظلمات العصر التركى . فحقق المعالم والمواقع على ضوء الأطلال الدارسة والمنشآت المستحدثه . وهكذا نجح على مبارك فى وصل حاجز الخطط لمصر القاهرة . وكما يقول مؤلف الكتاب الذى أتشرف بتصديره : (أنها ليست خاصة بخطط العاصمة وحدها . بل تناولت المدن والقرى المصرية جميعها . مرتبة ترتيباً أبجدياً . مختصرة لتاريخها . وتتعمق أحياناً فترجعها إلى أصولها الفرعونية أو اليونانية أو الرومانية . وتذكر المعالم الهامة بها . وأهم حاصلاتها الزراعية . ومايكون لها من شهرة فى بعض الصناعات . وطرق هذه الصناعات . وتراجم النابهين منها فى النواحى العلمية أو الدينية أو الأدبية أو السياسية أو غيرها . وكذلك تناولت مقياس النيل . ووسائل الرى . والترع وماكان على كل ترعة من آلات رافعة مرخص بها . كما بحثت النقود الإسلامية على ممر العصور . وغير ذلك من نواحى المعرفة كالعادات الاجتماعية والصناعات المحلية والنشاط الاقتصادى والتجارى . والشركات . والأقيسة والموازين والمكاييل . مما يجعلها موسوعة تاريخية جغرافية علمية .)

ولكن من حقنا أن نتساءل الآن : ماذا بعد الخطط التوفيقية لعلى مبارك ؟ ماذا بعد أن امتد عمران الفسطاط والعسكر والقطائع والقاهرة إلى مدينة نصر ومصر الجديدة شمالاً . وإلى حلوان جنوباً . وإلى بولاق الدكرور وميت عقبة غرباً ؟ بل ماذا بعد أن تغيرت الخطط . وهدمت قصور . وبُدّلت أسماء . وتعددت مسميات . وبعُد العهد بيننا وبين الأحياء والشوارع والخلجان والقناطر والسقايات والبرك والأبواب والمتنزهات وغيرها ؟؟

لا شىء غير ما لخصه الأستاذ (محمد كمال السيد) فى لفظة واحدة بليغة هى (الصمت) . لقد ساد الصمت فعلاً هذا الميدان الخطير . وافتقر إلى مجهودات الباحثين أو المنقطعين إلى هذا النوع من الدراسات الشاقة . ونحن لا ننكر أو نغفل بعض المحاولات العلمية القادرة التى قام بها (casanova كازانوفا) و (رافيس ravisse) والمرحوم حسن عبد الوهاب والدكتور عبد الرحمن زكى وغيرهم ممن عزَّ عليهم فراق البحث فى تخطيط القاهرة وتنظيمها وعمرانها منذ نشأتها فى العصر الفاطمى . ولكن بعض هذه البحوث كان خاصاً بمواقع معينة كالفسطاط أو القلعة

أو الأسوار أو المساجد . بينما جاء بعضها مجملاً شاملاً للقاهرة وأحيائها دون توفر الفرصة للتفصيل والتوسع .

ومن ثم فإن كتاب (أسماء ومسميات فى تاريخ مصر القاهرة) للأستاذ (محمد كمال السيد) يأتى ليسدّ فراغاً كبيراً يشعر به الأثريون والمؤرخون جميعاً . فقد عالج المؤلف موضوع الخطط لمصر القاهرة من زاوية جديدة تماماً . هى محاولة تفسير الأسماء التى نطلقها على الأحياء والشوارع . مع التعرض لشرح الآثار الإسلامية الجديدة بإبرازها . بغية الوصول للتفسير الصحيح لاسم موقع من المواقع قد اندثر الأثر فيه . وهكذا وضع لنا المؤلف مرجعاً هاماً للأسماء والمسميات بهدف إحياء تراث علمى وتاريخى عزيز علينا .

وقد رتب المؤلف كتابه هذا فى مقدمة وثلاثة أقسام . تناول فى المقدمة تاريخ الخطط ومؤرخيها مع التعريف بموضوع الكتاب . وفى القسم الأول ـ وهو من خمسة فصول ـ تحدث عن الخليج المصرى بحيث اعتبره محور الخطط التى تعرض لها . وأوضح لنا تاريخ الخليج والقناطر التى كانت مقامة عليه . مع ذكر الاحتفالات الخاصة التى كانت تجرى على هذا الخليج إلى أن رُدم . وفى هذا القسم تعرض المؤلف أيضاً لنشأة القاهرة الفاطمية وأبوابها وأسوارها .

أما القسم الثانى فقد جاء فى ستة فصول[1] . وهو صلب الكتاب بحق . تناول فيه المؤلف الأسماء والمسميات . مع توضيح الألقاب والكنى . وتعليل الأسماء وردها إلى العلل الزمانية أو المكانية أو السيكولوجية . كما تناول بالدراسة المحققة بعض المنشآت القائمة فى أحياء القاهرة كالقصر العينى وحى الاسماعيلية وباب اللوق وجاردن سيتى والمنيرة والأزبكية . مع توضيح مافى هذه الأحياء من معالم وآثار وعمائر لها صيغة قومية .

أما القسم الثالث فقد أورد فيه المؤلف تسعة عشر جدولاً متنوعاً يبدأ أولها بالخلفاء الراشدين والعلويين والأمويين والعباسيين . ثم تعرض للولاة فى مصر من

---

(١) كان القسم الثانى من ستة فصول عندما تفضل الأستاذ الدكتور عبد الرحمن فهمى بكتابة هذا التصدير سنة ١٩٧٣ . وقد أضفت إليه فيما بعد عدة فصول أخرى .

قبل هؤلاء الخلفاء . منذ الفتح العربي - تى العصر الحاضر . وكل ذلك فى ترتيب تاريخى وزمنى ملتزم . مع إعطاء الرقم المسلسل للحكام الذين تولوا شؤون مصر طول المدى التاريخى .

ولا نتوقع ونحن نقدم هذا الكتاب القيم أن نضع بين يدى القارىء قاموساً لجميع الأمكنة والبقاع المصرية . أو موسوعة للأسماء والخطط والأحياء والشوارع والحارات والدروب . وإلا لكنا فى حاجة إلى قدر هذا الحجم مئات المرات . ولكن مع ذلك لم يغفل المؤلف أن يوفر ما يبغيه الباحثون من الوقوف على الأماكن الرئيسية . ومن ثم نراه يستقصى أسماء هذه الأماكن ومسمياتها مع الجرى وراء الأصول لكثير من الأسماء . وما ارتبط بها من أحداث تاريخية . وما طرأ عليها من تغيرات خلال العصور . وهو بهذا العمل قد التزم قواعد البحث العلمى الدقيق . مع الأشارة إلى كثير من المصادر التى رجع إليها واستقى منها .

وهكذا فإنه ليشرفنى حقيقة أن أقدم هذا الكتاب للأستاذ (محمد كمال السيد) كخطوة هامة فى سبيل موسوعة للقاهرة . نأمل أن يتولى معاونة المؤلف فى كتابها كثير من المتخصصين ممن روضوا أنفسهم على التعاون العلمى والبحث المشترك بهدف الوصول إلى علم ينتفع به .

والله أسأل أن ينفع هذا الكتاب كل باحث فى ميدان الآثار والتاريخ الحضارى لمصر القاهرة . كما أرجو مخلصاً أن يسدّ هذا المؤلَّف فراغاً فى المكتبة العربية . والله الموفق .

المعادى، فى ٢ ربيع الآخر ١٣٩٢هـ-(١٩٧٣/٥/٥)

دكتور عبد الرحمن فهمى محمد

أستاذ الآثار الإسلامية بجامعة القاهرة

مقدمة موضوعية

(١)

التاريخ ـ التأريخ ـ التقويم

من الجائز أن نعُرف التاريخ بأنه قصة الماضى من أى موضوع . وقد عرفه المقريزى بأنه عبارة عن يوم ينُسب إليه ما بعده . وأن الأصل كلمة فارسية (ماه روز) ثم عربت[١] . وتعريف المقريزى هذا ينطبق على التأريخ . و(ماهروز) معناها شهر جديد[٢] .

وذهب إلى هذا التفسير كثير من المؤرخين . منهم ابو الفدا . فقال إن التاريخ معرب عن ماه روز التى عُربت إلى مؤرخ[٣] .

ونرى أن التعريب بعيد عن اللفظ[٤] .

وفى بحث للمستشرق د. س. مرجليوت أن التاريخ مشتق من الكلمة السريانية (أرخ) بمعنى الشهر[٥] .

وفى القاموس المحيط للفيروز أبادى : أَرَخَ الكتاب وأرَّخه وقَّته . والاسم الأرخة . ولم يقل أن اللفظ معرب .

---

(١) المواعظ والاعتبار فى الخطط والآثار ج١ ص٢٥٠ وص٢٥٨

(٢) مروج الذهب للمسعودى ج٢ ص١٠٣

(٣) المختصر فى تاريخ البشر ج١ ص١٢٣

(٤) ولكننا نجد لفظاً آخر مقارباً ومعرباً. نذكره لعدم اللبس . وهو نيروز . ومعناه بالفارسية يوم جديد . وكانت الفرس تحتفل به على أنه أول السنة الفارسية . وأقباط مصر يحتفلون أيضاً بأول السنة القبطية فى أول توت (١١- ١٢ سبتمبر) - ويسمون هذا العيد أيضاً بالنوروز وربما نقلوا اللفظ - بعد تحريفه - عن الفرس عندما احتلوا مصر . واستعملوه عندما اتخذوا تقويماً خاصاً بهم سنة ٢٨٤م .

(٥) دائرة معارف الشعب المجلد الثانى ص٥١٩ .

وسواء أكان اللفظ عربياً أو معرباً . عن الفارسية أو السريانية . فقد جرى الاستعمال على تسمية ما يجرى من أحداث عبر السنين والأيام بالتاريخ . أما التأريخ بمعنى ربط حساب الأيام والسنين بحادث معين كميلاد المسيح أو هجرة الرسول - عليهما السلام - فيعرف بالتقويم .

وقد عرف الإنسان منذ فجر التاريخ عدة تقاويم . وهى تنقسم بصفة عامة إلى قسمين رئيسين : التقويم الشمسى والتقويم القمرى .

وأقدم التقاويم الشمسية وأكثرها ضبطاً هو التقويم المصرى القديم . فقد عرف المصريون القدماء منذ أكثر من سبعين قرناً حساب السنة الشمسية . واعتبروها ٣٦٥¼ يوماً . قسموها اثنى عشر شهراً . كل شهر ثلاثون يوماً . وأضافوا خمسة أيام نعرفها الآن باسم النسىء . ويصبح النسىء ستة أيام كل أربع سنين . وهو التقويم الذى نقله يوليوس قيصر إلى روما سنه٤٦ ق.م. بمساعدة سوسيجين الفلكى الاسكندرى . ولكنه جعل الشهور بعضها ثلاثين يوماً وبعضها واحدا وثلاثين يوماً . مع تفصيل ليس هنا مكانه . وعُرف بالتقويم اليوليانى . ثم عُرف بعد سنه٥٣٢ م . بالتقويم الميلادى .

وكان التقويم قبل هذا التاريخ يرتبط بانشاء مدينة روما التى تروى الأساطير أنها أنشئت سنه ٧٥٤ ق.م. ثم بعد سنه٥٣٢م بدىء بربط التقويم بميلاد المسيح عليه السلام . وعرف بالتقويم الميلادى . ثم عُرف أخيراً بالتقويم الميلادى الجريجورى نظراً للتعديل الذى حصل فى التقويم فى عهد البابا جريجورى الثالث عشر سنه ١٥٨٢ م . فقد كان التقويم يحسب على أساس أن السنه ٣٦٥¼ يوماً . ولكنها فى الحقيقة تنقص عن هذا المقدار ب ١٤°,١١ق . وينتج من هذه الدقائق والثوانى ثلاثة أيام تقريباً كل ٤٠٠ سنه . مما جعل الاعتدال الربيعى الذى تحدد له فى مجمع نيقَيه سنه ٣٢٥ م لرجال الدين المسيحى يوم ٢١ مارس وقع فى سنه ١٥٨٢ م فى ١١ مارس . ويرتبط بتحديد الاعتدال الربيعى تحديذ موعد عيد الفصح عند المسيحيين والأعياد المتنقلة المرتبطة به قبله وبعده . فاجتمع مجلس الكرادلة فى روما وقرروا نقل ٥ اكتوبر سنه١٥٨٢م إلى ١٥ أكتوبر لتصحيح الخطأ . ولعدم تكراره تقرر أن السنين لا تكبس فى نهاية القرون إلا إذا قبلت القسمة على ٤٠٠ بمعنى أن سنوات ١٧٠٠ , ١٨٠٠ , ١٩٠٠ م تعتبر سنوات بسيطة غير كبيسة . وبذلك يتوفر ثلاثة أيام

كل ٤٠٠ سنه . وهو قيمة الفرق تقريباً . ويبقى بعد ذلك كسر ضئيل يتكون منه يوم كامل سنه ٣٣٢٣ م باذن الله .

ولايزال أقباط مصر يستعملون التقويم المصرى القديم بشهوره المتساوية وبنفس أسماء الشهور التى استعملها الفراعنة مع تحريف لفظى بسيط . وبدء التقويم القبطى يوافق ٢٩ أغسطس سنه ٢٨٤ م[1] . وهو تاريخ تولى الامبراطور الرومانى دقلديانوس الحكم . حيث عانى المسيحيون فى أنحاء الامبراطورية الرومانية اضطهاده لهم ومذابحه فيهم . وكان نصيب أقباط مصر من هذا الأضطهاد وهذه المذابح النصيب الأكبر . فاتخذوا هذا التقويم وأسموه تقويم الشهداء .

أما التقويم القمرى فقد استعملته كل الشعوب القديمة قبل أن تتحول إلى استعمال التقويم الشمسى . والسنة القمرية ٣٣٫١, ٤٨ق, ٨س, ٣٥٤ى . والسنه الشمسية ٤٦, ٤٨ق, ٥س, ٣٦٥ى بفرق ٣٫١٢ و–ق–, ٢١س, ١٠ى . زيادة فى السنة الشمسية .

ولجأت الأمم القديمة إلى طرق مختلفة للتوفيق بين السنتين القمرية والشمسية . وأغلب هذه الطرق كانت باضافة شهر ثالث عشر إلى السنة القمرية كل ثلاث سنين . أو إضافة سبعة أشهر كل ١٩ سنة قمرية . وتوزع الأشهر الزائدة على السنين بترتيب خاص . أو إضافة تسعة أشهر كل ٢٤ سنة قمرية . ولايزال اليهود للآن يتبعون الطريقة الثانية .

وعدلت أغلب دول العالم عن استعمال التقويم القمرى . ولكن الدول العربية لا تزال تستعمله لارتباطه ببعض شعائر الدين كالصوم والحج . ونقطة البداية فيه هى أول السنة التى هاجر فيها الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المدينة . فقد وصل قباء – ضاحية للمدينة – فى ٨ ربيع الأول .

---

(١) كان أول توت يوافق التاريخ المذكور . والآن يوافق ١١ سبتمبر . بفرق ثلاثة عشر يوماً . نتيجة للتعديل الجريجورى الذى لم تعتمده الكنيسة الأورثوذكسية بمصر . من ذلك عشرة أيام التى قفزها التعديل . وثلاثة أيام لعدم كبس السنين القرنية المذكورة . مع ملاحظة أنه فى السنة التالية لسنة قبطية كبيسة يوافق أول توت ١٢ سبتمبر .

وكان العرب قبل ذلك لايستعملون تقويماً خاصاً . ولكنهم كانوا يؤ رخون بالحوادث الهامة . فأرخوا بوفاة كعب بن لؤى . وهى قبل عام الغدر بـ ٥٢٠ سنة . وأرخوا بعام الغدر وهو قبل عام الفيل ب ١١٠ سنة . وأرخوا بعام الفيل . وفيه ولد الرسول -ﷺ[1] - (ولد عليه الصلاة والسلام فى ٢٠/٤/٥٧١م)[2] . وأرخوا بحرب الفجار وهى بعد عام الفيل بخمسة عشر عاماً[3] . وأرخوا بإعادة بناء الكعبة وكان عمر الرسول خمسة وثلاثين عاماً .

وباتساع الدولة الإسلامية احتاج العرب إلى تقويم لتنظيم جباية الخراج . ولتوقيت أوامر السلطة المركزية فى المدينة إلى الولاة فى الأقاليم كما توقت به تقارير هؤلاء الولاة .

فاجتمع عمر بن الخطاب مع الصحابة فى السنة السابعة عشرة للهجرة وتشاوروا فى الأمر . هل يبدءون تقويمهم بمولد الرسول - أو بوفاته - أو ببعثته - أو بهجرته إلى المدينة عليه الصلاة والسلام . وكلها حوادث هامة فى تاريخ الإسلام . فأشار على بن أبى طالب باتخاذ هجرة الرسول مبدأ للتقويم .

وكانت هذه الهجرة حدثت فى ربيع الأول . فقد وصل الرسول ﷺ إلى قباء ضاحية المدينة فى ٨ ربيع الأول . فجعلوا أول السنة التى حصلت فيها الهجرة ابتداء التقويم . فغرة المحرم سنه١ هجرية سابقة للهجرة الحقيقية ب ٦٧ يوماً . كما أن غرة المحرم سنه١ توافق الخميس ١٥ يولية سنه ٦٢٢م .

ولما كانت السنة القمرية لا تلائم جباية الخراج . فنضج المحاصيل يتبع الدورة الشمسية . فطلب الفرس من خالد بن عبد الله القسرى الوالى على العراق كبس الأشهر كما اعتادوا . فرفض حتى يستأذن الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ -

---

(١) الآثار الباقية من القرون الخالية لأبى الريحان البيرونى ص٣٤ . وعام الغدر هو الذى نهب فيه بنو يربوع ما أنفذه بعض ملوك حمير إلى الكعبة . ووثب الناس على بعضهم فى الموسم .

(٢) التقويم العربى قبل الاسلام للمرحوم محمود باشا حمدى الفلكى . ترجمه عن الفرنسية حفيده السفير محمود صالح الفلكى ونشره مجمع البحوث الاسلامية .

(٣) سميت بالفجار لأن العرب فجرت فيها وحاربت فى الأشهر الحرم . وكانت بين كنانة وقريش من جهة وبين هوازن من جهة أخرى . ومن مالأكلا من الفريقين من القبائل . وهى أربع حروب . وكانت خمسة أيام فى أربع سنين (العقد الفريد لابن عبد ربه ج٣ ص١١٠ ، السيرة النبوية لابن هشام ج١ ص١١٨ .)

١٢٥هـ = ٧٢٢ - ٧٤٢م) . فمنعه من موافقتهم لأن هذا من النسيء الذى نهى الله عنه - قال تعالى : (إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لايهدى القوم الكافرين)(١)

واستمر الحال كذلك حتى زمن المتوكل على الله العباسى (٢٣٢ - ٢٤٧هـ = ٨٤٦ - ٨٦١م) فتنبه أحد أذكياء الكتاب إلى دقة الصياغة فى الآية الكريمة (فلبثوا فى كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً)(٢). فلو أراد سبحانه وتعالى مجرد الرقم لقال تسعاً وثلاثمائة. ولكن فى لفظ (وازدادوا) إشارة خفية فسرها على أن كل ٣٠٠ سنة شمسية تساوى ٣٠٩ سنة قمرية .

وهو تفسير معقول وحساب سليم . فلو طبقنا أرقام السنين الشمسية والقمرية لوجدنا أن الفرق بين ٣٠٠ سنة شمسية و٣٠٩ سنة قمرية هو ٣/١ ٧٣ يوماً تقريباً زيادة فى السنين الشمسية .

فلجأوا إلى طريقة إسقاط سنة من الخراج كل ٣٢ سنة هجرية لأن ٣٣ سنة قمرية تساوى ٣٢ سنة شمسية تقريباً وكانوا يسمون هذا بالازدلاف .

واستمرت هذه الطريقة متبعة مع إهمالها فى بعض الفترات . وهى فى الحقيقة لم تكن إسقاطا بل نقلا على الورق . فالسنة الهجرية لكونها أقصر من السنة الشمسية أى الخراجية . فكانت تسبقها بسنة كل ٣٣ سنة . فتنقل السنة الخراجية إلى التى تليها لتسير حسابات الحكومة مع السنة الهجرية الواقعية . وآخر ماقرأت فى كتب التاريخ من الازدلاف فى مصر ماذكره الجبرتى من حصوله فى سنة ١٢٠٣هـ (١٧٨٨م) .

وكانت الدولة العثمانية فى تركيا تستعمل الازدلاف . وكانت تسمى السنة الخراجية السنة المالية . وكانت تبدأ فى أذار (مارس) . وفى سنة ١٩٢٥ م كانت سنة

---

(١) الآيه ٣٧ من سورة التوبة رقم ٩ بالمصحف . وكانت العرب ينسئون بعض الأشهر أى يؤجلونها ليحلوا حرباً فى أحد الأشهر الحرم أو يمنعوا حرباً . وكانت النساة . أى من يتولون أمر النسىء من بنى كنانة ويدعون القلامس - جمع قلمس . وهو فى اللغة البحر الزاخر والرجل كثير العطاء وللتفصيل راجع بحثاً للمؤلف (الشمس والقمر فى حساب الزمن) .

(٢) الآية ٢٥ من سورة الكهف ١٨ بالمصحف .

١٣٤٤ هـ تسير مع سنة ١٣٤١ المالية . وفى سنة ١٩٢٦ استعملت تركيا التقويم الميلادى الجريجورى .

وفى مصر فى عهد محمد على صدر أمره سنة ١٨٣٩ م (١٢٥٥ هـ) باتخاذ التقويم القبطى أساساً لحسابات الحكومة . وكانت تسميه السنة التوتية نسبة إلى توت أول شهور السنة القبطية .

وفى ٤ يولية سنة ١٨٧٥ أمر الخديوى إسماعيل باعتماد التقويم الميلادى الجريجورى - بجانب التقويم الهجرى - رسمياً من الحكومة ابتداء من ١١ سبتمبر سنة ١٨٧٥ . وهو يوافق أول السنة القبطية .

ولا زلنا للآن نؤرخ بالتقويمين - أحدهما لتراثنا العلمى والتاريخى . وشعائر ديننا . وقوميتنا العربية . وجامعتنا الإسلامية . والثانى الميلادى لشؤوننا فى المعاملات والحياة الجارية . والاتصال بالعالم الغربى لملاءمة التقويم الشمسى للفصول والطقس على مدار السنين .

ولا شك أن الله سبحانه وتعالى حكمة كبرى فى جعل بعض شعائر الدين كالصوم والحج تدور مع السنة حتى يمارسها المسلمون فى كل الفصول وعلى إختلاف الطقس فهى ليست من عروض التجارة أو أنواع الزراعة التى تخضع لجو معين .

كما أن التقويم القبطى بشهوره المتساوية الموروثة أسماؤها عن المصريين القدماء . والخمسة أيام النسىء [1] التى تزداد إلى ستة أيام كل أربع سنوات لا يزال مرعياً فى الأعياد الدينية للأقباط . وعند الفلاحين الذين يعتبرونه أساساً فى مواعيد زراعاتهم وتقدير الطقس المنتظر . إذ الزراعة عندهم وليدة التجارب من آلاف السنين .

---

(١) تسمية هذه الأيام بالنسىء خطأ نبهت عليه فى كتابى (الشمس والقمر) . فالنسىء معناه التأجيل وهو المنهى عنه كالنص القرآنى . ولكن هذه الأيام الخمسة هى من التقسيم الأصلى للسنة فى التقويم القبطى .

(٢)

أنواع التاريخ

وكما أن التقويم أنـواع . فكذلـك التاريـخ بمعنى أنه قصـة الماضى من أى موضوع ـ أنواع : منها التاريخ السياسى . وهو الأعم فى مفهوم الكلمة . وهو تا خ الدول . وتطور الحكم فيها . واختلاف النظم فى حياتها . مسالمة أم محاربة . غازيه أم مغزوة . مزدهرة أم مضمحلة . مضطربة أم مستقرة . وتاريخ من تعاقبوا على حكمها على مر السنين .

ومنهـا تراجم الأشخـاص . وهى تاريـخ شخص معـين نعمـد إلى تحليـل شخصيته . ساردين تصرفاته . وما مر فى حياته من أحداث . كان له أثر فيها . أو كان لها أثر عليه . وعادةً لا نترجم إلا الأشخاص النابهين .

ومنها تراجم الآثار . فنذكر الأثر ووصفـه . وتاريـخ إنشائـه ومن أنشأه . والنواحى الفنية فيه إن وُجدت . وما جرى على هذا الأثر من أحداث . وعادةً لا نترجم إلا الآثار الهامة .

ومنها تاريخ الخطط . وهو وصف معالم المدن بما فيها من أحياء . مع تطور الحياة فى هذه الأحياء من العمران أو التدهور . وهذا التطور ـ إن لم يكن لأسباب محلية خاصة بالمدينة ـ يتبع حالة الدولة من جهة التقدم أو التأخر . فكلما نمت الدولة واستقرت حالتهـا السياسيـة والاقتصاديـة . نمت معها بـالتبعية مـدنها الكبرى . واتسعت أحياؤ ها . وتجملت مبانيها بالعظمـة والزخـرف . والعكس صحيح . وأيضا لا تدرس عادة من الخطط غير خطط العواصم والمدن الكبرى .

وقد وفق المقريزى فى اختيار عنوان كتابه عن خطط القاهرة (المواعظ والإعتبار فى الخطط والآثار) . فلا عظة للإنسان أكبر من التغير وعدم الدوام . كما ذكر المقريزى فى كتابه أبياتاً من الشعر تعبر عن هذا المعنى تعبيراً صحيحاً :

وبادوا فلا مخبر عنهم ... وماتوا جميعاً وهذا الخبر
فمن كان ذا عبرة فليكن ... فطيناً ففى من مضى معتبر
وكان لهم أثر صالح ... فأين هم وأين الأثر

ومن هنا كانت أهمية دراسة خطط عاصمة الدولة . وتاريخ هذه الخطط . فالعاصمة هى مركز الإحساس . تتأثر بما يصيب الدولة من أحداث . وتتشكل بما يمر عليها فى كافة العصور . وتتكيف حياتها الاجتماعية والاقتصادية ومساحتها الجغرافية والشكل الهندسى لمبانيها تبعاً لحالة الدولة .

فلو ذكرنا مثلاً أن المقريزى ذكر فى خططه ١٣٩ جامعاً ومسجداً ومشهداً وزاوية داخل المدينة الكبيرة (١) . وأن من هذا القدر ٦٤ جامعاً ومسجداً وزاوية أنشئت فى عهد أسرة قلاوون (٢) وحدها . لفهمنا صورة واضحة عن ذلك العصر من متانة الاقتصاد . والتقدم المعمارى . وحالة الرفاهية . والعقيدة الدينية .

ثم لو نظرنا إلى مواقع هذه المساجد التى أنشئت فى عهد أسرة قلاوون . لفهمنا أن العاصمة بدأت تتسع من كافة الجهات . وأن القاهرة الفاطمية لم تعد المركز الرئيسى للعاصمة كعهد الفاطميين . بل أخذ هذا المركز يتحول نحو مقر الحكم الجديد بالقلعة (١) . فعمرت أحياء الرميلة (المنشية) . والصليبة . وبركة الفيل . وقناطر السباع (السيدة زينب) .

---

(١) هذا بخلاف ٤٥ مسجداً بالقرافة والصحراء .

(٢) حكمت أسرة قلاوون ١٠١ سنة (٦٧٨ - ٧٨٤ ه) يتخلل هذه المدة خمس سنوات تقريباً أثناء حكم الناصر محمد بن قلاوون تولاها ثلاثة من غير الأسرة (راجع الجدول الرابع عشر) .

(١) بنيت القلعة فى عهد صلاح الدين الأيوبى . واتخذها الكامل بن العادل الأيوبى (٦١٥ - ٦٣٥ ه) مقراً للحكم . وظلت كذلك حتى عهد محمد على . ثم انتقل مقر الحكم إلى سراى عابدين فى عهد إسماعيل .

وعندما حفر الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى (٢) . لم يعد الخليج الكبير المعروف بالمصرى (٣) هو متنزّه العاصمة . تمر فيه السفن مزدانة مجلوة بالأنوار . صادحة بالأغانى والموسيقى . بل تحول الناس إلى الخليج الناصرى . وبنوا على جانبيه الدور والقصور الفاخرة . واتخذوا من مياهه وشواطئه والبرك الآخذة منه متنزّهاً وتر فيها . فعمرت أحياء الناصرية واخنفى والقصر العينى وباب اللوق والمقسى (كلوت بك وباب البحر) . والفجالة والظاهر . حيث يلتقى الخليجان .

يقارب هذا فى خطط القاهرة الحديثة لو ذكرنا أن العتبة الخضراء ـ أو الزرقاء كما كانت تسمى ـ كانت لغاية الثلاثين الأولى من القرن الحالى مركزاً للعاصمة . تتجمع فيها وتتوزع منها المواصلات العامة . ثم اقتضى إتساع العاصمة إزالة مبنى المحكمة المختلطة القديم . وكان فى وسط الميدان الحالى تقريباً . ثم ضاق هذا المركز عن أن يتحمل الضغط وحده . فأنشئت عدة مراكز لتوزيع المواصلات العامة كميدان التحرير وميدان رمسيس وميدان السيدة زينب وغيرها .

ويقارب هذا لو ذكرنا أن المحال العامة للهو والقصف كالمسارح ودور الغناء والسينما وغيرها كانت فى مستهل القرن الحالى مركزة فى حى الأزبكية . ثم تحولت قليلاً حتى تركز أغلبها فى شارع عماد الدين فى الجزء بين تقاطعه مع شارع ٢٦ يولية وبين تقاطعه مع شارع رمسيس . وأنه لما أنشئت سينما رويال (محل مسرح الجمهورية بعابدين حالياً) فى سنة ١٩٢٧ م . توقع الكثيرون عدم الإقبال عليها لخروجها عن المكان التقليدى . ومع هذا فقد كانت من أكثر دور السينما إزدحاماً وقصداً من العامة والخاصة .

والآن توزعت الملاهى فى العاصمة . حتى أقيم الكثيرمنها بالضواحى كالأهرام والطرق الصحراوية للاسكندرية والفيوم . وكمصر الجديدة وحلمية الزيتون وغيرها . تبعاً لتطور وسائل المواصلات الحديثة السريعة .

---

(٢) الخليج الناصرى كان يبدأ من النيل جنوبى القصر العينى . ثم يتجه شمالاً بشرق حتى ميدان رمسيس بالقرب من جامع أولاد عنان (بشارع الجمهورية حالياً) ثم يتجه شرقاً فى حى الفجالة حتى قرب ميدان الظاهر حيث يلتقى مع الخليج المصرى .

(٣) الخليج المصرى أو الخليج الكبير كان جزءًا فى عرض شارع بور سعيد الحالى . وكانت له أسماء أخرى مثل خليج أمير المؤمنين وخليج القاهرة والخليج الحاكمى . وسيأتى تفصيل ذلك بإذن الله

ولو ذكرنا مثلاً أن مكان البنك الأهلى الحالى بشارع قصر النيل كان فى الجيزة . وأن شبرا كانت فى إمبابة [٤] . وأن مكان دار الهلال الحالى بشارع محمد عز العرب (المبتديان سابقاً) بالسيدة زينب كان شاطئاً أو مجرى للنيل . لكان فى هذا شىء من الطرافة والمتعة التاريخية .

وقد كتب المؤلف الإنجليزى الكبير هـ . ج . ويلز رواية اسمها (آلة الزمن) يدور موضوعها حول الحركة السابعة . فالحركات الأصلية ست : فوق وتحت ويمين ويسار وأمام وخلف . ولكن هناك حركة سابعة هى حركة الزمن على مكان ما بالذات . فربما كان هذا المكان من ألف سنة مثلاً معبداً أو مسكناً أو بستاناً أو مجرى ماء . وقد يتحول هذا المكان على مر السنين إلى صورة أخرى من هذه الصور . أو غيرها . وقد لاقت الرواية نجاحاً كبيراً سواء ككتاب يُقرأ . أو كعرض سينمائى .

---

(٤) عندما تحول النيل غرباً أصبح موقع ما كان غرباً منه شرقاً منه .

(٣)

(الأسماء والمسميات)

وهناك وجه آخر للموضوع . أى موضوع دراسة الخطط . وهو مسألة الأسماء والمسميات .

فأسماء الخطط والشوارع والحارات لم تكن تطلق اعتباطاً . ولم تكن هناك لجان كالآن لتسمية الشوارع . بل الأسماء تجرى على ألسنة الناس طبقاً لما اشتهر به المكان أو ارتبط به . كمسجد . أو دار أمير . أو بستان تنسبه لمالكه أو سوق لتجارة أو صناعة سلعة معينة . أو مبانى على حكر [1] فتنسب إلى صاحب الحكر . فيصبح الاسم علماً على المكان . بل ويصبح قطعة منه . للاسم ما للمسمى من القيمة التاريخية .

واستبقاء الاسم محافظة على الأثر نفسه . وأدعى أن نحتفظ بالاسم التاريخى

(١) الحكر عقد منشأه الشريعة الإسلامية . ويترتب عليه حق عينى . والمحكِّر مؤجر والمحتكر مستأجر . وبمقتضاه يدفع المحتكر أجرة شهرية أو سنوية . ويظل فى العين لمدة غير محدودة أو لأجل طويل معين . والحكر يُعطى أصلاً على أرض موقوفة تخربت . وتعطل الانتفاع بها كلية . وليس للوقف ريع يعمرها . ولا يمكنه استبدالها . ولا يُعطى الحكر إلا بإذن القاضى . لأنه حق عينى يُنشأ على الوقف . وللمحتكر حق الغرس والبناء على العين الأصلية . وله أن يغير استعمالها .

وأجرة الحكر دائماً أجر المثل تزيد أو تنقص بحكم القاضى . تبعاً لصقع الأرض الأصلية . وليس تبعاً لما زاد فيها من تحسينات بمعرفة المحتكر . ويجوز أن يكون الحكر على أرض مملوكة . بشرط اتفاق صريح بين المحكر والمحتكر . وفى هذه الحالة يكون الأجر ثابتاً لا يقبل الزيادة أو النقص حتى لو تغير صقع الأرض المحكرة .

ويندر الآن إستعمال هذا العقد . نظراً لإلغاء الأوقاف الأهلية . وتولى الدولة بامكاناتها الأوقاف الخيرية . والتجاء الأهالى لتحكير الأراضى المملوكة نادر .

إذا كان المسمى قد اندثرت معالمه أو تغيرت أوضاعه . تبعاً لتطور المدينة ومقتضيات العصر الحديث من اتساع الشوارع لتوفير المسكن الصحى ولسهولة المواصلات . وبهذا يصبح الاسم بديلاً عن الأثر من الناحية التاريخية .

فهذه الاسماء التى تزخر بها لافتات الشوارع هى فى الواقع صفحات من تاريخ العاصمة . وهى بالتالى حلقات من سلسلة تاريخ الدولة .

وجرت العادة أننا إذا أردنا أن نخلد ذكرى أحد العظماء عمدنا إلى إطلاق اسمه على أحد الشوارع . بتغيير الاسم القديم للشارع . وكلما عظم شأن المخلَّد كلما اخترنا له شارعا يتفق مع عظمته . غير مراعين أهمية الاسم القديم من الناحية التاريخية . وغالباً لا يكون للاسم الجديد أى ارتباط بالشارع أو المكان . بل وأكثر من هذا قد تبرعنا بإطلاق اسماء بعض الملوك والرؤساء الشرقيين والأفريقيين والأمريكان اللاتين . مما لا ارتباط له إطلاقاً بتاريخ المدينة أو تخطيطها .

وتبديد الأسماء التاريخية لا يقل جرماً عن تبديد الآثار القديمة .

وهناك طرق أخرى كثيرة لتخليد الأسماء والذكريات التاريخية .

فأرجو ألا يبدل من الأسماء القديمة غير ما جهل أصله ومعناه . أو ابتذل لفظه (كحارة القتيلة . وعطفة الفرن . ودرب المهابيل . وغيرها) . وألا يطلق اسم جديد إلا بما له ارتباط فعلى بالمكان المسمى . حتى يكون الاسم الجديد صحيفة جديدة من تاريخ المكان . وأنه إذا لزم الأمر للتخليد خارج هذه القاعدة فليكن فى الشوارع المستجدة . أو فى أسماء الشوارع ذات المعانى المطلقة . فمدينة الأوقاف بالدقى والعجوزة ضاقت بها المناسبات التاريخية . فأطلقت اسماء شارع الشهامة . والثبات والوفاء . وما فى مجراها . على كثير من شوارعها . ومصر الجديدة إطلقت على بعض شوارعها اسماء جميع المحافظات أو عواصمها مثل أسيوط وقنا وطنطا وغيرها مما ليس له ارتباط بالمكان . والمعادى تسمى الشوارع بالأرقام .

وإذا كان من حقنا أن نسمى المولود عند ولادته . فليس من حقنا بعد هذا أن نجعل له فى كل حقبة من عمره اسماً جديداً .

وتغيير الأسماء من الصعاب فى دراسة الخطط .

فتاريخ الخطط أكثر فروع التاريخ تعقيداً . ففى التاريخ السياسي وحدة هى منصب السيادة فى الدولة . تدور حولها الأحداث وتتعاقب الحوادث مع تعاقب الحاكمين . وتاريخ الحاكم نفسه يكاد يكون تاريخ الدولة . وكذلك فى التراجم . فشخصية المترجم له محدودة بعمره .

أما فى تاريخ الخطط فلكل حىّ . ولكل شارع أو حارة فى الحى تاريخ . ولكل مسجد أو دار تاريخ . والملكيات تنتقل . والأسماء تتغير . والأبنية تندثر ويجد الباحث نفسه فى بحر من الأسماء والتواريخ تتداخل فى بعضها معتمدة على الوصف وحده . حيث لم يكن استعمال الخرائط المساحية معروفاً عند المؤرخين القدماء .

(٤)

(خطط مصر القاهرة ومؤرخو الخطط)

ومصر القاهرة عاصمة هذه الدولة التي تلقفت الحضارة العربية الإسلامية . وكانت مركز إشعاع علمي وروحي للعرب والمسلمين القرون العديدة .. ولا تزال . وكانت الدرع الواقي لهم في الحروب الصليبية . ثم في زحف التتار بعد أن خرّت تحت أقدامهم جميع الدول . والتي احتضنت الخلافة الإسلامية بعدما قوّضها التتار ودمروا بغداد . والتي اضطلعت بمسئولياتها التاريخية فقامت بها خير قيام .

مصر القاهرة التي قال عنها ابن خلدون [١] عند زيارته لها سنة ٧٨٤هـ : (فرأيت قاهرة الدنيا وبستان العالم . وكرسي الملك . وإيوان الإسلام . تلوح القصور والأواوين في جوه . وتزهو الخوانك [٢] والمدارس بآفاقه . وتضيء البدور والكواكب في عليائه . . . وختم حديثه عنها بقوله : ومن لم يرها لم يعرف عزة الإسلام) .

---

(١) ابن خلدون هو ولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨هـ = ١٣٣١ - ١٤٠٥م) الفيلسوف المؤرخ . ولد بتونس وتقلب في الوظائف بدول بني حفص وبني عبد الوادوبني الأحمر وبني مرين في تونس وتلمسان والأندلس والمغرب الأقصى . ثم نزح إلى القاهرة حيث أقام بها أكثر من عشرين سنة . وقرّبه السلطان برقوق . ودرّس بالجامع الأزهر . وتولى منصب قاضي قضاة المالكية عدة مرات . ورافق الجيش المصري في محاربة تيمور لنك ووقع في أسر تيمور لنك عندما استولى على دمشق . فأعجب به . وكان واسطة الصلح بين التتار والمسلمين . وله كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر) طبع في القاهرة سنة ١٢٨٤هـ في سبعة مجلدات . وقالت دائرة المعارف الإسلامية عن مقدمته المشهورة : (أنها ستظل ولا شك أعظم مؤلفات ذلك العصر وأهمها . من جهة العمق في التفكير . والوضوح في عرض المعلومات . والأصابة في الحكم . ويظهر أنه لم يفقها كتاب ا لأى مؤلف إسلامي) .

(٢) جمع خانكاه بمعنى بيت بالفارسية . وهي أماكن خصصت لخلوة الصوفية فيها للعبادة . وبدأت في الدول الإسلامية في حدود الأربعمائة من الهجرة . (خطط لمقريزي ج ٢ ص ٤١٤)

مصر القاهرة التى كانت وقتئذاك أكبر مدينة فى العالم كله . والتى تعد الآن أكبر المدن الإسلامية . فعدد سكانها من أربعة إلى خمسة أضعاف كل من استانبول أو كرتشى أو طهران . وسبعة أضعاف بغداد . وعشرة أضعاف كل من دمشق أو بيروت أو تونس أو الخرطوم .وأكثرْ من هذه الأضعاف بالنسبة لباقى العواصم الأسلامية.

مصر القاهرة شغفت الكثيرين من أبنائها حباً . فخلدوا فى كتبهم خططها وما كانت عليه من بهاء . وما فى قصورها من رفاهية وثراء . وما فى مبانيها من فن وعظمة وأبهة . ومافى نيلها وخلجانها وبساتينها ومتنزهاتها من أسباب اللهو والترفيه . ولم يمر قرن من الزمان إلا وقام كاتب . أو أكثر من أبنائها ليسجل ما ذكره السابقون مضيفاً عليه ما استجد .

فابن عبد الحكم توفى سنة ٢٥٧هـ ، والكندى توفى سنة ٣٥٠هـ ، وابن زولاق توفى سنة ٣٨٧هـ ، والمسبِّحى توفى سنة ٤٢٠هـ ، والقضاعى توفى سنة ٤٥٤هـ ، وأبو البركات توفى سنة ٥٢٠هـ ، الشريف الجَوانى توفى سنة ٥٨٨هـ ، وابن عبد الظاهر توفى سنة ٦٩٢هـ ، وابن المتوج توفى سنة ٧٣٠هـ ، وابن دقماق توفى سنة ٨٠٩هـ ، والمؤرخ الكبير المقريزى توفى سنة ٨٤٥هـ ، وابن حجر العسقلانى توفى سنة ٨٥٢هـ ، وتلميذه السخاوى توفى سنة ٩٠٢هـ ، والسيوطى توفى سنة ٩١١هـ ، وابن أبى السرور البكرى توفى سنة ١٠٦٠هـ ، على باشا مبارك توفى سنة١٣١١هـ = ١٨٩٣م . (١)

جميعهم مصريون يكونون حلقات متصلة فى سلسلة تاريخ مصر القاهرة .

ويساعد هذه الحلقات قوة ويزيدها اتصالاً وتماسكاً . مؤرخون ـ مصريون أيضا ـ لم يخصصوا مجهودهم التاريخى للخطط . ولكن نجد وصفاً لبعض خطط المدينة أثناء عرضهم للتاريخ العام . ويعتبر مجهودهم مكملاً .

---

(١) حسن المحاضرة للسيوطى ج ١ ص ٢٥٤ ، الخطط التوفيقية لعلى باشا مبارك ج ١٧ ص ٦٦ . مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية لمحمد عبد الله عنان .

وسيأتى بإذن الله ذكر أسماء بعض هؤلاء المؤرخين ومؤلفاتهم فى فصول هذا الكتاب.

ويلاحظ أن على باشا مبارك صاحب الخطط التوفيقية ذكر أن وفاة ابن عبد الظاهر فى سنة٧٩٢هـ . بدلا من سنة٦٩٢هـ . وهو خطأ فى النقل . أو خطأ مطبعى . ولكن لزم التنويه.

مثل النويرى صاحب نهاية الأرب المتوفى سنة ٧٣٣هـ ، القلقشندى صاحب صبح الأعشى المتوفى سنة ٨٢١هـ ، وابن تغرى بردى صاحب النجوم الزاهرة توفى سنة ٨٧٤هـ ، ابن إياس صاحب بدائع الزهور المتوفى سنة ٩٣٠هـ تقريباً ، عبد الرحمن الجبرتى صاحب عجائب الآثار فى التراجم والأخبار المتوفى سنة ١٢٤١هـ .

وأغلب كتب الخطط عن مصر القاهرة قبل المقريزى مفقود . عُرفت أسماؤها ومؤلفوها من الاشارة إليها فى خطط المقريزى . ومن ذكرها فى كتب التاريخ والتراجم .

ولو لم يتح القدر لمصر القاهرة هذا المؤرخ الكبير الواسع الاطلاع ذا الذاكرة الواعية . والنفكير الرياضى . والتحقيق العلمى . لا ندثر جزء كبير من تاريخ هذه العاصمة .

وتوجد فترة طويلة من الصمت بين ابن أبى السّرور البكرى المتوفى سنة ١٠٦٠هـ . وبين على باشا مبارك المتوفى سنة ١٣١١هـ[1] فضلاً على أن ابن أبى السرور لم يأت تقريباً بجديد . فكتابه قطف الأزهار فى الخطط والآثار ما هو إلا تلخيص لخطط المقريزى مع إضافات يسيرة جدت بعد المقريزى . [2]

ولكن يقطع هذه الفترة من الصمت تاريخ الجبرتى المتوفى سنة ١٢٤١هـ فقد كان فى كتابه (عجائب الآثار) ما ألقى ضوءاً قوياً على تاريخ مصر العام . فى فترة من أحلك فترات حياتها وأكثرها ا مطراباً . تئنُّ تحت الحكم العثمانى بعسفه وفساده من جهة . وتحت عبث البكوات المماليك من جهة أخرى . ولو أن الجبرتى لم يتناول خطط العاصمة بالذات . ولكنَ والعاصمة كانت ميداناً للصراع بين المماليك مع بعضهم ومع وجاقات (فرق) الحامية العثمانية . فقد ذكرت مساكنهم ومواقعها . ومن ذلك يُفهم الكثير من خطط المدينة .

وتخللت هذه الفترة من الصمت أيضاً الحملة الفرنسية . وقد أرَّخها الجبرتى

---

(١) الخطط التوفيقية طبعت سنة ١٣٠٥هـ . ماعدا الجزء الأول طبع سنة ١٣٠٦هـ ، الجزء الثانى طبع سنة ١٣٠٤هـ .

(٢) المؤلف هو شمس الدين محمد بن أبى السرور البكرى (١٠٠٥ - ١٠٦٠هـ) . بدار الكتب نسخة خطية من مؤلفه المذكور فى ١٦٨ ورقة ٤٣٩ جغرافيا .

حيث كان معاصرا لها . ووضع الفرنسيون الخرائط المساحية للعاصمة لأول مرة . ووصفوها فى كتاب (وصف مصر) الوصف الدقيق .

ثم أتاح القدر مرة أخرى مؤرخاً نابهاً هو المرحوم على باشا مبارك . فوصل بين ما كتبه المقريزى وبين ما استجد أو تطور من أحياء المدينة لغاية عصره . وأمكنه فى أغلب الأحيان أن يحقق المواقع التى ذكرها المقريزى . مع تَغَيُّر الأسماء والمواقع . وبينهما ما يقرب من الخمسة قرون . وخانه التوفيق فى أحيان كما سنرى. بإذن الله .

ولكل منهما طريقته فى الخطط . فالمقريزى يتكلم عن كل من المدارس والمساجد والدور والحمامات والحارات وغيرها مجتمعة كموضوع . دون نظر إلى الترتيب الجغرافى . أما على باشا مبارك فيراعى الترتيب الجغرافى فيذكر الشارع وطوله وما يتفرع منه من حَارات ذات اليمين وذات اليسار . وما يتفرع من الحارات من دروب وأزقة . وما به ـ أو ما كان به ـ من الآثار كالمساجد والدور الكبيرة وغيرها . وتاريخها وما مرَّ بها من عمارة أو خراب .

وقد أسمى على باشا مبارك كتابه (الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة) . والتوفيقية نسبة إلى الخديوى توفيق حاكم مصر وقت ظهور الكتاب . فقد كان على مبارك ناظرا للمعارف (وزيراً للتربية والتعليم) فى نظارة رياض باشا سنة ١٣٠٥هـ (١٨٨٨م).

والخطط التوفيقية مكونة من عشرين جزءاً . فى أربعة مجلدات . ومجموع صفحاتها ٢٥٨٣ صحيفة من القطع الكبير كاملة السطور . منها ١٥٦ صحيفة فهارس . وليست خاصة بخطط العاصمة وحدها . بل تناولت المدن والقرى المصرية جميعها . مرتبة ترتيباً أبجدياً . مختصرة لتاريخها . وتتعمق أحياناً حتى ترجعها إلى أصولها الفرعونية أو اليونانية أو الرومانية . وتذكر المعالم الهامة بها . وأهم حاصلاتها الزراعية . وما قد يكون لها من شهرة فى بعض الصناعات . وطرق هذه الصناعات . وتراجم النابهين منها فى النواحى العلمية أو الدينية أو الأدبية أو السياسية أو غيرها . كذلك تناول مقياس النيل . ووسائل الرى والترع . وما على كل ترعة من آلات رافعة مرخص بها . كما بحثت النقود الإسلامية على مر العصور . وغير ذلك من نواحى المعرفة كالعادات الاجتماعية . والصناعات المحلية

والنشاط الاقتصادى والتجارى . والشركات . والأقيسة والموازين والمكاييل . مما يجعلها موسوعة تاريخية جغرافية علمية ساعدته عليها دراسته الهندسية . وما تولاه من وظائف عامة كنظارة الأشغال العمومية ونظارة المعارف مما سهّل عليه الاطلاع على كثير من حجج الأوقاف القديمة ومعرفة أحوال كثير من العظماء فى وقته[1] .

وفى مجال نهضتنا الحديثة أخيراً . وفى مجال الرغبة فى إحياء تراثنا القديم وإبراز ما فيه من حسنات . والاعتبار بما كان فيه من أخطاء . قد نشط الكثيرون من علمائنا فى دراسة كافة نواحى هذا التراث . علمية ودينية وفلسفية وأدبية وغيرها وكانت لدراسة خطط مصر القاهرة نصيب كبير من هذا النشاط . وظهرت كتب حديثة من علماء قديرين مثل الأستاذ الكبير محمد رمزى والمرحومين الأساتذة حسن عبدالوهاب وعلى بهجت ويوسف أحمد . ومثل الدكاترة عبدالرحمن فهمى وعبداالرحمن زكى وسعاد ماهر . وغيرهم كثيرون . ولكن دراساتهم كانت مجملة دون تفصيل . أو خاصة ببعض مواضيع الخطط كالأسوار أو المساجد أو غيرها .

ربما كان هذا لأنهم وجدوا أن التفصيل غير هام . ويجهد القارىء دون فائدة تذكر . وربما وجدوا فى الخرائط المساحية ما يغنى عن الشرح والتفصيل . أو ربما اعتبروا أنه قد مضى عهد الموسوعات الفردية التى برع فيها القدماء . وكان مجهودهم فيها لايزال يثير الأعجاب .

وحتى الكتاب الذى نشرته مؤسسة الأهرام بمناسبة العيد الألفى للقاهرة . برغم تعدد أقلام العلماء القديرين فيه . وبرغم تعدد النواحى التى عالجها من الخطط والآثار والفنون والصناعات وغيرها . وبرغم حجمه الكبير (٦٤٧ صحيفة) نستطيع أن نقول عنه أنه مجمل وغير شامل . وأن هذا التعدد فى الأقلام جعله غير مترابط .

---

(١) الخطط التوفيقية جديرة بأن تكمل دار الكتب طبعها بعد أن أتمت طبع الجزء الثالث . مع التعليق عليها . ففيها بعض هنات من الأخطاء لاتقلل من غزارة مادتها وقيمتها التاريخية . كما أن مؤلفها اضطر تحرجاً إلى مجاملة بعض الأسر المعاصرة له عند ما ترجم لبعض أفرادها . فضلاً على الوضع السياسى القائم بعد فشل الثورة العرابية وما تلاه من الاحتلال الانجليزى . فلا يعتبر التاريخ صحيحاً إلا إذا كتب بعيداً عن المؤثرات والأغراض .

كما أن كتاب (وصف مصر) جدير بترجمته أو على الأقل اختصاره اختصاراً غير مخل . ونشره خدمة للباحثين . وقد سمعت عن اهتمام هيئة الكتاب بهذا المشروع .

ولست أقصد من هذا البحث شرح خطط مصر القاهرة وتاريخها . فهذا مجهود كبير ويحتاج إلى سنوات طويلة . وعلى باشا مبارك نفسه فى الأجزاء الستة الأولى من خططه (٨٢٠ صحيفة) التى تناول فيها خطط القاهرة . لم يتناول غير خطط القاهرة الفاطمية . مضافا إليها ما استجد جنوباً حتى ميدانى القلعة والسيدة زينب . وشمالاً حتى الفجالة والظاهر . وأما ما استجد غرباً فى عهد اسماعيل من أحياء المنيرة وجاردن سيتى والقصر العينى والاسماعيلية ميدان التحرير ومجاوراته)[1] . ومن حديقة الأزبكية حتى شاطىء النيل ببولاق فقد ذكره إلماماً دون تفصيل . كما أنه لم يكد يذكر شيئاً عن خطط الفسطاط .

وكانت مساحة القاهرة فى عهد على باشا مبارك ٢٩٠٠ فدان . تناول بالتفصيل منها ما يقرب من النصف . والآن مساحة القاهرة تقرب من ٦٠٠٠٠ ستين ألف فدان أى تضاعفت أكثر من عشرين مرة منذ على مبارك .

ولكن الجزء الأكبر من مصر القاهرة الحديثة . أو كما يسمونها القاهرة الكبرى . حصل تخطيطه بعد على مبارك . وكان مزارع وصحارى امتدت لها المدينة الكبرى فاحتوتها بين ذراعيها . خططاً ومساكن وأبنية . وتاريخها غير عسير المنال . فلدينا المراجع القديمة . وقرارات مصلحة التنظيم ولجان تسمية الشوارع مما يجده الباحث فى الوقائع الرسمية . فضلاً على الخرائط المساحية .

فنرجو أن يتوافر بعض علمائنا على المبادرة إلى هذا قبل أن يزداد العمل صعوبة وتعقيداً بتقادم الزمن .

---

(١) ستتكلم بإذن الله عن الإسماعيلية فى الفصل الثانى من القسم الثانى .

(٥)

موضوع الكتاب

ولكن سأحاول معالجة موضوع بعض خطط العاصمة من زاوية أخرى . فمن الخير أن نعرف مدلول هذه الأسماء التى نطلقها على الأحياء والشوارع . فما هى بركة الفيل . أو الصليبية . أو الجمالية . أو الخرنفش . أو بين السورين . أو بين القصرين . أو باب الشعرية . أو باب الخلق أو (باب الخرق كما كان يسمى) . أو باب اللوق أو عابدين . أو القصر العينى . أو العتبة الخضراء أو الزرقاء كما كانت تسمى . أو الأزبكية . أو وجه البركة ؟ ؟ وغيرها من آلاف الاسماء التى تزخر بها لافتات الشوارع .

وكلها حلقات متصلة متماسكة فى تاريخ العاصمة . وبالتالى فى تاريخ الدولة .

وسنرى من سياق البحث أن كثيرا من الأسماء التى كانت متداولة أو وضعت للتعريف أصبحت هى فى حاجة إلى التعريف .

وليس الأمر مقصورا على مدلول هذه الأسماء فسنرى أيضا أن بعض هذه الاسماء قد وضعت فى غير المكان الصحيح . كما سيؤدينا البحث إلى ذكر بعض هذه الثروات الهائلة من الآثار الإسلامية . التى يتجاور بعضها . ويتناثر البعض الآخر فى انحاء المدينة الكبرى . وما هى جديرة به من إبرازها بصورة جميلة متكاملة .

ومصر حقا أُمّ التاريخ . فباختراعها الكتابة (١) أمكن تسجيل

---

(١) كان المعتقد أن الفينيقين هم المخترعون للكتابة . ولكن ثبت أخيراً أن المصريين القدماء هم المخترعون . وأن الفينيقيين بتجولهم فى البحار ساعدوا على انتشارها .

الأحداث . وباكتشافها التقويم الشمسى ـ منذ أكثر من سبعين قرنا كما ذكرنا ـ أمكن تسجيل هذه الأحداث على صحفات الزمن .

وكما كان لمصر فضل ريادة البشرية فى أولى خطواتها نحو الحضارة والمدنية فقد قامت بدورها فى المحافظة على هذه الحضارة. وعلى القيم الأخلاقية العليا التى نادت بها المسيحية ثم أرسى قواعدها الإسلام جملة وتفصيلا . .

ولم تقم بالمحافظة فحسب . ولكن كان لها دورها البناء فى تاريخها الإسلامى . ولها أن تفخر بكثير من علمائها فى القرون الوسطى الذين قدموا بأبحاثهم مابنت عليه أوربا نهضتها الحدثية مثل الحسن بن الهيثم عالم الضوء والبصريات (٣٥٤ - ٤٣٠هـ = ٩٦٥ - ١٠٣٩م) . ومثل على بن يونس الفلكى (أواخر القرن الرابع الهجرى = العاشر الميلادى) . مخترع البندول الذى نسب إلى جاليلى الفلكى الإيطالى بعده بست قرون . ومثل على بن النفيس (٦٠٧ - ٦٨٧ هـ = ١٢١٠ - ١٢٨٨ م) مكتشف الدورة الدموية الصغرى

وغيرهم كثيرون فى شتى نواحى المعرفة .

وينسب علماء الغرب أصوال الحضارة إلى الإغريق . وقد تناسوا الأصل مصر . كما تناسوا العرب حلقة الاتصال . ومع عدم إنكار فضل الإغريق ولكن أصل الحضارة مصرى . فقد تلقى الكثيرون من علماء وفلاسفة الإغريق علومهم بجامعة عين شمس الفرعونية وجامعة الاسكندرية فى عهد البطالسة قبل الميلاد بعدة قرون . ثم كان للعرب فضل المحافظة على علوم الإغريق من الضياع بترجمتها للعربية . واستوعب العرب هذه العلوم وناقشوها المناقشة العلمية . وأضافوا إليها إضافات كثيرة . بل استحدثوا علوما لم تكن معروفة لدى الإغريق . ونقل الفرنج جهود العرب باحتكاكهم بهم فى الأندلس وصقلية والحروب الصليبية . وكانت هذه هى الدعامة الأولى لنهضة أوربا الحديثة :

فلولا العرب لما عُرف الكثير من علوم الإغريق . ولولا جامعة عين شمس وجامعة الإسكندرية لما كان للإغريق علماء [1] .

---

(١) نذكر على سبيل المثال أفلاطون (٤٢٩ - ٣٤٧ ق . م) الذى أقام بجامعة عين شمس الفرعونية ثلاثة عشر عاماً . وهو تلميذ سقراط وأستاذ أرسطو .

وفى الكتاب الشهير الذى صدر فى السنوات الأخيرة للدكتورة زيجفريدهونكه المستشرقة الألمانية (شمس الله على الغرب) أمثلة كثيرة لفضل العرب على أوربا علمياً وحضارياً .

ولا نريد أن نعيش فى الماضى . أو نحيا بالماضى . فقد طفرت الحضارة الانسانية فى القرن العشرين طفرة كبيرة . وقفزت إلى العلو قفزة عملاقية أصبحت بجانبها الحضارات القديمة قزما ضئيلا . ولكن الحضارات بنيان يتكامل ويعلو بعضه بعضا ويجب أن يُنسب لكل ذى فضل فضله .

والآن فى الوقت الذى قامت فيه مصر من سباتها . وبدأت الدول العربية تتخطى مراحل التخلف . فمن حقها أن تشعر أنها ليست متطفلة على الغرب . بل لها الفضل . وأى فضل ! !

كما أنه إذا كانت شقة المعارف بين الحديث والقديم قد اتسعت بهذا القدر الكبير فى النواحى العلمية من هندسة وطب وكيمياء . وما تفرع عن الهندسة من علوم الكهرباء والالكترونات وعلوم الفضاء وأعماق البحار . وغيرها . ولكن كلها فى الناحية المادية فقط . وكلها تهدف إلى تحسين الأسلوب المعيشى للإنسان .

وإذا كان علماء الاجتماع والاقتصاد الحديثون قد اتخذوا مناهج يجدونها جديدة . وأساليب يعتبرونها مبتكرة . فانه لم تثبت صلاحية هذه المناهج . ولا أفضلية هذه الأساليب . فالمجتمعات الحديثة تعانى الكثير من الأزمات الاجتماعية والاقتصادية . والانحرافات الخلقية . وبنيان الأسرة - بما تستلزمه من محبة وتراحم وتعاون - مهدد بالتفكك والانهيار .

والدين الإسلامى ليس ديناً للحياة الأخرى فقط . ولكنه دين نظم علاقة الإنسان بأخيه الانسان وبالمجتمع أحسن تنظيم . وبَيّنَ واجبات الانسان نحو نفسه وأسرته ووطنه أوفى بيان . والقرآن كتاب محكم أنار الطريق أمام الفقهاء الإسلاميين فوضعوا على هَديه القواعد للمجتمع شاملة لكل الحالات وجميع الاحتمالات وعندما كان المسلمون يتمسكون بقواعد دينهم عقيدة وفهماً وإيماناً . وبالقيم السامية التى وضع أساسها . كانت لهم اليد العليا فى العالم . واتسعت الرقعة الصغيرة فى الحجاز شرقاً إلى حدود الصين . وغرباً إلى المحيط الأطلسى . فى أقل من قرن من الزمان ونضع سؤالاً : ما الذى أبقى اليهود بعد تشتتهم بين الدول فى أنحاء الأرض أكثر من ألفى سنة ؟ ؟ لاشك أن الجواب واضح هو تمسكهم بتاريخهم ودينهم وما أضافوه عليهما من انتحالات تزيد أثرهما فى نفوسهم عمقاً وأصالة .

ويسجل التاريخ أن الشعور الدينى هو الذى أشعل الحماس فى مقاومة الغزو الصليبى والزحف التتارى . وهو الذى حَرَّك الشعب المصرى ضد الغزو الفرنسى

بعد أن كان مستكينا لحكم الدولة العثمانية الإسلامية بما زينوه له أنها مقر الخلافة .

وليس ما أقول ببعيد عن الموضوع . فمصر بدورها الطليعى بين الدول العربية والإسلامية فى كفاحها ضد التخلف والاستعمار والامبريالية والصهيونية محتوم عليها إحياء هذا التراث الإسلامى والعربى والإشادة به وتعميق مفهومه .

وليس التراث مقصوراعلى الكتب والنظريات .

فمن التراث هذه الثروة الهائلة من المساجد والقصور الأثرية وما فى تاريخها من أفضال وعظات .

ومن التراث هذه الأسماء التى تزخربها لافتات الشوارع . فهى بديل عن الآثار كما ذكرنا .

ومع تخطيط القاهرة الكبرى نأمل إبراز هذا التراث الضخم من الآثار فى صورة جميلة متكاملة . وأن نضع الأسماء الصحيحة لموقع ما اندثر من آثار . وأن نحيى من الأسماء العلمية والتاريخية ذكرى المتقدمين فيهما فى المكان الصحيح .

هذا هو الجانب الذى أسعى أن أعالجه فى هذا البحث .

وقد اخترت قسماً من مصر القاهرة هو الخليج المصرى ومجاوراته .

ولن أعالج الموضوع تخطيطياً إلا بقدر ما يلزم للشرح . ففى الخرائط المساحية ما يغنى عن كثير من التفصيل . ولكن سأختار من الأسماء فى المنطقة ما يغطى الكثير منها . وهى أكثر من ستة أضعاف القاهرة المعزية . وأترك لغيرى - أو لفرصة أخرى - تناول أجزاء أخرى من أحياء المدينة الكبرى .

وسنرى بإذن الله أن الخليج المصرى حفرته الفراعنة فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد . وردمته شركة الترام فى آخر القرن التاسع عشر بعد الميلاد فكأن عمره ٣٨ قرناً من تاريخ مصر .

وسنرى أيضا أن الخليج المصرى كان خطاً ثابتاً فى العصر الإسلامى تطورت المدينة فى جانبيه[1] .

---

(١) كان اختيار الخليج ومجاورته موضوع الكتاب لغاية سنة ١٩٧٣ . ولكن لما تأخر طبعهلظروف مختلفة أضفت للكتاب بضعة فصول عن أحياء أخرى بعيدة عن الخليج ومجاوراته .

(٦)

(مصر القاهرة ـ عمرها ـ إسمها .)

ونقف وقفة لنذكر كلمة قصيرة عن نشأة القاهرة .

فقد دخل العرب مصر وافتتحوا حصن بابليون ـ على أرجح الأقوال ـ في غرة المحرم سنة ٢٠ هـ (٢٠ ديسمبر سنة ٦٤٠ م) . وذهب عمرو بن العاص في ربيع الأول أو جمادى الآخرة في تلك السنة إلى الاسكندرية وفتحها . ثم عاد إلى موضع فسطاطه بجوار حصن بابليون في ٢٠ ذى القعدة [١] .

ونقل المقريزى عن القضاعى [٢] أنه عندما تنافس القوم على المواضع . انتدب سنة ٢١ هـ عمر بن العاص أربعة من العرب ـ وذكرهم المقريزى ـ وكانوا هم الذين أنزلوا الناس وفصلوا بين الناس . وأول المحرم سنة ٢١ هـ يوافق ٩ ديسمبر سنة ٦٤١م .

وهكذا نشأت مدينة مصر التى عرفت بالفسطاط . وهى ثالثة المدن التى أنشأها المسلمون بعد البصرة سنة ١٤هـ . والكوفة سنة ١٧ هـ .

---

(١) حسن المحاضرة للسيوطى جـ ١ ص ٦١ ، خطط المقريزى جـ ١ ص ٢٩٤ . والأسطورة عن سبب تسمية الفسطاط مشهورة مجملها أن عمرو بن العاص عندما عزم على التوجه إلى الاسكندرية وجد يماماً قد أفرخ فى الفسطاط . فقال : لقد تحرمت بجوارنا . أقروا الفسطاط حتى تطير فراخها .

(٢) خطط المقريزى جـ ١ ص٢٩٦ . والقضاعى هو القاضى أبو عبد الله محمد بن سلامة توفى سنة ٤٥٤ هـ . وهو مؤلف (المختار فى الخطط والآثار) . وكتابة مفقود . وقد خلط على باشا مبارك (الخطط التوفيقية جـ ٥ ص ٤٨ بينه وبين أبيه المتوفى سنة ٣٩٩ هـ . فذكر أن الأب هو المؤرخ . كما نسب للأب تفسير رؤيا لأحمد بن طولون . وهو غير معقول لأن أحمد بن طولون توفى سنة ٢٦٩ هـ .

ولمادالت دولة بنى أمية بقيام العباسيين هرب آخر الخلفاء الأمويين ـ مروان بن محمد ـ وتبعوه وقتلوه عند قرية بوصير [1] فى ذى الحجة سنة ١٣٢ هـ .

ونزل العباسيون عند قدومهم بعسكرهم شمال الفسطاط . وكان فضاءًافى خطة من خطط الفسطاط اسمها الحمراء القصوى .

وأمر القائدان العباسيان ـ صالح بن على بن عبد الله العباسى (وهو عم السفاح وعم المنصور) وأبو عون عبد الله بن يزيد ـ أمرا عسكرهما بالبناء فى الفضاء الذى نزلوا فيه . فنشأت مدينة العسكر سنة ١٣٣ هـ . ونقول مدينة تجوزا . فهى امتداد للفسطاط [2] وعلى إحدى خططه . وبين مكان دار الإمارة بالعسكر وجامع عمرو بالفسطاط ألف متر تقريباً .

ونقل المقريزى عن ابن المتوج [3] : أن الحمراوات ثلاث . أولى ووسطى وقصوى (يعنى بالنسبة للفسطاط) . وقد نزلتها القبائل التى حضرت الفتح . واختطت كل منها خطة نزلت فيها . والآن (يعنى زمن ابن المتوج فى أوائل القرن الثامن الهجرى) الحمراء الأولى والوسطى خراب . وأما الحمراء القصوى فتعرف بخط قناطر السباع (السيدة زينب) وبخط السبع سقايات (بالقرب من جامع ابن طولون) وحكر آقبغا (غربى مسجد السيدة زينب وجنوبه) . ومنها أيضاً خط الكبش . وخط الجامع الطولونى . والعسكر . ومنها حدرة ابن قميحة إلى حيث قنطرة السد . وبستان الطواشى وما شرقيه حتى مشهد الرأس المعروف بزين العابدين) أهـ .

---

(١) ذكر على مبارك (جـ ١٠ ص ٦) سبع قرى باسم بوصير . ومنها ثلاثة بالوجه البحرى وواحدة بالصعيد . وواحدة بمحافظة المنيا . والسادسة والسابعة هما بوصير الجيزة بين منف وأهرام الجيزة . وبوصير الفيوم . واسمها كورديس . واسمها أيضا بوصيرونا وبوصير الملق . وهى بالقرب من حدود محافظتى الفيوم وبنى سويف . وهى المكان الأرجح لقتل مروان بن محمد فيه . وإليها ينسب الشيخ محمد بن سعيد البوصيرى صاحب البردة المشهورة فى مدح الرسول (ص) توفى سنة ٧٨١ هـ . وأصل أبيه من دلاص وهى قرية بالقرب من بوصير . وأمه من بوصير . ولذلك يلقب أحياناً بالدلاصيرى . وذكر على مبارك أن بوصير مركبة من كلمتين ومعناها مدفن أوزيريس وخطًا ذكر اسمها بالألف أى أبو صير فأصل الاسم bosiris

(٢) كان مكان العسكر جنوب شرقى حى المدابغ حالياً . وجنوبى الحى المعروف بزين العابدين (زينهم) .

(٣) خطط المقريزى جـ ٢ ص ١١٣ . وابن المتوج هو القاضى تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج مؤلف (إيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل فى الخطط) توفى سنة ٧٣٠ هـ . وكتابه مفقود .

ولما استقل أحمد بن طولون بحكم مصر . واصبح واسع الثراء . بالغ القوة والمنعة . ضاقت به العسكر . فأنشأ القطائع فى الشمال الشرقى منها سنة ٢٥٦ هـ

والقطائع كما ذكرها المقريزى زالت آثارها . ولم يبق لها رسم يعرف . وكان موضعها من قبة الهواء التى صار مكانها قلعة الجبل إلى جامع أحمد بن طولون . وهذا أشبه أن يكون طول القطائع . أما عرضها فإنه من أول الرميلة (ما يعرف الآن بالمنشية تحت القلعة) إلى الموضع الذى يعرف اليوم بالأرض الصفراء (أى وقت المقريزى) عند مشهد الرأس الذى يقال له زين العابدين . وكانت مساحة القطائع ميلاً فى ميل [1] .

وسميت القطائع لأن أحمد بن طولون أقطع كل طائفة من جنده وحاشيته قطعة من الأرض يبنون عليها ويقيمون فيها .

وما يذكره المقريزى أنه لم يبق لها رسم يُعرف يعنى تخطيط هذه القطائع .

وكان جنوب شرقى الخليج المصرى مرتفعان . وهما من الحمراء القصوى [2] أحدهما يُعرف بالكبش والثانى شمال شرقى الكبش ويعرف بجبل يشكر وهو الذى انشأ عليه أحمد بن طولون جامعه من ضمن القطائع سنة ٢٥٦ هـ .

وجبل يشكر ينسب إلى قبيلة من العرب عند الفتح . وقيل أنه مكان مشهور بإجابة الدعاء . ومكان مبارك . وأن موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات .

وكان جبل يشكر يشرف على النيل [3] . وليس بينها شىء . أى بنيان . كما كان يشرف على البركتين : بركة الفيل شمالاً وبركة قارون جنوباً وغرباً منه [4] .

---

(١) خطط المقريزى جـ ١ ص ١٢٥ . والميل العربى ويعرف أيضاً بالهاشمى ١٨٤٨ متراً (بحث للمؤلف عن الذراع وحدة قياس منذ ٥٥٠٠ سنة نشر بمجلة الأزهر فى ذى الحجة سنة ١٣٩٣ هـ/يناير سنة ١٩٧٤ م) . فكأن مساحة القطائع ..٨ فدان تقريباً أكبر من ضعف القاهرة المعزية .

(٢) كانت الحمراء القصوى خطة بنى الأزرق . ويوجد الآن شارع صغير بهذا الاسم (بنو الأزرق) يتفرع جنوباً من شارع الخليج بالقرب من مطابع دار الهلال .

(٣) كان النيل عند الفتح الإسلامى يجرى غربى موقع جامع السيدة زينب بحوالى ٣٠٠ متر كما سنذكر بإذن الله .

(٤) بركة قارون انقسمت بعد ذلك إلى بركتين ذكرهما الفرنسيون باسم بركة طولون وبركة الملاّ والأخيرة هى التى عرفت أخيراً ببركة البغالة . وبهذا الاسم الحى جنوبى مسجد السيدة زينب . ولم يبق لهما ولا لبركة الفيل من أثر غير الأسماء .

وكان شرقى جامع ابن طولون الميدان وهو من ضمن القطائع وشرقى الميدان يقع القصرسكن الحاكم . ومكانه الآن حوالى الميدان تحت القلعة . أما دار الأمارة بالقطائع فقد كانت جنوبى الجامع .

وبين جامع ابن طولون ومكان دار الأمارة بالعسكر ١٨٠٠ متر تقريباً . كما أن بين الجامع والخليج المصرى ٥٥٠ متراً تقريباً .

وهكذا نرى أن العسكر والقطائع هما امتداد للفسطاط . وعلى الحمراء القصوى إحدى خطط الفسطاط .

ودخل الفاطميون مصر . وأنشأ القائد جوهر القاهرة المعزية شمال القطائع على الشاطىء الشرقى للخليج . ووضع أساسها فى ١٧ شعبان ٣٥٨ هـ (٥ يولية ٩٦٩ م) .

ولم يقصد القائد جوهر باختياره موقع القاهرة المعزية إنشاء مدينة جديدة بقدر ما كان يرمى إلى إنشاء مقر للخليفة الفاطمي ومعسكر لجيشه يستطيع فيه أن يكون بمأمن حتى يتوطد حكم الفاطميين . وأن يصير حصنا بين مدينة مصر (الفسطاط) وبين القرامطة يقاتلهم منه دونها[١] . وقيل أن الموقع كان محددا من المعز الفاطمى قبل قيام جوهر لمصر . وقيل أيضا أن المعز انتقد فيما بعد اختيار جوهر لهذا الموقع . كما أن القاهرة التى أنشأها جوهر كانت جميعها ملكا للخلفاء[٢] . ولم يصرح للأهالى بالبناء فيها إلا بعد قيام الدولة الفاطمية بفترة .

والقاهرة التى أنشأها جوهر كانت على مساحة ٣٤٠ فدانا . ونسميها القاهرة المعزية . ثم اتسعت إلى ٤٠٠ فدان عندما نقل بدر الجمالى أسوارها فى خلافة المستنصر بالله الفاطمى . ونسميها القاهرة الفاطمية .

والمسافة بين باب زَويلة الحالى (وتسميه العامة بوابة المتولى) وبين جامع ابن طولون ١٨٠٠ متر تقريبا . كما أن المسافة بين باب زويلة وبين جامع عمرو بالفسطاط ٤٠٠٠ مترا تقريبا إذا قسنا هذه المسافة الأخيرة خطا مستقيما .

فيجب أن يكون تاريخ ميلاد القاهرة هو الفتح الإسلامى فى أول المحرم سنة ٢٠ هـ (٢٠/١٢/٦٤٠م) أو فى أول السنة التى حصل فيها تخطيط مصر الفسطاط أى أول المحرم سنة ٢١ هـ (٩/١٢/٦٤١م)

---

(١) الخطط التوفيقية ج ١ ص ٦

(٢) الخطط التوفيقية ج ١ ص ٨

ولم يمض ثلاثون عاما على إنشاء القاهرة المعزية حتى اتصلت الأجزاء الأربعة - الفسطاط والعسكر والقطائع والقاهرة - وصار الناس يسيرون من القاهرة إلى الفسطاط فى شارع متصل البنيان والعمران .

فتاريخ ١٧ شعبان ٣٥٨ (٩٦٩/٧/٥ م) هو تاريخ إنشاء القاهرة المعزية أحد الأجزاء الأربعة فى المدينة الكبرى التى نسميها مصر القاهرة .

وقد احتفل فى ١٩٧٠ بهذا التاريخ على أنه العيد الألفى لمدينة القاهرة .

واسم مصر القاهرة ليس ابتكارا منى فقد رأينا العنوان الذى اختاره على مبارك لكتابه (الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة) كما أن المقريزى وكثيرين غيره فى المؤرخين يذكرون : (مدينة مصر المعروفة بالفسطاط) . ويجرى على ألسنة الناس أن اسم العاصمة مصر . وفى كثير من حجج الملكيات القديمة أن اسمها مصر المحروسة .

ونحن إذا ذكرنا القاهرة فلا يتحدد الذهن بهذه المساحة الصغيرة التى أنشأها جوهر داخل أسوارها الأربعة على ٣٤٠ فدانا . بل ينصرف الذهن إلى هذه العاصمة الكبرى المترامية الأطراف من مجرى النيل غربا إلى أقصى حدود العمران بمصر الجديدة شرقا . وفى حلوان جنوبا إلى شبرا الخيمة ومحافظة القليوبية شمالا . والتى تزيد مساحتها على ٦٠٠٠٠ ستين ألف فدان (١) ويقطنها ما يقرب من السبعة ملايين نسمة (٢) . وأن هذه الأسماء الأربعة - الفسطاط والعسكر والقطائع والقاهرة الفاطمية ما هى إلا أحياء أو موقع أحياء فى العاصمة الكبرى التى اصطلح أخيرا على تسميتها بالقاهرة الكبرى .

---

(١) كانت مساحتها عند دخول الفرنسيين ١٩٤٨ فدانا وفى زمن على مبارك ٢٩٠٠ فدان كما كان عدد سكانها عند دخول الفرنسيين ٢٦٠٠٠٠ نسمة وفى زمن على مبارك ٣٧٥٠٠٠ نسمة (الخطط التوفيقية ج ١ ص ٨٠)

(٢) حسب التعداد الرسمى سنة ١٩٦٦ كان عدد سكان القاهرة ٤,٢١٩,٨٥٢ نسمة والعدد التقديرى لسنة ١٩٧١ كان ٥,١٣٩,٠٠٠ هذا مع استبعاد مدينة الجيزة وإمبابة مع أنهما فى العاصمة فعلا . ويكفى أن بالجيزة جامعة القاهرة كما بها وزارات الزراعة والصناعة والأصلاح الزراعى والخارجية وكثير من المصالح الحكومية .

وفى بيان للجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء نشر بالأهرام فى ١٩٧٦/٦/٣ أن التعداد التقديرى لسكان محافظة القاهرة ٦,١١٥,٠٠٠ نسمة . وأن عدد سكان اقليم القاهرة الكبرى (يعنى القاهرة والجيزة وشبرا الخيمة وقرى مركز الجيزة والخانكة وقليوب والقناطر الخيرية) ٨,٧٧٠,٠٠٠ نسمة .

(٧)

اصطلاحات فى الخطط

وفى كلمة أخيرة من هذه المقدمة نذكر أن مؤرخى الخطط قد استعملوا لتقسيم المدينة أسماء . فذكروا الخطة والخُط والحارة والدرب والزقاق والخوخة والرحبة والميدان .

وقال المقريزى أن الخطة بفسطاط مصر بمنزلة الحارة فى القاهرة . كما أنه ذكر نواحى عبَّر عنها بالخُط . وجمعها على خطط وأخطاط . وقال إنها لا تدخل تحت الحارةأو الدرب أو الزقاق [1] . والدرب والزقاق جزء من الحارة .

وفى القاموس المحيط إن الخطة (بالكسر) من الأرض التى تنزلها ولم ينزلها نازل قبلك . والخُطة (بالضم) موضع الحى والطريق الشارع .

وأن الحارة كل محلة دنت منازلها . والمحلة منزلة القوم .

وأن الدرب باب السكة الواسع والباب الأكبر .

وأن الزقاق السكة . ويؤنث . والجمع زُقاق وأَزقَّة .

وأن الخوخة مخترَق ، بين كل دارين ما عليه باب .

وأن الرحبة المكان ساحته متسعة .

وقال الميدان ـ بفتح الميم معروف . وقد تكسر الميم . والجمع ميادين .

---

(١) خطط المقريزى ج ٢ ص ٢٣

وقديماً كانت الخطة أو الحارة كبيرة متسعة . تتشعب منها الدروب والأزقة والعطفات . وكان للحارات غالباً أبواب تقفل ليلاً لدواعى الأمن . وكل خطة أو حارة يقطنها جمع من الناس تربطهم صلة العصبية أو الجنس أو المهنة . . . الخ . وقد يكون من داخل الحارة الرحبة أو الرحاب . وهى متسع أمام دار عظيم .

ونحن نستعمل الآن هذه الألفاظ فى تقسيم المدينة . وإن كانت على غير المفهوم قديماً بالضبط .

فالميدان – وهو يشمل اللفظين القديمين الرحبة والميدان . تتفرع منه الشوارع أو تلتقى فيه . ويتفرع من الشارع الحارات . ويتفرع من الحارة الدرب والزقاق والعطفة . أما الخوخة بمعناها المذكور فقد انقرضت لعدم وجود الأسوار الخارجية أو الداخلية بالمدينة .

وكل عدة شوارع ـ بما يتفرع منها ـ تجمعها وحدة نعبر عنها بالحى . أو المنطقة(بمعنى الخِطة أو الخط قديماً) . فنقول حىّ الحسين . أوحىّ الحلمية . أو حىّ المنيرة . أو منطقة الدقى . . . الخ . ويفهم ـ حِسًّا ـ أن المنطقة أكبر من الحى . وقد تكون المنطقة من عدة أحياء . كما نقول منطقة جنوب القاهرة مثلاً .

أما أقسام الشرطة فكل قسم يشمل عدة أحياء . وكل قسم يتبعه عدة نقط للشرطة . تبعاً لمقتضيات الأمن .

وكان قسم الشرطة يُسمى بالثُّمن . وهى تسمية ترجع إلى عهد محمد على . حيث قسم المدينة إلى ثمانية أقسام . لكل ثُمن قسم شرطة . وظلت هذه التسمية حتى تلاشى مدلولها وتنوسى لفظها منذ عهد قريب . وأذاع محمد على على أقسام الشرطة التعليمات الواجبة عليهم والخاصة بالأمن ونظافة المدينة وعدم إشغال الطرق فى ١٧ صفر ١٢٤٦هـ (١٨٣٠م) .

وقد ذكر على مبارك فى الخطط التوفيقية عشرة (أثمان) . فكأن ثُمنين (أى قسمى شرطة) قد زادا من عهد محمد على إلى عهد توفيق . وبذلك ضاع المعنى اللفظى لكلمة الثُمن . والواقع أنهما كانا موجودين ولكن لم يدخلا فى تقسيم المدينة فى عهد محمد على . وهما (ثمن) بولاق و (ثمن) مصر القديمة. فقد كانت بولاق ومصر القديمة يعتبران من الضواحى .

وفى ١٢٦٣هـ (١٨٤٧م) أصدر محمد على أمراً نشر فى الوقـائع الـرسمية بالعدد ٨٣ بضرورة تسمية الشوارع وترقيم المنازل . ويكون الترقيم فردياً على يمين المار . وزوجياً على يساره . وهى الطريقة المتبعة الآن . وأمر بأسماء الشوارع تكتب على لوحات وتُسمَّر على الجدران . وجعل للوحات والمداد الذى تكتب بـه ألوان تختلف باختلاف الشوارع . أما أرقـام المنازل فـاكتفى بكتابتهـا فوق الأبـواب أو بجوارها(١) .

واعتبر الأمر المذكور باب الخلق مركزاً للمدينة . واستحدث لفظاً جديداً هو الجادة . بمعنى الشارع أو الطريق . فأسمى الجادة مثلاً من باب الخلق إلى القلعة باسم شارع القلعة . والجادة من باب الخلق إلى قره قول(٢) السيدة زينب بـاسم شارع السيدة زينب وهكذا .

وفى ٢٧/٣/١٨٩٧م صدر أمر عباس حلمى الثانى بترقيم المنازل بلوحات تثبت عليها(٣) .

ومع استمرار تجديد التخطيط للمدينة . تبعا لمستلزمات المدنية الحديثة من القواعد الصحية وسهولة المواصلات سينقرض أغلب هذه الأسماء كالحارة والدرب والزقاق . ولايبقى إلا الميدان والشارع . ونحتاج إلى تعبير حديث للشارع الكبير الذى يصل بين عدة أحياء تتوسطه وعلى جانبيه الأشجار . وهو الـذى يعبر عنـه بالانجليزية Avenue وفى الفرنسية Boulevard ونترك للمجمـع اللغوى إيجـاد اللفظ المناسب له .

---

(١) القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها للمرحوم حسن عبد الوهاب كبير مفتشى الآثار الإسلامية طبعة ١٩٥٧م . تقويم النيل لأمين باشا سامى ج ٢ ص ٥٤٧ .

(٢) والعامة تسميه كَركون بمعنى قسم الشرطة . وهو لفظ تركى مركب من قره بمعنى البر وقول بمعنى الفرقة . والمراد به حرس البر (الرتب والألقاب المصرية للمرحوم أحمد باشا تيمور)

(٣) مذكرات شفيق باشا جـ ٢ ص ٢٤٣

(٨)

خاتمـة للمقـدمة

وبعد هذه المقدمة الطويلة آن لنا أن نرجع إلى هذه الأسماء التى زخرت بها لافتات الشوارع بالعاصمة . فلكل اسم علة . ولكل اسم قصة وتاريخ . وقد تندرس الآثار . ولايبقى غير الأسماء . فلم يبق من القصرين الشرقى والغربى الفاطميين غير اسم بين القصرين . ولا يوجد أى سروجى بحى السروجية . ولا فحم بحى الفحامين . ولاتجارة أومخازن للسكر بحى السكرية . ولاصناعة ولاتجارة للأسلحة بحى سوق السلاح . سواء الحى القديم بالقرب من بين القصرين أو الأخير بالقرب من القلعة . ولاسور بشارع بين السورين . ولابركة بشارع وجه البركة . قبل أن يطلقوا عليه اسم نجيب الريحانى . ولاباب ولابحر بشارع باب البحر عند ميدان رمسيس . ولابركة ولافيل ببركة الفيل . ولاعشش أو أكواخ أو أخصاص بجزيرة الزمالك كما يدل عليه الاسم . بل قصور وعمارات .

وأيضا لاخليج فى شارع الخليج .

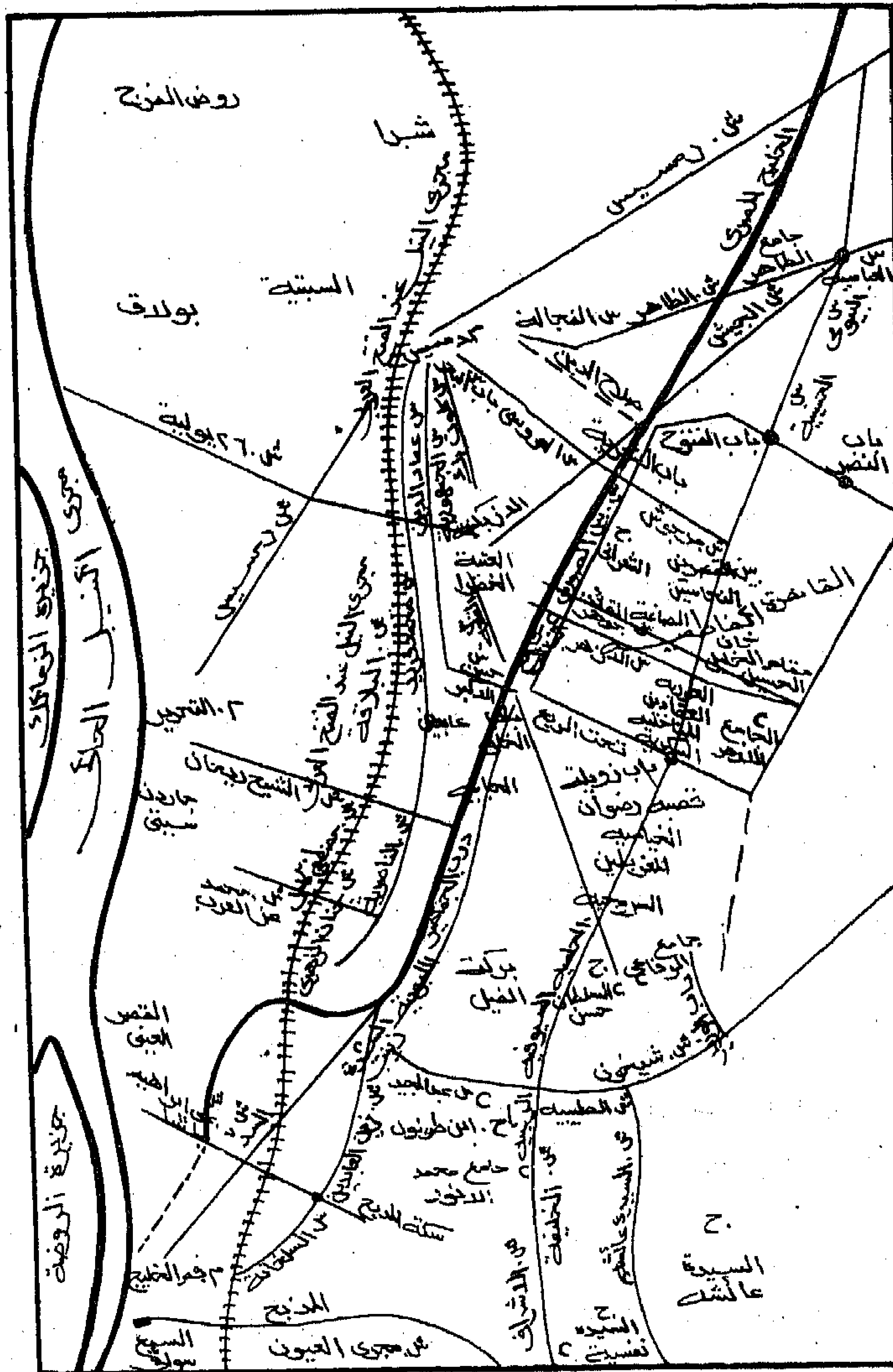
زال كل هذا واندرس . وأصبحت صوراً فى الذاكرة والخيال . لا بقاء لها إلا بهذا الخيط الرفيع الذى يربطها بالتاريخ . وهو الاسم على لافتة الشارع أو المكان .

فتعال نتجول فى شارع الخليج المصرى . والأحياء المجاورة له . لنرى ماعلى هذه اللافتات من حلقات من سلسلة تاريخ العاصمة وتطورها . وما فى بعض الآثار الباقية من مجد وعظمة . وما فى البعض الأخر من عظة وعبرة . ذاكرين قول المتنبى :

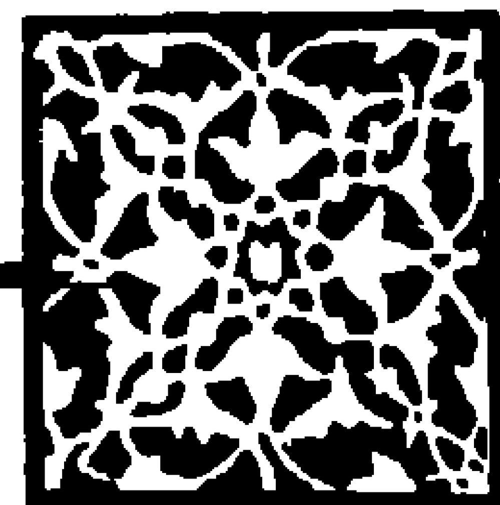
تتخلف الآثار عن أصحابها حيناً ويدركها الفناء فتتبع

رسم كروكى (١)

يبين موقع الخليج المصرى بالنسبه لمجرى النيل عند الفتح العربى وبالنسبه لمجرى النيل الحالى . وموقع القاهرة الفاطميه بالنسبه للخليج



القسم الأول



الخليج المصري أو شارع بورسعيد
٣٨٠٠ سنة من تاريخ مصر

الفصل الأول

تاريخ الخليج المصرى

كان الخليج المصرى(١) من أقدم المجارى الصناعية للماء . التى حفرها الأنسان واستمرت حتى العصر الحديث . والآن شارع بور سعيد من أطول شوارع القاهرة .

فقد ذُكر أن سنُوسْرِت الثالث (١٨٨٧ - ١٨٤٩ ق. م.) وكان يسمى أيضا سيزوستريس . من ملوك الأسرة الثانية عشرة وصل النيل بالبحر الأحمر .

وأن سيتى الأول (١٣١٤ - ١٢٩٢ ق. م.) من ملوك الأسرة التاسعة عشرة حفر خليجا يصل البحرين الأبيض والأحمر من فرع النيل الشرقى .

وأن نخاو الأول بن بسماتيك (٦٠٩ - ٥٩٣ ق. م.) من ملوك الأسرة السادسة والعشرين شرع فى كرى الخليج الموصل بين البحرين الأبيض والأحمر من فرع النيل الشرقى .

وأن دارا الأول بن قمبيز (٥٢١ - ٤٨٥ ق. م.) فتح الخليج الموصل بين النيل والبحر الأحمر .

---

(١) الخليج فى اللغة نهر صغير يختلج من نهر كبير . والخلج الانتزاع

وأن بطليموس الثانى (٢٨٥ - ٢٤٧ ق. م) جدد حفر الخليج الذى حفرته الفراعنة ليصل بين النيل والبحر الأحمر .

وأن القيصر ادريان (هادريانوس ١١٧ - ١٣٨م) حفر الخليج بين النيل والبحر الأحمر (١)

وأن عمرو بن العاص بأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . جدد حفر هذا الخليج . وقال القلقشندى فى صبح الأعشى (جـ٣) أنه حفر سنة ٢٣هـ (٦٤٤م) . وأنه تم فى ستة شهور .

ونلاحظ أن قصر المدة دليل على وجوده من قبل .

وُذكر أيضا أنه ردم جزء من هذا الخليج قبيل اتصاله بالبحر الأحمر بأمر الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور سنة ١٤٥هـ (٧٦٢م) ليمنع وصول المؤن من مصر إلى المدينة المنورة إمدادا للثائر العلوى بها الذى عُرف بالنفس الزكية (٢) .

وظل الخليج مجرى مائيا داخل مدينة القاهرة حتى سنة ١٨٩٧م .

ففى ١٨٩٧/٢/١ م صدر الأمر العالى بردمه مراعاة للصحة العمومية . وتعهدت شركة الترام بردمه ليسير فيه أحد خطوط الترام (٣) .

وكان ردم الخليج قبل ذلك محل مناقشة بين المفكرين . فكان المحافظون منهم يريدون الإبقاء عليه لماله من القيمة التاريخية . فقد ارتبط بتقاليد معينة مثل حفلة جبر الخليج وكسر السد عند وفاء النيل . فضلا عن أنهم كانوا يعتبرونه مجرى مائيا وسط المدينة يزيد جمالها وينعش هواءها . ومن ضمن هؤلاء المحافظين على باشا مبارك (٤) .

وكان رأى الآخرين أنه بوضعه الأخير أصبح مصبا لقاذورات المدينة ومنبعا للميكروبات والأمراض .

وتغلب الرأى الثانى أخيراً .

---

(١) ذكر المقريزى فى الجزء الاول من الخطط أن القيصر اندرومانس المعروف بايليا قبل الهجرة بنيف وأربعمائة سنة جدد حفر هذا الخليج . ومن مقارنة التواريخ يتضح أن المقصود هو القيصر أدريان المذكور .

(٢) هو محمد بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب .

(٣) مذكرات شفيق باشا ج٢ ص ٢٣٩ ، ترام القاهرة للأستاذ محمد سيد كيلانى . وشركة الترام تأسست سنة ١٨٩٤ .

(٤) الخطط التوفيقية ج١٨ ص ١٢٤ . وهذا الجزء طبع سنة ١٣٠٥ (١٨٨٧ م)

وقد ورد فى تقرير اللورد كرومرعن سنة ١٨٩٧ [١]:

(أفضى مد الترام الكهربائى فى شوارع القاهرة إلى ردم الخليج . وهو ترعة قديمة كانت تمر سابقاً فى قسم من القاهرة . وكان يحتفل بفتحها كل سنة عند ارتفاع النيل . احتفالا يُظن أنه يمتد إلى أيام فتوحات العرب الأولى . غير أن هذه الترعة أهملت منذ سنوات بسبب الإصلاحات التى تمت بالرى . فصار الاحتفال بفتح الخليج مجرد صورة . ثم إن مصلحة الصحة ألحت على الحكومة مرارا فى وجوب ردم الخليج . ولما فشت الكوليرا سنة ١٨٩٦ لم يفتح وقتيا . وكان يظن أن الأهالى يستنكرون ردمه وإبطال الاحتفال به لذلك لم يشدد فى الأمر كما يقتضى . غير أنه ظهر على ممر الأيام . أن اهتمام الأهالى ببقائه مبالغ فيه . وعليه قر القرار فى السنة الماضية - ١٨٩٧ - على ردمه . وشُرع فى ذلك حتى امتلأ ! [٢] وأصبح الآن سكة عمومية . ولم يبال أهالى القاهرة بردمه أى مبالاة . بل إن أصحاب المنازل المبنية على جانبيه ربحوا كثيرا بزيادة أثمان أملاكهم) . اهـ

وهكذا تم ردم الخليج سنة ١٨٩٨ وسار الترام فيه سنة ١٨٩٩[٣] .

ونقل على مبارك عن هيرودوت[٤](أن الخليج بحرى عين شمس . وأول من شرع فى عمله سيزوستريس فرعون مصر ولم يكمله . ولما ملكت الفرس بلاد مصر أراد دارا الأول تكملته فلم يتم له ذلك . ولما ملكت البطالسة أتموه . فكان فرع منه يصل إلى السويس وآخر إلى البرك المرة) .

كما نقل على مبارك عن استرابون الذى قال إنه نقل عن بطليموس الجغرافى . والذى عرَّف به على مبارك (أى باسترابون) أنه ساح فى مصر وقت استيلاء قياصرة الروم على هذه الديار قبل المسيح بخمسمائة عام . قال ما نصه : (إن الذى حفر

---

(١) نشر بجريدة المقطم فى ١٨٩٨/٦/٤ ، ترام القاهرة للأستاذ محمد سيد الكيلانى .

(٢) لعلها ترجمة خاطئة للفظ fulfilled أى تنفذ .

(٣) كان أول سير الترام فى القاهرة سنة ١٨٩٦ فى أغسطس بعد حفلة تجريبية . قالت الجرائد تعليقاً عليها أن الترام سريع يسابق الريح . وكان أجر الركوب ستة مليمات للدرجة الأولى وأربعة مليمات للثانية (ترام القاهرة) .

(٤) الخطط التوفيقية جـ ١٨ ص ١١٤ . وهيرودوت مؤرخ يونانى عاش ومات فى القرن الخامس قبل الميلاد . وتنقل فى كثير من البلدان المعروفة فى وقته . ويعتبر كتابه أحد المصادر الهامة فى التاريخ القديم . وإن كانت كتابته طابعها التشويق والإثارة . وتفتقر إلى الإثبات العلمى . ونسبة كل هذا القول إليه خطأ لأنه عاش ومات قبل عهد البطالسة بما يقرب من قرن من الزمان .

الخليج الفراعنة . وأن فمه أولا كان عند بوبسط . ومده القيصر أدريان إلى مدينة بابليون (قصر الشمع) . وقال أيضاً عند الكلام على مدينة عين شمس أن ى بحريها بركة . وأنها تأخذ ماءها من الخليج المجاور لها) اهـ .

واستنتج على مبارك أن البركة هى بركة الحج . التى ارتدمت وصارت مزارع . والخليج المصرى يمر بحافتها . فعلى هذا يكون الخليج المصرى هو الخليج القديم .

وفى هذا الخبر عدة أخطاء .

منها تعريفه باسترابون أنه ساح فى مصر وقت استيلاء الرومان عليها قبل الميلاد بخمسمائة عام . فالرومان لم يستولوا على مصر إلاَّ سنة ٣٠ ق. م بانتحار كليوباترة وانتهاء عهد البطالسة . واسترابون توفى ٢١ . م .

ومنها أن نسبة هذا القول إلى بطليموس الجغرافى خطأ . فالمذكور هو بطليموس كلوديوس[1] عالم يونانى عاش بمصر وتوفى سنة ١٦١م . أى بعد استرابون بما يقرب من قرن ونصف من الزمان .

كما لا يصح القول أنه قصد النقل عن بطليموس الثانى[2] . الذى ذكرنا فى أول هذا الفصل أنه جدد حفر الخليج لأنه قبل أدريان بما يقرب من الأربعة قرون .

ومنها أن فم الخليج كان عند بوبسط [3] . فبوبسط كانت غربى بحر الطينة بحوالى ثمانية كيلومترات . وبحر الطينة هو الفرع الشرقى لدلتا النيل القديمة . ومن المعقول أن يكون فم الخليج من الفرع الشرقى للنيل .

وبركة الحج المذكور أن الخليج يمر من بحريها[4] . فكان موقعها بين المرج

---

(١) بطليموس كلوديوس هو صاحب كتاب المجسطى الشهير فى علم الفلك والجغرافيا . الذى ترجم إلى العربية عدة مرات . وعرفه العرب بإسم بطليموس القلوزى .

(٢) بطليموس الثانى كان محباً للعلوم . وشجع العلماء فى كثير من نواحى المعرفة . وفى عهده وبأمره ترجمت التوراة من العبرية إلى اليونانية . وكثير من العلماء يخلطون بينه وبين بطليموس كلوديوس .

وقد ذكرهما القِفطى (إخبار العلماء بأخبار الحكماء) . ولكنه أخطأ أن ذكر عن بطليموس الثانى أن معلمه كان أرسطو . لأن أرسطو توفى سنة ٣٢٢ ق. م . وكان أرسطو معلم الاسكندر الأكبر قبل البطالسة .

(٣) بوبسط كانت عاصمة إقليم فى عهد الأسرة الثانية والعشرين . وموقعها كان بين بلبيس والزقازيق كما يتضح من خريطة لمصلحة المساحة سنة ١٩١٤ عن مصر القديمة .

(٤) يعبرون أحياناً فى مصر عن الشمال بالبحرى لاتجاه البحر الأبيض . وعن الجنوب بالقبلى لاتجاه قبلة الكعبة بمكة المكرمة . وكلا التعبيرين غير دقيق .

والخانكة . وسميت كذلك لأن الحجاج كانوا يجتمعون عندها فى خروجهم للحج وفى عودتهم منه .

ومدينة بابليون التى ذكر أن القيصر أدريان مدَّ الخليج إليها هى مدينة مصرية قديمة . كان بها الحصن المعروف بحصن بابليون (قصر الشمع) الذى فتحه العرب فى غرة المحرم سنة ٢٠هـ (٢٠/١٢/٦٤٠م) عند قدومهم مصر . وآثاره باقية للآن جنوب غربى جامع عمرو بن العاص بالفسطاط بكيلومتر تقريباً . وكان النيل يمر بحافته الغربية وبالحافة الغربية لموقع جامع عمرو عند الفتح العربى . وقيل أن الحصن أصلاً من بناء الفرس وأن القيصر تراجان (٩٨ - ١١٧) السابق لأدريان قد جدده . وقال أحمد باشا زكى شيخ العروبة أن اسم بابليون معناه بابل الصغرى[1] .

ثم قال على مبارك أن الخليج كان يتبع فى سيره أكثر المواضع التى شغلتها الترعة الحلوة الموصلة إلى بندر السويس كما وجد ذلك من الآثار القديمة عند حفرها وحفر ترعة الاسماعيلية . وكان يمر بقرب بلبيس والعباسة والتل الكبير والسرابيوم . ويملأ البرك المرة . بسبب أن بركة التمساح والبرك المرة كانت متصلة ببعضها وبالبحر الأحمر كما قال بذلك كثير من المؤرخين .

ومع تضارب الأقوال فى مجرى الخليج القديم فلا شك أن الفراعنة نفذوا اتصال النيل بالبحر الأحمر . وأن هذا الاتصال كان ـ على الأرجح ـ من فرع النيل الشرقى المعروف ببحر الطينة . أو البحر البلوزى . الذى كانت تقع عليه مدينة عين شمس . مقر عبادة رع أى الشمس ـ وينتهى بحر الطينة إلى مدينة الطينة أو بلوزة على البحر الأبيض شرقى قناة السويس على طرف بحيرة تنيس ـ المنزلة ـ التى كانت ممتدة إلى هناك .

ولا يزال اسم سهل الطينة يطلق الآن على ما تخلف من بحيرة المنزلة شرقى قناة السويس وشرقى مدينة بورفؤاد . كما لا تزال هناك قرية بلوظة محرفة من بلوزة أو بلوزيوم السابق ذكرها .

للاستطراد ولاستكمال الصورة أذكر أن دلتا النيل قديماً كانت من سبعة أفرع :

١ - الشرقى واسمه بحر الطينة أو البحر البلوزى المذكور . ويبدأ من النيل جنوبى موقع القناطر الخيرية . أى قبل الدلتا الحالية . وقال على مبارك أن خليج أبى المنجا ومصرف أبى الأخضر الحاليين جزء منه[2] .

---

(١) أحمد زكى باشا لأنور الجندى ص ١٨٨ .

(٢) الخطط التوفيقية جـ ١٩ ص ٦٥ .

٢ ـ البحر التنيسى . ويبدأ من فرع دمياط الحالى بالقرب من موقع مدينة زفتى . وينتهى إلى بحيرة المنزلة بالقرب من صا الحجر .

٣ ـ البحر المنديسى . ويبدأ من فرع دمياط الحالى بالقرب من موقع مدينة المنصورة . ويصب فى بحيرة المنزلة . ويرجح على مبارك أنه البحر الصغير الحالى بمحافظة الدقهلية[١] .

٤ ـ البحر الفاتنيقى . وهو الباقى للآن باسم فرع دمياط .

٥ ـ الفرع السبنتى . فى وسط الدلتا يأخذ من فرع دمياط عند موقع مدينة طلخا ويصب فى شرقى بحيرة البرلس .

٦ ـ الفرع البلبتينى . وهو الباقى للآن باسم فرع رشيد .

٧ ـ الفرع الكانوبى . ويبدأ من فرع رشيد بالقرب من موقع كفر الزيات ويصب فى البحر الأبيض عند بوقير .

وفى موقع مدينة الطينة المذكورة أو بالقرب منها قامت المدينة التى عرفهاالعرب باسم مدينة الفرما محرفة عن اسمها القبطى (فرومى) . وكان الرومان يسمونها (بلوزيوم) . وقال بعض مؤرخى العرب أن الأرض هناك كانت قديماً ممتدة إلى جزيرة قبرص ثم طغى البحر عليها . وقال المقريزى أنها على شاطىء بحيرة تنيس . وكان للفرما فى التاريخ شأن يذكر . كحصن أمامى لمصر . ثم تضاءل شأنها حتى أصبحت منفى للعصاة من المماليك . واندثرت وتلاشت منذ القرن التاسع عشر الميلادى .

وينسب بعض المؤرخين إلى الفرما أنها مجمع البحرين الذى ذكر التقاء موسى وفتاه يوشع بالخضر عليهم السلام عنده (فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدناً علماً[٢] . وأنه كانت عندها الأبواب التى قال عنها يعقوب لأولاده (لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة)[٣]

أعود إلى ما قبل الاستطراد فأقول :

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ١٩ ص ٦٩ .
(٢) الآية ٦٥ من سورة الكهف رقم ١٨ بالمصحف
(٣) الآية ٦٧ من سورة يوسف رقم ١٢ بالمصحف

والأرجح أن الخَليج المصرى بعد مأخذه من بحر الطينة كان يمر بطريق يقرب كثيراً من مجرى ترعة الاسماعيلية الحالية حيث يصب فى الجزء الجنوبى من بحيرة التمساح أو فى البحيرات المرة التى كانت والتمساح والبحر الأحمر متصلة ببعضها . وأن بطليموس الثانى أخذ من نهايته فرعا إلى المدينـة القديمـة القُلزم ـ التى قامت السويس مكانها ـ وأن القيصر أدريان مدَّه بالقرب من مأخذه من بحر الطينة إلى مدينة بابليون .

وأن هذا الخليج ـ مع تطاول الأزمان منذ حفره الفراعنة أول مرة فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد ـ كان يهمل أحيانا حتى يصبح غير صالح لتحقيق الغرض من إنشائه . ثم يـأتى حاكم مصلح فيجـدده . سواء فى مجـراه الأصلى أو مـع بعض التغيرات .

فإن صح هذا ـ وهو راجح كما رأينا ـ وكان الخليج الذى حفره الفراعنة فى القرن التاسـع عشر قبـل الميلاد . هـو نفس الخليج الـذى جدَّد حفـره عمرو بن العاص . والذى أخذت ترعة الاسماعيلية جزءا منه فى القرن التاسع عشـر بعد الميلاد . وبدأت شركة الترام سنة ١٨٩٧ م فى ردم جزء آخر منه داخل المدينة . ورُدمت بعد ذلك أجزاء منه أخيرا لما امتدت حدود عوايد أملاك القاهرة شمالا . لكان عمرهذا الخليج ما يقرب من ٣٨٠٠ سنة .

ولكن لا جدال فى أن الخليج ـ أو الجزء من الخليج ـ الذى بدأت شركة الترام فى ردمه سنة ١٨٩٧ م (١٣١٥هـ) هو من الخليج الذى جدَّد حفره عمرو بن العاص سنة ٢٣ هـ(سنة ٦٤٤م) وقـامت على جـانبه العسكـر ثم القطائـع ثم القـاهـرة الفاطمية . وعمر هذا الجزء أكثر من ثلاثة عشر قرنا غير مشكوك فيه .

ولا أعلم فى تاريخ مصر مجرى صنـاعيا للماء استمـر حتى العهد الحديث ويقارب الخليج المصرى فى القدم غير خليج المنهى . المعروف الآن ببحر يوسف . ويبدأ من ديروط بمحافظة أسيوط وينتهى إلى الفيوم . فقد حفره امنمحعت الثالث (١٨٤٩ ـ ١٨٠١ق . م) بعد سنوسرت الثالث من ملوك الأسرة الثانية عشرة أيضا .

وسماه المقريزى خليج الفيوم وخليج المنهى وخليج المنهل . وقال إنه يبدأ من

دروة الشريف (ديروط) . وقال أن ماءه لا يجف أبدا[1] .

وهذه حقيقة . إذ لا يجف ماؤه أبدا حتى أثناء السدة الشتوية . رغم أنه يبدأ عند ديروط من الترعة الإبراهيمية التى تبدأ من النيل عند أسيوط . ويجف ماؤها أثناء السدة الشتوية ـ ولعل هذا يرجع إلى أنه اتبع فى حفره عيون ماء طبيعية فى الأرض . ولذلك نرى مجراه كثير التعرج والالتفاف .

ويبدو مما ذكرناه فى أول هذا الفصل أن الفراعنة نفذوا اتصال البحرين الأبيض والأحمر عن طريق خليج آخر عرف بخليج البرزخ . وهى فكرة ديليسبسن فى إنشاء قناة السويس . وكان أوله عند محطة القنطرة وآخر عند بحيرة التمساح . ونظرا لاختلاف منسوب المياه فى البحرين الأبيض والأحمر تبعا لاختلاف المد والجزر (أقصى المد فى البحر الأحمر ٤٠س,٢م وفى البحر الأبيض ٣٨س,ـم) ولانخفاض التربة بجوار بحيرة المنزلة مما يخشى عليها من التلف نتيجة التأثر بالملوحة . فقد أقاموا سدودا (أهوسة) فى خليج البرزخ المذكور تُفتح وتُقفل حسب احتياجات الملاحة . كما أقاموا سدودا فى الخليج الحلو الآخذ من النيل لتحفظ مناسيب المياه وتحمى سلامة التربه[2].

وقد أراد عمرو بن العاص تجديد هذا أيضا . ولكن منعه عمر بن الخطاب خوفا من وصول مراكب الأعداء إلى الحجاز .

وكان الخليج المصرى بوضعه المذكور الغرض منه أولا الملاحة لنقل التجارة بين وادى النيل والبحرين الأحمر والأبيض . وثانيا لرى الأراضى التى يمر بها . ثم استغلَّ أهل القاهرة وجوده فاستعملوه للاستقاء والنزهة . وبالغوا فى هذا حتى خرجوا عن حد اللياقة والأدب . مما دعا بعض الحاكمين إلى تحريم المرور فيه إلا للتجارة .

---

(١) خطط المقريزى ج١ص٣٧١ ، صبح الأعشى ج٣ ص ٣٠١ . وديروط الشريف نسبة إلى الشريف ابن يغلن النائب فى أيام الظاهر بيبرس .

(٢) الخطط التوفيقية ج١٨ص١١٤وص١٢٤

وقد ذكر المسعودى فى مروج الذهب ج٢ ص١٥٦(وقد كان بعض من ملك من الروم حفر بين القلزم (البحر الأحمر) وبحر الروم (البحر الأبيض) طريقا فلم يتأت له ذلك لارتفاع القلزم وانخفاض بحر الروم . ويعرف الموضع الذى حفره بالقلزم بذنب التمساح على ميل من القلزم . وعليه قنطرة عظيمة يجتاز عليها من يريد الحج من مصر . وأجرى خليجا من هذا البحر إلى موضع يُعرف بالهامة . صنعه محمد بن على الحراقى من أرض مصر فى هذا الوقت (٣٣٢هـ-٩٤٣م) فلم يتأت له اتصال بين بحر الروم والقلزم . . الخ .

ويجدر بنا أن نذكر أن ترعة الإسماعيلية كان لها مأخذان من النيل . الأول شمال قصر النيل أى بالقرب من موقع فندق هيلتون الحالى . والثانى المأخذ الحالى عند شبرا شمال روض الفرج . وكان الفرع الأول يسير فى جزء من مجرى الخليج الناصرى (وقد سبق ذكره) تقريبا حتى الظاهر . ثم يتجه شمالا بشرق حتى يلتقى بفرع الإسماعيلية الحالى شمال الأميرية . وقد تم الآن ردم هذا الفرع الأول .

وكان الخليج المصرى بعد تقاطعه مع شارع رمسيس عند غمره يسير فى الجانب الشرقى لهذا الفرع الأول مخترقا الوايلى[1] . وموازيا لهذا الفرع حتى التقائه بالفرع الثانى شمال الأميرية . ثم يسير بجوار ترعة الإسماعيلية الحالية بعد اندماج فرعيها وموازيا لها تقريبا إلا فى بعض الأجزاء . ثم يتجه شرقا بشمال مستشفى الأمراض العقلية بالخانكه . ثم شمالا إلى قرب أبى زعبل .

وتضاءل طول الخليج المصرى . فقد ذكر على مبارك أن الخليج فى وقته أصبح بعد إنشاء ترعة الإسماعيلية يصب فى الجبل جنوبى أبى زعبل . وأن طوله ٤٦,٢٠٠ متر وعرضه من ٤ ـ ١٥ مترا وارتفاعه فى الفيضان ٢٠, ٦متر[2] .

وكان يخرج فى جانبه الشرقى . داخل حدود عوايد أملاك المدينة الحالية ـ خمسة فروع نذكرها للقيمة التاريخية لاسمائها . وهى مرتبة من الجنوب إلى الشمال كالآتى :

١ - ترعة الجبل القديمة ومكانها لايزال معروفا للآن بشارع ترعة الجبل . وكانت تمر بدير الملاك ومحطة الدمرداش للمترو وشرقى سراى القبة وتخترق الزيتون والمطرية . . . الخ .

٢ - ترعة الجندى وتبدأ جنوبى (قرية) الوايلى الكبرى وتسير غالبا إلى الشمال الشرقى حتى تلتقى بترعة الخمسين الآتى ذكرها شمال الأميرية بقليل .

٣ - ترعة الخمسين تتجه شرقا ثم جنوبا حتى تلتقى بترعة الجندى المذكورة .

٤ - ترعة الجبل الجديدة وتبدأ من الخليج قرب حدود عوايد أملاك القاهرة

---

(١) الوايلى نسبة إلى قبيلة من العرب اسمها بنو وائل كانوا يقيمون فى هذه الجهة .

(٢) الخطط التوفيقية ج١٩ ص٤٣ .

وتتجه غالبا إلى الشرقى إلى جهة قرية تل الحصن شمال المطرية بقليل والتى بها آثار مدينة عين شمس القديمة .

٥ - ترعة التوفيقية تبدأ عند خط عوايد أملاك القاهرة وتسير معه شرقا حتى القرية المذكورة . ثم شمالا مع خط العوايد المذكور .

وهذه الفروع قد ردمت . كما ردمت أجزاء الخليج وزالت مع الزمن لتحول هذه الجهات من مزارع إلى أرض مبانى لاتساع عمران المدينة .

وكان الخليج مردوما عند الفتح الإسلامى لإهمال مرافق البلاد الحيوية والوهن الذى دبَّ فى الإمبراطورية الرومانية . وقد مرَّ بين أدريان آخر من جدَّد حفره وبين الفتح الإسلامى ما يقرب من خمسة قرون . فلما دعت الحاجة اتخاذ طريق سهل لنقل المؤن إلى الحجاز . لما فى مصر من وافر الخيرات . أمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عمروَ بن العاص بإعادة حفره سنه٢٣هـ . (٦٤٤م .) ولهذا عُرف باسم خليج أمير المؤمنين .

ثم دخل الفاطميون مصر فى عهد الخليفة الفاطمى المعز لدين الله . وأنشأ جوهر مدينة القاهرة سنه٣٥٨هـ (٩٦٩م) على الشاطئ الشرقى للخليج فيما بين موقع باب الشعرية وباب الخلق الحاليين تقريبا . فعرف باسم خليج القاهرة[1] .

ثم تطورت المدينة حتى اتصلت القاهرة بالفسطاط وما بينهما من العسكر والقطائع حتى أصبح الجميع مدينة واحدة . يجوز أن نسميها مصر القاهرة . أو كما اصطلح أخيرا على تسميتها بالقاهرة الكبرى[2] وكان الخليج يحدها غربا فى الجزء

---

(١) ذكر المقريزى فى خططه (ج١ ص٧١) أن العامة تسميه فى وقته (القرن التاسع الهجرى ـ الخامس عشر الميلادى) بالخليج الحاكمى . وخليج اللؤلؤة . والحاكمى نسبة إلى الحاكم بأمر الله الفاطمى . وخليج اللؤلؤة نسبة إلى منظرة اللؤلؤة التى أنشائها العزيز بالله بن المعز الفاطمى على الشاطىء الشرقى للخليج لنزهة الخلفاء . وكان موقعها بالقرب من موقع ميدان باب الشعرية الحالى . وسيأتى ذكرها . مع ملاحظة أن منظرة اللؤلؤة كانت قد اندثرت فى أواخر الدولة الأيوبية . أى قبل المقريزى بقرنين تقريبا .

(٢) ذكرنا أن الاسم الشائع على ألسنة الناس هو مصر فقط . وقد ورد ذكرها فى كثير من حجج الأملاك القديمة مصر المحروسة .

الأكبر منها . وغربى الخليج البساتين والمزارع حتى النيل . ثم حكرت هذه البساتين والمزارع وتحولت إلى مبانى تضاف إلى رقعة المدينة الكبيرة . فعرف باسم الخليج المصرى .

ثم لما جدَّت خلجان أخرى غيره مثل خليج الخور وخليج الذكر والخليج الناصرى(١) وغيرها عُرف باسم الخليج الكبير .

وإذا قيل الخليج فقط انصرف المعنى إلى هذا الخليج الكبير .

---

(١) سبق ذكر الخليج الناصرى . وخليج الخور كان يأخذ من النيل ويغذى خليج الذكر وكان خليج الذكر يجرى فى موقع شارع قنطرة الدكة الحالى تقريبا ويصب فى بركة كانت تعرف ببركة المقسى . ثم عرفت ببركة بطن البقرة . ثم عرف أخيرا جزء منها ببركة الأزبكية . وسيأتى ذكر ذلك بإذن الله فى الفصل الخامس من القسم الثانى . والذكر المنسوب له هذا الخليج كان أحد أمراء دولة الظاهر بيبرس وكان له نصيب فى حفره .

الـفـصـل الـثـانى

الخليج ومجرى النيـــل وفم الخليج

كان النيل عند الفتح الإسلامى فى غير موضعه الحالى . فقد ذكر المؤرخون أن جامع عمرو وحصن بابليون كانا على النيل مباشرة . والآن يبعد جامع عمرو ـ ٥٢٥ مترا . وحصن بابليون يبعد ٤٥٠ مترا تقريباً .

وكان النيل يجرى غربى موقع مسجد السيدة زينب بحوالى ٣٠٠ متر والآن يبعد عن مجراه السابق بحوالى ١٠٠٠ متر .

ولا نريد أن نتتبع تحول النيل منذ الفتح الإسلامى . ولكن نستطيع أن نقول بصفة عامة أنه كان يجرى فى المواقع الحالية لشارع حسن الأنور ثم شارع مصطفى كامل (الشيخ عبدالله سابقاً) ثم شارع محمد فريد وشارع عماد الدين حتى ميدان رمسيس . ثم اتجاه شارع الترعة البولاقية حتى يلتقى بمجراه الحالى عند فم الترعة الإسماعيلية شمال شبرا .

فكان النيل بعد عن مجراه السابق تقريباً ب ٤٥٠ متراً عند حصنى بابليون ، ٥٢٥ متراً عند جامع عمرو ، ١٠٠٠ متر عند السيدة زينب ، ١٣٠٠ متر تقريباً عند تقاطع عماد الدين مع ٢٦ يولية . وأكثر من هذه المسافات شمال الموقع المذكور .

وطبقاً لرأى الأستاذ العالم محمد رمزى فى بحثه المشار إليه فى الهامش (١) . تمَّ هذا التحول على تسع دفعات فى السنوات الهجرية الآتية :

١ سنة ٦٩ ، ٢ سنة ٣٢٠ ، ٣ سنة ٥٣٠ ، ٤ سنة ٥٧٠ ، ٥ سنة ٦٢٠ ، ٦ سنة ٦٦٠ ، ٧ سنة ٦٨٠ ، ٨ سنة ٨٠٦ ، ٩ سنة ١٢٤٧هـ وهى توافق السنوات الميلادية الآتية

١ سنة ٦٨٨ ،٢سنة ٩٤١ ، ٣ سنة ١١٣٥ ، ٤ سنة ١١٧٤ ، ٥ سنة ١٢٢٣ ، ٦ سنة ١٢٦١ ، ٧ سنة ١٢٨١ ٨ سنة ١٤٠٣ ، ٩ سنة ١٨٣٠م

ونتج عن هذه التحولات السبعة الأولى - ماعدا الرابع - طرح بحر تكون معه جميع ما هو غربى المجرى السابق من أحياء المنيرة والقصر العينى وجاردن سيتى وميدان التحرير وباب اللوق والجزء الأكبر من حى بولاق .

ونتج عن التحول الرابع سنة ٥٧٠هـ (١١٧٤م) تكوين جزيرة كبيرة عُرفت باسم جزيرة الفيل كان موقعها ميدان رمسيس وشبرا وجزيرة بدران والسبتية . ثم طُمَّ الفرع الشرقى الذى كان يحيط بالجزيرة سنة ٦٨٠هـ فأصبحت متصلة بباقى الأرض شرقيها .

ونتج عن التحولين الثامن والتاسع تكوين ساحل جديد للنيل شمال موقع كوبرى أبى العلا وتكوين ضاحية روض الفرج سنة ١٨٣٠م . وبُدىء فى البناء عليها سنة ١٨٧٠م .

وبعد هذا التاريخ أمكن التحكم فى مجرى النيل بما عُرف بتهذيب النهر . فلم يخرج عن مجراه الحالى بجوار العاصمة .

وعندما جَّدد عمرو بن العاص سنة ٢٣هـ (٦٤٤م) حفر الخليج كان النيل يجرى غربى موقع مسجد السيدة زينب بحوالى ٣٠٠ متر كما سبق ذكره . فجعل فم الخليج هناك .

وكان الخليج يسير شرقاً بعرض ميدان السيدة زينب الحالى ثم شمالا بشرق فى الجانب الأيسر - أى الغربى - من شارع بورسعيد الحالى .

---

(١) البحث المذكور بمجلة العلوم سنة ١٩٤٢ . ونُشر مع خريطة له ملحقة بصحيفة ٢٤٢ من كتاب القاهرة للدكتور عبدالرحمن زكى طبعة سنة ١٩٤٣م .

وبعد التحول الخامس كان النيل قد بَعُد كثيراً عن مأخذ الخليج فمدَّ الصالح نجم الدين أيوب بعد سنة ٦٤٠ هـ (١٢٤١م) الخليج جنوباً بغرب . حتى ميدان فم الخليج الحالى . حيث كان مجرى النيل أخيراً . (لأن التحولين السادس والسابع كانا شمال هذا الموقع) .

وظل الخليج على هذا الوضع حتى ردمته شركة الترام سنة ١٨٩٨ م .

وبعد الشرح السابق يمكن أن نتصور الوضع الجغرافى للخليج والنيل لغاية أوائل القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى) فقد كان الخليج موازياً للنيل القديم يبعد عنه ٣٠٠ متر عند ميدان السيدة زينب و ١٣٥٠ متراً تقريباً بين عمرة وميدان رمسيس .

وأنشأ عبد العزيز بن مروان أثناء ولايته على مصر (٦٥ - ٨٥هـ) [١] من قبل أخيه عبد الملك بن مروان قنطرة على الخليج كان موقعها قريباً من مأخذ الخليج من النيل وقتذاك .

وظلت هذه القنطرة هى سبيل العبور إلى الجانب الغربى من الخليج حتى أُنشئت القاهرة الفاطمية . فأنشئت على الخليج قنطرة أمام باب القنطرة (كان موقعها بميدان باب الشعرية الحالى) . ثم توالى إنشاء القناطر على الخليج بعد ذلك . تبعاً لاتساع المدينة وامتداد العمران . حتى بلغ عدد القناطر فى آخر عهده سنة ١٨٩٨م أربعا وعشرين قنطرة داخل المدينة وسيأتى ذكرها بإذن الله .

وموقع قنطرة عبد العزيز بن مروان قد جُهل . فقد قال القلقشندى [٢] أن ليس لها أثر فى هذا الزمان . وقال السيوطى [٣] فى حسن المحاضرة (ج٢ ص٢٠٩) وكان عبدالعزيز بن مروان بنى عليه - أى على الخليج - قنطرتين (كذا) وكتب اسمه

---

(١) كر المقريزى أن ولايته لغاية ٨٦ هـ . ولكن اجماع المؤرخين انه توفى ٨٥هـ

(٢) صبح الأعشى ج٣ ص٣٠٣ . والقلقشندى توفى سنة ٨٢١ هـ

(٣) السيوطى هو الأمام جلال الدين عبدالرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد السيوطى من كبار العلماء والمحققين . صاحب المؤلفات العديدة التى تقرب من الثلثمائة كتاب فى شتى نواحى المعرفة من التفسير والحديث والأصول والفقه والتصوف والبلاغة والبيان والأدب والنحو وغيرها . ولد بالقاهرة سنة ٨٤٩ هـ وتوفى بها سنة ٩١١ هـ . وقبره مشهور يزار عند باب السيدة عائشة أو باب قايتباى بالقرافة الصغرى . وبلدية القاهرة اسمت الشارع هناك بشارع القرافة الكبرى . ونبه المرحوم أحمد باشا تيمور على خطأ هذه التسمية فى كتابه (تحقيق قبر الأمام السيوطى) وذكر أن القرافة الكبرى كانت شرقى الفسطاط

عليها . ثم جددها تكين أمير مصر سنة ٣١٨هـ . ثم جددها الأخشيد سنة ٣٣١هـ . ثم عمرت فى أيام العزيز (يعنى العزيز بالله بن المعز لدين الله الفاطمى) وأنشأ العزيز بالقرب منها منظرة السكرة . وهى - يعنى القنطرة - التى كانت تفتح عند وفاء النيل فى زمن الخلفاء - يعنى الفاطميين - وكان الخليفة يركب لفتح الخليج . فلما انحسر الماء عن ساحل مصر وربى الجرف أهملت هذه القنطرة فدثرت . وعملت قنطرة السد عند فم بحر النيل . وكان الذى انشأها الصالح أيوب سنة بضع وأربعين وستمائة) أهـ .

فأمامنا الآن اسمان لمسميين نريد أن نعرف مكانهما وهما قنطرة عبد العزيز بن مروان ومنظرة السكرة .

فقد قال المقريزى عن حكر الست حدق أن هذا الحكر يعرف الآن بالمريس . وكان بساتين . من ضمنها بستان الخشاب (موقعه حالياً الجزء الجنوبى من حى المنيرة مقابل القصر العينى) فعرف بالست حدق من أجل أنها أنشأت هناك جامعاً كان موضعه منظرة السكرة فبنى الناس حوله .

وقال عن حكر الست مسكة أنه بسويقة السباعين (بحى الناصرية والحنفى حالياً) بقرب جوار حكر الست حدق عرف بالست مسكة لأنها أنشأت به جامعاً .

وتحديد المقريزى غير دقيق . ولكن جامع الست مسكة موجود للآن .

وقال المقريزى عن حدق ومسكة أنهما كانتا قهرمانتين (القهرمانة رئيسة الجوارى ومديرة القصر) لبيت الناصر محمد بن قلاوون يقتدى برأيهما فى عمل الأعراس السلطانية والمهمات الجليلة التى تعمل فى الأعياد والمواسم . وترتيب شؤون الحريم السلطانى وتربية أولاد السلطان . وطال عمرهما . وصار لهما من الأموال الكثيرة والسعادات العظيمة ما يجلُّ وصفه . وصنعتا برًّا ومعروفاً كبيراً . واشتهرتا . وبعد صيتهما وانتشر ذكرهما) ١هـ .

وأخيراً ذكر الدكتور عبدالرحمن فهمى خطأ المقريزى (١) . فذكر أن مسكة كانت تسمى أيضاً حدق . أى أنهما شخص واحد . واستند فى هذا على دليلين :

---

(١) المقريزى الخطط ج٢ ص١١٦ ، جريدة الأهرام فى ١٩٦٩/٢/٢٧

الأول ما ذكره ابن حجر العسقلانى (توفى سنة ٨٥٢هـ) فى الدور الكامنة فى أعيان المائة الثامنة . قال : (حدق الكهرمانة الناصرية كان الناصر جعل لها أمور نسائه وفعلت خيرات كثيرة وعمرت جامعاً ظاهر القاهرة . وكان يقال لها ست مسكة . فربما قيل للجامع مسجد الست مسكة) اهـ . والدليل الثانى ما سجل على جامع الست مسكة من كتابات تاريخية تشير إلى الستر الرفيع حدق المعروفة بست مسكة الناصرية .

وعلى هذا فلا يمكن أن نعتمد على قول المقريزى أن منظرة السكرة كانت محل جامع الست حدق . ولا يبقى أمامنا إلا تحديد موقعها تخميناً .

فأرجح أن القنطرة كانت بالقرب من فم الخليج السابق فى المسافة بين الخليج ومجرى النيل وقتذاك . وأن منظرة السكرة كانت بالقرب من القنطرة . وربما كانت محل المدرسة الثانوية السنية للبنات بأول شارع الناصرية الآن .

وسايرت بلدية القاهرة المقريزى فى خطئه لما ذكر أن منظرة السكرة من ضمن بستان الخشاب . فأسمت شارعاً متفرعاً من شارع القصر العينى مقابل دار الحكمة تقريباً ويصل إلى شارع المنيرة . أسمته باسم شارع منظرة السكرة . وهذا الموقع مما كان مغمورا بالماء أو هو غربى النيل أيام الفاطميين .

وعند وفاء النيل كان يوضع فى الخليج عند القنطرة سد من تراب . فإذا ارتفعت المياه أزيل هذا السد فينساب الماء فى الخليج . وهو ما عُرف بجبر الخليج(١)

وبعد التحول الثالث لمجرى النيل أى فى أوائل القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) بعُد النيل غرباً فمد الصالح نجم الدين الخليج غرباً بجنوب حتى مجراه الحالى . وأنشأ على الخليج قنطرة عرفت باسم قنطرة السد . ظلت حتى ردم الخليج . وبقى اسماً فم الخليج وشارع السد علمين على مكانها للذكرى والتاريخ .

---

(١) الجبر ضد الكسر . وهو تعبير رقيق من رقة الأدب العربى . فبدلا من أن يقال كُسرت ذراع فلان ، يقال جُبرت للتيمن والتفاؤل . أو هو من جَبَره أى أحسن إليه وأغناه بعد فقر . فيكون المقصود أن السد يكسر فيُجبر الخليج بالنماء وجريان الماء فيه .

الفصل الثالث

وفاء النيل وجبر الخليج

كان الخلفاء الفاطميون يحتفلون بوفاء النيل وكسر السد احتفالاً فخماً يليق بهذه المناسبة الدورية الهامة فى اقتصاديات ورفاهية الدولة .

والاحتفال بوفاء النيل من أقدم الأعياد المصرية . وكان المصريون القدماء يقدسون النيل ويرفعونه إلى مقام المعبودات . مثل رع وأمون وأوزوريس . ومن أوصافه عندهم : رب الرزق الوفير . والد الأرباب . خالق الكائنات . المحيى . وكان اسمه حعبى أى الفيض [1] .

وقيل فى تفسير الآية الكريمة (موعدكم يوم الزينة) فى المباراة بين موسى عليه السلام بمعجزاته السماوية وبين سحرة فرعون إنه يوم وفاء النيل .

وكانوا يرمزون للنيل برجل ممتلىء الجسم تظهر عليه سيماء النبل والثراء . وثدياه كبيران كأنهما ثديا امرأة . وفى بعض الأحيان كانوا يرسمون الماء خارجا منهما . وأمامه مائدة القرابين عليها من الزهور والأسماك والطيور أنواع مختلفة . ومن خلفه كاهن يقدم له رسوم العبادة .

---

(١) على هامش التاريخ المصرى القديم لعبد القادر باشا حمزة طبعة كتاب الشعب ص ١٠

فإذا فاض النيل وعمت مياهه الأراضى . تفرغ الجميع - بمافيهم فرعون والأمراء - للاحتفال . وكان على شاطىء النيل من منف إلى أسوان قصور للأمراء وأعيان الدولة ينتقلون إليها فى هذه المناسبة . ويبالغون فى تهيئتها بفاخر الأثاث . وتزويدها بأشهى الأطعمة . لاحتمال أن يشرفهم فرعون بالنزول فيها .

وكان فرعون والأمراء يستقلون البواخر الكبيرة لرحلة طويلة فى النيل على سبيل النزهة . وفرصة لتفقد أحوال الأقاليم .

وكانت سفنهم على درجات وأنواع .

فسفينة فرعون من أربع طبقات . كل طبقة ارتفاعها عشرة أقدام . وكانت مذهبة من الداخل والخارج . ومُزَيَّنَة بصور المعبودات .

وكانت سفن الأمراء وحكام المديريات ورؤساء الجيش من ثلاث طبقات . كل طبقة تسعة أقدام . ولم تكن كاملة التذهيب . لتختلف فى اللون والارتفاع عن سفينة فرعون .

وكانت سفن الكهنة والضباط والأعيان من طبقتين . كل طبقة ثمانية أقدام . ومزينة بعديد الألوان .

أما سفن الباقين فمن طبقة واحدة مدهونة بلون واحد بسيط .

وكانت أصوات الموسيقى تتجاوب من السفن . وأمواج من أفراح الناس تسير فوق أمواج مياه النيل .

وكانوا يترقبون وفاء النيل فى شوق وتلهف. فوفاؤه بشير باليسر والرخاء . وتخلف الوفاء نذير بالفقر والحرمان لمدة عام كامل .

وظلت هذه عادتهم منذ أقدم العصور[1].

عروس النيل

ولاسند تاريخى لأسطورة عروس النيل التى تحكى أن المصريين القدماء كانوا يلقون فى النيل كل عام بنتاً بكراً ليتحقق الوفاء . فمن الرقى الروحى للمصريين

---

(١) قيل أن من أسباب بناء الهرم الأكبر امتصاص تعطل [illegible] العاملة أثناء الفيضان بايجاد عمل لهم . ويستدلون على هذا أن مدةالثلاثين عاماً التى قيل أن الهرم بنى فيها تدل على أن العمل لم يكن متصلاً . بل كان لعدة شهور كل عام .

القدماء أنهم آمنوا بخلود الروح. وأنهم لم يعرفوا القربان البشرى فى طقوسهم الدينية كباقى الديانات القديمة . ولو كانت الأسطورة صحيحة لظهرت فى أوراق البردى أوفى النقوش التى حفلت بها جدران المعابد وسجلوا فيها شتى صور الحياة الاجتماعية والتاريخية . وقد أنكر أغلب المؤرخين هذه الأسطورة .

وقد قرأت رأياً أن مصر كلها هى عروس النيل يحتضنها بين أمواجه مرة كل عام .

ومن أخبار المؤرخين العرب عن هذه الأسطورة أن أقباط مصر طلبوا من عمروبن العاص إلقاء بنت بكر فى النيل ليتحقق الوفاء . فرفض . وأرسل إلى أمير المؤمنين عمربن الخطاب يقص عليه الخبر . فأرسل إليه رقعة وأمره بإلقائها فى النيل . والرقعة مكتوب فيها : (من عبد الله أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد . فإن كنت تجرى من قِبَلك فلا تَجْرِ . وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الوحد القهار أن يجريك .) فألقاها عمرو فى النيل . وماأصبح الصباح حتى كان النيل قد أوفى الستة عشر ذراعاً . وهى علامة الوفاء . وانقطعت الأراجيف .

والمؤرخون العرب نقلوا عن بعضهم . وظاهر أنها أسطورة أو مصادفة . فماء الفيضان لا ينبع من مجرى النيل فى يوم وليلة . بل من مياه الأمطار فوق جبال الحبشة . ويستغرق وصول هذه المياه أياما عديدة .

ولكن كان للأقباط عادة أن يلقوا فى عيد الشهيد (٨ بشنس = ٣ مايو) تابوتاً من خشب به أصبع من أصابع الموتى القدماء . ويجتمع الناس من كل الجهات فى هذا اليوم على شاطىء النيل بجهة منية السيرج (الجزء الشمالى من شبرا) وينصبون الخيام . ويسرفون فى شرب الخمر وأسباب اللهو والخلاعة .

ويرى صاحب الخطط التوفيقية أن ما ألغاه عمرو بن العاص هو إلقاء أصبع الشهيد هذا. وليس إلقاء بنت بكر فى النيل .

ونلاحظ على رأى المرحوم على مبارك أن رواية المقريزى (الخطط ح ١ ص ٥٨) وابن إياس (فى بدائع الزهور ص ١٣) نقلاً عن ابن عبد الحكم أن الأقباط ذكروا لعمرو بن العاص أن من عادتهم إلقاء بنت بكر فى النيل فى ١٢ بؤونة (٦ يونية)[١]

(١) الآن ٨ بشنس يوافق ١٦ مايو ، ١٢ بؤونه يوافق ١٩ يونية بفرق ١٣ يوما عن التارخين السابقين نظراً للتعديل الجريجورى.

كل عام . . الخ الخبر . وهو تاريخ آخر .

واستمر الأقباط فى الاحتفال بهذا العيد . وشاركهم المسلمون للهو والمتعة . حتى ألغاه المظفر بيبرس الجاشناكير(١) . عندما كان استاداراً(٢) للناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٠٢هـ . لما كان يجرى فيه من التهتك والعربدة . ثم أعاده الناصر سنة ٧٣٨هـ . ثم أبطل فى عهد الصالح صالح بن الناصر سنة ٧٥٥هـ . وهدمت الكنيسة بشبرا التى كان بها أصبع الشهيد . وأحرق الأصبع والصندوق . وذُرِّى رمادهما . وبطل هذا العيد نهائياً .

واهتم المصريون القدماء بضبط مياه النيل منذ أربعين قرناً قبل الميلاد . أى ستين قرناً من الآن (الموسوعة العربية الميسرة) كما اهتموا بتسجيل حركات الفيضان بإنشاء مقياس نقالى يقيسون به عمق مياه النيل . وقد وصلتنا أشكال كثيرة من هذه المقاييس . بعضها على شكل حرف T الأفرنجية . وبعضها على شكل زهرة اللوتس بداخلها قائم من الخشب تقطعه خشبات عرضية . وبعضها على شكل قائم فى نهايته حلقة . ويعرف بمفتاح النيل . وغير ذلك من الأشكال . أثبت الكثير منها صاحب الخطط التوفيقية (جـ ١٨ ص ٢٠) . وكان المقياس النقالى يحفظ بمدينة منف .

وكان عندهم بخلاف المقياس النقالى مقاييس ثابتة من البناء . إما على شكل عامود قائم من البناء مقسّم بعلامات عليه . أو على شكل درجات سلم كل درجة بارتفاع معين.

وقيل أن اختيار جزيرة الروضة من ضمن مواقع المقاييس الثابتة يرجع إلى عهد الفراعنة .

---

(١) بيبرس الجاشناكير تولى السلطنة من ٧٠٨-٧٠٩ باسم المظفر ركن الدين بيبرس . والجاشناكير إجدى الوظائف الهامة مركبة من كلمتين جاشنا بمعنى الذوق وكير بمعنى المتعاطى . وهو الذى يتصدى لتذوق الطعام أو الشراب قبل السلطان خوفاً من أن يكون مسموماً .

(٢) استادار فى صبح الأعشى للقلقشندى (ج ٥ ص ٤٤٥) مركبة فى كلمتين (استذ بمعنى الأخذ ودار بمعنى ممسك) وهو الذى يتولى شؤون مال السلطان . وقالت دائرة المعارف الأسلامية أنها من أستاذ فارسية معناها الرئيس والمعلم ورب الصنعة.. وأن استادار لقب لعامل من أكبر عمال السلاطين المماليك . وأن العامة اختصرت لفظ أستاذ إلى أستى أو أسطى بمعنى حوذى . ونقول أنه لو صح هذا فالعامة لا تقصد الحوذى فقط بل تقصد رئيس أى حرفة كالنجار وغيره .

وفى عهد البطالسة كان هناك مقياس بأرمنت . وآخر بـأسوان . وفى عهـد الرومان كان هناك مقياس بمنف وآخر بقفط . ولما اعتنق قسطنطين الأكبر الديانة المسيحية نقل المقياس النقالى من منف إلى كنيسة الاسكندرية . وكان للرومان أيضا مقياس بقصر الشمع (حصن بابليون) . وقد ذكرنا أنه كان على النيل مباشرة عند الفتح الإسلامى .

وبعد الفتح أمر عمرو بن العاص بإنشاء مقياسين أحدهما بأسـوان والآخر بأرمنت .

وروى المقريزى عن القضاعى أن عمرو بن العاص كتب إلى عمر بن الخطاب يقـول : (إن الاستشعـار يـدعـو إلى الاحتكـار . والاحتكـار يـدعـو إلى غـلاء الأسعار . . . وأن النيل يروى أرض مصر رياً مريحاً كاملاً على الستة عشر ذراعاً . وأن النهـايتين المخـوفتين للظمـأ أو الاستبحار همـا اثنى عشر ذراعـاً وثمان عشـر ذراعاً)[1] .

فأمره عمر بن الخطاب . بناء على مشورة على بن أبى طـالب . أن ينشىء مقياساً بحلوان . وأن ينقص من الاثنى عشر ذراعاً الأولى أصبعين فى كل ذراع . وأن يقر ما بعدها على الأصل . وأن ينقص أصبعين بعد الثمان عشر . وقال القضاعى : وفى هذا الباب نظر .

والذراع ٢٤ أصبعاً فلعله يقصد أن يزيد أربع أصابع فى كل من الاثنى عشر ذراعاً الأولى ليستقيم المعنى ويمتنع الاستشعار . بدليل ما قاله المقريزى بعد ذلك أنه جعل الاثنى عشر ذراعاً الأولى أربعة عشر ذراعاً [2] .

ونرى مع القضاعى أن فى هذا الباب نظراً . فمن المستبعد أن يلجأ الصحابة إلى مغالطة الرأى العام بهذه الطريقة .

---

(١) خطط المقريزى حـ ١ ص ٥٨ . وانظر كيف توصل العرب بذكائهم الفطرى إلى قاعدة هامة من قواعد علم الاقتصاد وعبروا عنها بأدق العبارات وأكثرها اختصاراً .

(٢) ١٢ ذراعاً × ٢٨ أصبعاً = ٣٣٦ أصبعاً و ١٤ ذراعاً × ٢٤ أصبعاً = ٣٣٦ أصبعاً .

وفى سنة ٨٠هـ أنشأ عبد العزيز بن مروان مقياساً صغيراً على النيل فى حلوان . ثم فى سنة ٩٧هـ بُنى مقياس فى جزيرة الروضة فى خلافة سليمان بن عبد الملك وولاية عبد الملك بن رفاعة . وأصلح سنة ٢٣٣هـ فى خلافة المتوكل العباسى .

ثم حصل له تجديد شامل سنة ٢٤٧ فى خلافة المتوكل على الله العباسى المذكور . وأصبح يعرف بالمقياس الجديد . وبالمقياس الكبير . ونسب للمتوكل المذكور(١) . وصار هذا المقياس هو المعول عليه فى مقياس النيل . حتى إنشاء السد العالى جنوبى أسوان .

وأمر المتوكل بعزل النصارى عن المقياس . فجعل الوالى يزيد بن عبد الله التركى (٢٤٢ - ٢٥٣هـ) عبدَ الله بن عبد السلام بن الردَّاد على المقياس . وظل هو ومن بعده من ذريته وآله على المقياس حتى العصر الحديث ويعرف بيتهم ببيت المقياس .

واعتنى حكام مصر بعد هذا على مر العصور بأمر هذا المقياس . فأصلح عدة مرات . فى دولة أحمد بن طولون سنة ٢٥٦ هـ . وفى عهد المنتصر بالله الفاطمى سنة ٤٨٥هـ . وفى دولتى السلاطين المماليك . وفى عهد على بك الكبير سنة ١١٨٣هـ . ثم اصلح إصلاحاً كاملاً فى زمن الفرنسيين . كما اعتنى به فى عهد أسرة محمد على .

والمقياس فى الطرف الجنوبى لجزيرة الروضة . وقد وصفه على باشا مبارك وصفاً كاملاً كما كتب عنه المرحوم يوسف أحمد مفتش الآثار بوزارة الأوقاف محاضرة وافية . (٢)

وبانشاء السد العالى عند أسوان انتهت أهمية المقياس . وأصبح لا قيمة له إلا من الناحية الأثرية التاريخية .

---

(١) يوجد بجزيرة الروضة شارع ضيق لا يزيد عرضه عن ثلاثة أمتار يصل بين شارعى المماليك البحرية والمختار واسمه شارع الخليفة المتوكل على الله . والاسم التاريخى جدير بمكان أكثر رحابة وأهمية

(٢) الخطط التوفيقية جـ١٨ ص ٢٠ ، محاضرات أثرية ليوسف احمد .

الاحتفال بوفاء النيل عند الفاطميين :

كان ابن الرداد قاضى المقياس . عند بدء موعد الفيضان . يسجل علامات المقياس يومياً . ويطلع عليها الخليفة سراً أولاً بأول . وعندما يقارب النيل الوفاء . أى قبل الذراع السادس عشر بأصابع . يأمر الخليفة بالمبيت فى المقياس . أى مقياس الروضة . وترسل من القصر الأطعمة الوفيرة إلى هناك . فيذهب قراء الحضرة ـ أى الخاصون بقصور الخليفة . وشيوخ الجوامع الكبرى . وغيرهم . ويوقدون الشموع الكثيرة فى المقياس والجامع بجواره طول الليل . ويتلون القرآن برفق . ويطرِّبون مكان التطريب . ويختمون الختمة الشريفة .

فإذا أصبح الصباح . وحضرت البشرى بالوفاء . يخرج الخليفة من القصر الشرقى الكبير من القاهرة الفاطمية فى موكب فاخر إلى باب زَويلة بالشارع الأعظم (شارع المعز لدين الله حالياً) حتى الصليبة . فينحرف بالجسر الأعظم الفاصل بين بركتى الفيل وقارون (موقعة الآن شارع عبد المجيد اللبان أو مراسينا سابقاً عند ميدان السيدة زينب) متجهاً إلى منازل العز بالفسطاط . فيركب فى سفينة خاصة . يوضع له فيها بيت خاص مُثَمنٌ الجوانب من عاج وأبنوس . عرض كل جانب ثلاث أذرع . وعندما تضم الجوانب الثمانية . يصير مكانا دوره أربع وعشرون ذراعاً . وعليه قبة من خشب دقيق الصنعة . مُلَبَّسة بصفائح الذهب والفضة . ويجلس الخليفة فى هذا البيت وحده .

وينتقل الخليفة وحاشيته إلى المقياس بجزيرة الروضة . فيصلى هو والوزير ركعات . ثم يحضر إليه إناء فيه المسك والزاعفران . فيديفهما (بالفاء) بماء الورد بآلة فى الأناء . ثم يتناوله ابن الرداد . فينزل حوض المقياس متعلقاً بالعمود . محتضناً له برجليه ويده اليسرى . ويخلق العمود بيده الأخرى بعجين المسك والزعفران .

وبعد هذا إما أن يعود الخليفة بالطريق الذى حضر منه . أو يركب العشارى (نوع من البواخر) إلى المقس ومنها إلى القاهرة من باب القنطرة (كان بالقرب من مسجد الشعرانى بباب الشعرية فى السور الغربى للقاهرة الفاطمية) .

وفى اليوم التالى يتوجه ابن الردّاد إلى القصر مبشراً بوفاء النيل . فيجد فى انتظاره خلعة مذهبة يؤمر بلبسها . وتصرف له البشارة من نقود وخلع له ولأهله .

حمولة عدة بغال . ويعود إلى المقياس مخترقاً القاهرة الفاطمية . ومارآ بالفسطاط . تتقدمه البغال محملة بخلع الخليفة وهداياه . والطبول تدق أمامه لاعلان الوفاء .

وفى هذه المناسبة كانت تصرف أيضاً الخلع والهدايا لجميع رؤساء الدولة . . كل على قدر منزلته .

ويبدأ الاستعداد لفتح الخليج أو كما كان يقال جبر الخليج .

جبر الخليج ومنظرة السكرة :

فتنصب الخيام على الشاطىء الغربى للخليج وأمام منظرة السكرة بالقرب من قنطرة عبد العزيز بن مروان السابق ذكرها . وكان السد عندها أيام الفاطميين . وقد ذكرنا أننا نرجح أن موقع القنطرة والسكرة كان محل المدرسة السنية للبنات بالسيدة زينب أو قريباً منها .

ومنظرة السكرة انشأها العزيز بالله بن المعز لدين الله . وقال عنها المقريزى (الخطط جـ ١ ص٤٧٠) أنها من جنان الدنيا المزخرفة . ووصفها ووصف تهيئة المقصورة الخاصة بالخليفة برسم راحته وتغيير ثيابه . فقال : (وقد وقعت المبالغة فى تعليقها وفرشها وتعبئتها . وقدم بين يديه صوانى الذهب التى وقع التناهى فيها من همم الجهات من أشكال الصور الآدمية والوحشية . من الفيلة والزرافات ونحوها . المعمولة من الذهب والفضة والعنبر والمرسين (؟) المشدود والمظفور عليها . المكلل باللؤلؤ والياقوت والزبرجد من الصور الوحشية ما يشبه الفيلة جميعها عنبر معجون كخلقه الفيل . وناباه فضة . وعيناه جوهرتان كبيرتان . فى كل منهما مسمار ذهب مجرى سواده . وعليه (أى الفيل) سرير منجور من عود بمتكآت فضة وذهب . وعليه عدة من الرجال ركبان عليهم اللبوس تشبه الزرديات . وعلى رؤوسهم الخوذ . وبأيديهم السيوف المجردة والدرق . وجميع ذلك فضة . ثم صورة السبع منجورة من عود . وعيناه ياقوتتان حمراوان . وهو على قريسته . وبقية الوحوش . وأصناف تشد من المرسينى المكلل باللؤلؤ تشبه الفاكهة . . . الخ)

ومن الخيام كانت خيمة كبيرة للخليفة تسمى القاتول مساحتها فدانـان . وارتفاع عمودها سبعون ذراعاً . وكانت لا تنصب إلا بمعرفة المهندسين . وسميت القاتول لأنه عندما نصبت أول مرة قُتل بسبب ارتفاعها عاملان .

وينتقل الخليفة وحاشيته فى موكب حافل . وقد هُيئت للخليفة من دار الطراز بدلتان من ذهب وحرير إحداهما لموكب الذهاب والأخرى لموكب العودة . كما تهيأ الخلع الخاصة برؤساء الدولة . ويتقدم موكب الخليفة أربعون نافخاً للأبواق على الخيول . والأبواق من ذهب وفضة . ويتبعهم راجلون بأبواق من نحاس . ويشق الموكب القاهرة الفاطمية . ثم يسير حتى يصل إلى قنطرة ابن مروان . فيعبرها إلى الخيام غربى الخليج وأمام منظرة السكرة .

فيجلس الخليفة فى المكان المخصص له بالقاتول . ويلزم كل فرد مكانه . إما جالساً وإما واقفاً حسب منزلته . ويقرأ القرآن . ثم يؤذن بالكلام للخطباء . والشعراء . ويكافأ من يحسن منهم . ثم تمد الأسمطة . وتكون الأطعمة العديدة الأصناف . الشهية الأوصاف . قد حُملت من القصر . وتقدم الموائد للجميع يأكلون . ويحملون ما يتيسر لهم من أصناف الأطعمة على سبيل الشرف والبركة .

وبعد ذلك يدخل الخليفة للراحة فى منظرة السكرة . وتكون قد هيئت له كما ذكرنا . ثم يطل الخليفة منها . ويشير بفتح الخليج . فيكسر السد وينساب الماء فى الخليج .

ويعود الخليفة بموكبه وسط المزارع والبساتين بالبر الغربى للخليج . وكان ما بين الخليج والنيل وقتذاك قليل عرض . حتى يصل الموكب إلى بستان الدكة (١) بجوار بستان المقس . وكانت هناك الميناء النهرية للقاهرة . وكانت للخليفة فى بستان الدكة منظرة أيضاً . مثل منظرة بستان المقس . فيدخل الخليفة بستان الدكة . وقد أغلقت أبوابه ودهاليزه . ويدخل الخليفة بمفرده ويسقى فرسه من البستان . وقال المقريزى : ولم يعلم سبب هذا التصرف .

وأقول : لا غموض ولا ألغاز . فلعله لاحتمال حاجة طبيعية من حاجات البشر بعد ساعات طويلة فى الاحتفال .

ويخرج الخليفة من البستان ويعود بموكبه إلى القاهرة من باب القنطرة

---

(١) بستان الدكة كان بين موقع شارعى الجمهورية وعماد الدين . واسم قنطرة الدكة باق للآن هناك . وكانت القنطرة على خليج الذكر الذى كان يصب فى بركة بطن البقرة أو الأزبكية كما سبق ذكره وسميت القنطرة بهذا الاسم لأنه كان هناك دكة يجلس عليها المتنزهون .

وقد أسهب المقريزى فى وصف الاحتفال بوفاء النيل وفتح الخليج . فذكر تفصيلاً مايلبسه الخليفة . ومايخلعه على الأمراء وأعيان الدولة وقاضى المقياس . وما يقدم من الأطعمة . كذلك تشكيل الموكب وخط سيره . والتحركات المرسومة بكل دقة لكل فرد . مما نعبر عنه الآن بقواعد البروتوكول . حتى يخيل للمرء أنه فى عرض سينمائى فخم ورائع بالألوان . لا أمام حقائق تاريخية مدعمة بالتواريخ والأرقام .

وكان عمال الجهات يبلغون بوفاء النيل بخطابات بليغة حافلة بحمد الله على ما أنعم على أمته من خير ورخاء .

وذكرنا أن النيل عندما تحول غرباً مدَّ الصالح نجم الدين أيوب الخلّيج إلى المجرى الجديد للنيل وأنشأ حوالى سنة ٦٤٠ هـ بالقرب من نهاية الامتداد الجديد قنطرة كان يعمل عندها الاحتفال بوفاء النيل وجبر الخليج .

بعد الفاطميين :

وأهملت قنطرة عبد العزيزبن مروان ومنظرة السكرة حتى اندثرتا . وعرفت قنطرة الصالح أيوب صالح باسم قنطرة السد . وظلت بهذا الاسم حتى زالت مع الخليج سنة ١٣١٦هـ (١٨٩٨م) .

واستمر الاحتفال بوفاء النيل وفتح الخليج بعد الفاطميين . ولكن لم يصل فى رونقة وبهائه إلى ما كان يعمل أيام الفاطميين .

وكان الاحتفال يختلف عظمة وأبهة باختلاف السلاطين واستقرار الحالة السياسية .

ومجمل ما كان يعمل فى زمن الأيوبيين والسلاطين المماليك أن يخرج السلطان بموكبه من القلعة إلى ساحل الفسطاط فيركب الباخرة المسماة بالعقبة إلى المقياس بالروضة . ويكون النهر مليئا ببواخر الأمراء والكبراء والأعيان وعامة الناس . فيُخَلَّق المقياس فى حضرته بالمسك والعنبر المعجونين فى ماء الورد . ثم يعود بالباخرة حتى فم الخليج . فيأمر بفتحه . فيزال السد فى أقرب وقت . ويعود بموكبه على الخيول حتى قناطر السباع (ميدان السيدة زينب) . ثم يتجه بموكبه إلى الصليبية ثم القلعة . وقد ازدحمت الطرقات بالجماهير . فينثر عليهم نقود الذهب والفضة يميناً وشمالاً .

وفى زمن العثمانيين كان الوالى والصناجق(أمراءالمماليك وكان عددهم ٢٤ صنجقاً فى غالب الأحيان) وقاضى العسكر وكبراء الدولة . يذهبون إلى المقياس عندما يقارب النيل الوفاء . ويمكثون هناك قبل الوفاء أياماً فى لهو ومتعة من مأكل ومشرب وطرب . حتى يتم الوفاء . ثم يعود الوالى ومن معه إلى الخليج فيأمر بفتحه ويعود إلى القلعة .

وكان الشعب يشارك فى هذه الاحتفالات بالتجمع والتبهرج وإظهار الفرح والزينة .

واحتفل الفرنسيون بوفاء النيل وفتح الخليج فى الثلاث سنوات مدة اقامتهم بمصر . وقد ذكرت أنهم قاموا بعمارة المقياس . ولم يشارك الشعب الفرنسيين فى هذه الاحتفالات . فلم يشترك فيها غير الموظفين الرسميين وقلة من الأقباط الذين لا ذوا بهم .

وفى عهد أسرة محمد على أخذ الأحتفال فضلاً عن الطابع السمى شكلاً شعبياً . فكانت محافظة القاهرة تعلن عن الوفاء بتكليف شيخ المنادين بأن يجمع الأولاد يدورون فى الشوارع والحارات والأزقة وبأيديهمالرايات الملونة بعديد الألوان . ويردد بعضهم : البحر زاد . غرق البلاد ويجيبهم الآخرون : أو فى الله . وتتوجه السفينة الرسمية العقبة وسفن أخرى . عامة وخاصة . إلى فم الخليج . ويكون قد هيأه العمال من الليلة السابقة برفع أغلب تراب السد . فيفتح الخليج . ويقام سرادق بالقرب من فم الخليج تعمل به حفلة ساهرة بالغناء والطرب على حساب الدولة . وتوزع بطاقات الدعوة على الكبراء والأعيان .

وقد ذكرت جريدة الأهرام فى ١٧ سبتمبر سنة ١٨٩٢ مايأتى : كان مهرجان جبر الخليج مساء أمس قرة لعيون المصريين ومسرة لخواطرهم التى ألفت عادة هذه الحفلة . وتتوسم فيها الخير للعام كله : فلم تكد الساعة الثامنة حتى أخذ المدعوون يتوافدون على السرادقات البديعة التى أعدت كالمألوف على دكة فم الخليج من الحرير الملون المعلقة فيها المصابيح والثريات الباهرة ، وكانت المراكب فى البحر غاصة بالجماهير .

ولما ردم الخليج ١٨٩٨ لم يبق إلا الاحتفال بوفاء النيل فى النصف الثانى من أغسطس كل عام .

وفى أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨) ألغيت الحفلة الساهرة . ثم أعيدت سنة ١٩١٨ ثم ألغيت لاندلاع الثورة المصرية سنة١٩١٩ .

واستمـر الاحتفال بـوفاء النيـل مع التهـوين من شأنـه تدريجيـا . واكتفى بالمهرجان النيلى . وكان هذا طبيعيا نتيجة لزيادة التحكم فى مياه النيل بإنشاء خزان أسوان أولا ثم السد العالى أخيرا .

واقتصر الأمر على عطلة رسمية يوم الوفاء لمصالح الحكومة بالقاهرة فقط . مع مهرجان نيلى تمر فيه الباخرة العقبة مزينة . وإثبات الحجة الشـرعية بـوفاء النيـل بمحافظة القاهرة .

والاهتمام بإثبات وفاء النيل بحجة شرعية مرجعه إلى أصل تاريخى منذ الفتح العربى . للعهد الذى أعطاه عمرو بن العاص بارتباط استحقاق الجزيـة والخراج بوفاء النيل . فاثبات الوفاء تقرير لشرعية جباية الأموال الأميرية .

وقد ذكرت الأهرام فى ٢١ أغسطس سنة١٩٦٦ : تمت كتابة الحجة الشرعية لوفاء النيل بديوان محافظة القاهرة . وقد أقيم حفل بهذه المناسبة . حضره الشيخ أحمد حسن هريدى مفتى الديار المصرية . ومندوب بطريركية الأقباط الأورثوذكس والدكتور فؤاد الخورى مندوبا عن وزارة الرىّ . كما حضره وكلاء الوزارة ومديرو العموم ورؤساء الأحياء بالمحافظه . اهـ .

وفى سنـة ١٩٦٧ ألغيت العطلة الـرسمية والمهـرجان النيـلى بسبب اعتداء اسرائيل فى ٥ يونية سنة١٩٦٧ على الأراضى العـربية بـاحتلال سينـاء من أرض مصر . وغربى الأردن وغزة من فلسطين – ومرتفعات الجولان من سوريا . واكتفى بكتابة الحجة الشرعية بوفاء النيل فى ١٩٦٧/٨/٢٦ .

وفى ١٩٧١/٨/٣١ ذكرت جريدة الأهرام : (احتفل أمس فى القاهرة بوفاء النيل وصدق الشيخ محمد خاطر مفتى الجمهورية على الحجة الشرعية التى أثبتت وفاء النيل . وقد سجلت الحجة قيام دولة اتحاد الجمهوريات العربية (مصـر وسوريـا وليبيا) للعمل على عزة الأمة العربية وسيادتها .

وفى ١٩٧٢/٨/٢١ أخذ الاحتفال بوفاء النيل مظهـرا آخر . ففضـلا عن إثبات الحجة الشرعية . فقد أقامت محافظة القاهرة مهـرجانـا بدأ من امـام فندق هيلتون من شعبتين :- الأولى برية من الخيالة والموسيقى ومائة فرد من المشتركين فى

أوزيريت (موال من مصر) بزيهم الفرعونى بجانب موكب الزهور . والشعبة الثانية نيلية من اللنشات والمراكب الشراعية .

وقال السيد/ ابراهيم بغدادى محافظ القاهرة وقتذاك بضرورة المحافظة على هذا الاحتفال . فهو جزء من تأريخ مصر . احتفل به آلاف السنين . وهو من مظاهر الشكر لله على نعمة وجود النيل واهب مصر الحياة . كما أنه جزء من خطة استغلال النهر كمصدر من مصادر السياحة . فالقاهرة تزخر الآن بأعداد كبيرة من السياح العرب والأجانب الذين أتيحت لهم فرصة الاستمتاع بمشاهدة هذا المهرجان والمشاركة فى طقوسه على صفحات النيل . أهـ

وإذا كانت مظاهر الاحتفال بوفاء النيل قد ضعُفت . فلا يزال النيل على عهده . حافظا لوفائه . يُغدق على مصر خيره وفيضانه كل عام . ولكن بدلا من تدفق مياه الفيضان إلى البحر . فأنها تحتجز أمام السد العالى جنوبى أسوان رصيدا ضخما لتنظيم الرى والتوسع الزراعى برى الوادى الجديد وغربى البحراليوسفى بمصر الوسطى ومديرية التحرير ومحافظة سيناء وغيرها من أراضى الصحراء فتحيلها جنة خضراء .

الفصل الرابع

القاهرة الفاطمية والخليج

كان شرقى الخليج قبل إنشاء القاهرة المعزية بساتين ومزارع وبركة الفيل[1] .

وكان أقدم ما عرف من هذه البساتين بستان محمد بن طغج الأخشيد . الذى أنشأ بالجزء الجنوبى من البستان ميدانا للرياضة والفروسية .

وعُرف البستان فيما بعد بالبستان الكافورى نسبة إلى كافور الأخشيدى . أما الميدان فظل معروفا باسم ميدان الأخشيد . وكان موقع البستان والميدان فيما بين موقع ميدان باب الشعرية وشارع الأزهر الحاليين .

وكان شرقى البستان والميدان رمال ليس بها مساكن . إلا دير للنصارى كان يعرف بدير العظام . وكان موقع هذا الدير بجوار موقع الجامع الأقمر [2] . وكانت للدير بئر استعملت فيما بعد لنقل الماء للجامع الأقمر . وتسميها العامة بئر العظمة

(١) بركة الفيل نسبة إلى رجل كان اسمه الفيل من امراء دولة ابن طولون . وكانت تغطى مساحة كبيرة من الأرض تصل جنوبا إلى قرب السيدة زينب وشمالا إلى حى الحبانية جاليا . فكأنها كانت تغطى أحياء بركة الفيل والحوض المرصود والحلمية الجديدة بمفهوم اسماء الوقت الحاضر .

(٢) الجامع الأقمر موجود للآن بالشارع الأعظم المعروف الآن بشارع المعز لدين الله على يمين المتجه إلى باب الفتوح عند مقابل مدخل الخرنفش تقريبا . أنشأه الآمر بأحكام الله سنة ٥١٩هـ .
وجدده الظاهر بيبرس . ثم جدده الأمير يلبغا السالمى فى عهد الظاهر برقوق سنة ٧٩٩هـ .

وكان شرقى دير العظام بقليل مكان آخر عرّف باسم قُصَير الشوك (بصيغة التصغير) كانت تسكنه قبيلة بنى عذرة . وصار موضعه يعرف بقصر الشوق[1] . من القصور الزاهرة بالقصر الشرقى الكبير مقر الخلفاء الفاطميين [2] .

فى هذا المكان حط القائد جوهر رحاله . وقيل انه ليلة وصوله خَطَّط المدينة المزمع إنشاؤها . وبدأ بتخطيط القصر . أى القصر الشرقى الكبير . وأدخل ضمن القصر دير العظام وقُصير الشوك . كما أدخل ضمن أسوار المدينة البستان الكافورى وميدان الأخشيد . وكان هذا فى مساء ١٧ شعبان سنة ٣٥٨هـ[3] .(٥ يولية سنة ٩٦٩م) على أرجح الأقوال .

وسبق أن ذكرت أن جوهرا قصد من إنشاء القاهرة المعزية أن تكون مقـرا للخليفة . وأن تكون حصنا بين الفسطاط والقرامطة . ليقاتلهم من القاهرة ويمنعهم من الوصول إلى الفسطاط .

وأدار جوهر السور اللبن (الطوب النِّيىء) على مناخه الذى نزل فيه بعسكره . وأنشأ من داخل السور القصر والجامع الذى سمى فيها بعد بالجامع الأزهر .

وكان الأزهر عند انشائه اسمه جامع القاهرة . ولا يعرف بالضبط متى أطلق عليه اسم الأزهر . والأرجح أنه فى عهد متقدم من حكم الفاطميين . فقـد أنشأ العزيز بالله بن المعز بجوار باب النصر الجامع الأنور . وأتمه ابنه الحاكم بأمـر الله فنسب إليه . وأنشأ الآمر بأحكام الله الجامع الأقمر . وسبق ذكره . وأنشأ الظافر بأمر الله الجامع الأفخر المعروف الآن بجامع الفاكهيين . والأخيران بشارع المعـز

---

(١) حى قصر الشوق حاليا ضمن حى الجمالية شمال مسجد الأمام الحسين بقليل

(٢) بعد بناء جوهر للقصر الشرقى الكبير . بنى الفاطميون مدة حكمهم عدة قصور فى حدائق القصر الكبير عرفت بالقصور الزاهرة . وبنى العزيز بن المعز مقابل القصر الشرقى الكبير القصر الغربى الصغير . وكان موقعه محل جامع قلاوون وما جاوره . ويطل من غربيه على البستان الكافورى . ولا يزال اسم بين القصرين يطلق على الشارع بينهما .

(٣) هذا التاريخ هو تاريخ تخطيط المدينة . والبدء فى حفر الأساس أما البدء فى البناء فالمعقول أنه استغرق بعض الوقت بعد هذا التاريخ . على الأقل لجفاف الطوب اللبن الذى كانت منه الأسوار .

لدين الله . فكان اختيار اسماء الأنور . والأقمر . والأفخر . لتسير على نمط لفظ الأزهر . كما أن اسم الأزهر نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول ـ ص ـ ووالدة الأمامين الحسن والحسين ولدى على بن أبي طالب وإليها وإلى الأمام الحسين ينتسب الفاطميون [1] .

وعندما أدار جوهر السور أسمى المدينة المنصورية . وعندما قدم المعز لدين الله مصر سنة ٣٦٢هـ أسماها القاهرة . وقيل أن جوهراأسماها القاهرة تبعا لنجم المريخ ـ وهو قاهر الفلك ـ الذى كان فى الأفق عندما ألقى العمال الأساس . وهذا القول أكثر شيوعا بين المؤرخين .

وقال المقريزى (توفى سنة ٨٤٥هـ) أنه أدرك بقايا هذا السور اللبن . وكان عرض جدرانه بضعة أذرع يسع أن يمر عليه فارسان . واللبنة الواحدة على قدر ذراع فى ثلثى ذراع [2] .

وكانت مساحة القاهرة التى أنشأها جوهر ٣٤٠ فدانا . وذكر على مبارك أن منها ٧٠ فدانا للقصر الشرقى الكبير ، و٣٠ فدانا للبستان الكافورى ، و٣٠ فدانا للميادين ، والباقى أنزل فيها عسكره . كل فرقة فى حارة عرفت بها . مثل البرقية والعطوفية والروم وكتامة وزويلة وغيرها . وكان عدد الحارات عشرين .

وسبق أن ذكرنا أن الحارة فى القاهرة بمثابة الخطة فى الفسطاط .

وجعل جوهر فى كل ريح من الأسوار الأربعة بابين . فبالريح الشمالى بابا النصر والفتوح . وكانا جنوبى موضعيهما الحاليين بحوالى ١٥٠ مترا . وبالريح الجنوبى جعل بابى زويلة . وكانا متجاورين وكانا شمال باب زويلة الحالى المعروف عند العامة ببوابة المتولى بحوالى ١٥٠ مترا أيضا . وجعل بالريح الشرقى باب البرقية وباب القراطين . وكانا دون موقعيها الحاليين بحوالى ٥٠س,٣٧مترا تقريبا على الأغلب . أما الريح الغربى على الخليج فقد جعل فيه باب القنطرة فى الطرف الشمالى بالقرب من ميدان باب الشعرية حاليا وباب سعادة بالقرب من ميدان باب الخلق الحالى .

---

(١) الأزهر جامعاوجامعة للمؤلف .

(٢) خطط المقريزى ج١ ص٣٧٧ .

ونذكر كلمة مختصرة عن أسماء هذه الأبواب . فاسما بابى النصر والفتوح من أسماء التفاؤ ل . واسم باب زويلة نسبة إلى قبيلة زَويلة إحدى فرق العسكر الفاطمى . وكذلك اسم باب البرقية . وعندما شرع سنة ١٩٥٧م فى رفع التلال الموجودة بين القاهرة والمقطم ظهر شرقى مبانى الجامعة الأزهرية باب البرقية الذى بناه بدر الجمالى . وكان اسمه باب التوفيق كما تدل الكتابة عليه . وعليه تاريخ البناء سنة ٤٨٠هـ .

وباب القراطين نسبة إلى القرط أى البرسيم وهو العشب الأخضر الذى ترعاه الماشية . ولعله كان يدخل المدينة من هذا الباب . وعُرف باب القراطين فيما بعد بالباب المحروق . لأنه بعد أن قتل المعز أيبك التركمانى الفارسَ إقطاى - والمعز هو أول سلاطين دولة المماليك البحرية إذا استبعدنا شجرة الدر - أراد أن يقضى على باقى المماليك البحرية . فأمر باغلاق أبواب المدينة . وعندما اتجه البحرية وعلى رأسهم بيبرس وقلاوون - وهما اللذان توليا السلطنة فيما بعد - إلى باب القراطين وجدوه مغلقا فأحرقوه وهربوا منه إلى الشام . وعُرف بالباب المحروق من ذلك التاريخ .

واسم باب القنطرة يرجع إلى أن جوهرا وضع أمامه قنطرة على الخليج .

واسم باب سعادة نسبة إلى سعادة بن حيان غلام المعز لدين الله أرسله للقاهرة سنة ٣٦٠هـ تعزيزا للقائد جوهر فى حرب القرامطة . وخرج جوهر لاستقباله استقبالا حافلا . ودخل من هذا الباب فعُرف به . وسيره جوهر لحرب القرامطة فى الشام فهزموه . وعاد لمصر حيث توفى سنة ٣٦٢ . ودفن بتربة كان موقعها بالجزء الجنوبى الشرقى من مديرية أمن القاهرة بباب الخلق . وكانت العامة تزعم أنها تربة الست سعادة إحدى قهرمانات الناصر محمد بن قلاوون . وهوزعم باطل . ولا يزال للآن يوجد شارع درب سعادة خلف مديرية الأمن من باب الخلق لغاية شارع الأزهر وموازى لشارع الخليج أو شارع بورسعيد .

وذكر المقريزى بابا ثالثا بالريح الغربى قال ان اسمه باب الفرج . ولكن لم يترجمه . ومما يستلفت النظر أن المقريزى يغفل ذكر هذا الباب فى كثير من الأحيان

عند الكلام على بعض المواقع (١). مما جعل بعض علماء الآثار ينكرون وجود هذا الباب فى الربع الغربى . ويرى المرحوم الأستاذ حسن عبد الوهاب أن باب الفرج لم يكن فى السور الغربى بل فى السور الجنوبى أى بشارع أحمد ماهر (تحت الربع سابقا)(٢) .

ونميل للأخذ بهذا الرأى . فقد ذكر المقريزى (٣) : (وفى منتصف جمادى الآخرة سنة ٨١٨ هـ ابتدىء بهدم السور فيما بين باب زويلة الكبير وباب الفرج عندما هدم المؤيد شيخ السور ليبنى جامعة . فوجد عرض السور فى بعض الأماكن عشرة أذرع) . وجامع المؤيد على يسار الداخل من باب زويلة . وجداره الجنوبى من ضمن سور القاهرة الجنوبى .

وضاقت القاهرة بسكانها بعد ١٢٠ سنة تقريبا من إنشائها . فأراد بدر الجمالى وزير المستنصر بالله الفاطمى توسعتها . فنقل فى المدة من ٤٨٠ - ٤٨٤ هـ أسوارها البحرية والشرقية والجنوبية . بالمسافات التى ذكرناها . وجعل السور من لبن . وواجهات الأبواب من حجر . وكان عرض السور عشرة أذرع هاشمية كما ذكرنا . أى ٦ر١٦ متر (٤) . ولا تزال الأبواب التى أنشأها بدر الجمالى . باب النصر وباب الفتوح وباب زويلة وباب التوفيق - باقية للآن شاهدة على عظمة هذه المدينة . وما كان لها من عز ومنعة ورفعة شأن .

ولم يتعرض بدر الجمالى للسور الغربى للقاهرة . المواجه للخليج .

---

(١) مثلا عند الكلام على دار الذهب قال إنها بين باب الخوخة وباب سعادة . ولم يذكر باب الفرج . مع أن المفروض حسب الترتيب الذى وضعه للأبواب أنه كان بينهما . كذلك عندما ذكر ظواهر القاهرة المعزية قال : أما الجهة الغربية فإنها من سور القاهرة الذى فيه باب القنطرة وباب الخوخة وباب سعادة . . الخ . فلم يذكر باب الفرج .

وباب الخوخة ليس من انشاء جوهر . وعرف باسم باب ميمون دبة أحد خصيان العزيز بالله ابن المعز . فلعله انشىء فى زمن العزيز . وقال انه من داخل قبو الزينية . وموقعه بين باب القنطرة وباب سعادة . ولا يزال جزء من شارع قبو الزينية موجودا بهذا الاسم للآن . شمال تقاطع شارعى الخليج والأزهر . بالقرب من جامع القاضى يحيى الموجود الآن فى وسط التقاطع المذكور .

(٢) تخطيط القاهرة ص ٢ للمرحوم حسن عبد الوهاب

(٣) خطط المقريزى ج ١ ص ٣٧٩

(٤) الذراع الهاشمى ٦ر٦١ سنتيمتر وهو ٣٢ اصبعا أى ١/٦ ١ من الذراع المصرى القديم راجع بحث المؤلف المشار إليه بهامش الفقرة السادسة من المقدمة الموضوعية

وأصبحت مساحة القاهرة بعد ما أضافه بدر الجمالى ٤٠٠ فدان . وطولها من باب الفتوح إلى باب زويلة ١٥٠٠ متر تقريبا . وعرضها من الشرق إلى الغرب ١١٠٠ متر تقريبا وهى التى نعبر عنها بالقاهرة الفاطمية تمييزا لها عن القاهرة المعزية .

وكان السور الغربى للقاهرة يبعد عن الخليج بحوالى ثلاثين مترا . وقد اندثر الآن هذا السور وتداخل فى المبانى .

وزالت دولة الفاطميين بعد أن امتدت المبانى من القاهرة جنوبا حتى الفسطاط . وغربا حتى مجرى النيل وقتذاك . وقد ذكرنا أنه كان يجرى فى موقع واتجاه شارع عماد الدين الحالى تقريبا .

فأراد صلاح الدين الأيوبى أن يدير سورا يضم من داخله القاهرة والقلعة التى أنشأها والفسطاط . فانتدب لهذا وزيره قراقوش الأسدى [1] . فبنى السور من حجر ومد السور من باب القنطرة غربا إلى باب الشعرية [2] . ومن باب الشعرية إلى باب البحر (عند أول شارع كلوت بك بميدان رمسيس) . وبنى هناك قلعة عرفت بقلعة المقسى . لقربها من جامع المقسى الذى عرف أخيرا بجامع أولاد عنان [3] . وكان هناك مجرى النيل والميناء النهرية للقاهرة . ومن هنا كانت تسمية باب البحر .

---

(١) كان أصلا خصيا مملوكا لأسد الدين شيركوه عم صلاح الدين . ومن هنا جاءت نسبة الأسدى . وفى الاسم ما يستلفت النظر فقرا بالفارسية معناها أسود . ولكن فى المختصر لأبى الفدا أنه كان خصيا أبيض . وقد سبق أن ذكرنا نقلاعن المرحوم أحمد باشا تيمور أن قره معناه البر

(٢) باب الشعرية ذكره الفرنسيون باسم باب العدوى لوجوده مقابل جامع العدوى الموجود للآن بأول سكة الفجالة من ناحية الخليج شمال سور صلاح الدين . وباب الشعرية كان فى الامتداد الذى مده قره قوش من باب القنطرة إلى باب البحر . فهو أيوبى وليس فاطميا . وذكر المقريزى أن الشعرية طائفة من البربر يقال لهم بنو الشعرية هم مزانة وزيارة وهوارة من أحلاف لواته .

(٣) أزال القلعة التى انشأها قره قوش عند باب البحر الصاحب شمس الدين عبد الله المقسى . وقيل أنه وجد بها مالا جدد به الجامع سنة ٧٧٠هـ . فنسب إليه الجامع . إنما الجامع أصلا من إنشاء الحاكم الفاطمى . وبينهما أكثر من ثلاثة قرون ونصف . ثم عُرف بجامع أولاد عنان عند ما أقام فيه الشيخ محمد بن عنان وأخوه الشيخ عبد القادر وقد ذكرهما الشعرانى فى طبقاته (ح ٢ ص ١٣٠ و ص١٣٨) قال سيدى محمد بن عنان كان من الزهاد العابدين والأولياء الصالحين له كرامات عديدة (ذكرها وأطال فيها) وتوفى سنة ٩٢٢هـ . وضريحه بالجامع . أما الشيخ عبد القادر فتوفى قبله سنة ٩٢٠هـ . ودفن ببرهتموش بمحافظة الشرقية . واستمرت ذرية الشيخ محمد تقيم بالجامع فعرف بهم . وقد أزيل المسجد المذكور سنة ١٩٦٩ م لخلله وللعزم على اقامة مسجد آخر مكانه اسمه جامع الفتح .

ولم يتحقق ما قصده صلاح الدين من إدارة سور يحتوى بداخله القاهرة والقلعة والفسطاط . فقد وصل السور إلى قرب القلعة وانقطع العمل فيه . كما أن السور من باب البحر متجها جنوبا إلى الفسطاط قد اندثر لتداخله فى المبانى . ولايزال العمل جاريا للكشف عن بقايا هذه الأسوار كمعالم تاريخية أثرية للمدينة .

ولم يتعرض قره قوش أيضا للسور الغربى للقاهرة المعزية الذى أنشأه جوهر على الخليج . كما لم يذكر لنا أحد من مؤرخى الخطط أى تعديل بهذا السور مما يجعلنا نعتقد أنه ظل على حاله دون تعديل إلا ما استجدبه من فتحات مثل خوخة ميمون دبة السابق ذكرها . ومثل خوخة الأمير حسين شمال محكمة مصر بشارع الخليج أو بور سعيد .

بين السورين :

ولكن الغريب أن اسم بين السورين الذى كان يطلق على الزيادة فى الجهة الشرقية قد اندثر . وأصبح يطلق على هذا الجزء غربى القاهرة الفاطمية بين باب الشعرية والموسكى . فقد ذكر المقريزى (الخطط ج٢ ص ٢٤) خط بين السورين فقال : (إن هذا الخط من عند باب الكافورى فى الغرب إلى باب سعادة . وبه الآن – أى وقت المقريزى – صفان من الأملاك أحدهما مشرف على الخليج والآخر مشرف على الشارع المسلوك فيه من باب القنطرة إلى باب سعادة . ويقال لهذا الشارع بين السورين . تسميه العامة بها فاشتهر بذلك) اهـ .

وأسماء الأماكن والشوارع لا تجرئ على ألسنة الناس اعتباطا. ولا تشتهر إلا لعلة . فلا بد أنه كان هناك سوران فعلا .

ولى فى هذا رأى أضعه على سبيل التمحيص :

فأعتقد أن هذه التسمية ترجع إلى سور القاهرة الغربى الذى وضعه القائد جوهر وسور البستان الكافورى الذى أدخله جوهر ضمن القاهرة ثم أصبح جزءا من القصر الغربى الذى أنشأه العزيز بالله مقابل القصر الشرقى كما ذكر .

وأن السور الغربى للبستان الكافورى كان على الخليج مباشرة . ولما وضع جوهر السور الغربى للقاهرة جعله دون سور البستان الكافورى أى شرقامنه . وأن ما تخلف من البستان الكافورى بين سوره الغربى على الخليج والسور الغربى للقاهرة هو ماأسماه الناس بين السورين . وأن مكان باب البستان الكافورى فى سوره الغربى

كان معروفا وقت المقريزى فقد رأيناه يقول : من حد باب الكافورى إلى باب سعادة .

ويؤ يد هذا ماذكره المقريزى أنه كان للميدان الأخشيدى والبستان الكافورى بابان من الحديد نقلهما القائد جوهر ووضعها بالخندق الذى عمله لمقاومة هجوم القرامطة . يعنى أن السور الغربى للبستان الكافورى لم يكن من ضمن السور الغربى للقاهرة . وإلا ما كان جوهر رفع أبوابه . أو ما كان عمل أبوابا فى هذا الجزء من السور الغربى للقاهرة .

وقد ذكرنا أمر محمد على سنة ١٨٤٧م (١٢٦٣هـ) بتسمية الشوارع وترقيم المنازل . وفى هذا الأمر أطلق اسم شارع السيدة زينب على الشارع من السيدة زينب إلى باب الخلق . وأطلق اسم شارع باب الخلق على الشارع من باب الخلق إلى زاوية الموسكى . وأطلق اسم شارع الشعرانى على الشارع من زاوية الموسكى إلى باب العدوى . . ألخ .

ولكن يبدو أن هذه الأسماء تغيرت فيما بعد . أو أن الأسماء الأصلية تغلبت عليها وظلت تجرى على ألسنة الناس . فقد ذكر على مبارك للشارع المذكور من باب الشعرية إلى السيدة زينب الأسماء التالية ابتداءاً من الشمال : شارع الشعرانى . ثم بين السورين . ثم بين النهدين . ثم جامع البنات . ثم قنطرة الأمير حسين . ثم شارع الحين (جامع الحين موجود حالياً فى الطرف الجنوبى لميدان باب الخلق) . ثم شارع ضلع السمكة . ثم شارع بشتاك أو درب الجماميز . ثم شارع اللبودية حتى ميدان السيدة زينب .

ثم اندثر جزء من هذه الأسماء أو اختصرت . وأصبحت : شارع الشعرانى ثم شارع بين السورين لغاية الموسكى ثم شارع جامع البنات حتى باب الخلق . ثم شارع بشتاك أو درب الجماميز . وبعده شارع اللبودية الباقى معه جزء للآن لغاية ميدان السيدة . وبعض هذه الأسماء واضح .

فشارع الشعرانى نسبة إلى وجود مسجد الشعرانى به بميدان باب الشعرية . ولا علاقة بين الإسمين بالرغم من تقارب حروفهما . فقد ذكرنا أن الشعرية طائفة من البربر . أما الشعرانى فهو العارف بالله الشيخ عبدالوهاب بن أحمد الزغلى . وأصل جدوده من سلاطين تلمسان (بجمهورية الجزائر الآن) . وينتهى نسبه إلى

محمد بن على أبى طالب المعروف بمحمد بن الحنفية . وولُد الشيخ بقلقشندة من قرى القليوبية . وهى قرية أمه . ثم انتقلت به أمه إلى قرية ساقية أبى شعرة من قرى المنوفية . وهى بلدة أبيه . ومن هنا جاءت نسبة الشعرانى . وكان مولده سنة ٨٩٨هـ (١٤٩٢م) . وانتقل إلى القاهرة وعمره اثنتا عشرة سنة بعد وفاة والده ببضع سنوات . فدرس بالأزهر . ثم بالجامع الغمرى بشارع مرجوش . ثم بمدرسة أم خوند بخط كافور الأخشيدى . ثم أنشأ زاويته محل الجامع الحالى .

وذاعت شهرته وعلا اسمه كفقيه عالم . وصوفى له طريقته وأتباعه ومريدوه . ونُسبت إليه كرامات . وعَرَف قدره العلماءُ والحكام . وزخرت زاويته بالطلاب والمريدين من فقراء الطريق . فكان ينفق عليهم . وكان راتبه اليومى من الخبز أردبا وثلث أردب من القمح . ويختزن لهم كل عام عشرة قناطير من عسل النحل . وعشرين قنطارا من عسل القصب . وأربعين أردبا من الفول . وسبعة أرادب من الكشك . ومن الأرز [1] كذلك . ولا ينسى الترفيه عنهم . فيختزن لهم أيضاً من أصناف النقل من جوز ولوز وبندق وغيرها خمسة قناطير .

ويلغت مؤلفاته فى الفقه والتصوف أكثر من سبعين مؤلفاً . أشهرها الطبقات الكبرى . ولواقح الأنوار . والميزان الكبرى . واليواقيت والجواهر . وغيرها . وطبع بعضها ولا يزال الكثير منها مخطوطاً . وتوفى سنة ٩٧٣هـ . (١٥٦٥م) ودفن بزاويته المذكورة .

وشارع بين السورين قد سبق الكلام على هذا الاسم

أما بين النهدين فلم أعثر على تعليل تاريخى لهذه التسمية . وهى بعد عصر المقريزى . إلا إذا قلنا أنه كان منخفضاً بين مرتفعين . فقد كان غربى الخليج بجوارحى المناصرة الحالى مرتفع من الأرض كان يستعمل كمقابر وعرف بكوم الشيخ سلامة . وكان يصل إلى موقع سوق الخضار الحالى بالعتبة الخضراء . وظلت هذه المقابر حتى أزيلت عند فتح شارع القلعة (محمد على سابقاً) فى العصر الحديث .

أما شارع جامع البنات فلوجود جامع الفخرى به المعروف بجامع البنات . ذكره المقريزى أنه من إنشاء فخر الدين عبدالغنى بن تاج الدين عبدالرازق بن أبى

---

(١) الشعرانى للدكتور توفيق الطويل ، وخطط على باشا مبارك ج ١٤ ص ١٠٩

الفرج . الأستادار سنة ٨٢١هـ (١٤١٨م) . ومات بعد انشائه بشهرين فدفن به . وكان جده أبو الفرج أرمنياً نصرانياً فأسلم . ونشأ أبوه عبدالرازق مسلماً . وتقلب فى الوظائف حتى وصل إلى الاستدارية ثم الوزارة . ووصل صاحب الترجمة إلى الاستدارية . وقال عنه المقريزى أنه كان جبارا عبوسا بعيداً عن الإسلام قتل من عباد الله مالا يحصى . وخرّب أقليم مصر ليرضى سلطانه (كان السلطان المؤيد شيخ) فأخذه الله أخذاً وبيلا . ولا يستكثر عليه ما كان يفعله لأنه من بيت ظلم وعسف وعنده جبروت الأرمن ودهاء النصارى . . . الخ[1] .

وسبب تسمية الجامع بجامع البنات . فكما ذكرت الدكتورة سعاد ماهر نقلا عن الرحالة النابلسى الذى زار مصر فى القرن الثانى عشر الهجرى (١٨م) أن أهل مصر يعرفون هذا المسجد بمسجد البنات لأن البنت التى لا يتيسر لها الزواج تأتى إلى هذا المسجد يوم الجمعة والناس فى الصلاة . وتجلس فى مكان هناك . فإذا كان المصلون فى السجدة الأولى من صلاة الجمعة . تمر بين الصفوف وتذهب . فيتيسّر لها الزواج . وقد جربوا ذلك . [2]

وباب الخلق كان اسمه أصلا باب الخرق . وكان فضاء تخترقه الريح فسمي الخرق[3] ولعل العامة حرفته بعد زمن المقريزى إلى الخلق . وكان هناك ساحل للخليج وموردة للسقايين .

وشارع الحين بسبب وجود مسجد الحين به وهو الموجود الآن بالطرف الجنوبى لميدان باب الخلق عند ملتقى شارعى القلعة (محمد على) والخليج . انشأه الأمير يوسف الحين سنة ١٠٣٥ هـ ووصل فى الوظائف إلى أن كان كاشفا للبحيرة ثم للبهنساوية بالصعيد . والكاشف وظيفة تقرب من وظيفة المحافظ الآن .

وقد ذكر على مبارك أن إنشاء الجامع كان فى القرن التاسع الهجرى . ولكن ذكرت الدكتورة سعاد ماهر أن إنشاءه كان سنة ١٠٣٥هـ مستدلة بما كتب على لوح رخامى عند مدخل الجامع [4] .

---

(١) خطط المقريزى ج ٢ ص ٣٢٨ ، خطط على مبارك ج ٤ ص ٦٧ .

(٢) مقال بجريدة الأهرام فى ١٩٦٧/١٢/١٧ . (٣) خطط المقريزى ج ٢ ص ١٤٧ .

(٤) الخطط التوفيقية ج ٤ ص ١٠٢ ، مقال بجريدة الأهرام فى ١٩٦٧/١٢/٢٥ .

درب الجماميز :

أما شارع بشتاك المعروف الآن بشارع درب الجماميز . فنسبة إلى الأمير بشتاك . وكان من الأمراء المقدمين فى عهد الناصر محمد بن قلاوون [١] . أنشأ جامعا هناك لا يزال باقيا للآن باسم جامع مصطفى فاضل . بجوار المدرسة الخديوية الثانوية . وأنشأ تجاه الجامع خانقاه . وذلك سنة ٧٣٦ هـ .

وكان الجامع قد تخرب . فجددته والدة الأمير مصطفى فاضل . وهو أخو الخديوى اسماعيل سنة ١٢٧٩ هـ (١٨٦٢م) . وجعلت مكان الخانقاه المقابلة له سبيلا ومكتبا لتعليم الأولاد . وقد أزيلا فى توسيع شارع الخليج ولا تزال منها بقية . وعرف الجامع من ذلك العهد بجامع مصطفى فاضل .

وكان هذا الحى الذى به الجامع يسكنه جماعة من الأفرنج والنصارى [٢] ويرتكبون فيه ما لا يليق بالمسلمين . فلما أنشىء الجامع وأعلن فيه الأذان وإقامة الصلوات . تحولوا عنه إلى الجانب الغربى من الخليج . ويوجد الآن فى الجانب الغربى من شارع الخليج شارعان متوازيان معه اسمهما شارع الخمارة وشارع النصارى .

وعرف هذا الخط بخط الكرمانى . نسبة للأمير طقزدمر الحلبى الكرمانى . نائب السلطنة بمصر . عاصر الناصر محمد بن قلاوون وأربعة سلاطين من أولاده . وتوفى سنة ٧٦٤ هـ . وهو بانى القنطرة على الخليج المعروفة بقنطرة طقزدمر . ثم غلب عليها اسم قنطرة درب الجماميز لوجود أشجار عظيمة من الجميز كانت معروفة بجماميز السعدية . وبنى قطزدمر القنطرة المذكورة ليتوصل بها إلى حكره الذى أنشأه غربى الخليج على بستان مساحته أربعون فداناً تقريباً [٣]

---

(١) كان بين بشتاك والأمير قوصون تنافس . فاشترى قوصون قصر بيسرى بالشارع الأعظم على يسار المتجه إلى باب الفتوح . وبنى بشتاك مقابله قصراً عظيماً فى جزء من موقع القصر الشرقى الفاطمى الكبير . واعتقد الناس أن إسم بين القصرين يرجع إلى قصريهما . ولكن الاسم أقدم من عصرهما ويرجع إلى عصر الفاطميين . ولكن هى المصادفة التى جعلت قصرين محل قصرين . واندثر الجميع فسبحان الحى الباقى .

(٢) تعبير النصارى يقصد به المسيحيون الأجانب . أما المسيحيون المصريون فيعبر عنهم دواما فى كتب التاريخ بالأقباط .

(٣) ثلاثون فداناً على المقياس وتنذاك لأن الفدان كان ٤٠٠ قصبة والآن ٣٣٣ ١/٣ قصبة . مع اختلاف طول القصبة أيضا.

وكان بجوار الجامع المذكور دار خوند فاطمة بنت العلائى على بن خاص بك . وهى التى كانت زوجة للأشرف قايتباى . وتزوجها العادل طومان باى . واحتفل بزواجها منه احتفالاً فخماً[1] .

ثم تنقلت هذه الدار بين المالكين حتى آلت إلى يوسف بك الجزار . أحد أمراء المماليك القاسمية . فجددها وسكنها سنة ١١٢٣هـ . وتوفى يوسف بك سنة ١١٣٤هـ .

فسكنها بعده إسماعيل بك إيواظ[2] . وظل بها حتى قتله الفقارية سنة ١١٣٦هـ . ثم تخربت الدار . وتحولت إلى حيشان ومساكن للفقراء . فاشتراها سامى باشا الميرلى وأنشأ مكانها داراً عظيمة .

وبعد وفاته إشتراها مصطفى باشا فاضل وهدم أغلبها . وبناها بناءاً جديداً . وكانت كبيرة تطل على درب الجماميز غرباً . وتصل جنوباً إلى حارة السادات . وشرقاً إلى بركة الفيل . وسراى الحلمية التى محلها الآن حى الحلمية الجديدة [3] .

ثم آلت إلى أخيه الخديوى إسماعيل . فتنازل عنها للحكومة . فنقلت إليها ديوان المدارس بعد أن كان فى العباسية . ثم نقل إليها على باشا مبارك ديوان الأوقاف أثناء نظارته لها . كما أنشأ بها داراً عمومية للكتب جمع فيها الكتب التى كانت مبعثرة بين المساجد . ثم انتقل ديوان الأوقاف ودار الكتب إلى مكانيهما الحاليين . الأول بباب اللوق. والثانية بباب الخلق فى عهد عباس حلمى الثانى فى أوائل القرن الحالى.

---

(١) ذكرا بن إياس وصف هذا الاحتفال فى حوادث سنة ٩٠٦هـ . ونقله عنه على مبارك ج٣ ص١٣ .

(٢) إيواظ أصلها عِوض. وحرفها اللسان التركى إلى إيواظ لعدم النطق بالضاد. (مع كسر العين) فى عوض

(٣) حى الحلمية نسبة إلى عباس حلمى الاول حفيد محمد على . الذى أنشا سراى عظيمة هناك ظلت حتى أواخر القرن الماضى وهدمت وقسمت أرضها شوارع وقطعاً للبناء فى أوائل القرن الحالى . وعرف هذا التقسيم بالحلمية الجديدة . وكان محل السراى قبل إنشائها سكن الكثيرين من أمراء المماليك عند دخول الفرنسيين مثل إبراهيم بك ومراد بك وسليمان بك الشابورى وعبد الرحمن بك عثمان وغيرهم على بركة الفيل وأدخلت هذه المساكن ضمن السراى عند إنشائها . واستمرت الحلمية الجديدة إلى العشرينات فى هذا القرن سكن الكثيرين من الأعيان مثل رياض باشا ناظر النظار ونسيم باشا وإبنه محمد توفيق باشا نسيم وأحمد باشا تيمور وعبد الله باشا فكرى وعلى باشا مبارك وغيرهم كثيرونْ من نجوم مصر الحديثة . وقد خلدت البلدية أسماء الكثيرين منهم ومن الأمراء المماليك على لافتات شوارع الحلمية .

وحارة السادات المذكورة من الحارات القديمة . وكانت برسمها الحاضر تقريباً عند دخول الفرنسيين . وتنسب إلى سكن السادات الوفائية الذين تولى الكثيرون منهم نقابة الأشراف .

وسنعود بإذن الله لذكر الحلمية وحارة السادات فى أحد فصول القسم الثانى بإذن الله .

ولا تزال الدار المذكورة فى ملك وزارة التربية والتعليم . ودخلها كثير من التغيير والتجديد . وأنشىء فى فراغاتها عدد من المبانى . وبها الآن المدرسة الخديوية الثانوية وبعض المدارس الأخرى . وقد اخترقها امتداد مجلس الشعب ـ مجلس الأمة سابقاً ـ حتى وصل إلى ميدان مصطفى فاضل بالحلمية الجديدة .

وجامع مصطفى فاضل شمال الشارع المذكور. وكانت المدرسة الخديوية السابقة جنوبى الجامع المذكور . وهى الآن شمال الجامع محل المدرسة المحمدية الابتدائية سابقاً .

شارع اللبودية :

أما الجزء الأخير من الشارع الذى استجد شرقى الخليج بعد إنشاء القاهرة الفاطمية . وهو الشارع الذى ذكرنا الأسماء المختلفة لأجزائه فيما سبق . فقد عرف بشارع اللبودية ولاتزال منه للآن بقية تصل إلى ميدان السيدة زينب .

واللبودية من صناعة اللبد أو اللباد . وهو نوع من نسيج الصوف والشعر . كان يوضع تحت سروج الخيل وبراذع الحمير ليشرب عرقها ويحمى أجسادها من احتكاك جلد السروج والبراذع . وكان يستعمل أيضا كفرش للأرضية وللدكك الخشبية وما أشبه ذلك .

وكانت المبانى بأجزاء الشارع المذكور شرقى الخليج تطل من جانبها الغربى على الخليج ومن جانبها الشرقى على هذا الشارع .

ثم ردم الخليج وسار فى مكان مجراه الترام سنة ١٨٩٩ م . وأصبح شارعاً باسم الخليج المصرى كما سبق ذكره .

ثم فى سنة ١٩٣٠ تقريباً تقرر توسيع الخليج . فأزيلت المبانى بينه وبين الشارع المستجد المذكور . وأصبح عرض شارع الخليج بوجه عام مكوناً من ثلاثة أجزاء : مجرى الخليج الأصلى . والمبانى التى كانت تطل عليه والشارع المذكور .

وفى سنة ١٩٥٦ أطلق على شارع الخليج إسم شارع بورسعيد تخليداً لمقاومة المدينة الباسلة للعدوان الثلاثى فى إنجلترا وفرنسا وإسرائيل سنة ١٩٥٦ .

والخليج المصرى اسم جدير بالاحتفاظ به . فهو ثمانية وثلاثون قرناً من تاريخ مصر .

الفصل الخامس

القناطر والمناظر على الخليج

ذكرنا أن عمرو بن العاص جدد حفر الخليج سنة ٢٣هـ (٦٤٤م) . وأن عبد العزيز بن مروان أثناء ولايته على مصر أنشأ قنطرة على الخليج سنة ٦٩هـ . وأن هذه القنطرة قد اندثرت فيما بعد ـ بعد الفاطميين . وجُهل مكانها . ورجحنا أنه كان بالجانب الغربى من موقع ميدان السيدة زينب الحالى .

كما ذكرنا أنه بالقرب من هذه القنطرة كانت منظرة السكرة التى أنشأها الفاطميون لحضور حفل جبر الخليج . ورجحنا أن مكان هذه المنظرة كان محل المدرسة السنية للبنات والمعلمات بأول شارع الناصرية بالسيدة زينب .

وظلت قنطرة عبد العزيز بن مروان هى سبيل العبور إلى الجانب الغربى من الخليج حتى أنشئت القاهرة المعزية سنة ٣٥٨هـ (٩٦٩م) فأنشأ القائد جوهر على الخليج قنطرة أمام الباب الذى عرف بباب القنطرة كان موقعها بميدان باب الشعرية الحالى .

وبتقدم العمران توالى انشاء القناطر على الخليج . فقد ذكر المقريزى ـ بخلاف قنطرة عبد العزيز بن مروان التى كانت قد اندثرت ـ أربع عشرة قنطرة لغاية منتصف القرن التاسع الهجرى (١٥م.) . واستجدت ثلاث قناطر بعد المقريزى لغاية دخول الفرنسيين فى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى . وفى زمن أسرة محمد على استجدت

سبع قناطر . فيكون مجموع القناطر على الخليج أربعا وعشرين قنطرة .

ومن القناطر الأربع عشرة التى ذكرها المقريزى واحدة فقط أنشئت فى عهد الفاطميين . وأربع قناطر فى عهد الأيوبيين . وتسع قناطر فى عهد السلاطين المماليك . أو بعبارة أدق : واحدة فى عهد الظاهر بيبرس . وسبعا فى عهد الناصر محمد بن قلاوون . وواحدة فى عهد الصالح صلاح الدين بن الناصر محمد بن قلاوون .

وفيما يلى جدول بالترتيب الجغرافى لهذه القناطر . وقد رمزت بحرف (م) للقناطر التى ذكرها المقريزى ، وبحرف (ن) للقناطر التى حدت بعده لغاية دخول الفرنسيين ، وبحرف (ع) للقناطر التى أنشئت فى عهد أسرة محمد على .

ونحن نعتبر الإنشاء فقط دون الترميم أو التجديد . فالإنشاء لضرورة عمرانية . أما التجديد فللاحتفاظ بوضع قائم .

جدول بالترتيب الجغرافى للقناطر على الخليج

الترتيب الجغرافى	الرمز	اسم القنطرة	الموقع وملحوظات
١	ع	الفـم	ميدان فم الخليج
٢	م	السـد	بعـدها
٣	ع	القصر العينى	بعـدها
٤	م	السباع	ميدان السيدة زينب
٥	م	عمر شاه	أمام حارة عمر شاه
٦	ع	شاهين باشا	بعـدها
٧	م	قطز دمر	أو درب الجماميز جنوبى امتداد مجلس الشعب الجديـد .
٨	م	آق سنقر	عند مدخل الحلمية الجديدة أمام شارع اسماعيل باشا أبو جبل.
٩	ن	الذى كفر	أمام شارع مصطفى باشا عبد الرازق (سكة رحبة عابدين سابقا)
١٠	م	باب الخرق	ميدان باب الخلق عند تقاطع شارعى القلعة والخليج
١١	ع	ثابت باشا	أمام المتحف الإسلامى .
١٢	م	الأمير حسين	امام النهاية البحرية لمحكمة مصر عند مدخل شارع الأمير حسين
١٣	ع	الشيخ المفتى	أمام جامع البنات عند سكة المناصرة
١٤	ن	الحفنى	قبل تقاطع شارع الأزهر بقليل
١٥	م	الموسكى	عند تقاطع شارع الموسكى
١٦	ع	بين السورين	بعـدها
١٧	ن	الشعراوى	أمام شارع الخرنفش . وقد قال على مبارك أنها من إنشاء أسرة محمد على ولكن بخريطة نابليون نجدها باسم elGuedidch . وهى غير قنطرة الظاهر التى اسماها الفرنسيون La nouvelle .
١٨	م	باب القنطرة	بميدان باب الشعرية عند امتداد شارع أمير الجيوش وقد سماها على مبارك قنطرة باب الشعرية
١٩	م	باب الشعرية	أو الخروبى . عند تقاطع الخليج مع السور الشمالى للقاهرة . وقد أسماها الفرنسيون قنطرة الخروبى .
٢٠	م	الجديدة	بالظاهر عند تقاطع الخليج المصرى مع الخليج الناصرى
٢١	م	الأوز	بغـمرة
٢٢	ع	سكة حديد السويس	عند تقاطع الخليج مع خط المترو وسكة حديد المطرية .
٢٣	م	قناطر بنى وائل	عند الوايلى الكبرى وأسماها على مبارك الوايلى القديمة .
٢٤	م	قنطرة الأميرية	عند الأميرية . وأسماها على مبارك ألوايلى الجديـدة .

وبعد قنطرة الأميرية ذكر المقريزى أنه لا يوجد غير قنطرة سرياقوس . أما على باشا مبارك فقد ذكر قنطرتى أبى زعبل والذوق بمحافظة القليوبية .

وقد ذكرنا الترتيب الجغرافى للقناطر على الخليج . وفيما يلى الترتيب التاريخى لانشائها . فمنه نفهم التطور العمرانى للقاهرة .

(١) قنطرة باب القنطرة ومنظرة اللؤلؤة :

فى عهد الفاطميين لم يكن على الخليج ـ بخلاف قنطرة عبد العزيز بن مروان التى اندثرت بعدهم ـ غير قنطرة أنشأها القائد جوهر أمام باب القنطرة (فى السور الغربى للقاهرة المعزية) عند باب البستان الكافورى . وكان موقعها فى الطرف الغربى لميدان باب الشعرية الحالى على امتداد شارع أمير الجيوش ـ أو كما تسميه العامة مرجوش [١] ـ أنشأها جوهر سنة ٣٦٠هـ ليتوصل منها إلى المقس [٢] عندما هدد القرامطة مصر . وسميت كذلك لقربها من باب القنطرة . والأصح أن الباب ـ وهو سابق لإنشائها ـ عُرف فيما بعد بباب القنطرة نسبة إليها : فعُرفت بالباب أو عرف الباب بها . ولا ندرى اسم الباب قبل إنشائها .

وكانت القنطرة مرتفعة تمر المراكب من تحتها . ثم صارت فى عهد المقريزى (توفى سنة ٨٤٥هـ) قريبة من أرض الخليج لا يمكن للمراكب العبور من تحتها . وهذا يدل على أن الخليج المصرى داخل المدينة قد تحول عن أحد أغراضه الأصلية من إنشائه ، ونعنى تسهيل التجارة ونقل المحاصيل . وربما أصبح الاعتماد فى ذلك على الخليج الناصرى الذى أنشىء فى أوائل القرن الثامن الهجرى . وكان يلتقى بالخليج المصرى عند ميدان الظاهر تقريبا .

وقد أسماها على مبارك بقنطرة باب الشعرية . وأعتقد أن هذا خطأ . فقنطرة

---

(١) شارع أمير الجيوش نسبة إلى أمير الجيوش بدر الجمالى الذى زاد فى رقعة القاهرة ونقل أسوارها فى عهد المستنصر بالله الفاطمى .

(٢) المقس موقعها الحالى شارع كلوت بك وباب البحر عند ميدان رمسيس وما جاورهما . وكانت هناك فى هذا الموقع قرية إسمها أم دنين عند الفتح العربى . وكان النيل يجرى وقتذاك غربى هذا الموقع أى خلف جامع المقس الذى عرف أخيرا بجامع أولاد عنان بشارع الجمهورية وقد سبق ذكره فى الفصل الرابع . وقيل المقس من المقسم حيث قسم العرب غنائم الحرب هناك . وقيل أيضا أنها من المكس أى الجمارك على البضائع الواردة . وكانت هناك الميناء النهرية للمدينة .

باب الشعرية قال عنها المقريزى أنه يسلك إليها من باب الفتوح ويُعبر عليهـا إلى أرض الطبالة (الفجالة حاليا تقريبا) وتعزف فى وقته بقنطرة الخروبى [1] . ووقعها الفرنسيون على خريطة مصر المعروفة بخريطة نابليون باسم قنطرة الخروبى عند جامع العدوى بالسور الشمالى الذى بناه قره قوش .

كما أن تسمية ميدان باب الشعرية الحالى خطأ . وكان الأولى تسميته بميدان الشعرانى لوجود المسجد المعروف به . حيث أن باب الشعرية - كما ذكرنا - من إنشاء بهاء الدين قره قوش الأسدى . امتداداً للسور الشمالى للقاهرة الفـاطمية . عنـد جامع العدوى . وجامع العدوى يبعد عن الميدان الحالى بحوالى المائتى متر .

منظرة اللؤلؤة :

وكان بالقرب من قنطرة باب القنطرة منـظرة اللؤلؤة . أو قصر اللؤلؤة . أشهر مناظر الفاطميين . وكان قصراً من أحسن القصور وأجملها زخرفة . وهو أحد متنزهات الدنيا المذكورة . فإنه كان يشرف من شرقيه عـلى البستان الكـافورى . ويطل من غربيه على الخليج . ولم يكن غربى الخليج غير البساتين . منهـا بستان المقسى . وبستان الدكة . وبركة بطن البقرة - التى عرف جزء منها فيما بعد باسم بركة الأزبكية وسنعود لذكرها باذن الله - ووراء ذلك كله نهر النيل .

وحدد المرحوم على مبارك موقع منظرة اللؤلؤة بالدور والأبنية التى من جملتها القبو المجاور لضريح الشعرانى . وقال وقـد هدم هـذا القبو قبـل سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٥م) كما هدم أيضاً باب القنطرة .

ومنظرة اللؤلؤة بناها العزيز بالله بن المعز لدين الله . ثم سكنها برجوان عندما تولى وزارة الحاكم بأمر الله بن العزيز . حتى قتل برجوان سنة ٣٩٠ هـ . وفى سنة ٤٠٢ هـ أمر الحاكم بهدم القصر ونهب انقاضه . ثم قبض على كل من نهبوا أنقاض اللؤلؤة واعتقلوا [2] .

ثم بناها الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم . وكانت معدة لنزهة الخلفاء . وكان يتوصل إليها من القصر الشرقى بالسراديب تحت الأرض . ومن القصر الغربى

---

(١) خطط المقريزى جـ ١ ص ٣٨١ ، ص ٤٦٧ ، الخطط التوفيقية جـ ٣ ص ٤ .

(٢) هذا التناقض من قرارات الحاكم بأمر الله التى يصعب تعليلها.

من باب كان أسمه باب مراد - وموقعه غير معروف بالضبط . وفى أيام الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى فى خلافة المستعلى بالله بن المستنصر . عندما زاد الخوف من النزارية الذين كانوا يرون أن نزارا بن المستنصر أحق بالخلافة . أمر الأفضل شاهنشاه المذكور بسد هذا الباب . وكان لايفتح إلا فى صبيحة جبر الخليج . ويروح الخليفة وأهله إلى اللؤلؤة للنزهة والفرجة . ثم يغلق الباب ثانية .

ثم أهمل أمر اللؤلؤة . فبنى الناس مقابلها غربى الخليج . فطلب الآمر بأحكام الله بن المستعلى بالله من وزيره المأمون البطائحى إزالة هذه المبانى فأزيلت . وعادت اللؤلؤة إلى رونقها . فينتقل الخليفة وأهله إليها فى موسم فيضان النيل وامتلاء الخليج بالماء .

ومات باللؤلؤة من الخلفاء الفاطميين الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله والفائز بنصر الله . وحملوا منها إلى القصر الشرقى فى السراديب .

ولما قدم نجم الدين أيوب - والد صلاح الدين - على ابنه . خرج العاضد لدين الله وهو آخر الخلفاء الفاطميين لاستقباله بصحراء الريدانية (العباسية تقريباً) . وأنزله بقصر اللؤلؤة . حتى مات نجم الدين سنة ٥٦٧ هـ .

ويبدو أن أمراء الأيوبيين . وقد ورثوا أملاك الفاطميين . سكنوا المنظرة بعد ذلك . وبانتقال مركز الحكم إلى القلعة فى عهد الكامل الأيوبى (٦١٥-٦٣٥هـ) تضاءل شأن المنظرة وشأن الجهة . ثم أزيل البستان الكافورى ٦٥١ هـ لانتشار زراعة الحشيش فيه . ولعل المنظرة مما أزيل أيضاً . وحكرت الأرض مبانى .

البستان الكافورى :

وكان البستان الكافورى متنزهاً للخلفاء الفاطميين . وكانوا يتوصلون إليه من سراديب مبنية تحت الأرض ينزلون إليها من القصر الشرقى الكبير . ويسيرون فيها بالدواب إلى البستان ومنظرة اللؤلؤة بحيث لاتراهم الأعين . وقال المقريزى : ومازال البستان عامراً حتى زالت الدولة . يعنى دولة الفاطميين . وبُنى فيه سنة ٦٥١ هـ . أما الأقباء والسراديب فأنها عُملت أسربة للمراحيض وهى باقية إلى يومنا هذا (يعنى وقته) تصب فى الخليج[1] .

---

(١) خطط المقريزى ج١ ص ٤٥٧

عقار الحشيش :

وأزيل البستان لما زادت زراعة الحشيش فيه . واستفحل أمره بين بعض فقراء الصوفية [1] . وتعداهم إلى عامة الناس .

وينسب اكتشاف أثر هذا العقار إلى شيخ الشيوخ حيدر من بلدة تستر بخراسان كان كثير الرياضة الروحية والمجاهدة فى العبادة قليل الاستعمال للغذاء . وقد فاق فى زهده وتعبده . وكان قد اتخذ له زاوية فى جبل وبصحبته جماعة من الفقراء[2]. وانقطع بالزاوية أكثر من عشر سنين لايدخل عليه أحد إلا إنسان مكلف بخدمته . فخرج ذات يوم شديد الحرارة إلى الصحراء منفرداً . وعاد متهلل الوجه منشرحاً . وتبسط مع أتباعه ومريديه فى الكلام بعد هذا الصمت الطويل . فسألوه . فقال أنه وجد نباتاً قطف منه أوراقاً وأكلها فحدث عنده ارتياخ وانتعاش . وأراهم النبات . فعرفوا أنه نبات القُنَّب . فأمرهم باستعماله . وأوصاهم ألا يطلعوا عليه أحداً من عامة الناس . وألا يخفوه عن الفقراء أمثالهم . واستمر وأتباعه يستعملونه حتى مات الشيخ حيدر سنة ٦١٨هـ . وأوصاهم قبل موته أن يزرعوا منه فوق ضريحه . وشاع أمره فى خراسان وباقى بلاد إيران . وعرف باسم حشيشة الفقراء . ثم انتقل إلى العراق فى أيام المستنصر العباسى سنة ٦٢٨هـ . ثم انتقل بعد ذلك إلى الشام ومصر .

واستعملوه بطرق مختلفة . وأعجب به الكثيرون حتى مدحوه . وغالطوا أنه لم يرد فيه نص بالتحريم مثل الخمر . ومما قيل فيه :

هى البكر لم تُنكح بماء سحابة ... ولاعُصرت يوماً برجل ولايد
ولاعبث القسيس يوما بكأسها ... ولاقربوامن دنِّها كل مقعد
ولا نُص فى تحريمها عند مالك ... ولا حد عند الشافعى وأحمد
ولا أثبت النعمان تنجيس عينها ... فخذها بحد المشرفى المهند
وكُفَّ أكُفَّ الهَم بالكَفِّ واسترح ... ولا تطرح يوم السرور إلى غد[2] .

---

(١) الفقراء تعبير يقصد به أتباع إحدى الطرق الصوفية . ويقال لاتباع شيخ بعينه المريدون .

(٢) الأكف جمع كف أى اليد . والكف من أسماء الحشيش عندهم . والنعمان هو الإمام أبو حنيفة وأحمد هو الإمام أحمدبن حنبل . أى ذكر أئمة المذاهب الأربعة . وكان من أسماء الحشيش أيضاً الشهدانج . وكان الحشاشون يعرفون فى القرن العاشر الهجرى بأهل الكنَبَه . وهى محرفة عن القُنَّب الهندى . والحشيش باللاتينية أسمه canabis indica

ونسبة اكتشاف أثر الحشيش إلى حيدر المذكور مشكوك فيه . فالعقار قديم ذكره بقراط وجالينوس من حكماء اليونان كما عرفه الهنود . ومن الهند انتقل إلى فارس ثم إلى باقى البلاد الإسلامية . وربما استعمله بعض فقراء الصوفية لما اعتقدوا أنهم يجدون فيه عوناً على التأمل وإضعاف الشهوة وكثرة العبادة . وإن كان فى الحقيقة معيناً على البلادة .

وحارب استعماله الصالحون من علماء ومفكرين وحاكمين . وأسموه الشجرة الملعونة . وكان التذبذب بين الشدة فى منع زراعته واستعماله . وبين التهاون فيهما على مر العصور . حتى أنه فى أوائل القرن الحاضر لغاية سنه ١٩٢٨ كانت العقوبة على زراعته هى مجرد تخليع الزراعة وغرامة عشرة جنيهات للفدان . ثم رؤيت خطورته على الطبقات الكادحة من آثار صحية وأخلاقية . وأن أعداء الوطن يسهلون تهريبه باعتباره وسيلة لتحطيم معنويات الشعب بما يبعثه فى المتعاطين من جبن وخمول . فتشدد القانون فى محاربته . فرفع عقوبة الاتجار فيه إلى حد الإعدام . وعقوبه إحرازه إلى الأشغال الشاقة

الدخان والقهوة :

وإذا كان استعمال الحشيش قد عرف فى مصر فى منتصف القرن السابع الهجرى (١٣م) فللاستطراد أذكر أن استعمال البن (القهوة) قد عرف فى مصر حوالى سنة ٩٣١ هـ (١٥٢٥م) واستعمال الدخان حوالى سنة ١٠١٠هـ (١٦٠١م) [١]

أخطاء فى أسماء الشوارع :

ونعود إلى موضوعنا الأصلى . فقد رأينا قصر اللؤلؤة أو منظرة اللؤلؤة والبستان الكافورى بالقاهرة الفاطمية على الجانب الشرقى من الخليج . ومع ذلك فقد أسمت بلدية القاهرة بحى الفجالة شارعاً باسم قصر اللؤلؤة . وحارة باسم حارة منظرة اللؤلؤة . وشارعاً باسم البستان الكافورى . جميعها مابين شارع كامل باشا صدقى بالفجالة وشارع رمسيس . خلف المستشفى القبطى تقريباً . وهذا غربى الخليج بحوالى ٨٥٠ متراً . وبما أن البلدية قد أسمت شارعاً فى هذه المنطقة باسم شارع قلعة المقسى . فكان الأجدر تسمية هذه الشوارع بأسماء بستان المقسى

---

(١) تقويم النيل لأمين باشا سامى ج ٢ ص ١٧ ، ص ٣٧ .

وبرج المقسى أو غيرها من الأسماء المناسبة . مما اقترح استبدالها بها لعدم الخلط فى تاريخ خطط المدينة

وانتهى عهد الفاطميين وتلاهم الأيوبيون . فأنشئت فى عهدهم أربع قناطر . الأولى منها هى ثانية القناطر على الخليج وهى :

٢ - قنطرة الموسكى :

وموقعها كان عند تقاطع شارعى الخليج والموسكى الحاليين .

والموسكى المنسوب له هذه القنطرة . وكذلك منسوب له أيضاً شارع الموسكى . هو الأمير عز الدين موسك أحد أمراء دولة صلاح الدين الأيوبى . وكان طيباً خيراً به تقوى ويحترم العلماء . وتوفى بدمشق سنة ٥٨٤هـ وجددت هذه القنطرة فى عهد محمد على عند فتح شارع الموسكى . فقد ورد فى الأمر الصادر ٩ ربيع الآخر سنة ١٢٦٢هـ (١٨٤٦ م) : حيث أنه سبق التنبيه بتوسيع أزقة وفتح شارع الموسكى وقطع كوم الشيخ سلامة وشارع بولاق وشارع القلعة وغير ذلك من الشوارع اللازم فتحها . وتوسيعها لراحة العباد من ضيق الأزقة . وتزيين البلدة أيضاً فيلزم مباشرة شراء الأمكنة التى تدخل فيها من أربابها وإضافة أثمانها إلى جانب الميرى . اهـ .

والواقع أن طريق الموسكى كان ممهداً من قبل . فقد ذكر الجبرتى فى حوادث سنة ١٢١٥هـ (١٨٠٠م) أن الفرنسيين هدموا أغلب المبانى مابين قنطرة الموسكى والعتبة الخضراء . واستفتى محمد على العلماء فى عرض الشارع فأفتوه بأن يجعله يمر فيه جملان حاملان بدون مشقة . وقدروا هذا بثمانية أمتار .[١]

شارع السكة الجديدة وشارع الشنوانى :

ثم فى عهد إسماعيل امتد شارع الموسكى إلى تـرب الغريب بـاسم شارع السكة الجديدة . ثم امتد ذلك حتى المقطم باسم شارع الشنوانى .

وبشارع الشنوانى أمام الجامعة الأزهرية جامع الشيخ حسن العدوى أنشأه

---

(١) تقويم النيل ج٢ ص ٥٣٨ ، خطط المقريزى ج٢ ص١١٧ ، خطط على مبارك ج٣ ص ١٨٣ ، الجبرتى حوادث سنة ١٢١٥هـ .

سنة ١٢٨٨هـ (١٨٧١م) . وكان محل الجامع المذكور دار زينب بنت السلطان قلاوون . وبداخل الجامع المذكور ضريح باسم صاحبه أحمد الشنوانى .[1]

ولا أدرى هل نسب الشارع إلى الشيخ أحمد الشنوانى صاحب الضريح المذكور - وهذا أرجح - أو إلى الشيخ محمد الشنوانى شيخ الجامع الأزهر المتوفى سنة ١٢٣٣هـ[2] . وشنوان قرية . بمحافظة المنوفية بالقرب من شبين الكوم .

ثم أطلق اسم القائد جوهر على شارعى السكة الجديدة والشنوانى .

ترب الغُريِّب :

أما ترب الغريب فنسبة إلى مقابر كانت قديما حول جامع ذكره المقريزى باسم جامع البرقية . وقال أنه بالقرب من باب البرقية .

وعمر الجامع المذكور الأمير مغلطاى الفخرى - أخو الماس الحاجب صاحب الجامع بشارع الحلمية - وقد قتل الأخوان معا سنة ٧٣٤هـ فى عهد الناصر محمد بن قلاوون .

ثم عرف الجامع بالغريب لضريح به صاحبه بهذا الاسم . وكان من الأولياء المعتقدين عند العامة .

ثم جدد الجامع عبد الرحمن كتخدا فى أواخر القرن ١٢هـ (١٨م) فعرف باسم مسجد عبد الرحمن كتخدا - وموقعة بجوار كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية .

ولا يزال اسم الغريب يطلق على هذه الجهة .

منظرة الغزالة :

وكان بالقرب من قنطرة الموسكى منظرة الغزالة . وقد اندثرت أيضا . ويبدو

---

(١) قيل أن من ضمن المقابر بالجامع المذكور قبر القضاعى صاحب المختار فى الخطط والآثار وقبر والده . وأنكر على مبارك ذلك وذكر أنهما مدفونان بالقرافة . وقد مر ذكرهما فى الفقره ٦ من المقدمة .

(٢) الشيخ محمد الشنوانى كان من أفضل العلماء له مؤلفات فى التوحيد والحديث وغيرهما . روى عنه الجبرتى أنه كان يشمر ثيابه ويكنس مسجد الفكهانى (الجامع الأفخر) . ويسرج قناديله ولما طلبه محمد على لمشيخة الأزهر امتنع واختفى فى مصر القديمة حتى أرغم عليها . ولم يتخل وهو شيخ الأزهر عما كان يعمله بمسجد الفكهانى من كنس وإسراج قناديل حتى مات رحمه الله .

أنها أنشئت فى أواخر الدولة الفاطمية وأول من سكنها الأمير أبو القاسم محمد بن المستنصر بالله [1]

وبعده سكنها ابن أبى أسامة كاتب الدست [2]! ثم كانت سكنا لمتولى الخدمة فى الطراز أيام الخلفاء الفاطميين إذا قدم القاهرة . وكان المتولى خدمة الطراز من أعيان المستخدمين . وله اختصاص بالخليفة دون كافة المستخدمين . ومقامه بدمياط وتنيس . وعمله مباشرة مايصنع من الملابس المطرزة والموشاة للخليفة وأهله ومايخلعه الخليفة على رجال الدولة . ولو كان لصاحب الطراز عشر دور بالقاهرة لايمكن نزوله إلا بمنظرة الغزالة . وتجرى عليه الضيافة كالغرباء الواردين على الدولة .

دار الذهب :

وكان جنوبا من منظرة الغزالة دار الذهب . على الخليج أيضا . أنشأها الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى . وضم إليها دارا كانت تعرف باسم دار الفلك كان بناها فلك الملك أحد الأستاذين [3] بهذا الاسم بقصر الخليفة قبل ذلك .

وكان الأفضل ينتقل إلى دار الذهب إذا انتقل الخليفة إلى قصر اللؤلؤة . ليكون قريبا منه .

وقد أسهب المقريزى فى وصف ما كان يرتب من أطعمة كل يوم وليلة لإقامة الخليفة والوزير بمنظرتى اللؤلؤة والذهب . ومايصرف للحرس الخاص وحرس الوزير من أطعمة ووقود وشموع . كما أسهب فى وصف مراسيم الانتقال والإقامة فى دقة وتفصيل عن دار الذهب ومنظرة الغزالة (خطط المقريزى ح ١ ص ٤٧٠) .

ثم عرفت دار الذهب بدار بهادر الأعسر . وكان مهمندار [4] بدار الضيافة إلى

---

(١) الأمير أبو القاسم هذا لم يل الخلافة . وهو والد الخيفة الحافظ لدين الله .

(٢) الدست معرب بمعنى الثياب أو الورق (القاموس المحيط) ولعل المقصود هنا الدفاتر . وذكر القلقشندى فى صبح الأعشى ح٥ ص٤٤٧ أن كاتب الدست فى دولتى السلاطين المماليك كان يجلس مع كاتب السر بدار العدل . والأخير صاحب ديوان الأنشاء . ويوقع على القصص . وهم جماعة .

(٣) سبق ذكر معنى استادار فى الفصل الثالث من هذا القسم . ونضيف أن منه استدار الصحبه يتولى شؤون المطابخ والدور السلطانية ومايلزم لها من طعام وشراب وملابس وطلبات مختلفة .

(٤) مهمندار مركبة من (مهمن) بمعنى ضيف و(دار) بمعنى ممسك . وهو من يباشر شؤون ضيوف الدولة .

أن زالت دولة الظاهر برقوق سنة ٧٩١ هـ . فنفى إلى غزة . ثم عاد بعد ذلك وسكن هذه الدار . وتوفى بها فى السنة المذكورة . وكانت الدار باقية إلى زمن المقريزى .

وبجوار الدار المذكورة الجامع الفخرى المعروف بجامع البنات . وقد سبق ذكره فى الفصل السابق .

٣ - قنطرة باب الشعرية أو قنطرة الخروبى :

لم يذكر المقريزى تاريخ إنشائها . ولكن قال عنها يُسلك إليها من باب الفتوح ويُعبر منها إلى أرض الطبالة (منها حى الفجالة حاليا) . وتعرف اليوم (فى وقته) بقنطرة الخروبى .

وتحدد موقع قنطرة الخروبى على خريطة الفرنسيين للقاهرة أنها بجوار السور مباشرة عند جامع العدوى .

ونرجح أنها من إنشاء بهاء الدين قره قوش عند ماشرع فى حفر الخندق خارج السور من باب الفتوح إلى المقس سنة ٥٨٨هـ . وقال المقريزى عن هذا الخندق أنه قد طُمَّ وارتدم وأنه رأى بعض آثاره .

٤ - قنطرة باب الخرق - أو كما هو معروف الأن باب الخلق :

وموقعها كان بميدان باب الخلق الحالى عند تقاطع شارعى الخليج والقلعة (محمد على)أنشأها الصالح نجم الدين أيوب ليعبر عليها إلى الميدان الذى أنشأه باللوق وعمَّر به المناظر سنة ٦٣٩هـ .

أرض اللُّوق :

لما انحسر النيل غربا فى القرنين السادس والسابع الهجريين ظهرت أراضى نعرفها فى الوقت الحاضر بجهة القصر العينى وجاردن سيتى والمنيرة وميدان التحرير وباب اللوق وغيرها . وكان يعبر عنها بأرض اللوق .

وأرض اللُّوق هى ماتغمرها المياه ثم تنحسر عنها فتتركها لينة لاتحتاج للحرث . بل تلاَقُ لوقا . أى تبذر فيها البذور ويضغط عليها بألواح خشبية حتى تغطى البذور داخل الأرض . وغالبا لاتحتاج للرى حتى نضج المحصول . لما

تشبعت به التربة من رطوبة . ويقال لها الزراعة البعلى وهى تستعمل فى الزراعات الشتوية . لأن الأرضى لايغطيها الماء مدة كافية إلا فى زمن الفيضان ـ من أغسطس إلى أكتوبر ـ ولا تزال هذه الطريقة مستعملة فى أرض الحياض وجزائر النيل . وإن كانت تقل تدريجيا نتيجة للتحكم فى مياه الفيضان بانشاء السد العالى . وتحويل أراضى الحياض إلى رى دائم .

وقيل هو من اللّق . وهو المرتفع من الأرض . قال عبد الملك بن مروان للحجاج بن يوسف : لا تترك لقاً ولا خقاً إلا زرعته . والخق الغدير إذا جف . أوما انخفض من الأرض [1] .

وكان الناس قبل إنشاء هذه القنطرة يعبرون الخليج فى معدية ذكرها المقريزى باسم معدية فريج . ومن وصفه ربما كان موقع هذه المعدية جنوبى موقع القنطرة المذكورة بقليل عند جامع الحين .

شارع القلعة (محمد على سابقاً) :

ولو أنه بُدىء فى التفكير فيه فى عهد محمد على كما رأينا فى الأمر الصادر سنة ١٢٦٢ هـ (١٨٤٦م) والسابق ذكره فى قنطرة الموسكى . ولكن شرع فيه وتم فى عهد اسماعيل .

فقد ورد فى الأمر الصادر لمحافظة مصر فى ١١ رجب سنة ١٢٩١ هـ (١٨٧٤م) :

(إنه بمقتضى ما صدر به أمرنا للمحافظة فى ١٠ رجب سنة ٨٩هـ (يعنى ١٢٨٩هـ) بتنفيذ الشارع من جهة العتبة الخضرة لحد جامع السلطان حسن على واقع الرسم السابق اعماله بمعرفة ديوان الأشغال . ومشترى وصرف أثمان الأماكن المقتضية وكلما يصرف يتقيد بالعهد . وبالاتمام يتحرر جدول مستوفى ببيان الأماكن المذكورة وأثمانها . وعرضه لصدور الأمر بالخصم . قد جرا مالزم لذلك . كما أنه صار مشترى المحلات التى لزمت لميل الشارع المذكور . بجهة المناصرة وباب الخلق والداودية لمناسبة ارتفاع أرضيتهم عن ميزانية الشارع ثم ومشترى المحلات التى

(١) خطط المقريزى ج١ ص ١١٧ .

لزمت لقنطرة الخليج بباب الخلق . وللتنظيم بناء على اللائحة الداخلية .. ويلغ قيمة أثمان هذا وهذا ١٥٧٢٩ كيسة و ٤٤ قرشا و٣٤بارة . . . الخ[1] .

ويفتح الشارع المذكور أعيد إنشاء القنطرة إنشاءً كاملاً .

٥ - قنطرة السد :

ذكرنا أنه عندما تحول النيل غرباً فى القرنين السادس والسابع الهجريين مد الصالح نجم الدين أيوب الخليج إلى مجرى النيل الجديد فى سنة بضع و٦٤٠هـ . وأنشأ قنطرة على امتداد الخليج عرفت بقنطرة السد . لأنه كان يوضع أمامها فى اليوم السابق لحفلة جبر الخليج سد من تراب يُزال يوم الاحتفال ليجرى الماء فى الخليج دليلاً على وفاء النيل . ولايزال شارع السد البرانى من ميدان السيدة إلى ميدان فم الخليج يحمل الاسم للذكرى والتاريخ .

وبانشاء قنطرة السد أهملت قنطرة عبد العزيز بن مروان واندثرت . كمااندثرت قبلها منظرة السكرة التى كانت بالقرب منها .

وانتهى عهد الأيوبين . وتلاهم السلاطين المماليك . فأنشئت فى عهدهم تسع قناطر . الأولى منها كانت سادسة القناطر على الخليج :

٦ - قناطر السباع :

كان موقعها بميدان السيدة زينب الحالى أمام المسجد[2] أنشأها الظاهر بيبرس (٦٥٨ـ ٦٧٦ هـ) .

---

(١) تقويم النيل لأمين باشا سامى ج٣ ص١٠١٩ وص ١١٧٩ . والكيسة بخمسة جنيهات . والقرش عشرة مليمات . والبارة ربع مليم . فيكون المبلغ ٤٤٨½ مليم ٧٨٦٤٥ جنيها . ولاتزال بعض الأحياء المرتفعة المشار إليها فى الأمر المذكور مرتفعة للآن يُرقى إليها بسلالم فى الجزء من الشارع بقرب العتبة الخضراء .

(٢) مقام السيدة زينب لم يكن معروفاً فى ذلك الوقت . والأرجح أنه لم يعرف إلا حوالى القرن العاشر الهجرى .

حيث لم يرد ذكره فيا جدده الفاطميون فى مشاهد آل البيت ولم يذكره المقريزى (توفى ٨٤٥هـ) عند ذكر قناطر السباع أو ضمن مشاهد التبرك . وهو مقام أجل من أن يغفل أو ينسى . وقد عمره الوالى على مصر داود باشا الخصى (٩٤٥ ـ ٩٥٦هـ) .

ونصب عليها سباعاً من حجارة . وكان السبع رنكه أى شعاره . لذلك عرف الحى هناك من ذاك التاريخ بخط قناطر السباع .

فلما انشأ الناصر محمد بن قلاوون الميدان السلطانى ببستان الخشاب (جنوب شرقى القصر العينى) ادعى أنه يتضرر من العبور عليها لارتفاع القنطرة . وأمر باعادة بنائها . وأزال السباع غيرة منه من ذكر السلطان الظاهر بيبرس وكان هذا سنة ٧٣٥ هـ.

ثم أمر باعادة السباع ثانية لما أحسَّ بانتقاد الناس لهذا التصرف وقال المقريزى : وظلت السباع باقية حتى شوَّه صورها الشيخ محمد المعروف بصائم الدهر . كما شوَّه وجه أبى الهول . ظنا منه أن هذا الفعل من ضمن المقربات لله . وعلَّق المقريزى على هذا التصرف بقوله : ولله در القائل :

وإنما غاية كل من وصل ـ صيد بنى الدنيا بأنواع الحيل .

وجاء عصر الناصر محمد بن قلاوون الزاهر . وفى عهده اتسعت المدينة اتساعاً كبيراً بما جدَّ فيها من أحياء . نتيجة لتحول النيل غرباً . ولإنشائه الخليج الناصرى . وطال عهد الناصر محمد (حكم من ٦٩٣ ـ ٧٤١ هـ يتخللها خمس سنوات تقريباً كان فيها بعيداً عن الحكم) . وكانت البلاد فى عهده مستقرة . فقد زال خطر التتار . وجلا الصليبيون نهائياً عن جميع ما احتلوه فى سوريا ولبنان وفلسطين ـ حسب الاسماء التى نعرفها الآن ـ وتم هذا بعد صلاح الدين الأيوبى فى عهد الظاهر بيبرس . ثم المنصور قلاوون . ثم ابنه الأشرف خليل الذى فتح عكا واستولى على صور وصيدا وبيروت وانطرسوس سنة ٦٩٠هـ . وبذلك تطهر الساحل والشام منهم بعد أن لوَّثوه باحتلالهم منذ سنة ٤٩٠ هـ .

وكان نتيجة لهذا الاتساع وهذا الاستقرار أن زخرت المدينة بشتى نواحى العمران من مساجد ومدارس وقصور . وغيرها . وآثار الكثير منها باقية للآن .

وأنشىء فى عهد الناصر محمد على الخليج المصرى سبع قناطر . أى أكثر مما أنشىء عليه فى سبعة قرون . وهذا بخلاف ما أنشىء على الخليج الناصرى وخليج الذكر مما هو خارج عن موضوع هذا الفصل .

والقناطر التى أنشئت فى عهد الناصر محمد على الخليج المصرى هى مايأتى :

٧ - القنطرة الجديدة :

وأسماها على مبارك باسم قنطرة الظاهر . وأسماها الفرنسيون pont nouvelle وموقعها عند تقاطعى شارعى الخليج والظاهر . وانشأها الناصر محمد سنة ٧٢٥ هـ عندما انشأ الخليج الناصرى الذى كان يصب فى الخليج المصرى عندها .

واستعمال الفرنسيين الوصف المؤنث مع أن الموصوف مذكر يدل على التزام النص العربى الأصلى . واستعمال الترجمة الفرنسية للتمييز بينها وبين قنطرة الشعراوى التى سيأتى ذكرها وأسموها قنطرة el Guedideh الجديدة .

٨ - قنطرة الأوز ومناظر البعل والتاج والخمسة وجوه :

لعل موقع قنطرة الأوز كان شمال غمرة . وينسب المؤرخون إنشاءها إلى الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٨ هـ . ولكن الأرجح أنها كانت من عهد الفاطميين وأن الناصر محمد قد جددها .

فقد كان شمال القاهرة عدة بساتين اشتهر منها ثلاثة :

الأول بستان الخندق . وموقعه منطقة الدمرداش (١)والمحمدى وكلية طب جامعة عين شمس . وسمى بالخندق نسبة إلى الخندق الذى حفره القائد جوهر لصد القرامطة . ونقل إليه البابين الحديديين من البستان الكافورى وميدان الأخشيد كما ذكرنا فى الكلام على شارع بين السورين .

والثانى بستان ابن صيرم كان موقعه بحى الحسينية وبجزء من حى الظاهر . أنشأه زمن الفاطميين زمام القصر مختار الصقلى . ثم استولى عليه جمال الدين بن شويح بن صيرم فى عهد الكامل الأيوبى . فنسب إليه . ثم حُكِّر دورا ومبانى(٢) . ولايزال للآن بالجانب

---

(١) الدمرداش والمحمدى نسبة إلى الشيخ محمد الدمرداش . ذكره الشعرانى فى طبقاته ج٢ ص١٦٣ . قال الشيخ دمرداش المحمدى كان صالحايقيم مع زوجته بزاويته خارج مصر والحسينية . يعيشان فى زراعة غيط بجوار الزاوية ويتصدقان بمحصولها على الفقراء والمنقطين للعباده بالزاوية . توفى بعد سنة ٩٣٠هـ . وذكره على مبارك ج٤ ص١١٢ تحت اسم جامع الدمرداش . وإليه ينسب عبد الرحيم باشا الدمرداش منشىء المستشفى الذى أصبح أخيراً المستشفى الجامعى لكلية طب عين شمس .

(٢) خطط المقريزى ج١ ص٤٨٠ .

الغربي من شارع الجيش (فاروق سابقاً) مقابل مدرسة خليل أغا تقريباً شارع اسمه شارع بستان ابن صيرم .

كما أن البستان كان على حافة بركة جناق . ثم عرفت أخيراً ببركة عجور . وردمت أخيراً هذه البركة عند إعادة تخطيط المدينة فى عهد أسرة محمد على . ولايزال للآن بحى الحسينية شرقى شارع درب عجور وحارة درب عجور .

وثالث تلك البساتين وأكبرها كان بستان الجيوشى . انشأه الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى . وكان هذا البستان يمتد شمالاً شرقى الخليج المصرى حتى الوايلى وغربى الخليج حتى الزاوية الحمراء ومنية السيرج (الجزء الشمالى الشرقى من حى شبرا الآن)

وأنشأ الأفضل عند الزاوية الحمراء غربى الخليج منظرة أنيقة عرفت بمنظرة البعل . وكان الجزء من البستان هناك يعرف ببستان البعل . وظل هذا الاسم باقيا إلى زمن المقريزى .

وهذا ما يدعونا إلى ترجيح أن قنطرة الأوز أنشئت فى عهد الفاطميين للعبور عليها إلى بستان البعل وغيره من المناظر الآتى ذكرها .

وكان للفاطميين أيضا شمال منظرة البعل منظرتان أخريان عرفتا بمنظرة التاج ومنظرة الخمسة وجوه .

وقال المقريزى (١) أن منظرة البعل كانت من أجل متنزهاتهم (يعنى الفاطميين) . وكان الخلفاء يخرجون للنزهة يومى السبت والثلاثاء من كل أسبوع إلى مناظر البعل والتاج والخمسة وجوه . وغيرها من المناظر . وكانت لهم بها أوقات عميمة المبرّات والخيرات . وكان لكل منظرة فرش معلوم مستقر بها من الأيام الأفضلية يعنى الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى .

وتغدق الهبات والصدقات من الخليفة فى ذهابه وإيابه . وكان متولى خزائن الخاص معه خريطة بها ألف دينار للأنفاق منها لمن يؤمر بالأنعام عليهم فى حال الركوب . فضلا عما ينعم به للحواشى والأستاذين وأصحاب الدواوين والشعراء والمقرئين والمؤذنين والمنجمين . وغيرهم . وكان يذبح من الخراف الشواء خمسون

---

(١) خطط المقريزى ج ١ ص ٤٨٠ وج ٢ ص ١٤٨

رأسا . ومن البقر رأسان . . . الـخ ما وصفه المقريزى من عز ونعيم وبرّ مشكور .

واندثرت المناظر . وآخر ما عرف عنها عمارةالسلطان المؤيد لمنظرة الخمسة وجوه سنة٨٢٣هـ . وذكر ابن إياس فى حوادث سنة ٨٩٦ عمارة ابن أبى الجيعان بالزاوية الحمراء عند قناطر الأوز . والعمارة لم تكن فى إحدى المناظر . ولكن فى ملك خاص لابن أبى الجيعان . وفى هذا ما يدل على أنه بالرغم من إندثار المناظر فقد ظل المكان مقصدا للنزهة والترويح .

واسم الخمسة وجوه يرجع إلى أنه كان ببستانها ساقية تدير الماء من خمسة وجوه . أى لها خمسة مخارج للماء . وقال على مبارك أنها باقية فى ملك ابراهيم بك أدهم (١) ضمن أملاكه .

وعزبة ابراهيم باشا أدهم كانت شمال غربى الزاوية الحمراء بكيلو متر تقريبا . وجنوب غربى الوايلى بكيلو متر تقريبا أيضا . أى فى منتصف المسافة تقريبا بين القريتين .

ولكن البلدية أسمت شارعين متفرعين من شارع الترعة البولاقية باسم شارع المنظرة وشارع الوجوه . ففضلا عن عدم وضوح التسمية فالشارعان يبعدان جنوبى غربى عزبة ابراهيم أدهم بأكثر من كيلو مترين .

٩ - قناطر بنى وائل أو الوايلى :

وتنسب أيضا فى إنشائها إلى الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٥هـ . ولكن الأرجح أنها من عهد الفاطميين . لما سبق ذكره . وكان يعبرمنها أو من قناطر الأوز إلى منظرتى التاج والخمسة وجوه .

وكان يسكن بهذه الجهة قبيلة من العرب تعرف ببنى وائل (٢) . ومن هنا استمر اسم الوايلى لهذه الجهة .

---

(١) ترجمه على مبارك ج ١١ ص ٩٠ فقال ابراهيم بك أدهم تنقل فى الوظائف محافظا للاسكندرية سنة ١٢٨٦هـ . ثم ووكيلا لدائرةالأمير حسين (السلطان حسين كامل فيما بعد) سنة ١٢٨٩هـ . ثم مديرا للدقهلية سنة ١٢٩٢ . ثم محافظا للسويس سنة ١٢٩٣ . ثم وكيلا لدائرة توحيدة هانم كريمة الخديوى اسماعيل حيث يعمل الآن (الخطط التوفيقية طبعت فى سنة ١٣٠٤ - سنة ١٣٠٦هـ) .

(٢) (خطط المقريزى ج ١ ص ٤٧٠

١٠ - قنطرة الأميرية :

من إنشاء الناصر محمد بن قلاوون أيضا سنة ٧٢٥هـ .

وبعد قنطرة الأميرية لم يذكر المقريزى قناطر على الخليج غير قنطرة سرياقوس جنوب الخانكة .

١١ - قنطرة الأمير حسين :

وهو حسين بن أبى بكر بن اسماعيل بن حيدر بك الرومى . كان من امراء دولة الناصر محمد بن قلاوون . بنى جامعا بالجانب الغربى من الخليج وهو باقى للآن باسم جامع الأمير حسين . بجهة المناصرة . وأنشأ هذه القنطرة ليصل بها إلى جامعه المذكور .

كما استأذن حسين من الناصر أن يعمل فتحة فى سور القاهرة مقابل القنطرة لتسهيل الوصول إلى الجامع . فأذن له . وعُرفت الفتحة باسم خوخة الأمير حسين . وكان موقعها شمال محكمة مصر الحالية جنوبى جامع البنات السابق ذكره . ثم غضب عليه الناصر لأنه بدلا من أن يفتح فتحة صغيرة فى السور تفى بالمطلوب جعلها بابا كبيرا . فنفاه إلى دمشق . وتوفى الأمير حسين سنة ٧٢٩هـ .

وكان بالقرب من جامع البنات دار والدة الأمير حسين بك بن محمد على الكبير . وعمَّرت السيدة المذكورة جامع البنات . وأنشأت سبيلا مقابله . ونذكر هذا لعدم اللبس بين الإسمين لتقارب الموضعين .

١٢ - قنطرة آق سنقر :

واختصرتها العامة إلى قنطرة سنقر . كانت على الخليج على امتداد السكة التى كانت تفصل بين حى الحبانية وبركة الفيل على رأس الشارع المعروف الآن بشارع اسماعيل باشا أبو جبل بالقرب من مدخل الحلمية الجديدة .

وقد أنشأ هذه القنطرة الأمير آق سنقر شاد العمائر السلطانية . أى المباشر لعمارات السلطان . فى أيام الناصر محمد بن قلاوون . وأثرى ثراءً كبيرا . ثم عُزل وصودر وأُخرج إلى حلب . ثم نقل لدمشق حيث توفى بها سنة ٧٤٠ هـ .

وأنشأ آق سنقر دارا جليلة وحمامين بخط بركة الناصرية . وأيضا جامعا بسويقة السباعين لا يزال موجود للآن باسمه بالقرب من شارع محمد فريد بحى الناصرية . ويعُرف أيضا بالجامع الأخضر . وذكر على مبارك (ج ٥ ص ٢٠) أن منبر هذا الجامع كان أصلا بالأزهر . ونقل إليه . كما نقل منبره الأصلى إلى الأزهر .

وسنقر اسم طير كان يستعمله الملوك فى الصيد. ويتهادون به . ويقطن بلاد القوقاز والتركستان . وآق يعنى الأبيض . كما أن قرا معناها الأسود . فآق سنقر يعنى سنقر الأبيض . وقرا سنقر يعنى سنقر الأسود . وقرا ميدان يعنى الميدان الأسود . وهكذا [١] .

وآق سنقر شاد العمائر هذا صاحب القنطرة المذكورة غير آق سنقر السلارى الناصرى صاحب الجامع بين التبانة وباب الوزير المعروف بجامع إبراهيم أغا . فآق سنقر السلارى كان أصلا من مماليك المنصور قلاوون . ثم آل إلى سلار أثناء نيابته للسلطان كتبغا . ثم آل إلى الناصر محمد بن قلاوون . فنسب إليه . ورقّاه وزوجه ابنته . وعينه نائبا بصفد . ثم نائبا بغزة . وبعد وفاة الناصر محمد عُين نائبا لابنه الناصر أحمد . واستمر فى نيابته فى عهد أخيه الصالح اسماعيل . وعظُم شأنه . وسار فى النيابة سيرة مشكورة . ثم تغير عليه السلطان فقبض عليه سنة ٧٤٤هـ . فكان آخر العهد به [٢] .

وهما أيضا غير آق سنقر الفارقانى صاحب المسجد بشارع درب سعادة . فالفارقانى هذا كان فى عهد الظاهر بيبرس . ناب عنه بالسلطنة بمصر أثناء غياب الظاهربدمشق عدة مرات . كما كان نائبا للسلطان فى عهد السعيد بركة خان بن الظاهر بيبرس . وكان وسيما شجاعا مقداما حازما صاحب دراية بالأمور . ثم ثار عليه المماليك وقبضوا عليه وهو بباب القلعة . وسُجن وضُرب ونُتفت لحيته . وأهين أشد إهانة . وسجن بالبرج بالقلعة . ثم أخرج بعد ليال قليلة ميتا سنة ٦٧٦هـ . وجُهل قبره [٣] .

---

(١) الخطط التوفيقية ج ١٠ ص ٧٨ . مع ملاحظة ما سبق ذكره فى هامش الفقرة الأخيرة من المقدمة نقلا عن أحمد باشا تيمور أن قره معناها البر . وما ذكرناه فى الفصل الرابع من هذا القسم أن قره قوش كان خصيا أبيض .

(٢) خطط المقريزى ج ٢ ص ٣١٠ . (٣) خطط المقريزى ج ٢ ص ٣٦٩ .

١٣ - قنطرة قطزدمر أو درب الجماميز :

كانت على الخليج بالقرب من امتداد شارع مجلس الشعب الجديد . أنشأها الأمير طقزدمر ليتوصل منها إلى بستانه فى البر الغربى للخليج . وتوفى طقزدمر سنة ٧٦٤هـ كما سبق ذكره فى الفصل السابق .

وكما غلب اسم درب الجماميز على اسم قطزدمر . لوجود أشجار الجميز التى كانت معروفة بجماميز السعدية كما ذكرنا . فقد غلب أيضاً على الأسماء الأخرى للشارع من باب الخلق إلى السيدة زينب . وقد ذكرنا أنها كانت على التوالى شارع الحين ثم ضلع السمكة ثم بشتاك ثم اللبودية . ثم أصبحت جميعها (غير جزء صغير من شارع اللبودية بالقرب من السيدة زينب) جزءاً من شارع بور سعيد .

١٤ - قنطرة عمر شاه :

ذكرها المقريزى ولم يترجمها . وموقعها حسب خريطة نابليون أمام حارة عمر شاه بالجانب الغربى من الخليج بالقرب من النهاية الشمالية لميدان السيدة زينب .

وكذلك ذكر على مبارك أنه بداخل الحارة زاوية صغيرة تعرف بزاوية عمر شاه . ولم يترجم صاحبها .

والزاوية موجودة للآن ويعرفها العامة باسم زاوية الأربعين .

وذكر ابن إياس فى حوادث سنة ٧٥٢هـ أن عمر شاه صاحب القنطرة المعروفة باسمه كان من امراء الصالح صلاح الدين بن الناصر محمد بن قلاوون . وذكر فى حوادث سنة ٧٦٤ أنه استمر نائبا لحماه فى عهد الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر . ولم يذكر تاريخ وفاته [١] .

هذه هى الأربع عشرة قنطرة التى ذكرها المقريزى على الخليج المصرى . والمقريزى توفى سنة ٨٤٥هـ (١٤٤١م) . ثم جدت ثلاث قناطر أخرى بعده حتى دخول الفرنسيين سنة ١٢١٣ (١٧٩٨م) .

---

(١) خطط المقريزى ج ١ ص ٣٩٩ ، على مبارك ج٢ ص ٥٨ ، بدائع الزهور حوادث سنة ٧٥٢ ، سنة ٧٦٤

١٥ - قنطرة الشعراوى :

أمام شارع الخرنفش . وقال على باشا مبارك أنها من انشاء أسرة محمد على . ولكن الفرنسين وقعوها على الخريطة المعروفة بخريطة نابليون باسم الجديدة el Guedideh. وهى غير قنطرة الظاهر التى أسموها !! Pont Nouvelle كما سبق ذكره .

١٦ - قنطرة الحفنى :

وكانت على الخليج جنوبى تقاطعه مع شارع الأزهر بقليل . وقد أنشأ عبد الرحمن كتخدا - الشهير بما أجراه فى القاهرة من عمارات ومساجد - هذه القنطرة للشيخ الحفنى ـ وهو الثامن ممن تولوا مشخية الأزهر على الترتيب الذى ذكره الجبرتى[1] ليصل منها إلى الدار والمسجد الذى أنشاهما له وقد عرفت القنطرة باسم قنطرة الحفنى وقد أزيل الجامع المذكور فى توسيع شارع الخليج .

الشيخ الحفنى أو الحفناوى :

هو شمس الدين محمد بن سالم الحفناوى أو الحفنى نسبة إلى حفنا من مركز بلبيس بمحافظة الشرقية حيث ولد سنة ١١٠٠هـ . ونزح إلى مصر صغيراً . واشتغل بالدراسة على مشايخ عصره . واستفاد منهم . وأجازوه بالتدريس . ولفقره اشتغل أولاً بنسخ الكتب . وهو متألم لما فى هذا من تعطيل لدراسته . فمنحه بعضهم منحة هيأت له التفرغ . وفاق زملاءه . حتى وصل إلى مشيخة الأزهر سنة ١١٧١هـ (١٧٥٧م) .

وكان حجة يرجع إلى رأيه . وتفرغ للتدريس فلم تكن له مؤلفات كثيرة . وكان كريم الطبع . جميل السجايا مهيب الشكل . عظيم اللحية . أبيضها . وكان كريم العين - أى أعور - على إحدى عينيه نقطة ولا يلحظها إلا القليل لأن هيبته تمنع

---

(١) غير معروف على وجه التحقيق متى بدأت مشيخة الأزهر . بالمعنى المعروف الآن . فقد كان السلاطين المماليك والمماليك البكوات يعينون من يباشر شؤون الأزهر . وأول ما عرف من منصب شيخ الأزهر على وجه التحقيق ماذكره الجبرتى فى تاريخه أن أول من عين شيخاً للأزهر هو الشيخ محمد الخرشى المالكى المذهب المتوفى سنة ١١٠١هـ (١٦٨٩م) . ولعل هذا لأن الجبرتى لم يبدأ تاريخه إلا من أول القرن الثانى عشر الهجرى . أى من التاريخ المذكور . وبلغ عدد شيوخ الأزهر من الشيخ محمد الخرشى لغاية الأمام الأكبر السابق المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود ٤٠ أربعين شيخاً وبعضهم تولى المشيخة أكثر من مرة وهناك أدلة تاريخية على أن مشيخة الأزهر سابقة لهذه السلسلة التى بدأها الجبرتى (الأزهر جامعا وجامعة ـ بحث للمؤلف)

من التحديق بوجهه . وكان كثير الصدقات . راتبه من الخبز يوميا أردب . ولا ينقطع عن بيته الواردون . ويجتمع على مائدته دواما الأربعون والخمسون والستون . ويرسل المصروف نبيوت أتباعه . وشاع ذكره . ونما خبره . وهادته الملوك والأمراء .

وكان صوفيا خلوتيا تلقن الطريق عن السيد مصطفى بن كمال الدين البكرى الصديقى . ولقن الحفنى الكثيرين من المشايخ المشهورين مثل الشيخ محمد المنير والشيخ محمد السنهورى والشيخ محمد الزعيرى والشيخ محمد السقا . والشيخ محمد الفشنى والشيخ محمود الكردى والشيخ أحمد العدوى الشهير بالدردير . والشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الأزهر ورئيس الديوان الذى أنشأه الفرنسيون . وغيرهم كثيرون . ومن يلقنه الشيخ من المريدين يجعله خليفة ويجيزه فى أخذ العهود والتسليك .

وأسلم على يده كثيرون . منهم الشيخ محمد المهدى سكرتير الديوان الذى أنشأه نابليون . وهو جد الشيخ محمد العباسى المهدى الشيخ الحادى والعشرين من شيوخ الأزهر . والذى كان على يده أول إصلاح للأزهر فى العصر الحديث فى عهد اسماعيل سنة ١٨٧٢م بتنظيم امتحانات له .

وكان مطاع الرأى . لايبرم أمر من الأمور إذا عارضه . وكان فى وقته التنافس بين على بك الكبير قبل أن يستقل بشؤون مصر وبين خليل بك بلفيا وعصبته من أمراء المماليك . وانحاز على بك الكبير ومعه صالح بك إلى الصعيد متحالفين على يد شيخ العرب همام[1] وكان خليل بك ومن معه قد عزلوا الوالى العثمانى وأقاموا خليل

---

(١) كان همام زعيم هوارة . وله رئاسة العرب فى الصعيد ومقره فرشوط غربى نجع حمادى بحوالى ثمانية كيلو مترات . وكان من عظماء عصره تفد لدوره الوفود وتنزل بساحته قوافل الأسفار . وداره مفتوحة للضيوف يتلقاهم الخدم وينزلونهم فى الأماكن المعدة لذلك . وتقدم لهم موائد الطعام فى الثلاث وجبات . حتى ولو طالت إقامتهم الشهور . وكان ينعم بالعبيد والجوارى والسكر والغلال والتمر والعسل والسمن . وكان الخدم يهيئون الفطور من الفجر إلى الضحى . ثم يهيئون موائد طعام الغداء من الظهر حتى العصر . ثم موائد العشاء من العصر حتى بعد صلاة العشاء . وكانت مواشيه المعدة للحرث فى أرض القصب فقط اثنى عشر ألف ثور . بخلاف مواشى حرث أرض الغلال ومواشى الدراس والسواقى والطواحين . والجواميس والأبقار الحلابة . وكان له الكتبة والمحاسبون والدواوين .

وبعد أن استقر الأمر لعلى بك . انقلب على بك على صالح بك فقتله . ثم أرسل حملة بقيادة محمد بك أبى الذهب إلى همام تمكنت من القضاء على أنصاره بفرشوط . وهرب همام إلى إسنا . ثم توفى مقهوراً بقرية اسمها قمولا (على البر الغربى من النيل شمال الأقصر بحوالى ١٥ كيلو متر تقريباً) سنة ١١٨٣هـ (١٧٦٩ م) . وبعد همام أخذ أمر هوارة فى الاضمحلال .

بك قائمقام مكانه حتى يعين غيره من استانبول . وأراد الأمراء بمصر تجهيز حملة عسكرية - أو تجريدة كما كانوا يسمونها ضد على بك . فعارضهم الشيخ الحفنى بأن استمرار هذا الوضع خراب للبلاد . ولا بد من الصلح والتفاهم الودى . فرضخوا لرأيه مكرهين .

وتوفى الشيخ الحفنى بعد هذا المجلس بأيام قليلة . والأرجح أنه مات مسموماً بمعرفتهم سنة ١١٨١هـ (١٧٦٧م) . ويرى الجبرتى أن هزيمتهم بعد ذلك أمام على بك الكبير كانت بسبب هذه الفعلة النكراء .

وكان مليح التخريج . فقد ذكر الجبرتى أنه فسّر الديباجة الشائعة فى (حواديت) العجائز من النساء: أحدتك حدوتة . بالزيت ملتوتة . حلفت ما أكلها . حتى يجى صاحبها . .الخ فسّرها كما يأتى . قال:

(أحدتك حدوتة بالزيت ملتوتة) يعنى السر الآهى والسلاف الأحمدى الأوّاهى الممزوج براح القرب والتقريب المدار من الحبيب

(حلفت ما أكلها) «أتناولها فإن القصد لا يتم بلا وسيلة . والسالك قبل كل شىء يحصل دليله

(حتى يجى صاحبها) «أى المرشد الكامل والمربى الواصل

(وصاحبها فوق السطوح)«يتلقى معاريج الروح . لا يذهب ولا يروح . بل إليه يراح . وبه تنتعش الأرواح

(والسطوح عاوز سلم) «يتوصل به إليه . إذ لا يمكن الصعود بلا معراج

(والسلم عند النجار) «أي له صاحب مخصوص وهو الأستاذ الكامل المسلك الواصل

(والنجار عاوز مسمار) «يثبت به سلم القرب والوصول

(والمسمار عند الحداد) «صانعه المخصوص

(والحداد عاوز بيضة) «يعنى لا يكون شىء بلا شىء . ومن عمل عملاً استحق عليه الأجر

(والبيضة فى بطن الفرخة)«مخبوءة فى صدفها ومنفردة فى صنفها فمن أرادها فلينصب للحصول عليها

(والفرخة عاوزة قمحة) «كى تتنفس بها فتلفظ ما فى جوفها

(والقمحة فى الأجران) «مكانها الطبيعى

(والأجران عاوزة الدراس)«الجد والاجتهاد

وهذه درجات فى التصوف لابد أن يسلكها السالك حتى يصل.

وكان رحمه الله حسن الفكاهة . فقد ألف عنه الشيخ حسن شمة مقامة سماها: (فيض المغنى بمدح الحفنى) ذكر فيها أنه (أى الشيخ حسن ألف مواليًا[1]):

قالوا تحب المدمس	قلت بالزيت الحار
والعيش الأبيض تحبه	قلت والكشكار
قالوا تحب المطبق	قلت بالقنطار
قالوا إيش تقول فى الخضارى	قلت عقلى طار

وعرضها على الشيخ الحفنى فضحك وقال: إنما أحبه بالسمن لا بالزيت . وقال بداهة:

قالوا تحب المدمس	قلت بالمسلى
والبيض المشوى تحبه	قلت والمقلى

الصوفية والتصوف

ومادمنا قد استطردنا إلى هذا الحد فلا بأس أن نذكر كلمة موجزة عن الصوفية والتصوف .

فالتصوف طريق إسلامى اتبعه كثير من علماء الإسلام الأفاضل . يقوم على الاجتهاد فى التعبد . والتقشف فى الحياة . والبعد عن الشهوات . والتعمق فى فهم الأصول الدينية . والتفانى فى محبة الذات الألهية وطاعتها.

واختلفوا فى أصل التسمية . فأرجعوها إلى اقتصار المتصوفين على لبس الصوف مع خشونته دليلاً على التقشف . وقالوا أنها من الصفاء لما فى طريقها من صفاء النفس والبعد عن الشهوات . وقالوا أنها من الصُفَّة . وهم قوم كانوا يقيمون

---

(١) المواليا نوع من الزجل وهو ثلاثة أقسام :

أ - القرقيا وهو ما اشتمل على هزل.

ب - البليق وهو ما اشتمل على غزل.

جـ - ما اشتمل على المواعظ (الجبرق).

بمسجد الرسول (ﷺ) بالمدينة متفرغين للعبادة . حيث لا عمل ولا دار لهم . يخرجون للجهاد متى كان . ثم يعودون للعبادة بالمسجد . وكان الرسول (ﷺ) يصلهم ويقوم بما يلزمهم من طعام وكساء . وقالوا أنها ترجع إلى كلمة صوفيا اليونانية بمعنى الحكمة . وقالوا غير هذا من التعليلات والاشتقاقات.

واتبع التصوف كثيرون من أئمة الإسلام المشهود بفضلهم وورعهم . وفى أقوالهم المأثورة عنهم حكم بليغة وفهم عميق وسمو روحانى . وحض على مكارم الأخلاق بكافة الصور . وإيمان مطلق بقدرة الخالق . ورضاء كامل بكل ما يفعل . وعبادتهم محبة للذات الآلهية وتقرب إليه تعالى لا طمعاً فى ثوابه أو خشية عقابه.

وبين الصوفية والفقهاء تنافس أو خلاف . فبعض أعلام الصوفية لم يتلقوا العلوم الشرعية بترتيبها وأوضاعها وعن شيوخ معينين كما تلقاها الفقهاء . ولكنهم يقولون أن العلم نوعان: علم منقول وهوعلم الفقهاء . وعلم لَدُنِّى أى من عند الله سبحانه وتعالى يوحى به إلى قلوب وعقول من يشاء من الواصلين إليه . فينطق به اللسان . وهوعلم الصوفية . وأن علم الصوفية هو علم الحقيقة . وأما علم الفقهاء فهو علم الشريعة . وأن كل صوفى فقيه . ولا عكس.

ولم يعرف عن أئمة الصوفية أنهم حرموا حلالاً . أو حللوا حراماً . أو أنهم خرجوا عن الكتاب أو السنة . ولكن مجاهدتهم فى الزهد والعبادة قد جعلت من صفاء نفوسهم قوى روحانية يستشفون بها بعض الحقائق التى قد يدق إدراكها على الفقهاء.

ونُسبت إليهم ولاية وكرامات . كما اندسَّ فى طرقهم أدعياء مَوَّهوا على البسطاء بالأقوال والأفعال ما رفعوهم بما موَّهوه فوق مراتب النبوة . وجعلت العقلاء ينظرون إلى التصوف نظرة من الشك هو بعيد عنها كل البعد . كما أن طبيعة المبالغة فى الناس زادت فيما نُسب للصالحين منهم من كرامات حتى خرجت عن حد المعقول .

وكان الوضع الاجتماعى للشعوب الإسلامية وهى تحت سيطرة الحاكمين المستبدين المعتمدين على القوة العسكرية يساعد على التماس سيادة أخرى أكثر رحمة وأقرب إنسانية هى السيادة الروحية .

ويطلق الصوفية على أنفسهم اسم الفقراء . ولطرقهم اصطلاحات وتعبيرات

مثل النفحة والقبضة والخرقة وغير ذلك مما تحفل بها كتبهم .

والأصل فى الطرق الصوفية أن الشيخ له مريدون . ويتدرج المريدون فى مراتبهم بتلقينهم الأسماء السبعة . اسماً بعد اسم . كلما رأى الشيخ فى المريد طاعة فى الله وإخلاصا فى العبادة . وتفانياً فيها . وتلاوة أوراد بتسبيحات معينة فى أوقات معينة كل يوم عدداً معيناً من المرات . ومداومة على حلقات الذكر . لقنه الاسم التالى . والأسماء السبعة هى :

الإسم الأول : لا إلّه إلا الله . وتسمى فيه النفس أمَّارة
الاسم الثانى : الله . وتسمى فيه النفس لوَّامة
الاسم الثالث : هو . وتسمى فيه النفس ملهمة
الاسم الرابع : حق . وتسمى فيه النفس مطمئنة وهى أولى درجات الولاية
الاسم الخامس : حى . وتسمى فيه النفس راضية
الاسم السادس : قيُّوم . وتسمى فيه النفس مرضية
الاسم السابع : قهار . وتسمى فيه النفس كاملة

وأخذ المريد للعهد من شيخه له صور وصيغ تختلف باختلاف الطرق . تتلخص فى أن يتطهر المريد ويمسك الشيخ بيده اليمنى يدَ المريد اليمنى . ويعاهده على طاعة الله وعبادته .

وقيل أن الأصل فى الطرق أن عليا بن أبى طالب سأل الرسول(ﷺ) أن يدلَّه . على أقرب الطرق لله تعالى . فقال له : ياعلى عليك بمداومة الذكر فى الخلوات فقال على : هذه فضيلة الذكر وكل الناس ذاكرون . فقال الرسول (ﷺ) : لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله . فقال على : كيف أذكر يارسول الله ؟ قال : أغمض عينيك واسمع منى ثلاث مرات ثم قل أنت ثلاث مرات وأنا أسمع منك . فقال الرسول (ﷺ) مغمضاً عينيه رافعاً صوته ثلاث مرات : لا إله إلا الله . وعلى يسمع . ثم قال على مغمضاً عينيه رافعاً صوته ثلاث مرات : لا آله إلا الله . والرسول (ﷺ) يسمع .

ثم لقَّن على بن أبى طالب أبا سعيد الحسن البصرى (توفى سنة ١١٠ هـ) . الذى لقَّن حبيباً بن محمد العجمى المعروف بالفارسى (توفى سنة ١١٩ هـ) . الذى لقَّن أبا سليمان داود بن نصير الطائى (توفى سنة ١٦٢ هـ) الذى لقَّن أبا محفوظ

معروفا بن فيروز الكرخى (توفى سنة ٢٠٠ هـ) . الذى لقن أبا الحسن السِّرى بن المغلِّس السَّقطى (توفى سنة ٢٥٣ هـ) . الذى لقن ابن اخته أبا القاسم الجنيد بن محمد الزجاج (توفى سنة ٢٩٧ هـ)(١) .

وعن الجنيد تفرقت سائر الطرق .

وقالوا إن لكل بلاد رجالا . وأن لكل رجال قطباً يحكم عليهم بمشيئة الله . وقالوا فى مراتب الوصول: النقباء ثلثمائة . والنجباء سبعون . والأبدال أربعون . والأخيار سبعة . والعمد أو الأقطاب أربعة . والغوث واحد .

وقالوا إن سكن النقباء بلاد المغرب . وسكن النجباء مصر . وسكن الأبدال الشام . والأخيار سواحون فى الأرض . والعمد أو الأقطاب الأربعة فى زوايا الأرض . والغوث بمكة(٢) .

وإذا عجز من فى مرتبة عن نفاذ أمر لجأ إلى من فى المرتبة الأعلى . فهى دولة لها حكامها ووزراؤ ها وقضاتها وأحكامها . وتعدُّد دَرَجات قضائها .

والشائع بين عامة الصوفية فى مصر أن العمد أو الأقطاب الأربعة هم : السيد أحمد الرفاعى (٥٠٠ - ٥٧٠ هـ) توفى ودفن بأم عبيد بالعراق ، السيد عبد القادر الجيلى (٤٧٠ - ٥٦١) مدفون ببغداد . السيد أحمد البدوى (٥٩٦ - ٦٧٥ هـ) مدفون بطنطا ، السيد ابراهيم الدسوقى (٦٣٣ - ٦٧٦ هـ) مدفون بدسوق .

وقد ذكر على مبارك الطرق الصوفية التى كانت موجودة فى أواخر القرن الماضى وتابعةلمشيخة البكرية كالآتى (٣) :

١ - الأحمدية نسبة إلى السيد أحمد البدوى . ولها ١٦ فرعاً وعَلَمها وزيها أحمر

---

(١) الجبرتى ج ١ ص ٢٩٧ ، طبقات الشعرانى ج ١ ص ٣١ و٨٣ و ٧٩ و ٨٢ و ٩٣ ، النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٦٨ و ٢٨٣ ، ج ٢ ص ٤٣ و١٦٧ و ٣٣٩ .

(٢) نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار ص ٢٧٥ وما بعدها .

(٣) خطط على مبارك ج ٣ ص ١٢٩ .

٢ - الرفاعية نسبة إلى السيد أحمد الرفاعى . ولها ٣ بيوت وعلمها وزيها أسمر.(١)

٣ - القادرية نسبة إلى السيد عبدالقادر الجيلى وعلمها أخضر.

٤ - البراهمة نسبة إلى السيد إبراهيم الدسوقى ولها فرعان وزيها أخضر.

٥ - الشاذلية نسبة إلى السيد أبى الحسن الشاذلى ولها ١٣ فرعاً . وأعلامها مختلفة.

٦ - الخلوتية نسبة إلى السيد مصطفى البكرى ولها أربعة فروع ولا علم لها وزيها لبس الطاووق.

٧ - الميرغنية نسبة إلى السيد محمد عثمان الميرغنى والعلم والزى أبيض.

٨ - السعدية نسبة إلى السيد سعد الله بن جباوى بن موسى المتوفى سنة ٧٠٠ هـ والعلم والزى أخضر.

٩ - النقشبندية نسبة إلى السيد بهاء الدين محمد شاه نقشبند المتوفى سنة ٧٩١ هـ.

وهناك طرق أخرى كثيرة . مثل المولويةنسبة إلى مولانا جلال الدين الرومى المتوفى فى قونية سنة ٦٧٢هـ ، الكلشتية نسبة للشيخ إبراهيم الكلشنى المتوفى سنة ٩٤٠هـ ، البكتاشية نسبة إلى سيد محمد الحاج بكتاشى المتوفى سنة ٧٣٨هـ . ، الملامية نسبة إلى سيد محمد نور العربى المتوفى سنة ١٣٥هـ ، السهروردية نسبة إلى شهاب الدين سهروردى المتوفى ببغداد سنة ٦٣٢هـ . السنوسية نسبة إلى سيد محمد على السنوسى المتوفى سنة ١٢٧٦هـ

وعيرها كثير فى مصر وسائر الدول الأسلامية .

عود إلى ذكر القناطر على الخليج

فثالثة القناطر التى أنشئت على الخليج منذ زمن المقريزى لغاية دخول الفرنسين هى :

١٧ - قنطرة الذى كفر :

ومَوقعها كان أمام الشارع المعروف الآن بشارع مصطفى باشا عبدالرازق

---

(١) الفرق بين الفروع والبيوت أن لكل فرع شيخاً . ولكن يجوز أن يكون شيخ واحد لعدة بيوت .

وكان يعرف قبل ذلك بشارع رحبة عابدين . فى المسافة بين مدخل الحلمية وميدان باب الخلق .

وقد ذكرها على مبارك قال : قنطرة الذى كفر يُسلك من عليها إلى شارع الخلوتى وغيره . وقال وهذه القنطرة لم نقف لها على تاريخ انشاء ولا منشىء . وكذلك لم يذكرها المقريزى فى الخطط لكونها استجدت بعد موته . ا هـ[1] .

وكان هذا الجزء من الخليج المصرى اسمه خليج الخلوتى كما هو وارد بخريطة الفرنسيين .

ولكننا نرجح أن هذه القنطرة من إنشاء عبد الرحمن كتخدا . فمن انشاءاته كما ورد فى ترجمة الجبرتى له[2] : (وأنشأ لنفسه قصراً بحارة عابدين . وأنشأ قنطرة على الخليج توصل إلى حارة عابدين من ناحية الخلوتى . ا هـ) . وللآن يوجد مسجد داخل رحبة عابدين من انشاء عبدالرحمن كتخدا سنة ١١٦٥ هـ (١٧٥٢ م) ويعرف بمسجد الشيخ رمضان لأن به ضريحاً بهذا الاسم .[3]

وربما أطلق العامة اسم الذى كفر على هذه القنطرة لما نفى على بك الكبير عبدالرحمن كتخذا إلى الحجاز سنة ١١٧٨هـ (١٧٦٤م) .

الحالة الداخلية فى مصر فى عهد المماليك البكوات :

وقبل أن نترجم لعبد الرحمن كتخدا يجب أن نذكر كلمة شديدة الإيجاز عن الوضع السياسى الداخلى فى مصر لنفهم موقع عبدالرحمن كتخذا من هذا الوضع .

فمنذ الفتح العثمانى سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م) انقسم المماليك إلى قسمين : الفقارية والقاسمية ومبدأ هذا الانقسام غير معروف على وجه التحقيق . فالبعض يرجعه إلى السلطان سليم العثمانى . الذى نافس بين أخوين هما ذوالفقار بك وقاسم بك ابنا الأمير سودون أحد الأمراء المصريين الذين كانوا بعيدين عن الاشتغال بالسياسة عند دخول العثمانيين . وكانت المنافسة مباراة سباق ومبارزة . وانحاز

---

(١) خطط على مبارك ج٣ ص٩

(٢) الجبرتى ج٢ ص٦

(٣) خطط على مبارك ج٤ ص١١٤

العثمانيون للأول . والمصريون للثانى . واستمر التحيز بعد هذه المباراة مع تغير الميول والأوضاع . فقد انقسم المصريون أيضاً إلى فقارية وقاسمية .

وقيل أن هذا الانقسام حصل بين المماليك بعد الفتح العثمانى .

وكان شعار الفقارية اللون الأبيض . وشعار القاسمية اللون الأحمر ـ من الثياب والخيول والسلاح وفرش المنازل وآنية الطعام . بل الطعام نفسه .

وكان يُرمز للفريق الأول أى الفقارية بنصف سعد . وللثانى بنصف حرام . وهما رمزان غير واضح مدلولهما . ولم أعثر على تعليل محقق لهما . غير أنه كان من قبائل العرب بمديرية الشرقية قبيلتان هما بنو سعد وبنو حرام . فلعل الأولى كانت تناصر الفقارية . والثانية تناصر القاسمية .

وكان هذا الانقسام محوراً هاماً فى سياسة مصر الداخلية . تدور حوله الأحداث . فظل المماليك قسمين يتنازعان . ويغتال بعضهم بعضاً . ثم ينتقم البعض لمن اغتيل . ويتنافس الفريقان على المراكز الرئيسية فى الحكم . ويصل البعض إليها . فيهرب الآخرون للأرياف . وإلى الصعيد خاصة . فيعيثون فساداً . ويمنعون المؤن والحبوب عن العاصمة . وتُجرد ضدهم التجاريد ـ أى الحملات العسكرية . فيغلب من يغلب . ويدفع الأهالى الثمن من أقواتهم وزراعاتهم للغالب والمغلوب . فعلى كل قرية أن تقوم بلوازم من يمر بها المتحاربين بل المتحاربون يأخذون ما يلزمهم نهباً واغتصاباً .

وكما كان هذا الانقسام بين المماليك . فقد كان الانقسام أيضاً بين فرق الجيش . فكل فرقة ـ أو وجاق [1] ـ تضم طائفة معينة تترابط مع بعضها وكثيراً ما تتصادم الفرق لأسباب خاصة بينها . أو لمناصرة بعض المماليك ضد بعض . وكانت العاصمة وشوارعها مسرحاً لهذا الصراع . فتُغلق الحوانيت . وتُعطل الأسواق خوفاً من السلب والنهب . ويلزم الأهلون منازلهم حتى تهدأ الفتنة .

---

(١) كانت وجاقات ـ أوفرق ـ الحامية العثمانية سبعة ١/ جاويشان ٢/ جمليان (الفرسان) ٣/ تفكشيان(حملة الأسلحة النارية) ٤/ جراكسة ٥/ مستحفظان ٦/ عزبان (نسبة إلى باب العزب أهم أبواب القّلعة) ٧/ متفرقة وهم حرس الحدود تقريباً

وكانت المجاعات تتكرر لنقص النيل فى بعض السنين . وإهمال شؤون الرى : ونهب الحاصلات كما ذكرنا . وكانت الأوبئة تتبع هذه المجاعات . وأهمها الطاعون . فكان يفد دورياً . ولا تمر عشرون سنة إلا وينتشر الوباء ويحصد مئات الألوف .(١)

ومن الصعب تقصى حوادث تلك السنين بالتفصيل . فالمماليك يُنسبون إلى مالكهم الأصلى . فلا تعرف من لقب أحدهم هل هذا أبوه أو مالكه . أو مالك مالكه . كما كان يُنسب بعضهم إلى اسم بلدة كقولهم خليل بك بِلِفْيا (قرية من قرى بنى سويف) . أو أحمد بك منوفية . أو حسن بك الجرجاوى . أويُنسب إلى صِفَة يصعب معرفة أصلها . كقولهم يوسف بك القرد (توفى سنة ١١١٠هـ) وسليمان بك بارم ذيله (توفى سنة ١١٢١هـ) . وإبراهيم بك بشناق المعروف بأبى شنب (توفى سنة ١١٣٠هـ) . وأبو مناخير فضة (توفى سنة ١١٦٠هـ) . . الخ هذه الصفات التى أطلقها العامة عليهم سخرية واستهزاءً . فلصقت بهم .

واستمر الخلاف بين الفقارية والقاسمية . يتصادمان أحياناً . ويتصافيان على دخل أحياناً . حتى ظهرت القاسمية على الفقارية . وتولى إيواظ بك الرئاسة . وكانت أيامه سعيدة . وأفعاله جيدة . والأقاليم فى أمن وأمان من قطاع الطرق وأولاد الحرام . (٢)

ثم قتل الفقارية إيواظ بك سنة ١١٢٣هـ . فتولى الرئاسة بعده ابنه اسماعيل بك بمساعدة يوسف بك الجزار . وقد مر ذكرهما فى الفصل السابق فى الكلام على شارع بشتاك أو درب الجماميز .

ثم قتل الفقارية اسماعيل بك إيواظ سنة ١١٣٦هـ . كما قتلوا بعده أخاه محمد بك إيواظ .

---

(١) من صور هذه المجاعات والاوبئة ماذكره الجبرتى فى حوادث سنة ١١٠٧ هـ . قال : حصلت شدة عظيمة بمصر وأقاليمها . وحضرت أهالى القرى والأرياف حتى امتلأت بهم الأزقة . واشتد الكرب حتى أكل الناس الجيف . ومات الكثير من الجوع . وخلت القرى من أهليها . وخطف الفقراء الخبز من الأسواق ومن الأفران ومن على رؤوس الخبازين . ويذهب الرجلان والثلاثة على طبق الخبز يحرسونه من الخطف وبأيديهم العصى حتى يخبزونه ويعودون : (هكذا) . . ثم قال : وأعقب هذا وباء عظيم

(٢) الجبرتى ج١ ص١٢١

وضعُف شأن القاسمية بعد ذلك بقتل مصطفى بك إيواظ ووفاة محمد بك أبي شنب سنة ١١٣٨هـ . وقتل محمد بك بن يوسف بك الجزار .

وكانت النهاية سنة ١١٤٢ هـ (١٧٢٩م) . فقضى الفقارية على القاسمية نهائياً . وتتبعوا من اختفى منهم بالقتل والتشريد حتى أبادوهم .

ثم تفرع من الفقارية القازدوغلية . وأصل جدهم مصطفى كتخدا القازدوغلي المتوفى سنة ١١١٥هـ . تابع حسن أغا بلفيا المتوفى فى نفس السنة .

وقال الجبرتى أن غالب أمراء مصر فى عهده (اوائل القرن الثالث عشر الهجرى) يرجعون إلى مصطفى كتخذا القازدوغلى أو إلى رضوان بك المتوفى سنة ١٠٦٥هـ (وهو المنسوبة إليه قصبة رضوان خارج باب زويلة) .

وليس انتساب المماليك إلى مصطفى كتخذا القازدوغلى أنهم من نسله . فمماليكه ومماليك مماليكه ينتسبون إليه كما جرت العادة وكما سبق ذكره .

ولم يكن القضاء على القاسمية هو نهاية الخلاف . فكما تفرعت القازدوغلية من الفقارية . فقد تفرعت أيضاً عصابات أخرى من المماليك مثل القطامشة والدمايطة والجلفية .

والقطامشة نسبة إلى محمد بك قيطاس المعروف بقطامش . وقيطاس اسم مالكه أو أستاذه . وكانت له الرئاسة فى مصر بعد القضاء على القاسمية . كما تولى قائمقام عند ماعزل الأمراء بكير باشا من ولايته الأولى سنة ١١٤١هـ .[1] وقتل محمد بك قطامش سنة ١١٤٨ . وقام مماليكه خليل بك قطامش ومحمد بك قطامش وعلى بك الدمياطى يطالبون بثأره .

وبعد منازعات ومشاحنات قضى على القطامشة والدمايطة سنة ١١٦٠هـ

---

(١) كان يحدث أن يعزل الامراء الوالى ويعينون من بينهم قائمقام . ويرسلون إلى استانبول بطلب تعيين غيره . ودائماً كانت تنزل الدولة على رغبتهم فى الوالى وتعيين غيره . وقد ذكر الجبرتى أن الوالى كان بكير باشا . وأن ولايته الأولى كانت سنة ١١٤٣ . ولكن فى تقويم النيل ذكر اسمه ابو بكر باشا وأن ولايته الأولى من صفر سنة ١١٤٠ إلى ذى القعدة سنة ١١٤١هـ (راجع جدول الولاة العثمانين بالقسم الثالث)

بمؤامرة دبرها الوالى محمد راغب باشا[1] .

والجلفية نسبة إلى حسن كتخدا عزبان الجلفى [2] (توفى سنة ١١٢٤هـ) . وسبب التسمية أن أستاذه . أى مالكه الأصلى قبل عتقه . زوّجة بالست خديجة المعروفة بالجلفية نسبة إلى قرية إسمها سان جلف . وكان حسن كتخدا خيِّرا من مآثره أنه وسَّع المسجد الحسينى . وعمل للمقام تابوتاً من الأبنوس المطعم بالصدف مضبَّباً بالفضة . وجعل عليه ستراً من الحرير المزركش .

وتولى بعد وفاته تابعه على كتخدا عزبان . وصار من أرباب الحل والعقد . وأراد الوالى (وكان اسمه سليمان باشا العظم المعروف بالشامى) إيقاع فتنة بين أمراء المماليك فدبر قتله وآخرين معه سنة ١١٥٣هـ .

وفى هذه الفترة كانت الرئاسة ـ أو مشيخة البلد كما كانت تسمى ـ لعثمان بك ذى الفقار . فالتزم عثمان بك بأخذ ثار على الجلفى المذكور . وقلد تابعه أى مملوكه رضوان كتخدا الجلفى باب العزب محل أستاذه .

وتزايد شأن عثمان بك ذى الفقار حتى أصبح كل شىء . وشمخ على أمراء مصر[3] ونفذ أحكامه عليهم قهراً . وعمل فى بيته دواوين لحكومات العامة ولإنصاف المظلوم من الظالم . وجعل لحكومات النساء ديواناً خاصاً . ولا يجرى أحكامه إلا على مقتضى الشريعة . ولا يقبل الرشوة . وكان صالحاً مصلحاً .

ثم لمسائل مالية . فضلاً عن منافسات الرئاسة بينه وبين إبراهيم كتخدا

---

(١) محمد باشا راغب تولى ولاية مصر من سنة١١٥٧ ـ سنة ١١٦١هـ وتقلب بعدها فى مناصب الدولة حتى وصل إلى وظيفة الصدر الأعظم ـ أى رئيس الوزارة ـ من سنة ١١٧٠ ـ سنة ١١٧٦هـ . وتوفى سنة ١١٨٠هـ . وكان من الوزراء المعدودين نشطت فى عهده الزراعة والتجارة والعلوم . كما كان عالماً محققاً . له كتاب (سفينة الراغب ودفينة الطالب) فيما يقرب من الستمائة صحيفة من القطع الكبير به كثير من الحقائق والمباحث التاريخية والأدبية والدينية والعلمية . هو أشبه بالكشكول ويدل على سعة الاطلاع (مطبعة بولاق سنة ١٢٥٥هـ ، سنة ١٢٨٢هـ) . كما له أيضاً ديوان شعر اسمه سفينة العلماء .

(٢) كلمة كتخدا معناها وكيل . وحرفتها العامة إلى كيخيا . وكان للباشا الوالى كتخدا . ولكل صنجق أى أمير من أمراء المماليك كتخدا . ولكل وجاق (فرقة الجيش) كتخدا . وعزبان نسبة إلى باب العرب أحد أبواب القلعة وأهمها .

(٣) كان عدد الأمراء المماليك منذ الفتح العثمانى ٢٤ أميراً فى أغلب الأحيان . وهم البكوات المماليك . وكان يقال صنجق لمن يصل منهم لرتبة الأمارة .

القازدوغلى أمكن للأخير أن يؤلب عليه الأمراء . واضطر عثمان بك للهرب سنة ١١٥٧هـ . وذهب إلى استانبول حيث أقام بها ٣٢ سنة إلى أن توفى سنة ١١٩٠هـ . وحزن الناس عليه . وكانوا يؤرخون حوادثهم بتاريخ خروجه من مصر .

إبراهيم كتخدا القازدوغلى ، رضوان كتخدا الجلفى :

وإستقر الأمر لإبراهيم كتخدا القازدوغلى المذكور . ويقاسمه فى السلطة رضوان كتخدا الجلفى السابق ذكره .

وإبراهيم القازدوغلى المذكور هو مملوك سليمان كتخدا القازدوغلى مملوك مصطفى كتخدا القازدوغلى أصل القازدوغليه – وهو أى إبراهيم – أيضا خشداش حسن جاويش أستاذ عثمان كتخدا القازدوغلى . وحسن جاويش هو والد عبد الرحمن كتخدا صاحب العمائر المشهور[1] .

ولما ذكر إبراهيم كتخدا خصوصاً بعد القضاء على القطامشة والدمايطة سنة ١١٦٠هـ كما ذكرنا . وانتهت إليه الرئاسة . وكان قسيمه فى الرئاسة رضوان الجلفى منهمكاً فى ترفه وملذاته .

وكان إبراهيم كتخدا يسكن حى قوصون ـ (نسبة إلى جامع قوصون بشارع القلعة عند مدخل الحلمية الجديدة) . وكانت لقسيمه رضوان الجلفى دار بجواره .

وأنشأ رضوان الجلفى عدة قصور وأماكن بالغ فى زخرفتها وزينتها . منها الدار المعروفة بثلاث ولية وبالعتبة الزرقاء . على الحافة الشرقية لبركة الأزبكية . ومنها دار أخرى على الحافة البحرية الغربية لبركة الأزبكية . وسنعود لذكرهما بأذن الله فى الفصل الخاص بالأزبكية بالقسم الثانى .

واستمر حكمهما سبع سنوات . والبلاد هادئة من الفتن والشرور . والأقليم البحرى والقبلى فى أمن وأمان . والأسعار رخية . والأحوال مرضية (الجبرتى سنة ١١٦٨هـ) .

---

(١) أستاذ المملوك مالكه الأصلى بعد أن يعتقه . وخشداش المملوك مملوك اخر تربى ونشأ معه فى تبعية أستاذ واحد .

صورة من المجتمع المصرى :

وأود أن أنقل هنا صورة ذكرها الجبرتى [1] عن المجتمع المصرى فى ذلك الوقت . قال :ـ

(وكان لأهل مصر سنن وطرائق فى مكارم الأخلاق لا توجد فى غيرها . منها أن فى كل بيت من بيوت الأعيان مطبخين . أحدهما أسفل رجالى . والثانى فى الحريم . فيوضع فى بيوت الأعيان السماط فى وقتى الغذاء والعشاء مستطيلاً فى المكان الخارج . مبذولاً للناس . ويجلس بصدره أمير المجلس وحوله الضيفان . ومن دونهم مماليكه وأتباعه . ويقف الفراشون فى وسطه يفرقون على الجالسين ويقربون إليهم ما بعُد عنهم من القلايا والمحمرات . ولا يمنعون وقت الطعام من يريد الدخول أصلاً . . الخ .

وقال : ولهم صدقات وعادات فى أيام المواسم مثل أول رجب والمعراج ونصف شعبان وليالى رمضان والأعياد وعاشوراء والمولد الشريف يطبخون فيها الأرز باللبن والزردة !! ويملأون من ذلك قصاعاً كبيرة ويفرقونها على من يعرفون من المحتاجين .

وقال : ويجتمع فى كل بيت الكثير من الفقراء . فيفرقون عليهم الخبز ويأكلون حتى يشبعوا . ولهم غير ذلك صدقات من الكعك المحشو بالسكر والعجمية . ومن الشريك . يفرقونها على الترب فى الجمع والمواسم . وكذلك أهل القرى والأرياف . . الخ .)

وقال فى مكان آخر عن بعض أمراء القازدغلية أنه رأى فى بيته مائة قارىء من الحفظة يقرأون القرآن كل يوم فى الأوقات الخمسة . فى كل وقت عشرون قارئاً .

وتوفى إبراهيم كتخدا على فراشه سنة ١١٦٨هـ . وقبل وفاته كان عبد الرحمن كتخدا صاحب العمائر . وهو قازدوغلى ـ يحرض مماليكه على الجلفية أتباع قسيمه رضوان الجلفى . فلما مات إبراهيم . أخذ أتباعه يدبرون قتل رضوان . وكان رضوان سليم النية والطوية فلم يصمد أمامهم . وهرب إلى الصعيد حيث مات بعد قسيمه بستة شهور .

---

(١) الجبرتى ج ١ ص ٢٠٣ .

وتولى الرئاسة بعدهما حسين بك الصابونجى المعروف بالمقتول . وأراد الاستبداد . فتآمر عليه خشداشوه يحركهم حسين بك كشكش وقتلوه سنة ١١٧١هـ . وولوا مكانه على بك الغزاوى .

وأراد على بك الغزاوى التخلص من عبد الرحمن كتخدا . الذى كان فى مركز مرموق من جميع القازدوغلية . فانتهز عبد الرحمن كتخدا فرصة خروج على بك الغزاوى للحج سنة ١١٧٣هـ وجمع الأمراء وقرروا نفيه . فعاد من الحج إلى غزة . ثم عاد إلى مصر بتدخل من استانبول . ولم يطل به المقام فمات مسموماً سنة ١١٧٣هـ .

وكان حسين بك كشكش مشهوراً بالشجاعة والأقدام . حارب الأعراب الذين كانوا يتعرضون للحجاج . وأكثر فيهم القتل حتى هابوه . وخرج أميراً للحج أربع مرات آخرها سنة ١١٧٦هـ . تصحبه السلامة فى الذهاب والعودة . ولكنه كان ماجناً معروفاً بالخلاعة .

على بك بلوط قبان المعروف بعلى بك الكبير :

وبدأ شأن على بك بلوط قبان . الذى عُرف فيما بعد بعلى بك الكبير فى الظهور . فعينّ على بك السروجى ومحمد بك أبا الذهب وخمسة آخرين من مماليكه صناجق . كما عين خشداشه إسماعيل بك صنجقاً وزوّجه هانم بنت سيدهم . أى بنت إبراهيم كتخدا . وعمل لها حفلاً سنة ١١٧٤هـ على بركة الفيل بالغ فى الأنفاق عليه والتأنق فيه مما لفت إليه الأنظار وجعل إسمه على كل لسان .

ولعله من الخير أن ننقل الصورة الطريفة عن هذا الفرح . قال [1] الجبرتى :

(عملوا على معظم البركة ـ يعنى بركة الفيل . أخشاباً مركبة على وجه الماء يمشى الناس عليها للفرجة . واجتمع بها أرباب الملاهى والملاعيب وبهلوان الحبل وغيره من سائر الأصناف والفرج . والمتفرجون والبياعون من سائر الأصناف والأنواع . وعلّقوا القناديل والوقدات على جميع البيوت المحيطة بالبركة . وغالبها سكن الأمراء والأعيان . أكثرهم خشداشون بعضهم البعض ومماليك إبراهيم

---

(١) الجبرتى ج ١ ص ٢٥٢ .

كتخدا أبى العروس . وفى كل بيت منهم ولائم وعزائم وضيافات وسماعات والات وجمعيات . واستمر هذا الفرح والمهم مدة شهر كامل . والبلد مفتحة . والناس تغدو وتروح ليلاً ونهاراً للحظ والفرجة من جميع النواحى .

وقال : ووردت على على بك الهدايا والصلات من إخوانه الأمراء والأعيان والاختيارية والوجاقلية والتجار والمباشرين والأقباط والأفرنج والأروام واليهود . والمدينة عامرة بالخير . والناس مطمئنة . والمكاسب كثيرة . والأسعار رخية . والقرى عامرة . وحضرت مشايخ البلدان وأكابر العربان ومقادم الأقاليم والبنادر بالهدايا والأغنام والجواميس والسمن والعسل . وكل من الأمراء الإبراهيمية كأنه صاحب الفرح . والمشار إليه منهم صاحب الفرح على بك .

وقال : وبعد تمام الشهر زُفّت العروس فى موكب عظيم شقُّوا به من وسط المدينة بأنواع الملاعيب والبهلوانات والجنك (أو الشنك صواريخ ومدافع تطلق للابتهاج) والطبول ومعظم الأعيان والملازمين والجاويشية والسعاة والأغوات أمام الحريمات . وعليهم الخلع والتخاليق المثمنة (أى الثمينة) وكذلك المهاترة (أى فرق الموسيقى) والطبالون وغيرهم من المقدمين والخدم والجاويشية والركبدارية . والعروس فى عربة .

وقال : وكان الخاندار لعلى بك فى ذلك الوقت محمد بك أبو الذهب ماشيا بجانب العربة وبيده عكاز . ومن خلفها أولاد خزنات الأمراء ملبسين بالزرد والخوذ واللثامات الكشميرى . مقلدّين بالقسى والنشاب . وبأيديهم المزاريق الطوال . وخلف الجميع النوبة التركية) اهـ .

واتحد على بك مع عبد الرحمن كتخدا حتى قوى شأنه . ثم عمل على إبعاد عبد الرحمن . فنفاه إلى الحجاز سنة ١١٨٧هـ . حيث ظل منفياً حتى عاد إلى مصر سنة ١١٩٠ مريضاً محطماً . ومات فى نفس السنة . وكان على بك الكبير توفى سنة ١١٨٧هـ . ومحمد بك أبو الذهب توفى سنة ١١٨٩هـ .

عمائر عبد الرحمن كتخدا وإنشاءاته :

وكان عبد الرحمن كتخدا محبا للعمائر . أعطاهاجُلَّ وقته . وله الكثير من الآثار الباقية للآن . وقد بلغ عدد المساجد التى أنشأها أو جددها وأقيمت فيها خطبة

الجمعة ثمانية عشر مسجدا بخلاف الزوايا والأسبلة والسقايات والكاتب .

فزاد فى مبانى الجامع الأزهر . وجدد بناء المدرسة الطيبرسية . وأدخلها والمدرسة الأقبغاوية المقابلة لها من داخل الباب الكبير الذى أنشأه وهو المعروف بباب المزينين[1] فأصبحت المدرسة الطيبرسية على يمين الداخل . والمدرسة الأقبغاوية على يساره . وبالمدرسة الأقبغاوية الآن مكتبة الجامع الأزهر .

وكتب على الباب الكبير المذكور أربعة أبيات من الشعر ـ البيت الأخير منها يدل على تاريخ هذه العمارة بحساب الجمل[2] . والأبيات هى :

إن للعلم أزهراً يتسامى   كسماء ما طاولها سماء
حيث وافاه ذا البناء ولولا   منة الله ما تسامى البناء
رب إن الهدى هداك وآيا   تك نور تهدى به من تشاء
من تناهى أرخت باب علوم   وفخار به يجاب الدعاء
١٤٦   ٥   ٨٨٧   ٧   ١٦   ١٠٦=١١٦٧هـ

وأضاف عبد الرحمن كتخدا مقصورة أخرى إلى مقصورة الجامع الأصلية والمقصورة الجديدة يفصلها عن المقصورة الأصلية عدة دعائم من الحجر النحيت . وترتفع أرضها عن أرض المقصورة الأصلية بثلاث درجات . وتنقص فى الطول عن المقصورة الأصلية من جهة يمين الداخل حيث يوجد باب يؤدى إلى ضريح عبد الرحمن كتخدا وإلى باب يؤدى إلى رواق الصعايدة لأنه أعلاه . وتنقص المقصورة الجديدة أيضا من جهة يسار الداخل بمقدار المدرسة الجوهرية التى أدخلها أيضا ضمن الجامع .

---

(١) سمى بهذا الاسم لأن المزينين كانوا يجلسون فى الطرقة بينه وبين الباب الأصلى للجامع لحلق رؤوس من يريدون من المجاورين . وقيل أن الاسم جاء من الزينة التى توضع على هذا الباب . وهو الباب الرئيسى للجامع ـ فى المناسبات . وللتفصيل راجع (الأزهر جامعا وجامعة للمؤلف) .

(٢) حساب الجمل طريقة إتبعها القدماء للتوفيق بين الأعداد والحروف . إذ جعلوا لكل حرف فى الأبجديه رقماً يساويه . ويجمل الطريقة الثمانى كلمات المكونة منها الأبجدية (أبجد – هوز – حطى – كلمن – سعفص – قرشت – ثخذ – ضظغ) ومجموع حروفها ثمانية وعشرون حرفاً – فالتسعة حروف الأولى لأعداد الآحاد من ١ – ٩ على التوالى . والتسعة حروف التالية لأعداد العشرات من ١٠ ـ ٩٠ على التوالى . والتسعة حروف الثالثة لأعداد المئات من ١٠٠ ـ ٩٠٠ . والحرف الثامن والعشرون للألف . مع تفصيل ليس هنا مكانه . ويمكن الرجوع لمقال للمؤلف عن حساب الجمل وعلم أسرار الأعداد والحروف نشر بمجلة الأزهر فى ربيع الآخر سنة ١٣٩٣ (مايو سنة ١٩٧٣)

وذكر الجبرتي – وسايره على مبارك – أن بالمقصورة المستجدة خمسين عموداً من الرخام . ولكنني لم أحصر غير تسعة وثلاثين عموداً .

ولا نريد أن نسترسل في وصف عمارة عبد الرحمن كتخدا للأزهر . فهذا موضوع آخر ويخرجنا عن الموضوع الأصلي . ولكن نذكر أنه بنى لنفسه من يمين الداخل للمقصورة الجديدة ضريحاً دفن به . وعلى القبر تركيبة من الرخام عليها أسماء الصحابة العشرة المشهود لهم بالجنة . والمأثور عن الأمام على بن أبي طالب في صفة الرسول . وبيتان من الشعر الشطر الأخير من ثانيهما به تاريخ وفاته بحساب الجمل . وربما أمر بهما بعد عودته من المنفى لما شعر بدنو أجله . وربما وُضع البيتان بعد وفاته بوصية منه . والبيتان هما :

بروض نعيم فاز كهف مكرم … وحاز بفضل الخير جنات رضوان
هنيئا له فالحور فى الخلد أرخت … لقد فاق فى الفردوس عبد الرحمن [1]

١٣٤+ ١٨١+ ٩٠+ ٣٨١+ ٧٦+ ٣٢٨=١١٩٠هـ

كما أنشأ فى الجانب القبلي رواقا للصعايدة له باب بشارع التبليطة الحالى [2] وأنشأ من داخل باب الصعايدة مئذنة . كما أنشأ مئذنة أخرى عند باب الشربة وكان باب الشربة بحائط القبلة للمقصورة الجديدة على يسار المحراب بالنسبة للمصلى . وقد سُدَّ الآن . وسمى بهذا الاسم لقربه من مطبخ الشربة الذى كان يطبخ فيه الأرز فى رمضان ويفرق على فقراء الجامع ـ وكان الباب المذكور يطل على طريق يفصل الجامع عن منزل السيد عمر مكرم المجاهد الوطنى المعروف . وكان هذا المنزل خلف قاعة الشيخ محمد عبده بالجامعة الأزهرية .

وبنى عبد الرحمن كتخدا الكثير من مشاهد آل البيت . مثل السيدة زينب . والسيدة سكينة بقسم الخليفة . والسيدة عائشة بالقرب من باب القرافة أو باب

---

(١) الألف الموصولة فى (الرحمن) لم تحتسب فى العدد . فى حين أنه احتسبها فى (الفردوس)

(٢) كان اسمه شارع الشيخ محمد عبده . والحى هناك كان يعرف فى زمن الجبرتى بالعينية . وفى زمن المقريزى كتامة

قايتباى . والسيدة رقية بالقرب من مقام السيدة نفيسة . والسيدة فاطمة النبوية بالدرب الأحمر (١) .

كما أنشأ للشيخ الحفنى دارا على الخليج ومسجدا بجوارها . وقنطرة على الخليج مقابلها . وقد سبق ذكر ذلك .

وبنى لنفسه دارا بحارة عابدين قال عنها الجبرتى أنها كانت من الدور العظيمة المحكمة الوضع والأتقان . لا يماثلها دار فى مصر فى حسنها وزخرفة مجالسها . وما بها من النقوش والرخام والقيشانى . والذهب المموه واللازورد وأنواع الأصباغ . وبديع الصنعة والتأنق والبهجة . وغرس بها بستانا بديعا . . . الخ .

وأنشأ قنطرة على الخليج توصل إلى حارة عابدين من ناحية الحلوقى . وهى القنطرة التى نترجم لها الآن . والتى عرفت باسم قنطرة الذى كفر . ولعل العامة أطلقت هذا الاسم على عبد الرحمن كتخدا لغضب رؤساء الحكومة عليه ونفيا (٢) . كما عمَّر المدرسة السيوفية المعروفة الآن بالشيخ مطهر عند مدخل الصاغة . وبنى لوالدته مدفنابها . وجدَّد المارستان المنصورى . كذلك عمر المسجد بجوار ضريح الأمام الشافعى . ومسجد شرف الدين الكردى بالحسينية . وكثيرا غير هذا من المساجد والزوايا .

ولم يقتصر نشاطه على العمارات . بل كان ذابرٌ وصدقات . فقد رتب للفقراء العميان الأكسية الصوف المسماة بالزعابيط . وكذلك كساوى للمؤذنين يرتدونها وقت التسابيح فى ليالى الشتاء . ويفرق الملابس على النساء الفقيرات . ويخرج من بيته فى ليالى رمضان وقت الأفطار القصاع الكبيرة مملوءة بالثريد المسقى بمرق اللحم والسمن للفقراء

---

(١) المشهور أن السيدة زينب والسيدة رقية بنتا الإمام على بن أبى طالب . وأن السيدة سكينة والسيدة فاطمة بنتا الإمام الحسين بن على بن أبى طالب مع خلاف . أما السيدة عائشة فهى بنت جعفر الصادق الأمام السادس عند الشيعة . والسيدة نفيسة بنت حسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب . بلا خلاف وقد تزوجت السيدة نفيسة من إسحق المؤتمن بن جعفر الصادق .

(٢) لتفصيل عمارات عبد الرحمن كتخدا راجع الجبرتى ج٢ ص٦ .

وأنشأ قصرا على النيل بين بولاق والقصر العينى . وقد هدم هذا القصر سنة ١٢٥٠هـ فى عهد محمد على . ولعل موقعه كان فى ميدان التحرير . وسنعود لذكره بإذن الله فى الفصل الثالث من القسم الثانى عند الكلام عن شارع محمد باشا محمود (القاصد سابقا)

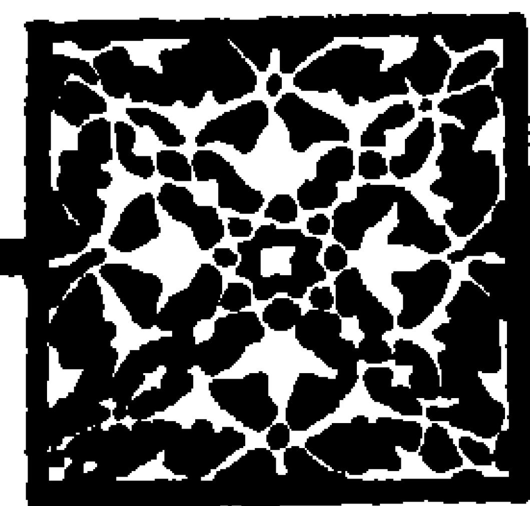
ولذلك لقب عبد الرحمن كتخدا عن جدارة بصاحب الخيرات والعمائر . غفر الله له .

١٨ - ٢٤ القناطر على الخليج فى عهد أسرة محمد على :

والسبع قناطر الباقية من الجدول أنشئت فى عهد أسرة محمد على . ولا نجد داعيا لترتيبها تاريخيا . فالفترة بين إنشائها وإزالتها عند ردم الخليج قصيرة لا تتجاوز فى بعضها العشرين عاما .

ونكتفى بما ذكر بالجدول من تحديد موقعها .

القسم الثاني



أسماء ومسميات

عن الاسم والمسمى والكنية واللقب

الاسم عند علماء اللغة هو ماوقع على معين غير مقرون بزمان [1] .

وهو نكرة أو معرفة . فالمعرفة ما يدل على شيء معين معروف . والنكرة ما يدل على شيء غير معروف .

وقسموا المعرفة إلى سبعة أقسام :

١ - الضمائر بأنواعها ٢ - أسماء الإشارة ٣ - الأسماء الموصولة ٤ - المعرف ب (الـ) ٥ - المعرف بالنداء ٦ - المضاف إلى معرفة ٧ - اسم العلم .

والاسم العلم هو مادل على شيء معين بشكله وأوصافه التي يتميز بها سواء دل على عاقل أو غير عاقل [2] .

وهذا التقسيم فيه نظر . فبعض أقسام المعرفة المذكورة تحتاج إلى تعريف أو إلى زيادة لتعرف . مثل أسماء الأشارة والأسماء الموصولة فهى ليست معرفة بذاتها . كما

---

(١) سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون لجمال الدين محمد بن محمد بن نباتة المصرى

(٢) المنار الجديد فى النحو الأعدادى ص ٣٠

أن الاسم العلم ليس معرفة دائما . فمحمد وعلى وإبراهيم مثلا أسماء أعلام . ولكن نحتاج إلى تعريف ذواتهم من بين الملايين الذين بهذه الأسماء . بأن نضيف إلى الاسم اسم الأب أو اللقب أو الكنية أو تنسبه إلى بلدة أو حرفة معينة . أو غير ذلك من وسائل التعريف . ونحن نقول : أبو بكر الصديق والإمام الحسين بن على لتعريف ذاتيهما ممن أسماؤ هم أبو بكر والحسين . ونقول : السيدة زينب والسيدة فاطمة الزهراء لتميزهما ممن أسماؤ هن زينب وفاطمة . وهكذا .

الاسم والمسمى :

ولعلماء أصول الدين والتفسير وعلم الكلام مباحث طويلة فى معنى الاسم والمسمى . فقال بعضهم - وهو الأرجح - أن الاسم غير المسمى . واستشهدوا بالآيتين الكريمتين (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها) ، (الله لاإله إلا هو له الأسماء الحسنى) وبالحديث الشريف (لله تسعة وتسعون اسما من أحصاها دخل الجنة) . ولو كان الاسم هو المسمى لكان الله - عز وجل - تسعة وتسعين شيئا . وهو كفر [1]

وقالوا : إنك إذا سألت شخصا : ما اسمك ؟ فلست تسأله أن يعلمك بذاته الموجودة أمامك . ولكن تسأله عن اللفظ الذى يُعرف به بين الناس .

وقالوا أيضا أننا إذا تلفظنا بلفظى الثلج أو النار . فهذان اللفظان موجودان فى ألسنتنا . فلو كان الاسم هو المسمى . فيجب أن نحس فى ألسنتنا بالثلج أو النار . وهذا ما لايقع ولا يقول به أحد [2]

وغير هذا من الأدلة .

وقال من يرون أن الاسم هو المسمى . أن هذا باعتبارات مختلفة . منها الإنابة والتصور . فالاسماء وضعت لتصور الأشياء والأشخاص . ولما كان الاسم ينوب عن المسمى فى تصوره جاز أن يقال أن الاسم هو المسمى . وأن العرب تقول : كُتب زيد فى الجند فلا تقصد الحروف المكونة لكلمة زيد . ولكن تعنى الإنسان المسمى بهذا الاسم .

---

(١) سرح العيون لا بن نباته

(٢) سفينة الراغب ودفينة الطالب لمحمد باشا راغب ص ٣٥ وص ٥٧٥

وقالوا أيضا للدلالة على أن الاسم هو المسمى أنه لو قال شخص زوجته اسمها فاطمة مثلا أن فاطمة طالق . وقع الطلاق عليها . لأن الاسم فاطمة والمسمى زوجته شيء واحد . أما إذا كان الاسم غير المسمى لما وقع الطلاق .

وقال الإمام الغزالي [1] : أن الاسم غير المسمى وغير التسمية . وأن هذه ثلاثة اسماء متباينة غير مترادفة . ولا سبيل إلى كشف الحق فيها إلا ببيان معنى كل واحد من هذه الألفاظ الثلاثة مفردا . وقال : وحدود الاسم وحقيقته أن للأشياء وجودا في الأعيان . ووجودا في الاذهان . ووجودا في اللسان .

أما الوجود في الأعيان	فهو الوجود الأصلي الحقيقي
والوجود في الأذهان	فهو الوجود العلمي التصوري
والوجود في اللسان	فهو الوجود اللفظي الدليلي

فالسماء مثلا لها وجود حقيقي في عينها ونفسها . وهو الوجود في الاعيان . ولو كنا في غرفة مغلقة لكان لها وجود في أذهاننا نعلمه بتصورها في صورتها . وهو الوجود في الأذهان ثم إن لها وجودا على لساننا بهذا اللفظ المركب من أصوات مقطعة يدل عليها

وقال الأمام الرازي : الناس طولوا في هذهالمسألة . وهو عندي فضول لأن الاسم هو اللفظ المخصوص كزيد أوعمر . والمسمى ماوضع هذا الاسم بإزائه [2] .

وغير هذا كثير مما تجده مبسوطاً في كتب التفسير وعلم أصول الدين .

تقسيم اسم العلم للأشخاص :

واسم العلم في اللغة قد يكون من ثلاثة أجزاء : اسم وكنية ولقب فالكنية ماكان مسبوقاً بأب أو أم مثل : أبو بكر وأبو العلاء وأم كلثوم . . الخ . واللقب مايُشعر بمدح أو ذم مثل الصديق وزين العابدين والأعشى والجاحظ . . الخ . وقد

---

(1) دائرة المعارف الاسلامية المجلد الرابع مادة (الله) وللأستاذ ابراهيم لابياري في التعليق على هذه المادة و (الأسماء الحسنى) بحث جمع فيه أهم ما قاله علماء التفسير والتوحيد في هذا الموضوع .

(2) سفينة الراغب ص٥٧٥

حرم بعض الفقهاء الألقاب التى تشعر بالذم . لقوله تعالى (ولا تنابزوا بالألقاب . بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) ولكنهم أجازوا ذلك إذا كان للتعريف بمن لا يعرف إلا به . وهو أحد المواضع التى تجوز فيها الغيبة[1] .

والاسم – وهو أحد أقسام اسم العلم – هو ماليس كنية ولا لقباً .

الكنية :

وكانت الكنية عند العرب للتعظيم والإجلال . وكان عليه الصلاة والسلام يكنى بأبى القاسم – نسبة لابنه القاسم .

وقد حرم بعض الفقهاء التكنية بأبى القاسم مستشهدين بحديث شريف (تسموا باسمى ولا تكتنوا بكنيتى) . وخالفهم البعض فقال أن هذا التحريم مقصور على زمن الرسول (ﷺ) . لأن اليهود بالمدينة كانوا يعاكسونه . فينادون : يا أبا القاسم . فإذا التفت عليه الصلاة والسلام قالوا لانعنيك أنت[2] .

ويكنى الشخص عادة باسم أكبر أولاده . وأحياناً باسم إحدى بناته . وكانت النساء أيضاً يُكَنِّين بأسماء أولادهن أو بناتهن . وفى ريف مصر يُكنى الشخص باسم أبيه .

وقد اعتنى العرب بالكنية حتى كنُّوا من أصل اسمه كنية . فقد كانت كنية أبى بكر الصديق أبا المناقب . مع خلاف فى هذا فقد قال بعض المؤرخين أن أبا بكر كنية وأن اسمه عبد الله .

ولم تكن الكنية بالأولاد أوالبنات فقط . بل كانت أيضاً بمعانى مستحبة ينسبونها للشخص . إما للتيمن والتفاؤل . مثل مارأينا كنية أبى المناقب لأبى بكر الصديق . ومثل أبى الظفر للناصر صلاح الدين الأيوبى . ومثل أبى الفتح لابنه العزيز عثمان . وغيرهم .

---

(١) صبح الأعشى جـ٥

(٢) يتمشى مع أن المنع كان مقصوراً على عهد الرسول (ﷺ)أن بعض الخلفاء العباسيين كانت كنيتهم أبا القاسم . مثل المقتدى بالله توفى سنه ٤٨٧هـ . واجع جدول الخلفاء العباسيين بالقسم الثالث .

وأحياناً تكون الكنية متعارفة لواقع تاريخي . فاسم إبرهيم كنيته عادة أبو خليل (إبرهيم الخليل عليه السلام) . وعليّ كنيته أبو الحسن . وحسن كنيته أبو على (الحسن بن على بن أبي طالب) . وسليمان كنيته أبو داود (سليمان بن داود عليهما السلام) . ويوسف كنيته أبو حجاج (الحجاج بن يوسف الثقفى) .

ومن الكنى المتعارفة أبو السباع لمن اسمه إسماعيل . ولم أجدها تعليلاً تاريخياً إلا العلاقة بين الخديوى السابق اسماعيل وسباع كوبرى قصر النيل عند انشائه له سنه ١٨٧٢م . فلم أعثر على حد إطلاعى على من اسمه اسماعيل وكنيته أبو السباع قبل هذا .

اللقب :

أما اللقب فأصله فى اللغة النبز . والنبز هو اللمز . أى العيب بالاشارة . واللُمَزَة العياب فى الناس . والتنابز التعاير بالألقاب[1] . فبهذا يكون اللقب للذم .

والنعت معناه الصفة . وهو للمدح أو الذم .

ولكن جرى الكتاب على استعمال اللقب للنعت الحسن . وأصبح اللقب ليس للذم . وإنما للتشريف والإجلال والتعظيم والزيادة فى التكرمة والنباهة[2] .

وقد استعملت الألقاب بمعنى النعوت الحسنة منذ القدم . فالخليل ابراهيم والكليم موسى . والمسيح عيسى . عليهم السلام . وفى الجاهلية ذو يزن وذو المنار . والأمين للرسول عليه الصلاة والسلام قبل وبعد البعثة . وكذلك فى صدر الإسلام . فالصديق لأبى بكر . والفاروق لعمر بن الخطاب . وذو النورين لعثمان بن عفان . وسيف الله لخالد بن الوليد . وغيرهم .

ألقاب الخلفاء :

وتلقب أبو بكر الصديق بخليفة رسول الله . ثم تلقب عمر بن الخطاب بأمير المؤمنين . وتبعه باقى الخلفاء الراشدين وخلفاء بنى أمية مكتفين بلقب الخليفة أمير المؤمنين .

---

(١) القاموس المحيط للفيروز ابادى مواد لقب ونبز . ولمز .
(٢) صبح الأعشى حـ٥ ص ٤٣٨ .

وكره بعض علماء المسلمين . ومنهم الإمام أحمد بن حنبل - استعمال لقب الخليفة . مستشهدين بحديث شريف (الخلافة بعدى ثلاثون سنة) . وهى تنتهى بتنازل الحسن بن على بن أبى طالب عن الخلافة لمعاوية بن أبى سفيان . فقد توفى الرسول (ﷺ) فى ربيع الأول سنه ١١هـ . وكان هذا التنازل فى ربيع الآخر سنه ٤١ هـ .

وتلقب الخلفاء العباسيون . واختلف المؤرخون فى لقب أولهم . فقيل القائم . وقيل المهتدى . وقيل المرتضى . ولكن غلب عليه لقب السفاح وصار يعرف به . وتلقب ثانيهم بالمنصور[1] . والثالث بالمهدى . والرابع بالهادى . والخامس بالرشيد . والسادس بالأمين . والسابع بالمأمون .

وبعد المأمون أصبح اللقب مضافاً إلى اسم الله عز وجل . مثل المعتصم بالله والواثق بالله والمتوكل على الله . وهكذا إلى آخرهم المستعصم بالله الذى قتله التتار سنة ٦٥٦ هـ[2] .

ولم يتلقب أولا أمراء بنى أمية بالأندلس بلقب الخلافة أو أمير المؤمنين . وأطلق المؤرخون على بعضهم ألقاباً للتعريف . فأطلقوا على أولهم عبد الرحمن بن معاوية ابن هشام بن عبد الملك بن مروان (حكم من ١٣٩ - ١٧١هـ) لقب عبد الرحمن الداخل . وأطلقوا على عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل لقب عبد الرحمن الأوسط . (حكم من ٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) . ثم لما تولى عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الأوسط (حكم من ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) اتخذ لنفسه لقب المؤمنين وتلقب بلقب الناصر فأصبح عبد الرحمن الناصر . وكان هذا بعد ٢٧ سنة من حكمه . فيكون سنة ٣٢٧ هـ[3] وحذا حذوه من تولوا بعده من بنى أمية بالأندلس فتلقبوا بلقب أمير المؤمنين حتى انقرض ملكهم سنة ٤٢٨ هـ .

---

(١) ذكر الطبرى للمنصور لقباً آخر هو عون الله (تاريخ الأمم والملوك جـ١١ ص ٢٦) .

(٢) راجع الجدول الخامس ، بالقسم الثالث عن الخلفاء العباسيين فى بغداد .

(٣) هكذا ذكر أبو الفدا فى المختصر فى تاريخ البشر . وذكر القلقشندى فى صبح الأعشى أنه بعد ٢٩ سنة من حكمه . فيكون سنة ٣٢٩هـ حيث لاخلاف بينهما فى مبدأ حكمه .

وذكرت دائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية فى المجلد الرابع فى مادة (أمية) انه تلقب بأمير المؤمنين سنة ٣١٦هـ ليقاوم نفوذ الفاطميين الذى بدأ يظهر فى أفريقية .

وتلقب أيضاً بإمارة المؤمنين . وبألقاب أخرى . بنو حمودة بالأنـدلس حتى انقرض ملكهم سنة ٤٦٠ هـ . وهم من نسل إدريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبي طالب (١)

ولما ظهر شأن المرابطين الملثمين بالمغرب والأندلس تلقب يوسف بن تاشفين بلقب أمير المسلمين - احتراماً للخلافة العباسية فى بغداد - وظل هذا لقب من تلوه فى الحكم. حتى أزال الموحدون ملكهم سنة ٥٥٩ هـ .

وتلقب خلفاء الفاطميين فى المغرب أولاً سنة ٢٩٧ هـ . ثم فى مصر سنة ٣٥٨ هـ . مثل العباسيين . بالاضافة إلى اسم الله عز وجل . ماعدا أولهم المهدى . ثم القائم بأمر الله . ثم المنصور بنصر الله . ثم المعز لدين الله . ثم العزيز بالله . ثم الحاكم بأمر الله . إلى آخرهم العاضد لدين الله المتوفى سنة ٥٦٧ (٢) .

أئمة الشيعة :

وكانت الشيعة تلقب صاحب الدعوة منهم بالإمام . وتطلق على البارزين من آلـ البيت ألقاباً مختلفة للتكريم والتعظيم .

فعندما ثار محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى على المنصور العباسى سنة ١٤٥ تلقب بالمهدى لحديث مشهور (المهدى اسمه كاسمى واسم أبيه اسم أبى) وهزُم وقتل فى مكان يدعى بأحجار الزيت بالقرب من المدينة . فلقبوه بالنفس الزكية . لحديث منسوب للرسول (ﷺ) : (يقتل من ولدى بأحجار الزيت نفس زكية (٣) .

ووالد محمد المذكور . وهو عبد الله بن الحسن المثنى كان يُلقب بالمحض . لأن والده الحسن المثنى ووالدته فاطمة بنت الحسين على فاجتمع فيه نسلا الحسن والحسين ابنى على بن أبى طالب .

---

(١) ثلاثة أجيال باسم الحسن بن على بن أبى طالب . فعرّف المؤرخون أولهم الحسن بن على بالسبط أى ابن بنت الرسول(ﷺ) . وثانيهم الحسن بن الحسن السبط بالحسن المثنى . وثالثهم ابن المثنى بالحسن المثلث

(٢) راجع الجدول الحادى عشر من القسم الثالث .

(٣) راجع الجدول العاشر من القسم الثالث .

الحسن والحسين :

وجدير بالذكر أن الحسن والحسين لم يكونا اسمين متعارفين قبل الإسلام . وقبل أن سبطى الرسول عليه الصلاة والسلام أول من تسمى بهما .

الشيعة الإمامية :

ولقب أصحاب مذهب الشيعة الإمامية الأثنى عشرية أئمتهم بألقاب . وهم يرون أن الإمامة كانت لعلى بن أبي طالب ـ ثم الحسن . ثم الحسين . ثم الرابع على ابن الحسين فلقبوه بعلى زين العابدين .

وكان على زين العابدين يلقب أيضاً بالسجاد . وبذى الثفنات . لكثرة تعبده . ولما تركته كثرة السجود من آثار فى ثفناته أى ركبه وما لامس الأرض من جسده . لأنه كما قيل كان يصلى فى اليوم ألف ركعة . وإذا كان الرقم فيه مبالغة فلاشك أنه كان كثير التعبد . وإليه ينسب المشهد الموجود بالقاهرة . والحقيقة أنه توفى ودفن بالبقيع سنة ٩٥ هـ[1] (كان بالجانب الشرقى من المدينة والآن بوسطها تقريبا) . وأن المدفون بمشهد القاهرة هو رأس ابنه زيد الشهيد الذى قتل سنة ١٢١ هـ وأرسل رأسه لمصر وطيف به فيها .

ثم خامس الأئمة عند الإمامية هو محمد الباقر بن على زين العابدين . ولقب بالباقر لتوسعه فى العلم . فبَقَر معناها شقَّ ووسَّع . ثم سادس الأئمة هو جعفر الصادق بن محمد الباقر .

وبعد جعفر الصادق يفترق الشيعة الاسماعيلية عن الإمامية . فالإسماعيلية يرون أن الإمامة بعده لمحمد المكتوم بن إسماعيل بن جعفر الصادق . وإسماعيل هذا توفى فى حياة والده . وهو جد الخلفاء الفاطميين فى مصر .

---

(١) خطط المقريزى جـ٢ ص ٤٣٠ . وتوجد خلافات كثرة فى أنساب آل البيت كذلك فى مدافنهم وفى القاهرة كثير من المشاهد المنسوبة لبعضهم حين أن تاريخ حياتهم يؤكد أنهم لم يحضروا لمصر إطلاقاً . ولكن يمكن أن نقول انها أقيمت للتبرك والذكرى .

ويقول بعض أئمة الصوفية لتعليل صحة الوجود فى هذه المدافن . أن الإنسان فى انتقاله من الحياة الدنيا إلى مابعدها يكون كمن يعبر برزخاً (هكذا) فى تيار ماء . فيطف به التيار فى أى مكان . ويمكن أن يكون هذا الموضوع بحثاً خاصاً ليس هنا مكانه .

أما الإمامية فيرون أن الإمام بعد جعفر الصادق هو ابنه موسى الكاظم . والثامن على الرضا بن موسى الكاظم . وهو الذى جعله المأمون العباسى ولى عهده سنة ٢٠٣هـ . وعهد إليه بالخلافة بعده . ثم كأنه ندم على ذلك . فَسَمَّه بعدها كما قيل فى أكلة عنب . هذا بالرغم من أنه زوجه إحدى بناته . كما زوج ابنه محمد الجواد بنتا أخرى . ومحمد الجواد هو الإمام التاسع عند الإمامية .

ثم العاشر على الهادى . ويلقب بالتقى . واللقب الأول أشهر . ثم الحادى عشر الحسن النقى أو الزكى . وحار لقب العسكرى عند النسابة بين الإمامين العاشر والحادى عشر . فكلاهما سكن سُرَّ من رأى (سامرًا) . وكان اسمها العسكر .

وآخر الأئمة عندهم هو المهدى المنتظر صاحب الدعوة والزمان . دخل سردابا بمنزل أبيه بسامرا سنة ٢٦٥هـ . ولم يخرج منه . وينتظرون ظهوره عند مايحين الأوان .

عود إلى ألقاب الخلفاء :

نعود إلى ماكنا فيه قبل الاستطراد .

فتلقب بألقاب الخلافة بالمغرب الموحدون من بنى عبد المؤمن (٥٢٢ - ٦٦٨هـ) كما تلقب الحفصيون فى تونس (وهم من أتباع المهدى محمد بن تومرت مثل الموحدين) بألقاب الخلافة . وأول من تلقب منهم هو المستنصر بالله أبو عبد الله محمد . وهو الخامس منهم (حكم من ٦٤٧ - ٦٧٥هـ) . ولم يفعل هذا إلا بعد أن انقرضت الخلافة العباسية فى بغداد سنة ٦٥٦هـ . وكانت خلافة الأمويين بالأندلس قد انتهت . كما انتهت أيضا خلافة الفاطميين فى مصر . واضمحل شأن الموحدين بظهور بنى مرين بالمغرب الأقصى . وشجعه على هذا أن جدهم أبا حفص يتصل نسبه بعمر بن الخطاب كما يقولون . فهم قرشيون . وهو شرط من شروط الأمامة .

شروط الأمامة :

وشروط الامامة عند الفقهاء اثنى عشر : أن يكون مكلفا - مسلما - عدلا - حُراً - ذكرا - عالما مجتهدا - شجاعا - ذارأى وكفاية - سميعا - بصيرا - ناطقا - قرشيا[1]

(١) نكت الهيمان فى نكت العميان لابن ايبك الصفدى .

وشرط النظر هو مادعا إلى سمل عيني بعضى الخلفاء العباسيين عند عزلهم . من الحكم لأفقادهم أهلية الإمامة . وسمل العينين كان بتقريب قضيب من الحديد المحمى شديد الحرارة قرب العينين لإفقادهما الأبصار .

قاعـــدة :

وكانت القاعدة عند الخلفاء العباسيين فى بغداد ألا يتلقب خليفة بلقب خليفة سابق . وكذلك الخلفاء الفاطميون . فلما انتقلت الخلافة العباسية إلى مصر سنة ٦٦٠هـ تلقب الخلفاء العباسيون فى القاهرة بألقاب سبق استعمالها من أجدادهم فى بغداد . استعادة لذكرى أمجاد الخلافة فى بغداد . ولتغطية هوان شأنها فى مصر . ولم يشذ عن هذه القاعدة إلا أحدهم المستمسك بالله ابو الصبر يعقوب . وهو الأخير منهم قبل انتقال الخلافة إلى العثمانيين (راجع الجدولين الخامس والسادس بالقسم الثالث) .

السـلاطين :

كلمة سلطان وردت فى القرآن فى عدة مواضع بمعنى النفوذ أو القوة أو الحجة أو غير ذلك حسب الموضع . وفى القرن الخامس الهجرى بدأ استعمالها بمعنى الحاكم القوى . وأنه لقب فوق الملك . فاتخذها بنوبُوَيْه . والغزنويون . والسلجوقيون لقبا لحكامهم . كما استعمله الأيوبيون . ومن بعدهم المماليك البحرية والبرجية .

وانتهى استعماله فى مصر بالفتح العثمانى سنة ٩٢٣ (١٥١٧م) . واتخذه العثمانيون لقبا لحاكمهم حتى سنة ١٣٤١هـ (١٩٢٢م) تاريخ قيام الجمهورية التركية .

واتخذه فى مصر حسين كامل وأحمد فؤاد لقبا لهما من سنة ١٩١٤ ـ سنة ١٩٢٢ إظهارا لاستقلال مصر عن الدولة العثمانية بتساوى حاكم مصر مع حاكم تركيا فى اللقب . بعد إعلان الحماية البريطانية على مصر سنة ١٩١٤ بعد نشوب الحرب العالمية الأولى . وعندما أعلنت بريطانيا تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ بالاعتراف بمصر مملكة مستقلة ذات سيادة . غيرَّ أحمد فؤاد لقبه من السلطان إلى الملك . ثم ألغيت الملكية بعد ثورة يولية سنة ١٩٥٢م .

وكان السلطان من بنى أيوب ودولتى المماليك يتلقب بلقبين أحدهما مضافا إلى الدين . مثل الناصر صلاح الدين الأيوبى وأخيه العادل سيف الدين.. ومثل الظاهر

ركن الدين بيبرس . والمنصور سيف الدين قلاوون . ومثل الظاهر سيف الدين برقوق . والأشرف سيف الدين قايتباى . وغيرهم . حتى شجرة الدر كان لقبها عصمة الدين (١) .

فبينما كان الخلفاء العباسيون والفاطميون يتلقبون بألقاب مضافة إلى اسم الله عز وجل . كان السلاطين المذكورون يتلقبون بألقاب مضافة إلى الدين كما رأينا . وكان هذا احتراما للسيادة الروحية لمركز الخلافة .

الوزراء والقواد :

وتلى الخلفاء فى الألقاب الوزراءُ وكثيرٌ من القواد . فلقّب السفاح وزيره أبا سلمة الخلال بوزير آل محمد . كما لقب أبا مسلم الخراسانى بسيف آل محمد . ولقّب المهدىُّ وزيره يعقوب بن داود بالأخ فى الله . ولقب المأمون الفضل بن سهل حين استوزره بذى الكفاءتين . ولقب أخاه الحسن بن سهل بذى الرئاستين كما لقب قائده طاهر بن الحسين بذى اليمينين . ولقب المعتصم بالله حيدر بن كابوس بالأفشين . وهو لقب الملك فى بلده الأصلى أشروسنة .

وفى أيام المكتفى بالله العباسى (٢٨٩ - ٢٩٥هـ) بدأ التلقيب بالإضافة إلى الدولة . فلقّب المكتفى بالله وزيره الحسين بن القاسم بولى الدولة . وهو أول من تلقب بالأضافة إلى الدولة . ولقب المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠هـ) ابنه عليا بن الحسين بعميد الدولة .

وجرى على هذا ملوك بنى بُوَيْه . فكان لقب على بن بُوَيْه عماد الدولة . ولقب أخيه الحسن ركن الدولة . ولقب أخيهما أحمد معز الدولة . وأضيف إلى عضد الدولة ابن ركن الدولة لقب آخر هوتاج الملة .

ثم أصبحت الأضافة إلى الدين فى أيام القادر بالله العباسى (٣٨١ - ٤٢٢هـ) فزيد فى لقب بهاء الدولة باشاد بن عضد الدولة المذكور لقب نظام الدين .

وشذّ على هذه القاعدة من ملوك بنى بُوَيْه أبو كاليجار بن سلطان الدولة بن بهاء

---

(١) راجع الجدول الثالث عشر . والرابع عشر والخامس عشر . بالقسم الثالث .

الدولة فتلقب بالمرزبان . وتلقب ابنه بالملك الرحيم . والأخير هو الذى قبض عليه السلطان طغرل بك بن سلجوق . وبه انتهى حكم بنى بُوَيْه بالعراق سنة ٤٤٦هـ(١)

وفى مصر أيام الفاطميين تلقب الوزراء أيضا فكان لقب يعقوب بن كلس (وزير المعز ثم ابنه العزيز) الوزير الأجل . ولقب الحاكم بأمر الله حسين بن جوهر القائد بلقب قائدالقواد . واستعملوا أيضا الألقاب المضافة إلى الدولة . مثل ولى الدولة ابن كدينة وزير المستنصر بالله . ولما قدم بدر الجمالى فى أيام المستنصر بالله وتوزَّر له لقبه بأمير الجيوش . ثم زادوا . فتلقب الوزراء بلقب الملك مضافا إلى صفة . مثل الملك الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى . ومثل الملك الصالح طلائع بن رزيك(٢) .

الكتاب وفوضى الألقاب :

وكان الكتاب فى أواخر الدولة الفاطمية وأثناء حكم بنى أيوب يلقبون بالفاضل والرشيد والعماد . وما أشبه ذلك . ثم دخلوا فى عموم التلقيب بالإضافة إلى الدين . واختص بالإضافة إلى الدولة كتاب الأقباط . فإذا أسلم أحدهم غيرَّ لقبه من الدولة إلى الدين . فإذا كان سعد الدولة يصبح بعد إسلامه سعد الدين . وإذا كان فخر الدولة يصبح بعد إسلامه فخر الدين . وهكذا . واستمر الحال كذلك حتى دخول العثمانيين .

وزادت الألقاب حتى أصبح للشخص الواحد عدة منها . وتعددت حتى خرجت إلى مجرى المحسنات اللفظية لتقارب معانيها وانطلاق مدلولها بدون تحديد . ودخلت فيها الفوضى . فبعد أن كان اللقب يُطلق من ولى الأمر . تبرع الناس

---

(١) صبح الأعشى ج ٥ ص ٤٤٣ . وراجع الجدول الثانى عشر بالقسم الثالث .

(٢) الصالح طلائع بن رزيك هو صاحب المسجد على يسار الخارج من باب زويلة . والشارع هناك يعرف الآن بشارع الخيامية . وقد أنشأ الصالح هذا المسجد لينقل إليه رأس الأمام الحسين من عسقلان لما استولى عليها الصليبيون . ودفع مبلغا كبيرا فى سبيل ذلك . ولكن الخليفة الفاطمى رفض أن يدفن الرأس الشريف فى غير تربة الزعفران . وهى ترب الفاطميين فى مكان خان الخليلى ومقام الحسين الحاليين . وسنعود لذكر هذا بأذن الله فى أحد فصول هذا القسم عن خارج باب زويلة .

والكتاب بأطلاق مايستحسنون من الألقاب على أنفسهم وعلى من يستحق أولا يستحق تقربا وتحببا .

وجروا أولا على تلقيب كل اسم بلقب معين . فأرسلان (ومعناها أسد) لقبه بهاء الدين . وسنجر لقبه علم الدين . وأقوش لقبه جمال الدين . وفى القضاة والعلماء وكتاب السر مَن اسمه أحمد فلقبه شهاب الدين . وعثمان لقبه فخر الدين وعبد الرحيم لقبه زين الدين . كما اختص الخدام والخصيان بألقاب معينة . فيقال لهلال ومرجان زين الدين . ودينار عز الدين . ومثقال سابق الدين . ولؤلؤ بدر الدين .

ثم عدلوا عن هذا الالتزام رغبة فى التجديد والخروج على المألوف فلم يصبح للألقاب رابط .

بعد دخول العثمانيين :

وبدخول العثمانيين فى مصر ضعف شأن الألقاب المضافة إلى الدين أو الدولة وأصبحت الألقاب ترتبط بشخص الملقَّب وواقعه . كنسبته إلى بلدة كالدمياطى أو الفيومى . أو إلى حرفة أو تجارة معينة كالنحاس والمناخلى والغرابلى أو غير هذه الصفات .

الاسم المزدوج :

واستحدث نوع آخر من الألقاب وهو الاسم المزدوج . مثل مصطفى كامل . فالاسم مصطفى واللقب كامل . واستعملت الصياغة التركية فى هذه الألقاب مثل عزمى ونصحى ورفقى . ومثل نشأت وعفت وحشمت . ولهذا وذاك أمثلة كثيرة فى تاريخ مصر الحديثة مثل محمد على ومصطفى كامل وسليمان عزمى وحسن نشأت وغيرهم .

وفى الاسم المزدوج صعوبة يلقاها الباحث المؤرخ . فهو يتردد أمام الاسم المزدوج هل هو لشخص واحد أو هو اسمه واسم أبيه . كما أن كثيراً ماتبهم رابطة البنوة والأبوة والأخوة فى هذه الأسماء .

مثل محمد على وابنه أحمد طوسون . وحفيده عباس حلمى الأول بن أحمد طوسون . ثم إبراهيم الهامى بن عباس حلمى الأول .

ومثل أولاد الخديوى إسماعيل وهم محمد توفيق وحسين كامل ومحمود حمدى وإبراهيم حلمى وأحمد فؤاد .

ومثل ولدى الخديوى توفيق وهما عباس حلمى الثانى ومحمد على .

ومثل مصطفى باشا كامل وإخوته : على كامل فهمى . وحسين واصف . وعبد الفتاح فتحى . وسليمان علوى . ومحمد على . وحسن حسنى كامل . وأبوهم على أفندى محمد . ونحمد الله أننا عدنا إلى الوضع الطبيعى بتسمية الشخص باسم واحد . دون تزويقه بالكنية أو اللقب . وأصبح المعروف أن اللقب هو اسم العائلة .

الرتبة واللقب :

كما جدَّت ألقاب أخرى تدل على درجة معينة كالبك والباشا والأغا وغيرها . ويحسن أن نفرق بين الرتبة واللقب .

فالرتبة وظيفة أو درجة معينة يشغلها صاحبها . فالخليفة . وأمير المؤمنين . والسلطان . والملك . ورئيس الجمهورية . والوزير . واللواء . والعميد . والعقيد . والمستشار . والطبيب . والمهندس . والمحامى . وأمثالها . جميعها رتب . سواء كانت هذه الرتب ديوانية تتعلق بعمل فى الحكومة . أو عسكرية أو علمية تتعلق بشهادة معينة .

ونفس الألقاب التى ذكرت كالبك والباشا والأغا . كانت فى الأصل رتبا ترتبط بوظيفة معينة . فالبك هو أحد المماليك الصناجق وعددهم أربعة وعشرون كما سبق ذكره . والباشا هو الوالى المعين من استانبول ودرجته درجة وزير . والأغا من رجال الحامية التركية يشغل وظيفة عسكرية بدرجة معينة .

وكانت الرتب قبل الأيوبيين ذات ألفاظ عربية مثل الوزير والحاجب والقاضى والمحتسب وغيرها . لفظها يدل على معناها وعلى درجتها . فلا تحتاج لتعريف .

ولكن باستيلاء العناصر الأعجمية على الحكم من ديلم وكرد وترك وغيرهم . جدّت رتب ذات ألفاظ تركية أو فارسية . أو مركبة من احدهما مع العربية . ومن المفيد أن نذكر بعضها .

ترتيب الرتب فى الجيش فى دولتى السلاطين المماليك :

ويحسن قبل أن نتكلم عن الرتب أن نذكر تركيب الرتب فى الجيش المملوكى . فقد كانت طبقات :

أمير مائة مقدم ألف : وهو من الطبقة الأولى . وله إمرة مائة فارس (أغلبهم مماليكه) أو يزيد على ذلك . ويقدم على ألف فارس ممن هم أقل من درجته .

ويعين من هذه الطبقة فى الوظائف الكبرى مثل الحجبة والنيابة فى الأقاليم (كنيابة حلب أو حمص أو غيرهما) . والسلاحدارية . والداودارية . والجاندارية . والاستدارية . والجاشناكيرية . والخازاندرية . وغيرها . وسنذكر معانى هذه الألفاظ فيما بعد بإذن الله .

وقد يكون أمير المائة ليس صاحب وظيفة بل له الرتبه فقط . وتُدق على بابه الطبول بعدد معين وله الاقطاعات . وحوائص الذهب (جمع حَيَّاصة وهى مايشد على الوسط .) ولامراء المئين رواتب من السكر والحلوى فى رمضان ومن الأضحية فى عيد الأضحى . ولهم البرسيم فى الربيع لغذاء دوابهم بدلا من العليق المرتب لهم . وتفرق عليهم الخيول السلطانية فى السنة مرتين . وغير هذا من المزايا .

أمير طبلخاناه : وهو من الطبقة الثانية . وله الأمرة على أربعين فارساً . وقد يزيد على الأربعين . ويعين من هذه الطبقة فى الوظائف الأقل أهمية . كالكشاف (كان للوجه البحرى نائب وللوجه القبلى نائب . ولكل مديرية من الوجهين كاشف . فيكون النائب تحته عدة كاشفين . ووظيفة الكاشف تشبه وظيفة المحافظ الآن) . وأكابر الولاة مثل ولاية القاهرة والباب الكبير بالقلعة .

وتدق على أبوابهم الطبول ولكن بعدد أقل من أمراء المائة

أمير عشرة : وهو من الطبقة الثالثة . ويرأس عشرة فوارس أو يزيد . ويعين من هذه الطبقة فى الوظائف الأقل أهمية عن السابقة . مثل شد الدواوين . وأمير شكار . ووالى الفسطاط ووالى القرافة وغيرها .

أمير خمسة : ويرأس خمسة مماليك

ثم عامة الجند[1]

ونذكر الآن بعض الرتب والوظائف فى دولتى المماليك :

الأتابك : - وهى مركبة من كلمتين : أتا ومعناها أب . وبك ومعناها أمير . فيكون معناها أبو الأمراء وهو أكبر الأمراء المقدمين بعد النائب الكافل . وقال القلقشندى (صبح الأعشى ج٤ ص١٨) أن ليس له وظيفة ترجع إلى حكم أو أمر أو نهى . وغايته رفعه المحل وعلو المقام .

وليس ماذكره القلقشندى صحيحاً تماماً . فقد كان الأتابك أحياناً يقود الجيوش ويدير شؤون الحكم .

وقال أبو الفدا فى المختصر (ج٣ ص١٨٩) أن أصلها أطابك أى الوالد الأمين .

ولقب مصطفى كمال بعد قيام الجمهورية التركية سنة ١٩٢٢ بلقب أتاتورك أى أبو الأتراك .

النائب الكافل : وماذكرعن النائب الكافل تفسيره أن السلطان كان ينيب عنه نائباً (وليس بولى عهد) يقوم بشؤون الحكم إذا غاب السلطان عن مصر بالشام . وكان يسمى النائب الكافل .

الحاجب : وكان يلى النائب الكافل فى المكانة . ويفصل فيما يوجد بين الأمراء والجند . إلا أن تكون مسائل شرعية فتكون من شأن القاضى .

الاستذدار : مركبة من كلمتين : استذ بمعنى الأخذ ودار بمعنى ممسك . وهو الذى يتولى قبض مال السلطان وصرفه وتمثيل أوامره فيه . وغير ذلك من الشؤون . وقد ذكرنا هذه الوظيفة فى الفصلين الثالث والخامس من القسم الأول . وللاستذدار الرئاسة على الجاشناكير . وإن كان مثله من أمراء المئين .

الجاشناكير : مركبة من كلمتين جاشنا بمعنى الذوق وكير بمعنى المتعاطى . وهو الذى يتصدى لتذوق الطعام والشراب قبل السلطان خوفاً من أن يكون

---

(١) الرتب والألقاب المصرية لأحمد باشا تيمور .

مسموما . وقد سبق ذكر ذلك فى الفصل الثالث من القسم الأول .

أمير جاندار : مركبة من كلمتين . جان بمعنى الروح . ودار بمعنى ممسك . وكان يقف بباب السلطان . ويستأذن للأمراء وغيرهم فى الدخول عند جلوس السلطان بدار العدل . ويتولى فتح البريد متى حضر . وينفذ أوامر السلطان فى تعذيب من يغضب عليه من الأمراء . أو فى قتله . حيث هو المتسلم للزرد خاناه . وهى أرفع سجون القلعة قدراً . ومن اعتقل بها لا تطول مدته . بل يقتل أو يخلى سبيله .

السلاحدار : ممسك السلاح ويتولى شؤون السلاح . ورئيسهم أمير سلاح .

الطبردار : ممسك الطبر . أى الفأس . بالمواكب السلطانية . وأميرهم أمير طبر .

الدوادار : ممسك الدواة . وعليه تبليغ الرسائل فوراً من السلطان . وإلى السلطان . وارتفعت منزلة هذه الوظيفة فى أواخر دولتى السلاطين المماليك فقد تحكم متوليها فى جليل أمور الدولة وحقيرها . من المال والبريد والأحكام والعزل والولاية .

أمير شكار : أى أمير الصيد . وهو المسؤول عن الجوارح والطيور وسائر أمور الصيد

أمير علم : المسؤول عن الأعلام السلطانية والطبلخاناه وغير ذلك .

جوكندار : مركبة من كلمتين جوكان ومعناها المحجن . ودار بمعنى ممسك . وهو الذى يحمل المحجن مع السلطان فى لعب الأُكْرَة .

مهمندار : مركبة من كلمتين . مهمن ومعناها الضيف . ودار بمعنى ممسك . وهو المسؤول عن استقبال ضيوف الدولة ومباشرة راحتهم وما يجب لهم من مسكن وغذاء .

زنان دار : حُرفت إلى زمام دار . مركبة من كلمتين . زنان بمعنى النساء . ودار بمعنى ممسك . لمن يجلس من الخصيان عند ستارة الحريم .

جمدار : جاما معناها الثوب . ودار معناها ممسك وهو من يباشر إلباس السلطان ملابسه .

بشمقدار : بشمق معناها النعل . وهو يباشر أحذية السلطان .

ونكتفى بهذا القدر من الرتب والوظائف فى دولتى السلاطين المماليك . وبدخول العثمانين اضمحل شأن هذه الرتب . فقد أصبحت ولاية تابعة بعد أن كانت سلطنة . وإن كان بعض أمراء المماليك استعملوا بعضها فى حياتهم الخاصة . ولم يجد فى عهد العثمانين غير وظيفة الدفتر دار . أى ممسك الدفتر . وكان أقرب لوزير الداخلية حالياً فى اختصاصاته .

وكانوا فى المخاطبات يرمزون بالمكان أو الصفة للشخص تعظيماً له . مثل الجانب والمقام والمقر . ثم الجناب ثم مجلس ثم المجلس . ثم حضرة . وأعلاها الجانب والمقام . ويليها الباقى درجة فوق درجة . ويُضاف أحياناً إلى اللفظ صفة أو صفتان . فيقال الجانب الشريف . والجانب الشريف العالى . والجانب العالى . والجناب الشريف . والجناب العالى . والجناب السامى . وهكذا .[1]

وكانوا يعلقون على هذه التعبيرات وترتيبها أهمية كبرى . فقد ذكر ابن إياس فى حوادث سنة ٩٢١ هـ فى بدائع الزهور تأثر السلطان الغورى من تعاظم السلطان سليم العثمانى عليه فى مخاطبته . حيث عبرَّ سليم عن نفسه بمقامنا الشريف . وعبرَّ عن الغورى بمقامكم العالى . واعتبر الغورى هذا استخفافاً به .

وكذلك كانوا يستعملون الدار والديوان والجهة وغيرها من الألفاظ المعبرة عن المكان . واستعمال لفظ (الجهة) كان خاصاً بالسيدات ذوات الشأن . فيقال الجهة الحافظية والجهة المستنصرية كما نقول الآن حرم الحافظ وحرم المستنصر .

الرتب فى عهد أسرة محمد على :

وكانت الرتب فى عهد أسرة محمد على كالآتى :

الأفندى : وهو لفظ اقتبسه الترك من اليونانية . ومعناه الصاحب أو المالك أو السيد .

---

(١) صبح الأعشى الجزءان الخامس والسادس .

ويطلق على كل موظف بالحكومة لغاية الدرجة الثالثة . وعلى كل ضابط بالجيش أو الشرطة أقل من رتبة قائمقام (عقيد)

وأطلقها الناس على كل من يرتدى الزى الافرنكى . وعلى الأعيان الذين لم يصلوا إلى رتبة أعلى .

البك : ومعناها الأمير . والبكوية درجتان : الثانية والمتمايزة . وتطلق على العسكريين برتبتى القائمقام والأميرالاى (العقيد والعميد) . وفى الوظائف الحكومية على موظفى الدرجة الثانية .

الباشا : ويغلب أن أصلها الكلمة الفارسية البادشاه . وهى درجتان : ميرمران أى أمير اللواء . ورمللى بكلربكى أى أمير أمراء الرومللى .

والرومللى نسبة إلى الروم . وهى صفة العثمانيين الوارثين لملك الروم . بعد أن حلوا محل امبراطورية الروم الشرقية بالاستلاء على أملاكها بآسيا الصغرى وأوربا . فقبل فتح القسطنطينية سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٣م) استولى أورخان الأول سنة ٧٢٧ هـ على اليونان والجزء الجنوبى من بلغاريا وكان يطلق عليه اسم الرومللى .

وكانت الباشوية تطلق فى العسكرية على الحائزين لرتبة اللواء فما فوقها . وفى الوظائف الحكومية على موظفى الدرجة الأولى فما فوقها .

الوزير : وكل وزير باشا

هذا وإن كان الوصول إلى وظيفة معينة يقتضى الإنعام بالرتبة المناسبة لها . فكل مدير مديرية . وكل لواء فى الجيش أو الشرطة . وكل وزير . كان يُنعم عليهم بالباشوية .

ولكن عندما تولى سعد باشا زغلول رئاسة الوزارة سنة ١٩٢٤ لم يُنعم على الدكتور أحمد ماهر بالباشوية . وكان وزيراً للمعارف (التربية والتعليم والتعليم العالى) فيها . كذلك ظل مكرم عبيد أفندياً رغم توليه الوزارة مرتين برئاسة مصطفى باشا النحاس . ولم ينعم عليه بالباشوية إلا فى المرة الثالثة سنة ١٩٣٦ . وكان هذا مقصوداً لمحاربة السراى الملكية للوفد المصرى وقتذاك .

ثم أصبح البك والباشا ألقاباً تمنح من صاحب الأمر دون ارتباط بوظيفة

معينة . ودخلت الأغراض فى الأنعام بها . وكانت أحيانا تمنح مقابل مبلغ من المال . وكانت لها تسعيرة خاصة فى عهد عباس حلمى الثانى . وكانت تمنح أحياناً مقابل خدمات خاصة فى عهد فاروق .

وتبرع الناس بأطلاقها على كل سرى أو ثرى من أنفسهم تقرباً وتحبباً . حتى ألغيت الرتب بعد قيام الثورة سنة ١٩٥٢ .

ورغم هذ الإلغاء فلقب البك لا يزال متداولاً بكثرة فى مخاطبة من يستوجب احترامه .

وكانت الألقاب أو الرتب المذكورة تستوجب ألفاظاً معينة فى المخاطبة . فالأفندى حضرتكم . والبك عزتكم . والباشا سعادتكم . والوزير معاليكم . ورئيس الوزراء دولتكم .

كما خصصوا جلالتكم للملك . وعظمتكم للسلطان . وسموكم للأمير . وفضيلتكم لعلماء الدين من المسلمين . ونيافتكم لرؤساء الدين غير المسلمين . وغبطتكم لبطريرك الأقباط . وجنابكم لأعيان الأجانب . وغير هذا من ألفاظ تلتزم فى كل حالة .

هذه كلمة مختصرة عن الرتب والألقاب . ونعود فنقول :

الاسم واللقب والكنية :

ذكرنا أن الاسم قد يتكون من ثلاثة أجزاء . إسم ولقب وكنية . كما ذكرنا أن الشخص الواحد قد تتعدد ألقابه .

وهذا ما يدعو إلى صعوبات يلقاها الباحث المؤرخ . فكثير من الأشخاص اشتهروا بجزء من أسمائهم .

فالخلفاء الراشدون وخلفاء بنى أمية اشتهروا باسمائهم . حين أن الخلفاء العباسيين والخلفاء الفاطميين اشتهروا بألقابهم مثل أبى جعفر المنصور وهرون الرشيد والأمين والمأمون والمتوكل . . الخ من ألقاب العباسيين . ومثل القائم بأمر الله والمنصور بنصر الله والمعز لدين الله والحاكم بأمر الله . . الخ من ألقاب الفاطميين .

ومثلهم سلاطين بنى أيوب اشتهروا بجزء من ألقابهم مثل صلاح الدين والعادل والكامل . . الخ

وكذلك سلاطين دولتي المماليك اشتهر بعضهم بجزء من ألقابهم واشتهرالبعض الآخربأسمائهم فقط . مثل الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون وابنه الناصر محمد والمؤيد وقاتيباى وبرسباى وغيرهم .

أما سلاطين آل عثمان فشهرتهم باسمائهم .

وليس هذا مقصوراً على الملوك الحاكمين . بل نجدهذه الصعاب فى أسماء الوزراء والكتاب والأعيان فى كل العصور العربية .

وماقيل عن اللقب ينطق أيضاً على الكنية

أمثلة لمن اشتهروا باللقب أو الكنية :

الجاحظ : واسمه ابو عثمان عمر بن بحر توفى سنة ٢٥٥ هـ .

الأخفش : واللفظ معناه من يرى بالليل أكثر من النهار . وهو لقب لأكثر من عشرة أشخاص اشتهروا جميعاً بالعلم . وأشهرهم **الأخفش** الأكبر وهو أبو الخطاب عبد الحميد بن عبد الحميد المتوى سنة ١٧٧هـ . وهو استاذ سيبويه والأصمعى .

والأخفش الأوسط : وهو أبو الحسن سعيد بن سعدة تلميذ سيبويه توفى بين سنتى ٢١٠ و ٢٢١ هـ .

والأخفش الأصغر : وهو أبو الحسن على بن سليمان تلميذ المبرد . توفى سنة ٣١٥هـ وله فضل إدخال دراسة النحو فى مصر .

سيبويه : اسمه عمرو بن عثمان بن قنبر . ولقب سيبويه فارسى معناه رائحة التفاح لأنه كان جميل الصورة ووجنتاه كأنهما تفاحتان .

أبو طالب : عم الرسول (ص) . واسمه عبد مناف .

أبو لهب : عم الرسول(ص) . واسمه عبد العزى .

أبو سفيان : والد الخلفاء الأمويين . أو بعبارة أدق والد معاوية بن أبى سفيان وأولاده من الخلفاء الأمويين . اسمه صخر بن حرب .

أبو عبيدة الجراح : الصحابي المشهور اسمه عامر بن عبد الله بن الجراح .

أبو بكر الصديق : اختلفوا هل (أبو بكر) اسم أو كنية . وقالوا اسمه عبد الله .

أبو هريرة : كان اسمه قبل إسلامه عبد شمس . وبعد إسلامه عبد الرحمن . مع خلاف فى الاسمين . وغلبت عليه الكنية .

أبو الأسود الدؤلى : اسمه ظالم بن عمرو .

الإمام أبو حنيفة : اسمه النعمان بن ثابت .

أبو نواس الشاعر : اسمه الحسن بن هانى .

أبو معشر الفلكى : الذى علمت كتبه اوربا فى القرون الوسطى نظرية المد و الجزر وتأثير القمر . اسمه جعفر بن محمد توفى سنة ٢٧٢ هـ . وعرفته أوربا باسم. Abomassar

وهو غير أبى معشر نجيح بن عبد الرحمن المتوفى سنة ١٧٠ هـ صاحب كتاب المغازى .

وغيرهم كثيرون اشتهروا باللقب أو الكنية وهم أكثر من أن يحصروا .

الشهرة باسم الأب أو الجد :

ونذكر صعوبة أخرى يلقاها الباحث المؤرخ . وهى نسبة الشخص إلى أبيه أو جده أو جده الأعلى . ونذكر بعض الأمثلة لذلك :

ابن زهر :

اسم لستة أجيال من أسرة كل منهم اشتهر فى الأندلس والمغرب بالعلم .

فأولهم : ابو بكر محمد بن مروان بن زهر توفى سنة ٤٢٢ هـ .
وابنه : ابو مروان عبد الملك بن محمد .
ثم ابنه : أبو العلاء زهر بن عبد الملك .
ثم ابنه : أبو مروان عبد الملك بن زهر توفى سنة ٥٥٧ هـ .

ثم ابنه : أبو بكر محمد بن عبد الملك ويعرف بالحفيد توفى سنة ٥٩٥ هـ .
ثم ابنه : أبو محمد عبد الله بن الحفيد توفى سنة ٦٠٢ هـ .

وترك الأخير ولدين أحدهما طبيب أيضاً ولكن لم يشتهر .

ابن سينا : اسمه أبو على أو أبو العلى الحسين بن عبد الله توفى سنة ٣٢٨هـ .

ابن رشد : المعروف عند الغربيين باسم Averros اسمه ابو الوليد محمد بن أحمد ابن رشد توفى سنة ٥٩٢هـ

ابن الأثير الجزرى : اسم لثلاثة إخوة اشتهروا جميعاً بالعلم :

أكبرهم مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد مؤلف (جامع الأصول فى أحاديث الرسول) و (النهاية فى غريب الحديث) توفى سنة ٦٠٦هـ . وأوسطهم عز الدين أبو الحسن على بن محمد صاحب (الكامل فى التاريخ) و(أسد الغابة فى معرفة الصحابة) توفى سنة ٦٣٠هـ .

وأصغرهم ضياء الدين أبوالفتح نصر الله بن محمد صاحب (المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر) توفى سنة ٦٣٧هـ .

ابن حجر العسقلانى : القاهرى مولدا وإقامة ووفاة صاحب (فتح البارى بشرح صحيح البخارى) و (الدور الكامنة فى أعيان المائة الثامنة) وغيرهما من عشرات المؤلفات القيمة اسمه أحمد بن على بن حجر توفى سنة ٨٥٢ هـ .

ابن حجر الهيثمى : نسبة إلى محلة أبي الهيثم من محافظة الغربية أحد فقهاء الشافعية اسمه أحمد بن محمد بن محمد بن على بن حجر . توفى بمكة سنة ٩٧٤هـ .

الإمام ابن تيمية : المتوفى سنة ٧٢٨ هـ اسمه تقى الدين ابو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد بن تيمية .

وجده عبدالسلام عرف باسم ابن تيمية أيضاً وله كتاب (المنتقى فى حديث الأحكام عن خير الأيام) .

وغيرهم كثيرون جدا . وهم أيضا أكثر من أن يحصروا .

تعليل الأسماء :

قديما قالوا أن الاسماء لا تُعَللُ . وليس هذا صحيحا دائما أو تماما . فالاسماء التى لا تعلل هى الاسماء الأصلية فى اللغة كالشمس والقمر والأرض والجبل والشجر وغيرها . للمدلولات المعروفة بهذه الاسماء .

وقد تكون هناك علة فى اختيار هذه الألفاظ بحروفها الصوتية للمدلولات المذكورة . ولكن هذه العلة عميقة وموغلة فى القدم فى أغوار التاريخ . وقد يجد علماء اللغات المقارنة compar ative philology تعليلا لها مثل حرف الميم المشترك فى لفظ الأمومة وحرف الباء المشترك فى لفظ الأبوة فى غالب اللغات . وغيرهما من الأمثلة .

ولكن للأسماء التى نضعها لأولادنا اختيارا عللا من المناسبات الزمانية أو المكانية . أو للتيمن والتفاؤ ل . أو غير هذا من الأسباب .

فمثلا من اسماءهم محرم - أو صفر - أو ربيع - أو رجب - أو شعبان - أو رمضان - أو عيد غالبا ولدوا فى هذه الشهور .

كذلك نجد أن اسم فتح الباب وفتح الله غالبا مايدل على الولد البكر للأسرة .

واسم فريد او وحيد غالبا مايدل على يتم الولد أو يأس الوالدين من إنجاب غيره لأى سبب من الأسباب .

ونجد فى محافظة بنى سويف اسم عويس واسم قرنى منتشرين تبركا بالشيخ أويس القرنى . وفى محافظة أسيوط ينتشر اسم فرغلى تبركا بالشيخ الفرغلى . كما ينتشر اسم عبد الرحيم فى محافظة قنا (سوهاج) تبركا بالشيخ عبد الرحيم القنائى .

وفى مطلع القرن الحاضر انتشر اسم مصطفى كامل ومحمد عبده وجمال (جمال الدين الأفغانى) ومصطفى كمال (بطل النهضة التركية الحديثة) . وسعد زغلول .

ونذكر أن اسم الإمام محمد عبده لم يكن من الأسماء المزدوجة . فاسمه محمد بن عبده بن حسن خير الله . ولكن لما اشتهر الإمام سمىَّ آباء أولادهم باسمه بالكامل (محمد عبده) .

وبعد ميلاد فاروق الملك المخلوع انتشر هذا الاسم . ولم يكن من الأسماء المتداولة منذ عهد الفاروق عمر بن الخطاب .

وأيضا فى أوائل القرن الحاضر انتشر اسم أنور إعجابا بأنور باشا القائد التركى الذى كان له دور هام فى خلع السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٨ وفى حرب تركيا مع إيطاليا فى طرابلس (ليبيا) سنة ١٩١١ /سنة ١٩١٢ م . وبعد قيام ثورة سنة ١٩٥٢ نجد اسم جمال منتشرا بين مواليد مابعد الثورة تيمنا بقائدها الرئيس جمال عبدالناصر .

وأكثر الاسماء شيوعاً بين المسلمين هو اسم الرسول ﷺ ومشتقاته (محمد - أحمد - محمود - حامد) كما جاء فى القول المأثور (خير الاسماء ما حُمِّدَ وما عُبِّد) أى مثل عبدالله وعبد الرحمن وعبد الرحيم . . الخ

وبعد قيام فكرة القومية العربية اتجه الكثيرون إلى إحياء بعض الاسماء التاريخية القديمة مثل طارق وأسامة وهشام وغيرهم .

وبعض العائلات تلتزم اسماء معينة تتكرر على ممر الأجيال . فالأب يسمى ابنه على اسم أبيه . والابن يسمى ابنه على اسم أبيه ويتكرر هذا بالتناوب جيلا بعد جيل . فيكون الاسم مثلا إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن محمد . . الخ

كما أن بعض الآباء يلتزمون حرفاً معيناً لأوائل اسماء أولادهم من الذكور والأناث مثل الملك السابق أحمد فؤاد وأولاده فاروق وفوقية وفوزية وفايزة وفتحية . والتزم هذا أيضاً ابنه فاروق فى اسماء أولاده فريال وفادية وفوزية وأحمدفؤاد الثانى . حتى أنه عندما تزوج السيدة صافيناز ذوالفقار غيرَّ اسمها إلى فريدة .

وجرت على هذا المنوال عائلات كثيرة . ويرى البعض أنه لاداعى لهذا الالتزام . بل ويستسخفونه .

التفاؤل والتشاؤم فى الأسماء :

ذكرت أن بعض الأسماء تعلق لمناسبات زمانية أو مكانية . وبعضها يطلق للتيمن والتفاؤل . وأضيف أن بعض الاسماء قد تجتنب كراهية ونفورا .

فمثلا قد وُلد على بن عبدالله بن عباس - جد الخلفاء العباسين - يوم قُتل أمير المؤمنين على بن أبي طالب فى ١٧ رمضان سنة ٤٠هـ . وسمَّاه أبوه عليا . وقال سميته باسم أحب الخلق إلىَّ . وكناه أبا الحسن .

ولما قدم على بن عبدالله المذكور - بعد أن صار رجلا - على عبدالملك بن مروان أكرمه وأجلسه على سريره . وسأله عن كنيته . فأخبره . فقال عبدالملك : لايجتمع فى عسكرى هذا الاسم وهذه الكنية . وسأله : هل وُلد له ولد . وكان ابنه محمد قد وُلد له فأخبره . فكنَّاه أبا محمد(١) :

ثم كره العباسيون اسم على والحسن والحسين . والكنى عنها . أبا على وأبا الحسن وأبا الحسين . فمن ٣٧ خليفة عباسى ببغداد لانجد غير اثنين لهما اسم أو كنية من هذا النوع هما الخليفة السابع عشر المكتفى بالله أبو على محمد (٢) والثالث والثلاثون المستضى بالله أبو الحسن محمد . حين أن أكثر من ثلثى هذا العدد كان اسمه أو كنيته عبدالله أو أبا عبدالله أو أبا العباس أو محمدا أو أبا محمدا .

ومن بين ١٧ خليفة عباسى بالقاهرة لانجد أحدا منهم تسمى بعلى أو الحسن أو الحسين أو تكنى بإحدى الكنى المتصلة بهذه الاسماء (٣) .

وينطبق هذا على خلفاء بنى أمية . وفى الرواية السابقة التى ذكرت عن عبدالملك بن مروان وعلى بن عبد الله بن عباس ما يتفق مع هذا الاتجاه (٤)

يقابل هذا من ناحية أخرى الخلفاء الفاطميون . فقد حكم منهم ١٤ خليفة لم يكن اسم عبدالله أو العباس أو كنيتاهما أبو عبدالله وأبو العباس لأحد منهم . ما عدا الأخير - العاضد لدين الله أبو عبد الله محمد - وهذا من غرائب الفأل (٥) .

كما لاتجد يهوديا اسمه عيسى .

---

(١) تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى جـ ٨ ص ٢٣٠ .
(٢) حتى فى هذا يمكن أن يعود إلى جدهم على بن عبد الله بن عباس المذكور .
(٣) راجع الجدولين الخامس والسادس بالقسم الثالث .
(٤) راجع الجدول الثالث بالقسم الثالث .
(٥) راجع الجدول الحادى عشر بالقسم الثالث .

أسماء النساء :

ويجب الا ننسى نصيب النساء من الاسماء .

وقد ذكرنا أنهن كن يتلقبن ويكتنّنّ

فأم سلمة زوجة الرسول ﷺ اسمها هند بنت سهيل . وأم حبيبة بنت أبى سفيان زوجته عليه الصلاة والسلام اسمها رملة . وأم هانى بنت أبى طالب أسمها فاختة [1] .

وإذا تركنا الكنية أو اللقب فى اسماء النساء . ونظرنا إلى مجرد اسمائهن . فنجدها أولا بصفة عامة تتفق مع ماللأنوثة من صفات محببة عند الرجال . ثم إن اسماءهن فى الجاهلية كان يغلب عليها الجد والبداوة . ثم نجدها بعد ذلك قد صقلها الترف . ورقّقتها المدنية . بل نجد فى بعضها العبث والشقاوة .

ومن الاسماء القديمة اسماء ظلت محتفظة بتقديرها على مر العصور منذ صدر الإسلام للآن . لقدسية اتصالها بالرسول ﷺ . مثل السيدة خديجة [2] والسيدة عائشة زوجتيه . ومثل اسماء بناته فاطمة الزهراء . وزينب [3] ورقية . وأم كلثوم [4] .

ومن الأسماء القديمة التى نستعملها الآن اسما هند [5] وهالة . وهما اسمان كانا يستعملان للجنسين من النساء والرجال .

فقد ذكر لنا التاريخ هندا وهالة ولدى النباش أبى هالة بن زُرارة . الذى كان زوجا للسيدة خديجة قبل الرسول ﷺ . وهما ابنا هامنه . ومات هالة . أما هند فقد

---

(١) الفاختة اسم طير . والفخت ضوء القمر .

(٢) الخداج فى اللغة القاء الناقة ولدها قبل تمام أيامه . وأيضا النقصان (القاموس المحيط) .

(٣) زينب من الأرنب السمين . أو من الزينب شجر طيب الرائحة . أو أصلها زين أب (القاموس) .

(٤) كلثوم كثير لحم الخدين . أو الحرير على رأس العلم . (القاموس) .
والسيدتان رقية وأم كلثوم كانتا متزوجتين عتبة وعُتَيبة ولدى أبى لهب . فلما نزلت سورة المسد (تبّت يدا أبى لهب وتب) أمر أبو لهب ولديه بمفارقتهما . فتزوج عثمان بن عفان رقية . فلما توفيت تزوج بعدها أم كلثوم .

(٥) الهند أصلا المائة أو المائتان من الأبل . وهندُته المرأة إذا أورثته عشقا بملاطفتها .

أدرك الاسلام . وكان الحسن بن على بن أبي طالب يحدث عنه يقول : حدثنا خالى هند . فهو أخ والدته السيدة فاطمة الزهراء لأمها . وتوفى هند سنة ٨٠ هـ[١] .

كما ذكر لنا التاريخ هالة أخت السيدة خديجة . وهى والدة أبى العاص مقسم الذى تزوج زينب بنت الرسول ﷺ . وأسلم أبو العاص أخيراً وولدت له زينب علياً (توفى صغيراً) . وإمامة التى تزوجها على بن أبي طالب بعد وفاة خالتها السيدة فاطمة الزهراء .

وكان للسيدة خديجة بنت اسمها هند . ولدتها من عتيق بن عبد الله من بنى مخزوم . وكانت السيدة خديجة تكنى أم هند سواء لبنتها هذه . أولا بنها هند السابق ذكره . والأخير أرجح .

ولا أريد أن استرسل فى سرد تاريخى . فالمقصود هو استعراض مجموعة من اسماء النساء على ممر العصور الاسلامية . وطبيعى أن التاريخ لم يسجل إلا من اشتهرن لصلتهن بالحاكم سواء عن طريق الزواج أو القرابة أو التبعية . أو العابدات من النساء . أو المغنيات . أو الأديبات . أو غيرها من الصفات .

وفى هذا الاستعراض نكتفى بمجرد ذكر الاسم دون النسب .

فمثلا زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام من مات منهن فى حياته : خديجة - وزينب أم المساكين - وريحانة - ومليكة - وسنا - وخولة [٢]. ومن مات منهن بعده : سودة . وعائشة . وأم سلمة . وأم حبيبة (وقد سبق ذكر اسميهما) .

وحفصة [٣]. وزينب بنت جحش . وجويرية . وصفية . ومأمونة .

واختلفوا فى اسم الكلابية التى استعاذت من الرسول (ﷺ). فطلقها . قالوا اسمها فاطمة . وقالوا عمرة . وقالوا سناء .

---

(١) المنتخب من ذيل المذيل للطبرى ص ٣١ .
(٢) خولة معناها ظبية .
(٣) الحفص ولد الأسد . وبه كنى الرسول ﷺ عمر بن الخطاب . والسيدة حفصة المذكورة بنت عمر ابن الخطاب

وعمر بن الخطاب أمه اسمها حنتمة[1] وتزوج فى الجاهلية والأسلام من زينب وحفصة . وأم كلثوم[2]. وقريبة . وجميلة . ولهية . وفكيهة . وعاتكة.[3]

وعثمان بن عفان أمه اسمها أروى . وتزوج من رقية وأم كلثوم (بنتى الرسول ﷺ) . وفاختة . وأم عمرو . وأم البنين . ورملة . ونائلة .

وعلى بن أبي طالب أمه اسمها فاطمة . وتزوج من فاطمة الزهراء . وأم البنين . وليلى . وأسماء . وأم حبيب الصهباء . وإمامة بنت أبي العاص[4] وخولة . وغيرهن . وخلف منهن سبع عشرة بنتاً : أم هانىء . وميمونة . وزينب الكبرى . وزينب الصغرى . وأم كلثوم الكبرى . وأم كلثوم الصغرى . ورقية . ورملة الكبرى . ورملة الصغرى . وخديجة . وأم الكرام . وأم جعفر . وجمانة[5] وفاطمة . ونفيسة . وإمامة . ونائلة .

ومعاوية بن أبي سفيان أمه هند وتزوج من ميسون[6] وفاختة . ثم أختها كتوة.[7]

ويزيد بن عبد الملك بن مروان أمه عاتكة . وجاريتاه سلامة القس وحبابة مشهورتان . وقد توفى يزيد بعد وفاة حبابة بسبعة عشر يوماً حزناً عليها.

وعلى زين العابدين بن الحسين بن على بن أبي طالب أمه اسمها سلافة – ويقال اسمها جَيَداً . ويقال اسمها غزالة[8] . ويقال أن اسمها شاه زنان . أى ملكة النساء . وأنها بنت كسرى يزدجرد آخر الأكاسرة . وقعت فى السبى هى وأختها فى نصيب على بن أبي طالب . فأعطى شاه زنان للحسين فولدت له عليا زين العابدين . وأعطى أختها لمحمد بن أبي بكر الصديق فأولدها القاسم بن محمد . فزين العابدين والقاسم ولدا خالة . وأنكر بعض المؤرخين هذا النسب من بنت -

---

(١) الختم شجرة الحنظل والسحابة السوداء .
(٢) أم كلثوم بنت على بن أبي طالب .
(٣) عاتكة : المرأة إذا شرفت ورأست . وعتكت المرأة على زوجها إذا نشزت وعصت عليه .
(٤) أمها السيدة زينب بنت الرسول . وقد سبق ذكرها .
(٥) الجمانة اللؤلؤة .
(٦) الميسون الغلام الحسن القد .
(٧) الكتو مقاربة الخطو .
(٨) المنتخب من ذيل المذيل للطبرى ص١٩ ، ص ٨٨ .

يزدجرد . ولا يهتم نسّابة آل البيت بهذا كثيراً . فقد أغنى الله عليا زين العابدين بنسب الرسول عن كل نسب . والعرب لا تعد العجم فضيلة وإن كانوا ملوكاً (١)

أما أخت على زين العابدين المسماة سَكينة (بصيغة التصغير) ـ أو سَكينة (بفتح السين وكسر الكاف) فأمها الرباب بنت امرىء القيس . وإليها ينسب المقام بشارع الخليفة بعد الصليبية وقبل مقام السيدة نفيسة

والعباس بن عبد المطلب (عم الرسول ـ ﷺ) أمه اسمها نتيلة (٢) .

وابنه عبد الله بن العباس أمه لبابة الكبرى . وهى أخت السيدة ميمونة زوجة الرسول ﷺ . ولها أخوات أخريات : لبابة الصغرى وهزيلة وعزة .

وابنه على بن عبد الله ـ وقد سبق ذكره ـ أمة اسمها زُرعة (٣) .

وابنه محمد بن على أمه العالية .

وابنه السفاح أول الخلفاء العباسيين أمه اسمها ريطة (٤) .

ومحمد المهدى بن أبى جعفر المنصور أمه أم موسى .

وولداه موسى الهادى وهرون الرشيد أمهما الخيزران .

والمأمون بن الرشيد أمه جارية سوداء اسمها مراجل . أما الأمين بن الرشيد فأمه زبيدة بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور . فهى بنت عم هرون الرشيد .

وكثر التسرى بالجوارى . وكثير من الخلفاء العباسيين أمهاتهم أمهات أولاد . فدخلت الاسماء التركية والفارسية والرومية فى القصور . وبدأت تشيع بين الناس .

وتزوج المأمون من بوران بنت الحسن بن سهل . وكان عمها الفضل بن سهل وزير المأمون . وهى أسرة فارسية الأصل . واشتهرت بوران بما فعله أبوها فى حفل

---

(١) عمدة الطالب فى نسب آل أبى طالب لابن عقبة (مخطوط) .
(٢) النتيلة الوسيلة .
(٣) الزرعة الموضع من الأرض يزرع فيه .
(٤) الريطة اللين الرقيق من الثياب .

زفافها على المأمون . حتى أنه كتب أوراقا بضياع . ووضع الأوراق داخل أصناف الفطائر والحلوى . فمن وجد ورقة باسم ضيعة كانت له الضيعة .

وكان للمأمون جارية اسمها بدعة . آلت فيما بعد إلى المتوكل بن المعتصم . فأولدها الموفق طلحة . والأخير هو والد المعتضد بالله الذى تزوج قطر الندى بنت خمارويه بن احمد بن طولون سنة ٢٨٢ هـ .

وبالغ خمارويه فى جهاز ابنته قطر الندى مبالغة تذهل العقل وتعجز الوصف . وبنى لها قصرا فى نهاية كل مرحلة . أى مسيرة يوم . من مصر إلى بغداد لتنزل فيه . وزودت هذه القصور بجميع ما يلزم ويليق بالملوك . وزودها أثناء الطريق بأصناف الخضروات مزروعة فى قصارى كبيرة لتأكل منها طازجة . وبالماشية ليحتلبوها لها أثناء الطريق وتوفيت قطر الندى فى بغداد سنة ٢٨٧ هـ . ولا يزال اسم قطر الندى يتردد فى بعض الأغانى الشعبية الموروثة .

والواثق بن المعتصم أمه أم ولد رومية اسمها قراطيس (لاحظ صياغة الإسم) . واشترى الواثق جارية اسمها قلم . وأعجب بها فأسماها اغتباط .

والمهدى بن الواثق أمه اسمها قرب .

والمعتز بن المتوكل أمه اسمها قبيحة لفرط جمالها .

والمقتدر بالله بن المعتضد امه اسمها شَغَب . وكانت له جارية اسمها ثمل .

والمكتفى بالله بن المعتضد أمه رومية اسمها جيجك .

والقاهر بن المعتضد أمه اسمها قبول .

وهكذا تتوالى الاسماء فى العصر العباسى من الجد وصور البداوة إلى الترف والعبث والشقاوة .

فإذا انتقلنا إلى **الدولة الفاطمية** فى مصر فقد ذكرنا الحرج من ذكر السيدات باسمائهن . وأنه كان يشار إليهن بالجهة أو الدار . فلم يكن من السهل على المؤرخين ـ أو لم يكن جديرا باهتمامهم ـ معرفة جميع سيدات القصور . ولكن أمكن لهم أن ينفذوا خلال ستائر الحجاب ويعرفوا اسماء بعضهن .

ونذكر جانبا منها على سبيل المثال .

فقد كانت زوجة المعز لدين الله أول الخلفاء الفاطميين فى مصر اسمها تغريد وكانت تكنى بأم الأمراء . وهى والدة العزيز بالله .

وذكر المقريزى أن أم الظاهر اسمها رصد . وأن زوجة الآمر بأحكام الله اسمها عَلَم . وهى أم بنته المسماة ـ أو الملقبة ـ بست القصور . وعبّر عنها بجهة مكنون . ومكنون اسم الوكيل عنها فى إدارة أملاكها . كما ذكر جهة ريحان . وجهة بيان الحافظتين نسبة للحافظ لدين الله فى الكلام عن مسجديهما . ولكن لم يذكر اسميهما .

وذكر اسم غزال صاحبة دواة الحافظ . ورياض وقافة الحافظ . كما ذكر فوز جارية الوزير على بن احمد الحرحراى . وبلاوة المغربية زوجة الوزير العادل بن سلار .

ويظهر أن الحرج كان فى ذكر اسماء زوجات الخلفاء دون الجوارى والمستخدمات .

فإذا انتقلنا إلى **عهد الأيوبيين** نجد الأسماء بين العربية والتركية . ونذكر بعضها على سبيل المثال :

فقد كان للعادل بن أيوب كثير من البنات . منهن ضيفة خاتون . وسميت ضيفة لأنه كان وقت ولادتها عند والدها ضيف . وغازية خاتون . وملكة خاتون . والأخيرة تزوجت المنصور عمر بن شاهنشاه بن أيوب فولدت له المظفر عمر الثانى . وهو جد أبى الفداء المؤيد اسماعيل المؤرخ المعروف مؤلف المختصر فى تاريخ البشر وتقويم البلدان وغيرهما . وتزوج المظفر عمر المذكور غازية خاتون بنت الكامل بن العادل فولدت له المنصور محمد وملكة خاتون ودنيا خاتون .

وفى عصر السلاطين المماليك نجد ازديادا فى تركية الاسماء . فبعد شجرة الدر نجد الاسماء الآتية على سبيل المثال :

زوجات الناصر محمد بن قلاوون خوند طغاى . وخوند قطلونبك . وخوند أردتكين .

وبنت الناصر محمد خوندتتر تزوجت الأمير ملكتمر الحجازى فعرفت بالست الحجازية .

وخوند بركة أم السلطان الأشرف شعبان صاحبة المدرسه بالتبانة قسم الدرب الأحمر باقية للآن باسم مدرسة أم السلطان وبجوارها جامع السلطان شعبان .

وخوند زينب والدة السلطان الأشرف إينال . وخوند بنجى بنت الأمير أزبك اليوسفى . وسيأتى ذكره وذكر أزبك بن ططخ فى الفصل الخاص بالأزبكية بإذن الله .

وخوند سواربائى زوجة الظاهر خوش قدم . تزوجها بعد خوند الأحمدية والأخيرة هى جدة شهاب الدين احمد العينى بانى القصر العينى ـ جدته لأمه .

وخوند أصلباى زوجة الأشرف قايتباى . وأم ولده الناصر . وأخت الظاهر قانصوه بن قانصوه . وتزوجت بعد قايتباى الأشرف جان بلاط .

وتوجد اسماء أخرى كأنها ألقاب . مثل ست الجراكسة . وست الحكام . وست الكل . وست الناس .

ولا يزال مثل هذا سائدا للآن فى الأرياف مثل ست أبوها . وكان للمرحوم سعد باشا زغلول أخت اسمها ستهم هى والدة المرحومين فتح الله باشا بركات ومحمد عاطف بك بركات .

وفى **عهد البكوات المماليك** نجد الاسماء التقليدية والخلط بين العربية والتركية . كما نجد اسم هانم يبرز بين اسماء السيدات . ولم يكن متداولا من قبل . وهانم أصلها بالتركية هانم (بضم النون) ومعناها السيدة .

ونجد بين سطور المؤرخين بعض الاسماء لنساء احترفن الدعارة مثل بدرية وأنس .

وقصص ألف ليلة . ويغلب أنها وضعت على فترات طويلة . أو دخلتها تغييرات وإضافات كثيرة . فبعض الحكايات تتفق تماما مع صور الحياة الاجتماعية فى مصر فى القرن التاسع الهجرى (١٥م) بل وبنفس الاسماء . مثل أحمد الدنف وهو لص اشتهر وشنق فى عهد قايتباى . جعلت منه ألف ليلة بطلا من أبطال قصة علاء الدين أبى الشامات فى عهد هرون الرشيد . وبين العهدين سبعة قرون .

المهم أن ألف ليلة يزودنا بمجموعة من اسماء النساء . مثل بدور ـ حياة

النفوس بستان نعم ونعمة (الغريب أنه جعل نعمة الحبيب المذكر ونعم الحبيبة المؤنثة) . زبيدة . قوت القلوب . حسن مريم . زمرد . شمس النهار . الورد فى الأكمام (مع حبيبها أنس الوجود) .

عهد محمد على :

ولا بأس أن نذكر اسماء بعض الأميرات السابقات من أسرة محمد على . وقد سبق أن ذكرنا بنات أحمد فؤاد وبنات فاروق . وستجد اسماء بعضهن أيضا فى الفصلين الثالث والرابع من هذا القسم فى الكلام عن أفراح الأنجال بالمنيرة . وسكة حديد حلوان .

ولكن نذكر أن زوجات اسماعيل كُنَّ : شهرت . جنانير . جشت آفت . تريمى . وكان يستعمل الرمز فى الأشارة إليهن . فمثلا فى أمر صدر فى ٨ جمادى الأولى سنة ١٢٨٨ (١٨٧١) (يقتضى أن تربتوا (أى تربطوا) إلى كلا(هكذا) من الهوانم حرمنا الأربعة وهم (هكذا) برنجى وايكنجى وأوجينحى ودورتينجى ٣٠٠٠ كيسة سنويا (أى ١٥٠٠٠ جنيها) . ويعنى الأولى والثانية والثالثة والرابعة .

ويكفى ما ذكرناه عن اسماء النساء .

الأسماء فى دولتى السلاطين المماليك :

وقاعدة اختيار الاسماء المفضلة للأولاد قاعدة عامة عند جميع الشعوب فكثير من الاسماء الأفرنكية ترجع إلى اسماء أنبياء . أو ملائكة . أو قديسين أو أبطال تاريخيين . أو معانى جميلة فى الأسماء .

وكانت الاسماء التركية فى دولتى السلاطين المماليك من ضمن هذه القاعدة . فقد كان فيها معنى القوة . أو الفروسية . أو أحد المعادن الشهيرة بنفاستها أو صلابتها . أو غير هذا من الصفات المفضلة فى عصرهم .

فاسم بغا معناه فحل . واسم دمركبى معناه حديد . وألطن معناه ذهب . وكَمُش معناه فضة . وطِى معناه مهر . وتنكز معناه بحر . وسنقر طائر يستعمل فى الصيد .

وركبوا منها اسماء . فقالوا تمربغا أى الفحل الحديدى . والطنبغا أى الفحل

الذهبى . وكَمُشبَغا أى الفحل الفضى . وآقبغا اى الفحل الأبيض . وقرابغا أى الفحل الأسود . وآق سنقر أى الصقر الأبيض . وقرا سنقر أى الصقر الأسود . وهكذا بتقديم الصفة على الموصوف كالقاعدة عندهم . (صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٢٥)

وهكذا رأينا أن الاسماء التى نطلقها قد تُعِلَّل .

الفصل الأول

القصر العينى

كلنا نعرف شارع القصر العينى بالقاهرة . وهو منسوب إلى قصر العينى الذى به الآن جزء من المستشفى الجامعى لكلية الطب بجامعة القاهرة .

فما هو هذا القصر ؟ ومن الذى بناه ؟

هذا القصر أنشأه سنة ١٤٦٦م (٨٧١هـ) شهاب الدين أحمد بن عبد الرحيم بن قاضى القضاة الحنفية بدر الدين محمود العينى . أى من أكثر من خمسة قرون .

وجده قاضى القضاة بدر الدين المذكور أصله من عينتاب (شمال حلب وهى من الجمهورية التركية الآن) . ولعل العينى نسبة إليها ولو أنها نسبة على غير القياس . تولى الحسبة . وقضاء الحنفية بمصر عدة مرات . منها سنة ٨٠١هـ فى الحسبة بدلاً من المؤرخ المقريزى . ثم أعيد للحسبة سنة ٨١٩ وأضيف إليه نظر الأحباس (الأوقاف) . وكان مقربا للسلطان المؤيد شيخ ثم عزل وسافر للخارج وعاد . فكلفه الأميرتتر (الذى تولى السلطنة فيما بعد باسم الظاهر تتر سنة ٨٢٤هـ بترجمة كتاب القدورى إلى التركية . فترجمه . ثم عين للحسبة سنة ٨٢٨ . وتولى قاضى قضاة الحنفية من سنة ٨٢٩ - ٨٣٣ . ثم عُزل . ثم أعيد للقضاء من سنة ٨٣٥ - ٨٤٢ . ثم تولى الحسبة وعُزل عنها سنة ٨٤٥هـ . ثم أعيد إليها سنة

٨٤٦هـ . وكان يعزّر السوقة (أى يعاقبهم) بذهاب المال (أى المصادرة) فمن وجد فى بضاعته غشاً يرسلها إلى من فى الحبوس (السجون) فيأكلها المحبوسون[١]

وتوفى بدر الدين محمود العينى سنة ٨٥٥هـ . ودفن فى مدرسته التى أنشأها سنة ٨١٤هـ . باسم المدرسة العينية . ولا تزال المدرسة موجودة للآن بشارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

ولم يذكر المقريزى المدرسة العينيـة فى خططه ضمن المـدارس أو الزوايـا . بالرغم أن المقريزى توفى سنة ٨٤٥ . والمدرسة منشأة سنة ٨١٤[٢] وعرفت الحارة التى بها المدرسة . بالعينية كما ذكر الجبرتى . وكانت تعرف فى خطط المقريزى بحارة كتامة[٣] .

وممن دفن بالمدرسة العينية مع بدر الدين العينى شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلانى صاحب (إرشاد السارى لشرح صحيح البخارى) توفى سنة ٩٢٣ هـ .

ولبدر الدين محمود العينى من المؤلفات (تاريخ عقد الجمان فى أخبار الزمان) فى عشرين جزءا . بعض أجزائة ناقصة . واختصره إلى ثمانية ويعرف بـالتاريـخ العينى . ولا يزال مخطوطا بدار الكتب . وذكره ابن إياس باسم التاريخ البدرى . وله (عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى) طبع فى الأستانة سنة١٣١٠هـ(١٨٩٢م) فى أحد عشر جزءاً . و (كشف اللثام فى شرح السيرة النبوية لابن هشام) و (شرح جزء من سنن ابن داود فى الحديث) فى جزأين . وموجود منه نسخة بخط المؤلف بدار الكتب . وغيرها كثير من الشروح فى العلوم الدينية واللغوية .

---

(١) حسن المحاضرة للسيوطى جـ ١ ص ١٨ ، وجـ ٢ ص ١١١ . والحسبة وظيفة إسلامية هامة من إختصاصها مراقبة الأسواق والأسعار . وسلامة المعروضات من الغش . وصحـة الموازين والمكـاييل . والآداب العامة . وغير ذلك من شؤون الضبط والربط . فكانت وظيفة المحتسب أقرب لوظيفة مدير الأمن حالياً بالنسبة لهذه الجرائم . ويمتاز عنه بتوقيع العقوبات التى يراها مناسبة فوراً . وكان هذا يسمى بالتعزير .

(٢) لعل هذا للتنافس الذى رأيناه بين الأثنين فى وظيفة الحسبة . وهى سقطة من المقريزى .

(٣) كتامة إحدى القبائل التى ناصرت الفاطميين فى المغرب . وهى أصل الدولة الفاطمية . وكان لها التقدم فى صدر الدولة . ثم نكبها الحاكم بأمر الله بقتل كبيرها ابن عمار . وقدّم الأتراك . وحل محل ابن عمار فى الوساطة (أى الوزارة) برجوان وهو خصى من خدم العزيز بالله والد الحاكم كان أوصاه عليه . ثم قتل الحاكم برجوان بعد ذلك . وسنعود لذكر برجوان فى الفصل الخاص بالشارع الأعظم من هذا القسم .

وتزوج ابنه عبد الرحيم بابنة خوند الأحمدية - وهى ربيبة الظاهر خوشقدم الذى وصل للسلطنة فيما بعد (٨٦٥ - ٨٧٢هـ) . فولدت له شهاب الدين أحمد منشىء القصر العينى . ولذلك كان يطلق عليه سبط السلطان خوشقدم . والحقيقة أن أمه ربيبة السلطان أى بنت زوجته خوند الأحمدية المذكورة . وتوفيت والدته سنة ٨٦٧هـ .

وعلا شأن أحمد العينى فى عهد السلطان خوشقدم . فأنعم عليه سنة ٨٦٩هـ بأمارة مائة تقدمة ألف . وهى أعلى الرتب العسكرية كما سبق ذكره فى المقدمة فى هذا القسم وجعله أميراً للمحمل أى أميراً للحج .

وحجت جدته لأمه زوجة السلطان - فى هذه السنة . فبالغ شهاب الدين أحمد فى التجمل والظهور . حتى جعل كراز[1] الماء من الذهب الخالص المرصع بالياقوت والزبرجد والفيروز . وخرج من القاهرة فى موكب عظيم . وجدَّته فى محفة زركش . وأمامه الأمراء والمباشرون . وعاد سنة ٨٧٠هـ من الحج . فكان موكبه فى العودة لا يقل عظمة وأبهة عن موكبه فى الخروج . وتوفيت جدته فى نفس السنة بعد العودة من الحج .

وفى سنة ٨٧١ عين أمير أخور كبير[2] . وقال ابن إياس فى بدائع الزهور فى حوادث هذه السنة : فتزايدت عظمته . وأصبحت له حرمة وافرة وكلمة نافذة . وهو الذى أنشأ القصر العظيم المطل على البحر بمنشية المهرانى[3] . ولما كملت عمارة القصر نزل السلطان (أى من القلعة) وأقام هناك إلى بعد العصر . وتفرج فى ذلك اليوم على البحر . وكان يوماً سلطانياً . ١هـ .

ثم أنعم عليه برتبة الأمارة . وأصبح هو القائم بتدبير المملكة مع الأمير خير بك .

---

(١) الكَرّاز والكَراَز القارورة أو الكوز الضيق الرأس والجمع كِرزان .

(٢) وظيفة أميرأخور كانت من الرظائف الكبرى وصاحبها هو الذى يباشر اصطبلات السَلطان أو الأمير ويتولى ما فيها من الخيل والأبل والبغال وغيرها . وهى مركبة من كلمتين احداهما عربية (أمير) والثانية فارسية (أخور) . ومعناها المعلف أى مكان العلف غذاء الدواب (صبح الأعشى) ونلاحظ التشابه فى اللفظ مع الدلالة على نفس المعنى بين كلمة (أخور) و ecurie الفرنسية . وبين (اصطبل) وكلمة stable الأنجليزية .

(٣) منشاة المهراق نسبة إلى الأمير بلباى المهرانى فى دولة الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦هـ) وهو أول من عمر بها بعد ظهور أراضيها نتيجة تحول النيل غرباً . وكان موقعها ما بين فم الخليج والقصر العينى حالياً .

وتوفى السلطان خير قدم سنة ٨٠ هـ . وتولى بعده الظاهر بلباى المعروف بالمجنون ثم الظاهر تمربغا ومكث كل منهما فى الحكم ما يقرب من الشهرين .

وعين يشبك بن العينى أمير مجلس . وهو من يتولى مجلس السلطان فى ترتيب الدخول والجلوس وغير ذلك[1]

وكان العينى يطلق عليه لقب عزيز مصر . ووصل إلى درجة من الطموح حتى خيل إليه أنه يصل إلى السلطنة بعد الظاهر بلباى .

ولكن ما طار طير وارتفع إلا وهبط كما ارتفع . فلما تولى الأشرف قايتباى سنة ٨٧٠ قبض على أحمد العينى وعلى خير بك .

وخير بك هذا هو الذى لقبه الناس بسلطان ليلة . إذ لما خلع تمربغا ظن خير بك أنه سيعين سلطاناً محله . فجلس على سرير الملك . وتلقب بالملك الظاهر . وأنعم على بعض المماليك بالوظائف السنية . وكان هذا مساءاً فما أصبح الصباح حتى كان الأمر استقر للأشرف قايتباى . وقبض على خير بك . الذى لقبه الناس (سلطان ليلة) . وفى سنة ٨٧٥ صرح قايتباى لخير بك بالخروج إلى مكة . وفى سنة ٨٧٨ انتقل خير بك إلى القدس بتصريح من قايتباى . وتوفى بها سنة ٨٧٩هـ .

والشعب المصرى لا يفوته دائماً التعليق الساخر على الأحداث . فقد كان الظاهر بلباى المجنون ليس له مع خير بك هذا من السلطنة غير مجرد الاسم . فكان إذا سئل عن أى شىء يقول : إيش كنت أنا . . قل له . فأسمته العامة : (قل له) .

وتنكر الحظ لأحمد العينى . فتقررت عليه الغرامات . ووبخه قايتباى وضربه بيده عشرين عصا حتى شق كعبه وأدماه . وأغمى عليه . وكانت العامة قد نهبت بيته أثناء القبض عليه . حتى قيل أنه ضاع له من الموجودات ما قيمته أكثر من خمسين ألف دينار .

ثم أفرج عنه والتزم أن يسدد كل شهر عشرين ألف دينار . وأمكنه أن يدفع فى مدة قصيرة ١٣٩٠٠٠ دينار . واعتبروا هذا من النوادر - حسب تعبير ابن

---

(١) صبح الأعشى جـ ٥ ص ٤٥٥ .

إياس - أن أمكنه جمع هذا المبلغ بخلاف مصروفاته ومنشأته فى مدة يسيرة من الحكم لا تتجاوز الأربع سنوات !!

وفى سنة ٨٧٣ أعيد القبض عليه لسداد باقى ما تقرر عليه . وأقام بالقلعة أياماً حتى سدده . وخلع عليه السلطان ونزل إلى داره .

وفى سنة ٨٧٦ أرسل قايتباى لأحمد العينى ١٥٠٠٠ دينار من بعض ما أُخذ منه . ولم يكن هذا خاصاً به . فقد أرجع قايتباى فى هذه السنة كثيراً من المبالغ لبعض الناس . ولعلها نوبة من تبكيت الضمير .

وظل ابن العينى بعيداً عن الوظائف . ولكن مقرباً من السلطان بصفته أحد الأعيان . فسافر معه إلى الأسكندرية سنة ٨٨٤هـ . وهى المرة الثانية التى سافر فيها قايتباى إليها لمعاينة البرج الذى أقامه فى الميناء . وكان أمر به فى المرة السابقة . وقلعة قايتباى موجودة بالأسكندرية للآن .

وفى سنة ٨٩٥ أهدى أحمد العينى للسلطان قايتباى بمناسبة ختان ولده الناصر محمد -الذى تولى الحكم بعده ـ جملة هدايا منها طست وأبريق من الذهب الخالص زنتهما ٦٠٠ مثقال .

وتوفى قايتباى سنة ٩٠١هـ . وخلفه ابنه الناصر محمد . وكان لأحمد العينى ولد اسمه الناصر محمد أيضاً . فعينه السلطان الناصر فى وظيفة نظر الجوالى . «والجوالى هى الجزية ، وهى ما كان يؤخذ من أهل الذمة من ضريبة على كل انسان» ثم عزله بعد شهرين . وحج الناصر بن العينى سنة ٩٠٢ . وعاد فتوفى سنة ٩٠٣ . وحزن عليه والده شديد الحزن .

وكان الحكم فى مصر بعد قايتباى قد اضطرب . لطيش ونزق وصغر سن الناصر محمد . الذى قتل سنة ٩٠٤ وهو فى السابعة عشر من عمره . وتولى مكانه خاله قانصوه بن قانصوه . فأمر بالقبض على أحمد العينى وقرر عليه مبلغاً من المال . ولكن أحمد العينى اختفى وأمكنه الهرب إلى مكة .

وتوالى السلاطين فى مصر . فلم يمكث الظاهر قانصوه طويلاً . وخُلع سنة ٩٠٥ . وتلاه الأشرف جان بلاط . فخُلع وقُتل بعد حكم قصير لا يتجاوز الستة

شهور . وتلاه العادل طومان باى . فخلع وقتل بعد حوالى الثلاثة شهور . وتولى بعده السلطان الأشرف قانصوه الغورى سنة ٩٠٦هـ[١] .

وفى سنة ٩٠٨ ثارت فتنة فى مكة حيث ثار بها من يدعى الجازانى على الشريف بركات . وقتل المئات من أهليها والمجاورين بها . ونهب دورهم . وممن نهبهم أحمد العينى . الذى خرج وعياله هاربين من مكة إلى المدينة .

وأرسل الغورى مع المحمل الأتابك[٢] قيت الرحبى لتأديب العاصى . وأمره باحضار أحمد العينى إلى مصر مقيداً بالحديد .

ولكن كان الله أراح أحمد العينى وكفاه شر هذه المحنة الجديدة . فلما عادت القوة العسكرية سنة ٩٠٩هـ فى ربيع الآخر مع الحجاج . أخبروا أن شهاب الدين أحمد العينى توفى بالمدينة المنورة ودفن بالبقيع[٣] .

وبخروج أحمد العينى من مصر . ثم وفاته . أصبح قصر العينى من أملاك الدولة .

وكان الوالى العثمانى والبكوات المماليك فى عهد العثمانيين الذين استولوا على مصر سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م) يستعملون قصر العينى أحياناً للنزهة . وأحياناً داراً للضيافة . وأحياناً أخرى عندما يعزل الأمراء الوالى العثمانى ينزلونه من القلعة إلى أحد البيوت بالمدينة . ومنها القصر العينى . حيث يظل حتى يرد أمر إستانبول بمحاسبته وسفره وآخر عهد حكم البكوات المماليك كان ابراهيم بك الكبير ينزل فى القصر العينى أغلب وقته . حتى قدم نابليون سنة ١٢١٣هـ (١٧٩٨م) .

وذكر الجبرتى فى حوادث سنة ١١٣٢هـ . فى وصف فتنة كانت بين المماليك القاسمية والمماليك الفقارية . بعد قتل إيواظ القاسمى كما سبق ذكره . وكان الباشا الوالى حرض على قتله . أن القاسمية بقيادة يوسف بك الجزار تغلبوا على

---

(١) راجع الجدول الخامس عشر بالقسم الثالث .

(٢) سبق ذكر معنى رتبة الأتابك فى المقدمة من هذا القسم .

(٣) البقيع بجوار المدينة المنورة بالجانب الشرقى منها . ويسمى بقيع الغرقد لأنه قطع ما كان به من شجر الغرقد يوم وفاة عثمان بن عفان . وبه قبور كثير من الأعلام. مثل قبر ابراهيم بن الرسول (ﷺ) . وقبر الحسن بن على بن أبى طالب . والعباس بن عبد المطلب . وعثمان بن عفان . ومالك بن أنس . وغيرهم .
(صبح الأعشى جـ ٤ ص ٢٨٩) .

خصـومهم . وأن أيوب بـك أحد الفقـارية التجـأ إلى التكية[1] المجـاورة للقصر العينى . فهجم القاسمية على التكية . فأخبرهم الدراويش بها أنه انصرف . فلم يصدقوهم . ونهبوا القصر العينى وأخربوه وأحرقوه .

وذكر على باشا مبارك تكية القصر العينى . وأنها كانت موجودة فى وقته[2] وأنها على شط فم الخليج عند منيل الـروضة . وبهـا قبتان مفـروشتان بـالرخـام الترابيع . بإحداهما سبيل منقوش على رخامه (صاحب الخيرات والحسنات حسين قبودان فى ١٥ رمضان سنة ١١٩٧هـ .) والثانية لعمل الذكر كل ليلة بعد العشاء . والحضرة (أى اجتماع الصوفية فى شبه حفلة دينية) تعقد كل يوم جمعة . وبها ضريح الشيخ العينى (!!) . وبها مساكن علوية لسكنى الصوفية . ولها مرتب من الرزنامة (الخزانة العمومية تقريباً) غير ايراد أوقافها . ولها بستان نضر . وكانت تعرف بتكية البكتاشية . لأنها كانت موقوفة على طائفة الأعجام المعروفة بالبكتاشية .

ثم قال : وكان تلاشى أمرها . ثم جددت فى عهد حسن باشا بمعرفة شيخها المعروف بالدرويش الصالح الذى تقرب لحسن باشا المذكور سنة ١٢٠١هـ . وبعد تجديدها أقام شيخها وليمة دعا لها جميع الأمراء المماليك . فارتابوا . وحضروا إلى الوليمة مستعدين بمماليكهم وأسلحتهم ومتحذرين . ولم يقبلوا على الطعام . بل أوهموا أنهم يأكلون لشكهم من دس السم فيه .

وقال فى مكان آخر . وكان بجوار التكية المذكورة غيط خيار شنبر . اهـ .

وحسن باشا المذكور هو حسن باشا القبطان الذى حضر لمصر سنة ١٢٠٠هـ (١٧٨٦م) لقمع ما فيها من فتن . وخيار شنبر ثمر من شجر معمر معـروف عند العطارين كعلاج طبى لأمراض الصدر والأمعاء .

ومكان التكية كان فى الجزء الجنوبى الغربى من مبانى القصر العينى القـديم الحالية . ومكان الغيط المبانى المحصورة بين شارعى كورنيش النيل والقصر العينى

---

(١) التكية مكان لخلوة الصوفية الأعجام . ويسمون بالدراويش للتفرغ للعبادة . وتُجرى عليهم الأرزاق بما يلزمهم من كسوة ومأكل وغيره من أوقاف خاصة . وحلت التكايا بهذا المعنى محل الخوانك .

(٢) الخطط التوفيقية جـ ٦ ص ٥٦ . وطبع هذا الجزء سنة ١٣٠٥هـ (١٨٨٨م) .

والتى منها مستشفى الأمراض المتوطنة ومستشفى فم الخليج ومستشفى الكلب ومعهد السرطان وغيرها حتى الحديقة بميدان فم الخليج .

وبعد انشاء كوبرى المنيل بجوار سراى محمد على توفيق (متحف المنيل حالياً) فُتح شارع فى مقابل الكوبرى مخترقاً فناء القصر العينى . فقسمه جزأين يتصلان من أعلى بكوبرى فوق الشارع المذكور المسمى نافذة شِيَم الشافعى

واستعمل الفرنسيون القصر العينى كمستشفى لجنودهم . ولما قُتل كليبر دفنوه فى حديقة القصر . ثم نقلوا جثمانه معهم عند جلائهم عن القاهرة فى ١٨٠١/٧/١٥م .

وكان من مشروعات محمد على الاصلاحية نشر التعليم فى مصر . فأرسل البعثات إلى أوربا . منها ٢٨ طالباً فى المدة من سنة ١٨١٣ ـ سنة ١٨٢٥ ، ٢٩١ طالباً من سنة ١٨٢٦ ـ سنة ١٨٤٨م .

ونبغ من رجال البعثات الأولى فى الفنون الحربية عثمان نور الدين . فأنشأ فى القصر العينى سنة ١٨٢٥ المدرسة الحربية . وكان عدد تلاميذها ٥٠٠ ـ وهذا علاوة على مدرسة أركان الحرب بالخانكة . وتعين أحد زملائه (أحمد خليل) ناظراً للمدرسة الحربية المذكورة .

وكان عثمان نور الدين عضواً فى اللجنة التى تشكلت سنة ١٨٢٢م . لوضع نظام التعليم العسكرى . وكان من أعضائها أيضاً سليمان أغا الفرنساوى (سليمان باشا) . وكان أصل اسمه الكولونيل سيف .

وكان التعليم جميعه له الطابع العسكرى . كما كانت الوظائف الحكومية فى كافة النواحى ذات رتب عسكرية . فكان النجباء من تلاميذ المكاتب الأهلية فى القرى والمدن يُنتخبون ويُحضرون إلى القصر العينى . حيث يمضون عدة سنوات . ثم ينتقلون منها إلى مدرسة الطب بأبى زعبل أو المهندسخانة (الهندسة) بأبى زعبل . أو بعد ذلك إلى المهندسخانة ببولاق . ويُنتخب منهم أعضاء البعثات للخارج .

وكان محمد على أنشأ بأبى زعبل مارستان أى مستشفى به ١٥٠٠ سرير ومدرسة

لطب بها ١٠٠ طالب . وافتتح المدرسة والمستشفى فى ١٨٢٧/٢/٢٨م[1] .

وفى سنة ١٨٣١ صدر أمر محمد على بإلحاق شخصين من أغوات الحريم من ذوى الدراية بالقراءة والكتابة بمدرسة الطب . بمعرفة كلوت بك . لتعليمهما الطب والجراحة . وهذا لخدمة سيدات العائلة الحاكمة) . وفى نفس الأمر أن يُشترى عشر جوار سودانيات صغيرات السن . منتخبات بمعرفة كلوت بك . واعطاؤهن إليه . لتلقى صناعة الولادة والطب والجراحة . وفُتحت لهن مدرسة الولادة . وأُلحقت بمدرسة الطب البشرى بأبى زعبل[2] .

ولا أريد أن استرسل فى ذكر تقدم حركة التعليم فى مصر . فهو موضوع ليس هنا مكانه . ولكن أقصر الكلام هنا على القصر العينى وما مرَّ به من تطورات .

ولكن قد يكون من الطريف أن أذكر أن أول وصول البنج من أمريكا واستعماله فى العمليات الجراحية فى مصر كان سنة ١٨٤٦م . فقد استعمله كلوت بك فى عمليتين جراحيتين . إحداهما حالة سرطان فى العين . كما استعمله المسيو فرانق (كذا) حكيم إبراهيم باشا فى حالة بتر رجل . وكتب بهذا تقريرا محمد افندى الشافعى البكباشى وكيل المدرسة إلى ديوان المدارس[3]

ومحمد الشافعى المذكور هو **الدكتور محمد بك الشافعى** . أصله من طلبة الأزهر . ودرس بمدرسة الطب بأبى زعبل . وأرسل فى بعثة إلى فرنسا سنة ١٨٢٦ وعاد سنة ١٨٣٨ . فعين مدرساً للأمراض الباطنية بأبى زعبل . ثم مدرساً

---

(١) يوافق غرة شعبان سنة ١٢٤٢هـ . ولكن لم ينشر فى الوقائع الرسمية إلا بعد سنتين فى العدد ٨ الصادر فى ١٤ شعبان سنة ١٢٤٤هـ . لأن العدد الأول من الوقائع لم يصدر إلا فى ١ جمادى الآخرة سنة ١٢٤٤ = ١٨٢٨/١٢/٢٢م باللغتين العربية والتركية والصحيفة نصفان الأيمن تركى والأيسر عربى .

(٢) الوقائع العدد ٣٢٨ فى ٨ رجب سنة ١٢٤٧هـ (١٨٣١/١٢/١٧م) .

(٣) الوقائع العدد ٦٩ فى غرة شعبان سنة ١٢٦٣هـ (١٨٤٧/٧/١٤) . ويلاحظ عدم تسلسل رقم الأعداد بالنسبة لما سبق . فمن سنة ١٢٦٢ بدأ إصدار الوقائع الرسمية من نسختين إحداهما عربية . والأخرى تركية . كل منها قائمة بذاتها . وقال أمين باشا سامى فى تقويم النيل (ج٢ ص ٥٤٤) أن أقدم الأعداد العربية الموجودة هو رقم ٦٨ وشاء التقعر أن يبدلوا إسم فرانك إلى فرانق ـ لكى تصبح الكلمة عربية !! . ونجد مثل هذا كثيرا . فعل مبارك يسمى كندا (قنده)

للطب فى القصر العينى . ثم ناظرا بمدرسة طب القصر العينى . وهو أول مصرى تولى رئاستها[1]

وتوفى الدكتور محمد بك الشافعى سنة ١٨٦٠م . وله من المؤلفات العلمية : أحسن الأغراض فى التشخيص ومعالجة الأمراض - والسراج الوهاج فى التشخيص والعلاج . وترجم عن الفرنسية : الدرر الغوال فى معالجة الأطفال لمؤلفه كلوت بك .

وتوجد حارة صغيرة متفرعة من شارع عبدالعزيز بالقرب من محلات عمر افندى تصل ما بين شارعى عبدالعزيز والجمهورية شمال قسم شرطة عابدين وتمتد شمال مسرح الجمهورية اسمها **حارة شافعى** . حيث كان منزله هناك . وكان رحمه الله جديرا بمكان أكبر لتخليد ذكراه . أو على الأقل تذكره اللافتة باسم الدكتور شافعى للتعريف والذكرى .

وتدهورت صحة محمد على . فاعتزل الحكم . وتولى ابنه إبراهيم باشا سنة ١٨٤٨ . ولم تطل أيام إبراهيم باشا . فتوفى سنة ١٨٤٨ بعد شهور من ولايته[2] . وتولى بعده عباس حلمى الأول بن أحمد طوسون بن محمد على بحكمه أكبر أفراد أسرة محمد على سنا . وصدر الفرمان[3] بولايته فى ١٨٤٨/١٢/٩م .

وكان حكم عباس حلمى الأول نكبة على البلاد . وتضييعا لما بذله محمد على فى القيام بمرافقها . وأخص هذه النكبات كانت على التعليم .

فقد ألغى أغلب المدارس . وحصر الأمر أخيرا فى مدرسة واحدة لها ناظر واحد . وتجمع هذه المدارس - وبلغت نفقات التعليم فى آخر سنة من حكمه ٥٠٠٠ خمسة آلاف جنيهاً . بعد أن كانت فى آخر عهد محمد على ٨٨٠٠٠ جنيها تقريباً[4]

---

(١) افتتحت مدرسة الطب بالقصر العينى سنة ١٨٥٦ كما سيأتى ذكره . وتولى إدارتها مع المستشفى كلوت بك لغاية سنة ١٨٥٨ . وتوفى كلوت بك سنة ١٨٦٨م .

(٢) توفى محمد على فى أول أغسطس سنة ١٨٤٩م . (١٣ رمضان سنة ١٢٦٥هـ)

(٣) الفرمان مرسوم سلطانى .

(٤) الخطط التوفيقية جـ ٩ ص ٤٣ . ، تقويم النيل جـ ٣ ص ١٣ و ١٩ و ٣٥

وكان يتصيد الأسباب لإلغاء المدارس ورفت المتخرجين منها . فبعد شهرين تقريباً من إعلان ولايته صدر الأمر التالى بإلغاء مدرسة الطب البيطرى :

(مستغن عن التفصيل والبيان أن المتخرجين من مدرسة الطب البيطرى والمعينين فى تفاتيش الحكومة لإصلاح جنس الحيوانات ومداواتها . قد تسببوا فى خسارات جسيمة وتلفيات عدة من الحيوانات المودعة تحت أيديهم . فضلا عن ذلك فقد تسببوا فى تلف الجوادين الكريمين السقلاوى والأحمرانى الواردين هدية من طرف حضرة شريف مكة لابننا الكبير . كما انهم تسببوا فى مرض الجواد عسيان الأحمر المقدم لنا من طرف فيصل بمرض السقاوى . وظهر حقيقة هذا بمشاهدتنا الجواد المريض المذكور . فبناءً عليه ثبت أن كل التعب والمشقة والمصاريف الوافرة التى صرفت لهؤلاء الأطباء البيطريين من صغر سنهم إلى اليوم ذهبت هباءً . فاستخدامهم اليوم مُضرّ بالجهتين . مضر بالخزينة بالنسبة للمرتبات التى يتناولونها . وبحيوانات التفاتيش بالنسبة لعدم مبالاتهم وعنايتهم بها . فعندما يصل أمرى إليكم عليكم أن تبطلوا وتلغوا مدرسة الطب البيطرى . وتنزعوا رتب ونياشين الحكماء البيطرية المستخدمين فى الحكومة كبيرا أو صغيرا . ومن ضمنهم عشماوى افندى وافصلوهم من جميع الوظائف الأميرية . وقد حررنا هذا لكم لتبادروا بتنفيذه) اهـ .

وبعدها بشهور طلب نقل مدرسة الألسن لاحتياج صاحبة العصمة خالته لقصرها فى الأزبكية .

وفى سنة ١٨٥٠ ألغى مدرسة الألسن . ونفى ناظرها رفاعة بك رافع الطهطاوى الذى ظل ناظرا لها ١٥ سنة وتخرج على يديه العشرات من رواد النهضة الحديثة بمصر . نفاه ليكون مدرسا بمدرسة الخرطوم الإبتدائية . ونفى معه الكثيرين من مدرسى مدرسة الألسن المذكورة . وكذلك مدرسين بمدرسة المهند سخانة . ليكونوا مدرسين بمدرسة الخرطوم الإبتدائية . وظلوا بالخرطوم حتى استرجعهم سعيد باشا سنة ١٨٥٦م .

وفى سنة ١٨٥١م مرّ عباس حلمى الأول بالمنيا فلم يعجبه حال المهندسين فيها . فرفتهم جميعا . وأمر بنزع نياشينهم وعدم شغلهم ثانية بوظائف الحكومة . وأرسل لمدير المدارس يهدده بإلغاء ديوان المدارس كلية .

ونفى بعض العلماء المشهود لهم بالنبوغ والصلاح . منهم الشيخ التميمى إمام وخطيب مسجد أبي الذهب (تجاه الجامع الأزهر) . ولما قالوا لعباس أن مكتبة الجامع من أعظم المكتبات قال : يأخذها ويخرج . فأخذ المكتبة وعياله إلى إستانبول . ومات هناك . وعادت ابنته بعد ذلك لمصر . وكان أغلب المكتبة قد تبدَّد .

وكان الباعث له لهذا اعتقاده بأن من يعهد فيهم الصلاح من ذوى النبوغ سحرة ويُخشى منهم .

وقتل عباس حلمى الأول سنة ١٨٥٤م . وتولى بعده عمه سعيد باشا بن محمد على . وفى سنة ١٨٥٦ صدر قرار من سعيد بإنشاء مجلس خصوصى للطب . وبعده صدر الأمر بإنشاء مدرسة الطب فى القصر العينى ملحقة (باسيتالية) القصر العينى . لتعليم الطب والجراحة والعلوم الطبية والاجزائية (الصيدلة) . وتقرر فتحها فى أول سبتمبر سنة ١٨٥٦ (غرة المحروم سنة ١٢٧٣هـ) . ويكون تلاميذها ممن يحسبون القراءة والكتابة . ويعرفون القواعد الأصلية للحساب . ويكون سنهم نحو ١٥ سنة . وإذا لم يوجد من يعرف الحساب فيرتب خوجة (مدرس) حساب ومبادىء هندسة . وكذلك خوجة للغة الفرنسية . وهذا وقتياً لحين إنتاج تلامذة من المدرسة التجهيزية بالقلعة لتدريس الحساب والفرنساوى .

وكان الأمر بإنشاء المدرسة التجهيزية المذكورة بالقلعة قد صدر قبل هذا بشهر تقريباً .

وتقرر أن يكون عدد تلاميذ مدرسة الطب بالقصر العينى ٨٠ ثمانين . منهم ٦٠ لتعليم (يعنى تعلم) علوم الطب والجراحة ليكونوا حكماء . و٢٠ لتعليم العلوم الطبية والأجزاء ليكونوا أجزائية[١] .

وتوضح بالأمر المذكور كيفية معاملة التلاميذ من حيث الكساوى والمأكولات والأقامة والفسحة (الأجازة) والامتحان . والخروج (أى التخرج) عند انتهاء التعليم بالتدريج على مدى خمس سنين . وربط ماهية لكل تلميذ ٧٥ قرشاً شهرياً قابلة للزيادة والترقى . وسُمح لمن يرغب من الأهالى فى الانضمام إلى المدرسة زيادة

---

(١) من هنا جاءت كلمة اجزاخانة بمعنى الصيدلية . فخانة تعنى مكان . أى مكان الأجزاء

عن العدد المذكور ويعاملون نفس المعاملة .

وفى أكتوبر سنة ١٨٥٦ صدر أمر باعتماد لائحة مقدمة من كلوت بك وأقرها مجلس الطب الخصوصى من ٣٩ بندا عن ترتيب ادارة دروس مدرسة تعليم الطب وضبطها وربطها .

وتشمل اللائحة كيفية قبول التلامذة . ودخولهم المدرسة . وبيان الدروس . وتقسيمها على الفصول بالأيام والساعات والسنين . ومدتها .وتنبيهات التعليم . ومايجب على المعلمين والمساعدين من الملاحظة ومباشرة الطلبة والدراسة . وتحرى أحوال التلامذة . وتمييز درجاتهم وطبقاتهم . وحصول الامتحان العمومى السنوى فى النصف الأخير من شعبان[1] . ليحصل أمتياز ذوى الفلاح عن سواهم . واجراء ضبط المدرسة على قانون العسكرية . ووضع حدود للجزاءات متنوعة بحسب وقائع الأحوال . وما يجب عند انعقاد مجلس التعليم والضبط حسب لزومه . وما يكون من التحفظ على المجموعات .

وفيها ماهو مقتضى من الصنايعية والشغالة من إيجاد صانع موكل بحفظ وتصليح الآلات الطبية والكيمياء . ونفر سكاكينى لحفظ وتصليح أدوات الجراحة . وبَخْشَونجى (جناينى) . ومعه اثنين ! مساعدين لحفظ جنينة النباتات .

وفيها أيضاً ما تقررلكل تلميذ من الكساوى . بمايفيد ترتيب كسوة(بدلة) واحدة جوخ أزرق . وكسوتين بفته لكل تلميذ سنوياً . وطربوش وحزام ومركوبين وثلاثة ألبسة وثلاث طواقى . ويتميز الخوجات (المدرسون) بألوان الرقبة والأكمام .

كما اشتملت على ترتيب الأغذية والنوم ليلا والنظافة . وما تقرر من إيجاد صندوق أمين لحفظ الدراهم من كل تلميذ فى المائة خمسة لتصليح الملابس . وما يتحصل من كل تلميذ من غرامات لجريمة تقع منه . ويصير استعمال هذه الدراهم فى شراء كتب أو أشياء مما لاتصرف إلا بأثمانها .

وأن مجلس الطب الخصوصى له إدارة على خدمات المدرسة والتعليم الخ[2]

---

(١) كانت مصالح الحكومة تعطل فى شهر رمضان لغاية بعد أيام عيد الفطر .
(٢) تقويم النيل القسم الأول من الجزء الثالث .

ونرى أنها لائحة وافية بالنسبة لأغراضها فى ذلك الوقت . ولكن شتان بين ما كان وبين ما هو الآن . فقد رأينا أنه كان يكفى للالتحاق بمدرسة الطب مجرد معرفة القراءة والكتابة ومبادىء الحساب . ثم تنفق عليه الدولة وترتب له المسكن والغذاء والكساء والمصروف . والآن لايلتحق بكلية الطب إلا المتفوقين فى امتحانات الثانوية العامة . وبينما بدأت دراسة الطب بمائة تلميذ فى مدرسة أبى زعبل كما رأينا . ثم بثمانين طالباً بمدرسة طب القصر العينى كما ذكرنا . فإنه حسب بيان الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء عن السنة الدراسية ١٩٧٠/٧١ بأن كليات الطب والصيدلة والأسنان بالجامعات المصرية بها ٣١٢٤٢ طالبا تخرج منهم فى السنة المذكورة ٤١١١ طالبا منهم ٢٨٠٣ من الطب البشرى و٨٢١ من الصيدلة و ٤٨٧ من طب الأسنان . وهذا بخلاف معاهد التمريض وغيرها من المعاهد الملحقة بمهنة الطب . وحسب الأحصاء التقديرى للجهاز المركزى للتعبئة والإحصاء فى كتابه يولية سنة١٩٨١ أن عدد طلبة كليات الطب والصيدلة وطب الأسنان فى السنة الدراسية ٧٩/٨٠ (٥٢٦٧٦) طالبا وطالبة .

وخرّجت مدرسة الطب بالقصر العينى ـ على بساطة نظمها ـ المئات الذين أفادوا وطنهم ومواطنيهم . ونبغ منهم الكثيرون . وجمعوا من مهنتهم الثروات الطائلة . وخلدت لافتات الشوارع اسماء الكثيرين منهم كما سنرى بإذن الله .

واهتم بعضهم بتأليف وترجمة الكتب لحاجة التدريس بالمدرسة . وكانت كتبهم تجمع بين الأدب والعلم . كروح العصر ـ مما نجده واضحا فى أسماء هذه الكتب . وقد ذكرنا مؤلفات الدكتور محمد بك شافعى . ولا بأس أن نورد أيضاً بعض الأمثلة الأخرى لهذه الأسماء .

روضة النجاح الكبرى فى العمليات الجراحية الصغرى ـ النجاح فى أعمال الجراح لمؤلفهما محمد على البقلى .

وهو محمد على البقلى باشا . كان طالبا بمدرسة الطب بأبى زعبل . ثم انتخب ضمن بعثة سنة ١٨٣٢م لفرنسا . وعاد ثم عين حكيمباشى (باسبتالية) القصر العينى . وكانت منشأة قبل المدرسة . ثم نقله عباس حلمى الأول إلى أحد أثمان العاصمة . ثم عين مدرسا بالقصر العينى بعد إنشاء مدرسة الطب . ثم ناظرا

عليها . ثم سافر إلى الحبشة رئيسا للأطباء فى الحملة التى أرسلها الخديوى اسماعيل بقيادة ابنه عزيز حسن . فاستشهد هناك سنة ١٨٧٦[1] .

وابنه أحمد حمدى باشا البقلى تخرج من مدرسة الطب بالقصر العينى سنة ١٨٦١ وأتم دراسته فى فرنسا سنة ١٨٦٦ . وعين رئيسا لقسم الجراحة بالقصر العينى . ثم مفتشا عاما لمصلحة الصحة[2] . وتوفى سنة ١٨٩٩ . وله عدة مؤلفات بالعربية والفرنسية . منها : تحفة الحبيب فى العمليات الجراحية والأربطة والتعصيب - والراحة فى أعمال الجراحة - والتحفة فى الأمراض التصنيعية - ورسالة بالفرنسية عن داء الفيل عند العرب .

وزاوية البقلى قرية بمحافظة المنوفية أخرجت العشرات فى العصر الحديث ممن نبغوا فى الطب والهندسة والعلوم العسكرية والدينية . وجميعهم لقبهم البقلى نسبة إلى القرية . ولكنهم ليسوا من عائلة واحدة - وإن كانت تربطهم رابطة القرابة كالمعتاد فى القرى من ارتباط أغلب عائلاتها بروابط النسب والقرابة .

ومن الكتب الطبية فى ذلك الوقت : نزهة المحافل فى معرفة المفاصل - والمنحة لطالبى الصحة - وتحفة القلم فى أمراض القدم . تأليف وتعريب الدكتور محمد عبد الفتاح من بعثة سنة ١٨٢٦م .

والروضة البهية فى الأمراض الجلدية - والنيِّرين فى مداواة العين - وبهجة الرؤساء فى أمراض النساء - ونزهة الإقبال فى مداواة الأطفال - وعمدة المحتاج فى علمى الأدوية والعلاج . لمؤلفها الدكتور السيد أحمد حسن الرشيدى .

وفى هذه الاسماء مايدل على أن التخصص فى فرع واحد من فروع الطب لم يكن معروفا .

---

(١) ترجمه على مبارك فى مادة زاوية البقلى جـ ١١ ص ٨٥ . وقال إن عودته من فرنسا سنة ١٨٣٨ . وفى تقويم النيل ذكر أن عودته سنة ١٨٤٥ . ولفظ الثمن سبق تفسيره أنه من أقسام العاصمة - وهذا فى الفقرة السابعة من المقدمة الموضوعية .

(٢) وزارة الصحة أنشئت سنة ١٩٣٥ . أما الأصل فقد تأسس مجلس الصحة والاسبتالية سنة ١٨٢٧ فى عهد محمد على . وظل بهذا الاسم لغاية سنة ١٨٣٥ حيث تسمى باسم مجلس الصحة العمومية . واسبتالية معناها مستشفى وهى تعريب لكلمة Haspitalier الفرنسية أو Hospital الانجليزية .

والدر الثمين فى فن الأقربازين . للدكتور حسين الرشيدى .

والدكتور أحمد حسن الرشيدى درس بالأزهر . ثم اشتغل مصححا للكتب الطبية بمدرسة الطب بأبى زعبل . وسافر إلى أوربا ضمن بعثة سنة ١٨٣٢ . وعاد من فرنسا سنة ١٨٣٨ . فعين مدرساللعلوم الطبية بمدرسة الطب بأبى زعبل إلى أن عطلت . وتوفى سنة ١٨٦٥ . وله مؤلفات غير ماذكر .

أما حسين الرشيدى فهو الدكتور حسين غانم الرشيدى كان من مصححى الكتب بمدرسة أبى زعبل وسافر إلى فرنسا فى البعثة المذكورة ومكث بها ١٣ سنة . وعاد لمصر سنة ١٨٤٥م .

وقد أسمت البلدية شارعا باسم شارع الرشيدى متفرعا من شارع القصر العيني أمام القصر العينى . ولا أدرى هل هو تخليد للأول أو للثانى . وإن كنت أرجح أنه للأول الدكتور أحمد حسن الرشيدى .

ولم يكن السجع قاصرا على اسماء الكتب الطبية . بل فى كل العلوم . فنجد مثلا فى الهندسة (نزهة الغايات فى حساب المثلثات لاحمد دقلة) . وفى الجيولوجيا (الأقوال المرضية فى علم الطبقات الأرضية لأحمد ندا) وفى النبات (النور اللامع فى النبات ومافيه من الخواص والمنافع لأنطون) . وغيرها من الأمثلة .

وفى عهد الاحتلال الانجليزى أصبحت اللغة الانجليزية هى اللغة الثانية بجانب اللغة العربية . بعد أن كانت التركية ثم الفرنسية . وبذلك أصبحت الدراسة بمدرسة الطب بالقصر العينى باللغة الانجليزية . وأصبحت مراكز الأستاذية وقفا على الأطباء الإنجليز . ولكن جاهد بعض المصريين حتى وصلوا إلى مركز الأستاذية .

وبعد تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ الذى به اعترفت انجلترا - مع أربعة تحفظات - بمصر دولة مستقلة ذات سيادة . نُظِّم خروج الموظفين الإنجليز من خدمة الحكومة المصرية . بتعوضات مبالغ فيها . وكانت دراسة الطب فى مصر قد تقدمت بما سمح للمصريين أن يشغلوا وظائف التدريس محل الإنجليز بجدارة واستحقاق .

وفى سنة ١٩٢٥ أعلن إنشاء جامعة القاهرة باسم جامعة فؤاد الأول . وكانت الجامعة المصرية موجودة من سنة ١٩٠٨ بإشراف ومجهود الأهلين . وللدراسات

النظرية فقط . فأصبحت بذلك جامعة رسمية بإشراف الحكومة . وانضمت مدرسة الطب بالقصر العيني إلى الجامعة . وأصبحت كلية الطب بجامعة فؤاد الأول

وفى سنة ١٩٢٩ شعرت الحكومة بعدم كفاية الكلية والمستشفى فخصصت مساحة ٤٤ فدانا بالجهة الشمالية من جزيرة الروضة لأقامة مستشفى وكلية جديدتين . وأسمت المستشفى باسم فؤاد الأول . وكان للمرحوم الدكتور على باشا ابراهيم اثناء إدارته للجامعة (توفى سنة ١٩٤٧)الفضل فى جعل المستشفى والكلية على أحدث طراز . ولكن لغاية سنة ١٩٥٢ لم تكونا قد تمتا . وتمتا فى عهد الثورة . وغلب الاسم القديم فأصبحت المبانى الجديدة تعرف بالقصر العينى الجديد .

وتوالى إنشاء الجامعات . وفى كل جامعة كلية للطب . فأنشئت جامعة الأسكندرية سنة ١٩٤٢ باسم جامعة فاروق . وأنشئت جامعة عين شمس سنة ١٩٥٠ باسم جامعة إبراهيم ـ تملقا للأسرة المالكية وقتذاك . وأنشئت جامعة اسيوط سنة ١٩٥٧ . وتطورت الدراسة بالأزهر بالقانون ١٩٦١/١٠٣ الذى أقره مجلس الأمة فى ١٩٦١/٦/٣٠ . فأنشئت كلية الطب بالجامعة الأزهرية . كما أنشئت بعدها كليات للطب بالمنصورة وطنطا والزقازيق نواة لأنشاء جامعات بها .

هذا هو تاريخ القصر العينى . أو قصر العينى . ونحن لا نتذكر شهاب الدين أحمد بن عبد الرحيم بن قاضى القضاة بدر الدين محمود العينى . منشىء القصر ومامر عليه فى حياته من رفعة وخمول وما كان فيها من عبرة وعظات . ولكن إذا ذكرنا القصر العينى وإنما نتذكر الداء والدواء . وأن فيه شفاءً للناس[1] . ،

---

(١) كتبت هذا الفصل سنة ١٩٧٣ . وتأخر طبع الكتاب . فأضيف إليه : أنه فى يوم الطبيب الموافق ١٩٧٩/٣/١٨ أعطى الرئيس محمد أنور السادات إشارة البدء فى هدم القصر العينى القديم . وضرب بنفسه أول معول لهدمه لتقوم مكانه مستشفى وكلية للطب بجامعة القاهرة على أحدث النظم التكنولوجية فى العالم .

الفصل الثانى

الإسماعيلية - باب اللوق - جاردن سيتى

لمحة تاريخية :

ذكرنا فى الكلام على باب الخرق (باب الخلق) فى الفصل الخامس من القسم الأول أنه لما انحسر النيل غربا فى القرنين السادس والسابع الهجريين (١٢ و ١٣م) ظهرت أراضى نعرفها فى الوقت الحاضر بجهة القصر العينى والمنيرة وجاردن سيتى وميدان التحزير وباب اللوق وغيرها . وكان يعبر عنها بأرض اللوق . كما ذكرنا المعنى للفظ اللوق .

ومنطقة اللوق كانت تغطى مساحة من عابدين شرقا إلى مجرى النيل الحالى غربا . ومن حى المنيرة جنوبا إلى موقع شارع ٢٦ يولية شمالا (شارع فؤاد الأول سابقا) .

وكانت مدابغ الجلود فى القاهرة فى أوائل القرن الماضى بجهة حوش الشرقاوى وسوق العصر جنوبى ميدان باب الخلق . فتضرر الناس من روائح القاذورات . فنقلت إلى اللوق . ثم نقلت من اللوق سنة ١٨٦٥م (١٢٨٢هـ) إلى جوار الفسطاط تقريبا بموقعها الحالى فى عهد إسماعيل . وشارع شريف الحالى الذى يبدأ من شارع ٢٦ يولية حتى مبنى جريدة الأهرام السابق كان اسمه شارع المدابغ .

وذكرنا أيضا أن الصالح نجم الدين أيوب أنشأ قنطرة باب الخرق ليعبر عليها إلى الميدان الذى أنشأه باللوق وعمَّر به المناظر سنة ١٢٤١م (٦٣٩هـ) .

• وهذا الميدان أنشأه الصالح أيوب للعب الأكرة[١] وألعاب الفروسية والرماية ومحله الآن تقريبا ميدانا باب اللوق والأزهار الحاليان . وكان لهذا الميدان سور وباب . ومن هنا جاء اسم باب اللوق .

ثم ألغى الظاهر بيبرس هذا الميدان . وأنشأ ميدانا آخر غربا منه . موقعه الآن ميدان التحرير والجزء الشمالى من حى جاردن سيتى . وظل هذا الميدان حتى عهد الناصر محمد بن قلاوون .

ولما تولى السلطنة العادل زين الدين كتبغا - بعد ولاية الناصر محمد الأولى[٢] . خاف على نفسه فى الخروج بعيدا عن القلعة . فأنشأ ميدانا آخر قريبا من القلعة جنوبى بركة الفيل .

وحين استتب الأمر للناصر محمد فى سلطنته الثالثة . ألغى هذا الميدان الذى أنشأه بيبرس وجعل مكانه بستانا زرع فيه متنوع الأصناف من الفواكه والزهور . وجلب إليه كثيرا من هذه الأصناف من الشام. وكان هذا البستان يشرف غربا على النيل .

ولما زادت مكانة الأمير قوصون (منشىء الجامع بشارع القلعة عند مدخل الحلمية الجديدة) .

أقطعه الناصر هذا البستان . فأنشأ فيه زريبة تطل على النيل . وعُرف المكان بخُط زريبة قوصون .

والزريبة مكان لتربية الخيول أو الماشية . وكانت تحاط بزربى من البوص أو الغاب ثم يشد بالحبال . ثم يُطيَّن ليزداد تماسكا .

---

(١) الاكرة معناها الحفرة . وكانت رياضة فروسية تمارس فوق ظهور الخيل بمحاولة إسقاطة الكرة بضربها بالمضارب فى الأكر أى الحُفَر .

(٢) راجع الجدول الرابع عشر من القسم الثالث .

وظهرت فى ذلك الوقت فى النيل - شمال جزيرة الروضة - جزيرة عُرفت بجزيرة أروى . بنت فيها الناس الدور . وكانت من متنزهات القاهرة . وكان الفرع الشرقى للنيل جنوبى موقع كوبرى قصر النيل . وغربى حى جاردن سيتى والقصر العينى يجف أحيانا . فينحسر الماء عن الجزيرة المذكورة . فتتصل بخط زريبة قوصون . وكانت المراكب الصغيرة تتنقل فى شوارع جزيرة أروى بين الدور .

وظل هكذا حال الفرع الشرقى للنيل حتى العصر الحديث . فقد ذكر أمين باشا سامى فى تقويم النيل (جـ ٣ ص ١٢٣٨) صورة أمر الخديوى إسماعيل فى جمادى الأولى سنة ١٢٩٢هـ (١٨٧٥) منطوقه كالآتى :

٧ بارة و ٣٤٢ قرشا و ٥٧ كيسة = (٣/٤ ٢٨٨,٤٢١ جـ . م)تكاليف القناية التى صار اعمالها لتوصيل مياه البحر وإصلاحها بجهتى القصر العينى والإسبتالية

٣١ بارة و ١٤٣قرشا و ١٨ كيسة = (٣/٤ ٩١,٤٣٧جـ . م) نولون ومصاريف وابورقنا وصندل معه فى نقل مهمات ومفروشات ومرضى من الاسبتالية إلى القصر العينى .

وقد علمنا انهى (انهاء) وكيل المالية رقم كذا والأوراق مرفوقه أنه فى توتى « توت أول السنة القبطية وكانت متخذة أساسا لحسابات الحكومة من سنة ١٢٥٥هـ (١٨٣٩م) من عهد محمد على » عند شحة (من شحيح أى قليل) مياه البحر المارة تحت رصيف الاسبتالية . وتغييرها بسبب عدم اتصال المياه ببعضها فى جهة المقياس بمصر القديمة لغاية فم الخليج . وكون المياه التى تلزم للشرب بجهتى القصر العالى (الجزء الجنوبى من جاردن سيتى) والإسبتالية مما يلزم لعمل الأدوية هى من تلك المياه . فبمقتضى تصريح الداخلية صار إعمال قناة لتوصيل المياه لبعضها وإصلاحها وبلغت تكاليفها ٥٧ كيسة وكسور . . كما أن فى سنة ٩١ (يعنى السنة الهجرية السابقة) لمناسبة الغرق الذى حصل بالاسبتالية لما اقتضى الحال نقل مهمات ومفروشات ومرضى منها صار استخدام وابور وصندل قنا . . الخ[١] .

---

(١) الإسبتالية من الكلمة الإفرنجية Hospital أى مستشفى القصر العينى . وسبق ذكر قيمة الكيسة والبارة فى هامش الفصل الخامس من القسم الأول فى قنطرة باب الخرق .

ثم ظهرت جزيرة أخرى شمال جزيرة أروى سنة ١٣٧٢م (٧٣٤هـ) عُرفت بجزيرة حليمة . وعُرفت جزيرة أروى عند ذلك بالجزيرة الوسطى . وأقبل الناس على جزيرة حليمة فبنوا الأخصاص وتأنقوا فيها . وزرعوا حولها الزهور والمقاتى (البطيخ والشمام والخيار والقثاء ومايشبهها) واتجه أرباب الخلاعة والمجون إليها . وتهتكوا بأنواع المحرمات . فارتفعت قيمة الأرض بها حتى بلغت أجرة القصبة المربعة عشرين درهما . فكان إيجار الفدان ٨٠٠٠ درهم[1] أى ما يقرب من مائتى دينار وهذا عن ستة شهور فقط هى التى ينحسر فيها الماء عن الجزيرة .

ولمازاد التهتك والفساد أمر السلطان الكامل شعبان بن محمد قلاوون بحرق الأخصاص . وإراقة الخمور . وإتلاف مابها من موجودات .

واتصلت الجزيرتان اروى وحليمة . وأصبحتا جزيرة واحدة . اسماها الفرنسيون عند دخولهم جزيرة بولاق . وأيضا جزيرة القرطية . ونعرفها الآن باسم جزيرة الزمالك[2]

وأنشأ الناصر محمد بن قلاوون . بدلا من ميدان الظاهر . الذى تحول إلى زريبة قوصون كما ذكرنا . ميدانا آخر موقعه كان بالجزء الجنوبى من موقع جاردن سيتى . ومن موقع القصر العينى . وأنشأ بجانبه زريبة حفر لأجلها البركة الناصرية (موقعها بحى الحنفى غرب الخليج) لاستعمال طينها فى عمل الزريبة والبناء .

ولما حفر الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى (كان يبدأ جنوبى موقع القصر العينى كما ذكر بأحد هوامش الفقرة الثانية من المقدمة الموضوعية) ازداد عمران هذه الجهة . وأصبحت عامرة بالدور والقصور . وتسير المراكب فى مجرى الخليج الناصرى حتى يلتقى بالخليج المصرى بالقرب من جامع الظاهر بحى الظاهر - مُزَيَّنَة فى النهار . مُشعَّة فى الليل بالأنوار . تتجاوب فيها أصوات الموسيقى

---

(١) كان الفدان ٤٠٠ قصبة والآن ٣٣٣⅓ مع الاختلاف أيضا فى طول القصبة . وسبق ذكر هذا .

(٢) الزمالك أعجمية معناها الأخصاص . وهى بيوت من الغاب . والقرط البرسيم الأخضر الذى ترعاه الماشية . فلعل اسم القرطية منه . أو هو منسوب إلى محمد باشا قورط الوالى العثمانى سنة ١٥٩٥م (١٠٠٣هـ) . راجع اسمه رقم ٢٥ بالجدول السابع عشر بالقسم الثالث .

والغناء . وظلت هكذا حتى أوائل القرن التاسع الهجرى (١٥م) فأصابها ماأصاب العاصمة من تدهور . وخربت الدور . وأصبحت خرائب وكيمان .

واستمر خرابها حتى العصر الحديث .

منطقة الإســماعيلية :

وفى عهد الخديوى إسماعيل شُرع فى تنظيم المنطقة التى عرفت بالإسماعيلية . والاسم كان يطلق على مساحة واسعة حددها على مبارك[1] . بأن الحد البحرى شارع بولاق (الذى سمى بعد ذلك شارع فؤاد الأول ثم أخيرا ٢٦ يولية) والقبلى شارع القصر العالى والخليج المصرى أى تصل جنوبا إلى فم الخليج . والغربى بعضه ساحل النيل وبعضه ترعة الإسماعيلية (عندما كان فمها شمال موقع قصر النيل) والشرقى سور البلد القديم . (يعنى السور الغربى لمصر القاهرة الذى بناه قره قوش فى عهد صلاح الدين الأيوبى) .

وهذا السور الغربى لمصر القاهرة قد اندثر تماما الآن وتداخل فى المبانى . ولكن يمكن أن نحدد موقعه بالتقريب فقد كان شرقى مجرى النيل القديم الموضح بالرسم الكروكى بأول القسم الأول . وهو يبعد عن مجرى النيل الحالى بحوالى ١٠٠٠ متر تقريبا .

وهذه المساحة التى حددها على باشا مبارك طولها ما يقرب من ٢٥٠٠ متر وعرضها ١٠٠٠ متر تقريبا . ولو أخذنا بالحد الأقصى للبعدين لكانت المساحة ٦٠٠ ستمائة فدان تقريبا . ولكن على مبارك ذكر فى الخطط (جـ ١ ص ٨٢) أن الإسماعلية مساحتها ٣٥٩ فدانا .

وميدان التحرير الحالى كان اسمه ميدان الإسماعلية لغاية ثورة ٢٣ يولية سنة ١٩٥٢ .

هذه المساحة بعد أن ازدهرت فى عهد الناصر محمد بن قلاوون ومن تلاه من السلاطين المماليك البحرية . أخذت تتدهور ويلحقها الخراب حتى أصبحت بركاً ومستنقعات وكيمان . وبعض المزارع هنا وهناك .

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ٣ ص ١١٧ .

فأعيد تخطيطها فى شوارع مستقيمة متقاطعة على زوايا قائمة فى أغلب الأحوال . وأنشئت فيها عدة ميادين . وجُعل على جانبى الشوارع استطراقان (تلتورارن) للمارة . وجُعل الوسط للعربات والحيوانات . ومُدت فيها مواسير المياه لرش أرضها وسقى بساتينها . ونصبت فيها فنارات الغاز لإنارتها وإضاءتها . فسكنها الأمراء والعظماء والأعيان . وأصبحت - ولا تزال - سُرةً المدينة . وبها أهم مرافقها من دور الحكومة والبنوك والشركات والمحلات التجارية وغيرها .

وماكان شرقى شارع القصر العينى عرف أخيراً بالإنشاء والمنيرة . وستتكلم عنها فى الفصل التالى بأذن الله . وماكان غربى شارع القصر العينى عرف أخيراً بجاردن سيتى والقصر العينى .

جاردن سيتى - مدينة الحدائق :

وبنى أعضاء أسرة محمد على فى حى جاردن سيتى القصور .

فبنى إبراهيم باشا بن محمد على القصر العالى : يحده النيل غرباً ويصل جنوباً إلى القصر العينى وشمالاً إلى الحى المعروف أخيراً بالشيخ يوسف بجاردن سيتى . وشرقاً إلى موقع شارع القصر العينى الحالى تقريباً .

وفى أواخر سنه ١٨٦٣ (١٩ رجب سنة ١٢٨٠هـ)(١) تنازل الخديوى إسماعيل بن إبراهيم باشا لوالدته عن القصر العالى المذكور والأراضى الملحقة به . وهو محدود فى التنازل المذكور غرباً بساحل النيل وشرقاً بالطريق الموصل إلى بولاق ومصر القديمة (أى شارع القصر العينى الحالى) وجنوباً الطريق الفاصل أرض القصر العالى عن القصر العينى وشمالاً قصر أخيه أحمد باشا(٢) .

وفى أغسطس سنه ١٨٧١ (٦ جمادى الآخرة ١٢٨٨ هـ(٣)) صدر أمر من إسماعيل : (قد إقتضت إرادتنا أن الأراضى والأملاك التى صار مشتراها بجزيرة

---

(١) تقويم النيل جـ ٣ص ٥٣١ . وتولى إسماعيل الحكم فى ١٨٦٣/١/١٧م .

(٢) أحمد باشا أخو إسماعيل . وقد توفى فى حادثة انقلاب قطر السكة الحديدية عند كفر الزيات قبل تولى إسماعيل الحكم .

(٣) تقويم النيل جـ ٣ ص ٩٤٠ .

العبيط التى حدها البحرى طريق كوبرى قصر النيل. [1] والقبلى جنينة المرحوم أحمد باشا . والشرقى طريق الشيخ يوسف الموصل للقصر العالى ومصر القديمة . والغربى البحر الأعظم (أى نهر النيل) . جميع ذلك يكتب به حجة (أى مستند تمليك) باسم ٣ جى (أو جينجى) حرمنا (أى زوجته رقم ٣) ويجرى بناء السراى المستجدة هناك (يعنى سراى الأسماعيلية) . اهـ .

ومن هذين الأمرين يتضح أن جاردن سيتى كانت عبارة عن ثلاثة قصور كبيرة . جميعها تطل غرباً على النيل . ولكل منها حديقة كبيرة : القصر العالى ويصل جنوباً إلى الطريق بينه وبينى القصر العينى . ثم قصر أحمد باشا أخى الخديوى إسماعيل . والثالث سراى الأسماعيلية . وكانت تصل شمالاً إلى طريق كوبرى قصر النيل . وأن الأرض مكان سراى الأسماعيلية كانت تعرف بجزيرة العبيط . وأنه كان بالجانب الشرقى من القصر العالى وسراى الأسماعيلية الحى المعروف بالشيخ يوسف .

وذكر على مبارك [2] . أنه بعد شراء ماكان بجزيرة العبيط من المنازل والقصور شرع فى بناء سراى الأسماعيلية الكبيرة . وقد كان فى نية إسماعيل بناء قصرين. ثم أكتفى بواحد . فأوقف العمل فى السراى الكبيرة بعد أن صرف على جدرانها ٣٨٨٢٠جنيها وأن سراى الأسماعيلية الصغيرة تكلفت ٢٠١٢٦٠ جنيها[3] .

ونعجب كيف تكون صغيرة وقد تكلفت هذا المبلغ مع رخص الأسعار فى ذلك الوقت .

وذكر على مبارك أن جزيرة العبيط هى جزيرة أروى . وأعتقد أن أروى هى الجزء الجنوبى من جزيرةالزمالك محل أرض المعرض ومجاوراته . وكان يعرف هذا الجزء بالجزيرة الوسطى . لتوسطها بين جزيرتى الروضة والزمالك . قبل أن يتصل

---

(١) يفهم من هذا الأمر أن العمل فى كوبرى قصر النيل كان على وشك الانتهاء . وقد افتتح الكوبرى رسمياً للمرور فى ١٨٧٢/٢/١٠ كما سنذكر فى هذا الفصل بإذن الله .

(٢) الخطط التوفيقية جـ ١ ص ٨٥ .

(٣) الخطط التوفيقة جـ ١ ص ٨٥ وتكلفت سراى الجيزة ١٣٩٣٣٧٤ جنيها ، وسراى الجزيرة ٨٩٨٦٩١ جنيهـا ، سراى عابدين ٦٦٥٥٧٠ جنيهـا . وباقى السرايات ٢٣٣١٦٧٩ جنيها الجملة ما يقرب فى الخمسة ملايين ونصف مليون من الجنيهات .

هذا الجزء بجزيرة الزمالك . وأن جزيرة العبيط سميت جزيرة تجوزا لانحصارها بين مجرى الخليج الناصرى ومجرى النيل .

وموقع سراى الأسماعيلية منه الآن المجمع لمصالح الحكومة بميدان التحرير وما أمامه من فضاء ومتنزهات حتى الشارع المؤدى إلى كوبرى قصر النيل .

وذكر على مبارك[1] أن مسجد الشيخ العبيط من داخل السور الغربى لسراى الأسماعيلية الصغرى قرب قناطر النيل المسماة بالكوبرى فى شرقى الجامع الطيبرسى المعروف الآن بالأربعين . وليس به (يعنى جامع العبيط) مطهرة . وبه ضريح الشيخ العبيط والشيخ زيدان . اهـ . ولم يترجمها .

وموقع **جامع العبيط** الآن **جامع عمر مكرم** . والشارع غربى الجامع كان اسمه شارع الشيخ العبيط . واسمه الآن شارع جامع عمر مكرم .

والشارع المذكور يفصل بين الجامع وسراى وزارة الخارجية . التى كان أصلها قصر الأمير كمال الدين حسين بن السلطان حسين كامل . وكان غربى وزارة الخارجية قصر تملكه السيدة قوت القلوب بنت عبد الرحيم باشا الدمرداش . وقد هدم هذا القصر لتوسعة ميدان كوبرى قصر النيل الذى كان أسمه ميدان إلهامى (نسبة إلى الأمير إلهامى بن عباس حلمى الأول . وإلهامى جد عباس حلمى الثانى لوالدته) وأصبحت وزارة الخارجية تصل إلى الميدان المذكور . والشارع غربى الوزارة كان اسمه شارع الشيخ بركات . والآن اسمه شارع كمال الدين صلاح .

وكان جنوبى وزارة الخارجية على يمين المار بالشارع المذكور متجهاً إلى ميدان الكوبرى جامع الشيخ بركات . ولم يذكره على مبارك ضمن المساجد والزوايا .

ويقابله تقريباً على يسار المار بالشارع المذكور - أى خلف موقع فندق سميراميس - الجامع الذى ذكره على مبارك **باسم جامع الطيبرسى** وقال عنه أن المعروف الآن **بالشيخ الأربعين** .

ورفض الناس تسمية الجامع المذكور بالطيبرسى سليم . فجامع الطيبرس

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ٥ ص ٤٦ .

كان جنوبى القصر العينى كما يفهم فى وصف المقريزى لموقع الجامع المذكور .. والآن يوجد شارع الطيبرس جنوبى القصر العينى وشمال مستشفى الكلب .

ترجمة الطيبرس :

والطيبرس المذكور هو طيبرس بن عبد الله الوزيرى أحد أمراء المماليك . رأى مناماً للسلطان لاجين أنه سيصير سلطاناً على مصر . وكان لاجين وقتها نائباً بالشام . فوعده إن تحقق هذا أن يرقيه ويقدمه . فلما تملك لاجين - فيما بين ولاية الناصر محمد بن قلاوون الأولى والثانية[1] - وفى بوعده وولاه نقابة الجيش فى مصر سنة ٦٩٧هـ (١٢٩٨م) . فباشرها بأمانة زائدة وعفة مفرطة . مع التزام الديانة . والمواظبة على فعل الخير . والغنى الواسع .

وقال المقريزى أن له من الآثار الجامع والبستان بأراضى بستان الخشاب .[2] (وبستان االخشاب كان جنوبى القصر العينى وللآن هناك شارع متفرع من شارع القصر العينى أسمه شارع بستان الخشاب) . ومن آثاره أيضاً المدرسة بجوار الجامع الأزهر . وهى المدرسة الطيبرسية التى أدخلها عبد الرحمن كتخدا فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى (١٢هـ) ضمن الجامع الأزهر . وهى على يمين الداخل من باب الأزهر الكبير كما أدخل أيضاً المدرسة الأقبغاوية المقابلة للطيبرسية . والأقبغاوية على يسار الداخل من باب الأزهر الكبير وبها الآن مكتبة الجامع الأزهر . وقد سبق ذكر هذا فى ترجمة عبد الرحمن كتحذا عند الكلام على قنطرة الذى كفر فى الفصل الخامس من القسم الأول .

ولم يزل طيبرس فى نقابة الجيش إلى أن توفى سنة ٧١٩هـ . ودفن بمدرسته هذه .

ومما قيل عنه أنه لما أحضرت إليه أوراق حساب هذه المدرسة بعد إتمامها . أمر بطست ماء وأسقط فيه الأوراق ليمحو الكتابة عليها دون أن يطلع عليها . وقال : شىء خرجنا عنه لله تعالى فلا نحاسب عليه .

---

(١) راجع الجدول الرابع عشر عن سلاطين المماليك البحرية بالقسم الثالث .
(٢) خطط المقريزى جـ ٢ ص ٣٨٣ .

وقال المقريزى أن الطيبرسى هذا كان يعتريه الجنون . ولا يفهم هذا من هذه الترجمة .

الشيخ الأربعين :

ولكن تسميه الأربعين تستوقف النظر . فنجد اسم الأربعين لكثير من الأضرحة فى أنحاء العاصمة وفى بلدان الجمهورية . وقد ذكر على مبارك فى الجزء السادس من الخطط أربعة عشر ضريحاً وزاوية باسم الأربعين فى أنحاء القاهرة وحدها . وقد أغفل البعض كما رأينا إغفال ذكر بعض المساجد . وهى أكبر شأناً من الزوايا والأضرحة . وربما جد بعد على مبارك غيرها .

ولى رأى فى هذا لعله لا يكون بعيداً عن الصواب .

فتسمية الأربعين ترجع إلى الطرق الصوفية . فقد ذكرنا فى الفصل الخامس من القسم الأول عند الكلام على قنطرة الحفنى والصوفية والتصوف . أن الشائع بين الصوفية فى مراتب الوصول أن النقباء ثلثمائة . والنجباء سبعون . والأبدال أربعون . والأخيار سبعة . والعمد أو الأقطاب أربعة . والغوث واحد .

فكلما توفى من تعتقد فيه الولاية أو الوصول اعتبُر من الأبدال الأربعين . وبنوا له ضريحاً . ينتفع من نذوره الأقربون له الداعون إلى التنبيه إليه ورفع مقامه .

قصر الدوبارة :

ويلتقى شارع كمال الدين صلاح (الشيخ بركات سابقاً) مع شارع جامع عمر مكرم (الشيخ العبيط سابقاً) فى الميدان الذى كان اسمه قصر الدوبارة وأصبح اسمه الآن ميدان سيمون بوليفار .

وقصر الدوبارة كان قصراً للأميرة أمينة بنت إلهامى بن عباس حلمى الأول . وهى زوجة الخديوى توفيق ووالدة عباس حلمى الثانى. وكانت تعرف بأم المحسنين . وهى من ضمن من أقيم لزفافهم أفراح الأنجال - يعنى أنجال الخديوى إسماعيل . التى سنذكرها فى الفصل التالى بإذن الله .

وكان موقع القصر المذكور المربع الذى فيه الآن فندق شبرد الجديد . يطل

غرباً على النيل . ومن الجنوب الشارع الذى يفصله عن السفارة الإنجليزية[1] . وكان يعرف باسم شارع لاظ أوغلي (وسنتكلم عن ترجمة لاظ أوغلى والشيخ يوسف فى هذا الفصل بإذن الله) . وشرقاً من المربع المذكور الشارع الذى يفصله عن السفارة الأمريكية . وكان اسم هذا الشارع شارع الوالدة - يعنى والدة عباس حلمى الثانى . وأصبح الآن اسمه شارع أمريكا اللاتينية لتكون الصلة مرتبطة بينه وبين ميدان سيمون بوليفار (قصر الدوبارة سابقاً) الذى ينتهى إليه الشارع المذكور . وشمالاً الشارع الفاصل الآن بين فندقى شبرد وسيميراميس .

وبيعت منقولات قصر الدوبارة فى الأربعينات من هذا القرن فى مزاد علنى . وقسمت أرضه . فبنيت فيه عمارتا إيزيس وأوزيريس فى الجنوب منه . كما أنه بعد حريق القاهرة فى ١٩٥٢/١/٢٦ بنى فى جزء منه فندق شبرد الحالى بعد أن احترق الفندق القديم الذى كان على ناصية شارعى الجمهورية والألفى بالقرب من حديقة الأزبكية . كما أنشئت وزارة الصناعة شرقى الفندق الحالى المذكور .

وكان بجاردن سيتى شارع اسمه شارع الوالدة باشا . وهو غير شارع الوالدة السابق ذكره . وشارع الوالدة باشا اسمه الآن شارع عائشة التيمورية . والوالدة باشا مقصود بها والدة الخديوى إسماعيل . الذى كان قد تنازل لها عن القصر العالى كما سبق ذكره . وربما كان شارع عائشة التيمورية هو الحد الفاصل بين القصر العالى وقصر أحمد باشا أخى الخديوى إسماعيل .

ولكن لما توفى إسماعيل فى ١٨٩٥/٣/١٢ بالآستانة . ثم نقل جثمانه إلى القاهرة حيث دفن بمسجد الرفاعى بالقرب من القلعة . ظهر فى وصيته أن القصر العالى وإن كان باسمه ولكنه ملك لزوجاته الثلاث شهرت هانم وجنانير هانم وجشم آفت أفندى[2]. كما أنه أوقف عليهن تفتيش حلوان . وكانت هذه الوصية سبباً لخلاف بين ورثته .

---

(١) غلب اسم قصر الدوبارة على مقر السفارة البريطانية ايام كانت دار للحماية .

(٢) كان لأسماعيل زوجة رابعة كما سبق ذكره . فلعله طلقها او توفيت قبله . وبمسجد الرفاعى حيث مدافن بعض عائلة إسماعيل توجد ثلاثة قبور لزوجاته على كل منه تركيبة رخام بالاسم وتاريخ الوفاة . وعلى إحداها يوجد صليب . وكانت هذه الزوجة إيطالية . ويبدو أنها احتفظت بديانتها المسيحية .

عائشة التيمورية :

والسيدة عائشة التيمورية التى أطلق اسمها على شارع الوالدة باشا هى الشقيقة الكبرى للمرحوم أحمد باشا تيمور المعروف بتحقيقاته الإسلامية والتاريخية . وبمكتبته العظيمة التى أوصى بها لدار الكتب العمومية . وعمة الأديبين الكبيرين المرحومين الأستاذ محمد تيمور والأستاذ محمود تيمور القصصى المعروف . أديبة وشاعرة بالعربية والتركية والفارسية . ولدت سنة ١٨٤٠م وتزوجت المرحوم توفيق الإسلامبولى . وسافرت معه إلى الأستانه . ثم عادت لمصر بعد وفاته . ولها ديوان بالعربية اسمه حلية الطراز . وتوفيت سنة ١٩٠٢م .

سيمون بوليفار :

وسيمون بوليفار الذى أطلق اسمه على ميدان إلهامى سابقاً . هو أحد المناضلين فى سبيل الحرية . عاش من سنة ١٧٨٣ - ١٨٣٠م . وحارب إسبانيا لتحرير أمريكا اللاتينية . وأمكنه تحرير كولومبيا وفنزويلا وأكوادور وبنما . وجعل من الأربعة جمهورية واحدة . باسم كولومبيا العظمى . كما سعى فى تنظيم بيرو وبوليفيا . وكانتا تحررتا أيضاً من الحكم الإسبانى .

ثم طغى وأنشأ حكماً ديكتاتوريا. فاضطرب الحكم . واضطر للاستقالة فى سنة ١٨٣٠ . ومات بعد قليل فى آخر السنة وحيداً مكروهاً لطغيانه . ثم تنوسى طغيانه وأقيم له تمثال سنة ١٨٤٠ فى بوجوتا عاصمة كولومبيا . تذكاراً لمن أقام استقلالها . وأصبح ينظر إليه كمحرر لأمريكا اللاتنية [١] .

ومع احترامى لنضال الثائر . وبصرف النظر عما نسب إليه من طغيان . فإنى أرى أن فى أبطال تاريخنا وأمجادنا الاسلامية والعربية والفرعونية من هم أجدر باسماء شوارع وميادين عاصمتنا . خصوصاً فى مكان له حساسيته بجوار وزارة الخارجية وجامعة الدول العربية والسفارات الأجنبية . وحبذا لو اخترنا اسما من أمجاد العرب فى إسبانيا كطارق بن زياد . أو قرطبة . أو غرناطة . أو عبد الرحمن الناصر . أو ابن

---

(١) بوليفار للاستاذ وديع الضبع - وزارة الارشاد القومى - مكتبة النهضة سنة ١٩٥٧ .

زهر . أو غير ذلك من الأمجاد التاريخية والعلمية . فمن نافذة الأندلس أطلت الحضارة العربية الاسلامية على أوربا . وكانت هي الدعامة الاولى في تقدمها .

ومارخص هذا الثمن - أي إطلاق الاسماء على الشوارع - إذا كنا نظن أنه يكسبنا ولاء وصداقة دول أمريكا اللاتينية في معترك السياسة الدولية المبنى على المصالح فقط .

كمال الدين صلاح :

الذى حل اسمه محل شارع الشيخ بركات غربي وزارة الخارجية . هو الشهيد المجاهد الذى اغتالته يد أثيمة مأجورة من الاستعمار في الصومال في ١٦/٤/١٩٥٧م .

كان أبوه قاضياً شرعياً عرف بالعدل والتقوى والأفق الواسع . وكانت له مكتبة تحوى أكثر من ألفى كتاب . مكنّت ابنه كمال الدين من الاطلاع وتنمية معلوماته . كما كان أبوه قدوة صالحة له في حسن السلوك .

وتنقل كمال الدين مع والده تبعاً لوظيفته . فحصل على الشهادة الابتدائية من إحدى مدارس القاهرة . والتحق بمدرسة الخديوية الثانوية . ثم بني سويف الثانوية . ثم المنصورة الثانوية حيث حصل على البكالوريا سنة ١٩٢٩(١) . وكان ترتيبه الثاني . وكان أول دفعته زميله وصديقه الأستاذ فتحى رضوان المحامى والوزير السابق والأديب المعروف .

والتحق بكلية الحقوق بجامعة القاهرة . ولم يمنعه تفوقه في دراسته من ممارسة هواياته من الرماية وركوب الخيل وحب الرحلات .

وكان وزميله فتحى رضوان ـ أثناء دراستهما بالحقوق ـ يدعوان إلى عقد مؤتمر للطلبة الشرقيين . ولم تكن فكرة القومية العربية قد نبتت بعد . فتألفت لجنة تحضيرية كان منها الزعيم السورى شهبندر . وعبد الحميد الثعالبى التونسى .

---

(١) كان التعليم وقتها ثلاث مراحل أولية أو روضة أطفال ومدتها ثلاث سنوات . ثم ابتدائية ومدتها أربع سنوات . ثم ثانوية ومدتها خمس سنوات . تنتهى بشهادة البكالوريا وهى تقابل الثانوية العامة الآن . وبعدها المرحلة الرابعة التعليم العالى أو الجامعى .

ومنصور باشا فهمى . وعبد الرزاق باشا السنهورى . وفتحى رضوان . وكمال الدين صلاح .

وسافر الأخيران بتكليف اللجنة إلى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين يلقيان الخطب منددين بالاستعمارين الفرنسى والانجليزى .

واشترك فى مشروع القرش[1] . وعين سكرتيراً للمشروع . ولما ظهرت فكرة مقاطعة البضائع الأجنبية وتشجيع الصناعات المحلية . تأسست جماعة المنديل المحلاوى بالجامعة[2] . على أن تستعمل المنديل المحلاوى لربطة العنق . وكان كمال الدين من مشجعى الفكرة .

وتخرج كمال الدين من كلية الحقوق . فاشتغل بالمحاماة حتى سنة ١٩٣٥ . ثم التحق بالسلك السياسى . فعُين فى القدس سنة ١٩٣٦ . وكانت الثورة الفلسطينية ضد الاحتلال الانجليزى وتمكينه لليهود فى أعلى مراحلها . فشارك فيها بوجدانه وخطاباته . فنُقل إلى اليابان . ثم إلى بيروت أثناء الحرب العالمية الثانية . وكانت انجلترا وفرنسا الحرة تتهيأن لغزو لبنان المحتل بجيوش حكومة فيشى الفرنسية الخاضعة للألمان . فعمل على توحيد الأحزاب فى لبنان . فتدخل الإنجليز . ونُقل إلى القاهرة . ولما قتل أحمد ماهر .[3] . نسب إلى كمال الدين صلاح اتصاله بالعيسوى قاتل أحمد ماهر . والحقيقة أنه كان يزور فتحى رضوان فى نفس المعتقل الذى فيه العيسوى . فاعتُقل . ثم أفرج عنه .

ثم عين فى اليونان . ثم نقل إلى عَمَّان ليشاهد من هناك الحرب الأولى بين العرب وإسرائيل . واعتبرته انجلترا عدواً . فنقل من عمان الأردنى إلى

---

(١) مشروع القرش من المشروعات الوطنية الناجحة . دعا إليه الأستاذ أحمد حسين المحامى الذى كان طالباً بالحقوق وقتذاك . وكان قوام المشروع أن يتبرع كل مواطن بقرش واحد . وبادر الناس بالتبرع . فأمكن من حصيلة هذه القروش انشاء مصنع للطرابيش - وكانت تستورد من النمسا - ومن أرباح مصنع الطرابيش أنشىء مصنع لنسيج الصوف .

(٢) اشتهرت المحلة الكبرى - من قبل إنشاء شركة مصر للغزل والنسيج بها - بصناعة النسيج على أنوال يدوية . وكان للمنديل المحلاوى شهرة شعبية . ولم تكن هناك جامعات غير جامعة القاهرة . فجامعة الاسكندرية أنشئت سنة ١٩٤٢ كما ذكر بالفصل السابق .

(٣) اغتيل الدكتور أحمد باشا ماهر فى مجلس النواب (مجلس الشعب حالياً) فى ١٩٤٥/٢/٢٤ .

تشكسلوفاكيا ليشهد بها الانقلاب إلى الشيوعية . ثم نقل إلى دمشق ليشهد حكم الشيشكلى . ثم إلى استوكهلم .

وقامت الثورة فى مصر سنة ١٩٥٢ فنقل سنة ١٩٥٣ قنصلاً لمصر فى مرسيليا . وكانت مركزاً هاماً للثوار الجزائريين . ثم نقل إلى الصومال فى أبريل سنة ١٩٥٤ .

وبلاد الصومال كانت ثلاثة أقسام : فى الشمال الصومال الفرنسى وعاصمته جيبوتى على مضيق باب المندب بمدخل البحر الأحمر . ثم يليه الصومال البريطانى وعاصمته زيلع . ثم يليه الصومال الإيطالى وعاصمته مقديشيو . ويحده شرقاً المحيط الهندى . وغرباً من الشمال الصومال البريطانى ثم أثيوبيا (الحبشة) ثم كينيا[1] .

وكان قد تقرر بعد الحرب تصفية الامبراطورية الإيطالية التى أنشأها موسولينى . ثم رأت الدول الغربية أن تستعمل بعض الاعتدال فى معاملة إيطاليا لما بدأت روسيا تظهر العداء لدول الغرب . فقررت وضع الصومال الإيطالى تحت الإدارة الإيطالية لمدة عشر سنوات تنتهى فى ١٩٦٠/١٢/١ . وهذا تحت وصاية الأمم المتحدة . مع إنشاء مجلس استشارى من مصر وكولومبيا والفلبين . إلى جانب الإدارة الإيطالية . مع مجلس إقليمى يستشيره الحاكم الإيطالى .

وكانت الدول الاستعمارية تتمنى فشل الوصاية على الصومال فى فترة الانتقال . ليعوق هذا الفشل استقلاله . فأخذ كمال الدين صلاح يجوب القرى والمدن . ويخطب فى المجتمعات . منددأ بخطط الاستعمار . كاشفاً أساليبه . ثلاث

---

(١) كانت زيلع ـ وهى على مدخل البحر الأحمر ـ من أملاك مصر . فقد تنازلت عنها تركيا لمصر سنة ١٨٧٥ نظير مبلغ ١٣٣٦٥ جنيهاً سنوياً . كما كانت مصر تملك أيضاً على البحر الأحمر مصوع وسواكن . الأولى على خط عرض الخرطوم والثانية جنوب بور سودان . وقد اشترتهما مصر من تركيا سنة ١٨٦٦ نظير ٣٠٠٠٠ جنيهاً سنويا . وكان لمصر أيضاً هرر وهى جنوبى غربى زيلع داخل الأراضى الحبشية بحق الفتح بقيادة محمد رؤوف باشا سنة ١٨٧٥ . ثم دخلت مصوع فى أملاك إيطاليا بأريتريا . وبعد الحرب العالمية الثانية ضمت اريتريا إلى الحبشة فى اتحاد فيدرالى .

وكان من مطالب الحزب الوطنى فى مصر استقلال مصر والسودان والملحقات . يعنى زيلع ومصوع وهرر . وكان الحزب الوطنى أكثر الأحزاب تطرفاً . وحزب الأحرار الدستوريين أكثرها تساهلاً أو اعتدالاً . وحزب الوفد متوسط فى الأمر .

ثم غلبت آخر الأمر شهوة الحكم . وتعددت الأحزاب . وأصبحت المطالبة بحقوق البلاد مجرد شعارات للوصول للحكم .

سنوات أحرج فيها المستعمرين . حتى انتهى الأمر باغتياله فى ١٩٥٧/٤/١٦ . إذ طعنه شاب صومالى مأجور بسكين عدة طعنات . فسقط صريعاً ونقل إلى المستشفى حيث أسلم الروح . وذهب مع الشهداء .

وترك زوجته التى تزوجها فى ديسمبر سنة ١٩٤٣ . وثلاثة أطفال محمد فريد وليلى وهشام . رحمه الله[١] .

الشيخ يوسف والشيخ صالح أبو حديد :

قد ذكرنا أن الحد الشرقى للقصور الثلاثة : القصر العالى وقصر أحمد باشا وسراى الإسماعيلية كان بعضه طريق بولاق ـ مصر القديمة . وبعضه الحى المعروف بالشيخ يوسف .

ولا بأس أن نذكر حكاية رواها على باشا مبارك عن الشيخ يوسف الذى ظل اسمه علماً على المكان وكان له شارع كبير باسمه تغير الآن إلى اسم شارع عبد القادر باشا حمزة .

قال على مبارك (الخطط التوفيقية ج٣ ص٩٢) فى ترجمة صالح أبى حديد المنسوب له الجامع القريب من جامع الحنفى بحى الحنفى والناصرية غربى الخليج . قال :

انهم كانوا ثلاثة لصوص وقاطعى طريق . أحدهم كان بدرب سعادة بقرب باب الخلق يرتدى زى الدراويش . وللناس فيه اعتقاد كبير . ويقبلون يده . وكان يجلس هناك على الخليج إلى الليل . فإذا مر شخص بمفرده . قال : ياواحد !! فيخرج أنصاره ويحيطون بالمار . ويدخلونه المنزل قسراً . ويسلبون مامعه . ثم يقتلونه .

وظلوا هكذا مدة طويلة . حتى اكتشف أمره . وأمكن للشرطة بكمين دبّروه أن يقبضوا عليه وعلى بعض أنصاره متلبسين . ولما عذبوهم . أقر هذا الشيخ على زميليه : الشيخ يوسف والشيخ صالح أبى حديد .

---

(١) الشهيد كمال الدين صلاح بقلم أبو الحجاج حافظ فى سلسلة كتب شباب خالد .

أما الشيخ بدرب سعادة فقد قتل .

وكان الشيخ يوسف يلوذ بلاظ أو غلى كتخدا مصر فى عهد محمد على . فوقع عليه . فعفا عنه .

وأما الشيخ صالح أبو حديد فقد احتمى بامرأة مغنية مشهورة . فادعت أنه مجنون . ووضعت فى رجليه قيداً . وكان الرجل فعلاً قد عُقل لسانه من الخوف . فتركوه .

ثم شاع أنه يُنبىء بالمغيبات عن طريق من حوله . فقصده الأمراء والأعيان والنساء . وازدحم بيته بالزوار . وأتحفوه بالهدايا والنذور . وهو ملقى على الفراش لا يتكلم . وفى رجليه قيود الحديد . وعند رأسه امرأة بيدها مروحة تروّح بها عليه . ويخرج من فيه أصواتاً ليست مفهومة . فتقول المرأة للحاضرين : الشيخ يقول كذا وكذا . فلانة تتزوج . الغائب يحضر . القضية تكسب أو تخسر . وغير هذا مما يفسره كل إنسان من الحاضرين إجابة لمضمون نفسه . واستمروا كذلك إلى أن مات .

ثم بنى الخديوى اسماعيل هذا الجامع . وهو جامع عظيم لم يُبن لغيره من الأفاضل ذوى العلوم والمعارف الذين انتفع الكثيرون بعلومهم ومعارفهم (وهذه غمزة من على مبارك ولعله يعنى نفسه) . كما أوقف اسماعيل على هذا الجامع ومدرسة بجواره ٤٠٠ فدان وكسور بمديرية الجيزة . وعدة دكاكين ومنازل وقهاوى . أنشأها بجوار الجامع . وجعل نظارة الوقف لديوان الأوقاف . وهذا بالأمر الصادر فى١٦ رجب سنة١٢٨٨هـ (١٨٧١م) .

ولما خُططت أرض جاردن سيتى للبناء . وأطلق الإنجليز على هذا التخطيط اسم جاردن سيتى . جُعل ميدان باسم الشيخ يوسف . حده الشرقى شارع القصر العينى .

وكان بالميدان ضريح الشيخ يوسف قريباً من شارع القصر العينى . ثم بُنى فى الفراغ حول الضريح عمارتان تطلان على شارع القصر العينى هما بالتحديد رقما ٩٨ و١٠٠ من الشارع المذكور . وترك فراغ بين العمارتين به مدخل إلى الضريح .

فتحول الميدان إلى ثلاثة شوارع تحيط بالعمارتين بخلاف شارع القصر العينى . ومع ذلك احتفظت الشوارع الثلاثة باسم ميدان الشيخ يوسف .

ويوجد أيضاً مع ضريح الشيخ يوسف ضريح لاظ أوغلى .

محمد بك لاظ أوغلى :

محمد بك لاظ أوغلى كتخدا مصر فى عهد محمد على . (أوغلى معناها ال أى من أسرة . وكتخدا سبق ذكر أن معناها وكيل وحرفتها العامة إلى كيخيا . وكانت هذه الوظيفة فى عهد محمد على أقرب إلى اختصاصات رئيس الوزارة) .

وكان محمد بك لاظ أوغلى من أقرب المقربين إلى محمد على . وموضع سرد . وهو الذى أسس دواوين ومصالح الحكومة . وكان مطلق التصرف فى شؤون الإدارة .

وذكر صاحب تقويم النيل (ج ٢ ص ٣٥٧) أنه كان يرتب الجواسيس يدخلون المقاهى وبيوت الأعيان بأزياء وحجج مختلفة . وينقلون إليه الأخبار برسائل فى فتحة باب بيت بجهة السيدة زينب . كل منهم يضع رسالته فى وقت معين . وكانت تقيم فى هذا البيت سيدة تعرف العربية والتركية . كان أحضرها محمد على لتعليمه مبادىء اللغة العربية والقراءة والكتابة . فتحمل الخطابات إلى القلعة كل يوم . فتجد الشيخ يوسف فتسلمها له . ويسلمها الشيخ يوسف للاظ أوغلى .

وعندما أرادت الحكومة إقامة تماثيل لمحمد على وابراهيم باشا وسليمان باشا الفرنساوى ولاظ أوغلى ـ لتجميل الميادين ـ لم تجد صورة للاظ أوغلى . فحتمت على محافظ القاهرة أحمد باشا الدره مللى سنة ١٨٦٩ ايجاد صورة له . فتصادف وجود المحافظ ومحمد باشا ثابت[1] ذات يوم بخان الخليلى فوجدا سقاء حريم يشبه محمد بك لاظ أوغلى كل الشبه . فكلفه المحافظ بالحضور للمحافظة فى اليوم التالى . وفصّلوا له بدله وقلدوه السيف والعمامة وأخذوا له صورة فوتوغرافية . عُمل التمثال

---

(١) محمد باشا ثابت وصل إلى نظارة المعارف والأوقاف سنة ١٨٧٥ . وإليه تنسب القنطرة على الخليج . بالقرب من باب الخلق حيث كان بيته شمال دار الكتب العمومية .

على مقتضاها فالتمثال الموجود الآن بميدان لاظ أوغلى هو تمثال السقاء المذكور [1] .

وتوفى محمد بك لاظ أوغلى سنة ١٨٢٧ (١٢ رمضان سنة ١٢٤٢ هـ) . ودفن مع الشيخ يوسف .

وباسمه الميدان المعروف الذى به تمثاله المذكور عند تقاطع شارعى نوبار ومجلس الشعب . وأيضاً باسمه شارع بجاردن سيتى .

عبد القادر حمزة باشا :

أما عبد القادر حمزة باشا الذى حل اسمه محل شارع الشيخ يوسف فهو الصحفى الكبير والمؤرخ الذى عُرف بأبحاثه التاريخية . عاش (١٨٨٨ - ١٩٤١م) . وأصدر جريدة الأهالى سنة ١٩١٩ . ثم أنشأ جريدة البلاغ سنة ١٩٢٣ . وعُطلت جريدة البلاغ مراراً لمحاربة السراى الملكية والانجليز لحزب الوفد . فكان يصدر بدلها صحفاً أخرى باسماء أخرى . وآلت جريدة البلاغ لولديه الأستاذين محمد وعبد القادر . واستمرت إلى سنة ١٩٥٣ . وفى السنوات الأخيرة للبلاغ اشتراها فؤاد سراج الدين الذى كان سكرتيراً لحزب الوفد لغاية الثورة سنة ١٩٥٢ .

كوبرى قصر النيل - كوبرى الجلاء أو الكوبرى الأعمى :

ذكرنا أن الحد الشمالى لسراى الإسماعيلية كان الطريق المؤدى إلى كوبرى قصر النيل . أو كتعبير على مبارك قناطر النيل المسماة بالكوبرى .

فيحسن أن نذكر شيئاً عن كوبرى قصر النيل فهو أقدم الكبارى التى أنشئت فى العاصمة على النيل .

وقد تم العمل فى كوبرى قصر النيل القديم وافتتح رسمياً للمرور فى عهد اسماعيل فى ١٨٧٢/٢/١٠م . وكان عرضه عشرة أمتار منها ثلاثة أمتار

---

(١) للاستطراد نذكر أن مصاريف إقامة تمثال ابراهيم باشا بميدان الأوبرا بلغت مع القاعدة الرخام ١٢٠ مليم ١٨٣٢٣ جنيهاً بمعرفة المثال كورديه . وتمثال محمد على بالمنشية بالاسكندرية تكلف مع القاعدة ١٢٠ مليم و١٠٦٠٨ جنيهاً (تقويم النيل ح ٣ص ١٠٩١) .

للأفريزين . وحمولته ستة أطنان . وبلغت تكاليفه ١١٣٨٥٠ جنيها . وأقيم على مدخليه أربعة سباع من البرونز بلغ ثمنها وتكاليف نقلها من أوربا للإسكندرية ٨٤٢٥ جنيهاً .

ورمم الكوبرى سنة ١٩٢٠م :

وفى أول أبريل سنة ١٩٣١ أوقف المرور عليه لخلله وعدم كفايته لحاجة المدينة . وأنشىء بدله الكوبرى الجديد الحالى . وعرضه ٢٠ متراً منها ٥ أمتار للأفريزين وطوله ٣٨٢٫٢٠ سنتى مترا . وبلغت تكاليفه ٢٩١٩٥٥ جنيهاً وافتتح رسمياً للمرور فى ١٩٣٣/٣/٥ . فى عهد فؤاد الأول بن إسماعيل . وأطلق عليه اسم كوبرى الخديوى إسماعيل[١] .

ووضعت الأربعة سباع البرونز على مدخليه على قواعد أقل ارتفاعاً من السابقة .[٢]

وعرض الكوبرى يدل على قصر نظر بالنسبة لتطور المدينة واحيتاجاتها . مما أدى إلى إنشاء عدة كبارى أخرى على النيل فى عهد الثورة منها كوبرى الجامعة (١٩٥٦/٥٨) وكوبرى سراى المنيل . وكوبرى فم الخليج . فضلاً عن كوبرى الجيزة الذى فتح للمرور سنة ١٩٧١ .

وجارى الآن العمل فى كوبرى رمسيس . والتصميم النهائى لهذا الكوبرى أن يقام على الفرع الشرقى للنيل عند شارع ماسبيرو . ثم فوق جزيرة الزمالك بعرضها . ثم فوق الفرع الغربى للنيل عند العجوزة . وقد تم العمل فى بعض أجزائه . وينتظر أن يتم نهائياً سنة ١٩٧٧ بإذن الله . (كان تاما عند طبع هذا الكتاب سنة ١٩٨٣) .

---

(١) ملحق تقويم النيل لأمين باشا سامى .

(٢) ترتيب انشاء الكبارى على النيل فى العاصمة قبل ثورة سنة ١٩٥٢ (بخلاف كوبرى امبابة) كالآتى : كوبرى قصر النيل سنة ١٩٧٢ ، ويقابله على الفرع الغربى للنيل الكوبرى المعروف الآن بكوبرى الجلاء سنة ١٨٧٧ ، كوبرى الملك الصالح بجزيرة الروضة سنة ١٩٠٨ ، يقابله على الفرع الغربى للنيل كوبرى عباس سنة ١٩٠٨ (لأنه أنشىء فى عهد عباس حلمى الثانى وسمى بعد ثورة سنة ١٩٥٢ بكوبرى الجيزة) ، كوبرى محمد على توفيق سنة ١٩٠٨ ، كوبرى أبو العلا سنة ١٩١٢ ، يقابله على الفرع الغربى للنيل بجزيرة الزمالك كوبرى الزمالك سنة ١٩١٢ .

وقد أعيد تخطيط ميدان كوبرى قصر النيل . وأنشىء نفق تحت الميدان . ونفق آخر تحت الكوبرى بامتداد شارع كورنيش النيل لراحة المرور .

وبعد الثورة سنة ١٩٥٢ أطلق على الكوبرى اسم كوبرى التحرير . ثم أطلق عليه أخيراً بعد ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٧٠ اسم كوبرى عبد الناصر تخليداً لذكرى الرئيس جمال عبد الناصر .

ولكن ظل الاسم القديم (كوبرى قصر النيل) غالباً على ألسنة الناس .

ويقابل كوبرى قصر النيل من الناحية الأخرى من جزيرة الزمالك على الفرع الغربى للنيل كوبرى نعرفه الآن باسم كوبرى الجلاء . وكان يعرف قديماً باسم كوبرى البحر الأعمى .

فقد أنشىء هذا الكوبرى بعد كوبرى قصر النيل لتتحقق الفائدة من إنشاء هذا الأخير . وافتتح للمرور سنة ١٨٧٧ .

والسبب فى اسم البحر الأعمى أن جزيرة الزمالك لم تصبح جزيرة بالمعنى الصحيح إلا فى الربع الأخير من القرن الماضى . فلغاية سنة ١٨٧٣ لم يكن الفرع الغربى موجوداً على الدوام . بل كان يمتلىء أثناء الفيضان . ثم يغيض (بالغين) ويجف ولذلك سمى البحر الأعمى . فالبحر إذا نفذ منه الماء كان كالعين إذا فقدت الإبصار .

ثم حفر بعد ذلك وأقيم عليه الكوبرى .

وفى سنة ١٩١٤ أنشىء بدله كوبرى آخر عرضه ١٩ متراً منها ٧ أمتار للأفريزين . وطوله ١٤٥ متراً . وعرف بكوبرى الإنجليز . ثم اشتهر بكوبرى بديعة لوجود كازينو للفنانه بديعة مصابنى بالميدان غربى الكوبرى محله الآن فندق شيراتون .

وظل هذا الاسم شائعاً حتى سنة ١٩٥٢ . فأطلق عليه كوبرى الجلاء ليقابل كوبرى التحرير .

وللاستطراد نذكر أنه عندما أنشىء كوبرى قصر النيل سنة ١٨٧٢ تقرر عليه رسم مرور ملخصه[1] :

الجمال يدفع المُحَمَّل منها - ٢ قرشين والفارغ ١ قرشاً والصغير ٣٠ بارة .

الحمير يدفع المُحَمَّل منها ١,١٥ قرشاً وخمس عشرة بارة والفارغ ١٥,- خمس عشر بارة والصغير ٢٠ بارة .

الجاموس والبقر الكبير منها ١,١٥ قرشاً وخمس عشرة بارة والصغير ١٥, - خمس عشر بارة .

عربيات مشال مجوز يدفع المحمل منها ٣ ثلاثة قروش والفارغ ١,٢٠ قرشاً وعشرين بارة .

عربيات مشال مفرد يدفع المحمل منها ٢ قرشين والفارغ ١,٠٠ قرشاً .

عربيات حجارى وحمارى المحمل منها ١,٢٠ قرشاً وعشرين بارة والفارغ ١,٠ قرشاً .

الأغنام والماعز والكلاب وباقى الحيوانات تدفع ١٠ عشر بارات عن كل منها

كذلك الرجال والنساء يدفع كل فرد ١٠ عشر بارات أى ربع قرش -.

ويعافى من رسم المرور الأطفال أقل من ست سنوات كذلك صنف الغزال .

قصر النيل :

واسم قصر النيل يرجع إلى ثكنات الجيش المصرى التى أنشأها سعيد باشا على النيل شمال موقع كوبرى قصر النيل .

ثم لما احتل الانجليز مصر احتلوها . واستعملوها ثكنات لجيشهم . وكان بها قبل الاحتلال مقر نظارة (وزارة) الحربية .

---

(١) إفادة من محافظة مصر فى آخر ذى القعدة سنة ١٢٨٨ (١٩٧٢/٢/٩) ملحق تقويم النيل . والعلامه التى بجانب القرش معناها بارة . والقرش اربعون بارة فتكون البارة ¼ مليم .

ولما جلا الانجليز عنها هُدمت وبُنيت مكانها الجامعة العربية وفندق هيلتون وغيرها من المبانى . وأدخل جانب من الفراغ شرقى المبانى فى ميدان التحرير .

وكان لثكنات الجيش البريطانى خط سكة حديد خاص يمر فى شارع فم الترعة البولاقية . الذى أصبح الآن شارع الجلاء . حتى يتصل بالسكة الحديد العمومية عند السبتية .

وكان أصلاً محل هذه الثكنات قصر بناه محمد على لابنته زينب . وهو الذى عُرف بقصر النيل . فهدمه سعيد وأقام هذه الثكنات[1] .

---

(1) الخطط التوفيقية ج ١ ص ٨٣ .

الفصل الثالث

المنيرة والأنشاء

ذكرنا فى الفصل السابق ظهور أرض اللوق فى القرنين السادس والسابع الهجريين (١٢ ، ١٣ م) . وأن ما كان منها غربى موقع شارع القصر العينى الحالى عرف أخيراً بجاردن سيتى والقصر العينى . وما كان شرقى موقع الشارع المذكور عرف أخيراً بالمنيرة والإنشاء .

وكانت الأسماء القديمة للإنشاء والمنيرة : بستان الحلى ومنشأة المهرانى وبستان الخشاب ومنشأة الفاضل . هذا فى الأجزاء الجنوبية . وعمَّ اسم اللوق على شمال هذه المواقع .

وذكر المقريزى جامع المهرانى [1] . فقال أن الظاهر بيبرس انشأه سنة ٦٧١ هـ (١٢٧٣ م) فى موقع كان يعرف بالكوم الأحمر كان مخصصاً لعمل أقمنة الطوب الآجرية (أى الطوب الأحمر . وسمى بالكوم الأحمر لما يتخلف من الحُمرة نتيجة لحريق الطوب) بناء على طلب الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حِنا (بكسر الحاء) فيما بين بستان الحلى وبحر النيل . وكان بهاء الدين قد عمّر منظرة تجاه هذا الكوم .

---

(١) خطط المقريزى جـ ٢ ص ٢٩٨ و ص ٣٧٠ .

ثم قال المقريزى : وقد تعطلت إقامة الجمعة بهذا الجامع لخراب ما حوله . وقلة السكان هناك . بعد أن كانت هذه الخطة فى غاية العمارة .

وذكر على مبارك الجامع المذكور . واكتفى بما ذكره المقريزى . مما يدل على أن الجامع قد اندثر فعلاً [1] .

ولكن يفهم من وصف المقريزى أن هذا الجامع كان بالجزء الجنوبى من حى المنيرة .

الصاحب بهاء الدين بن حنا :

والصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حِنا المذكور . من أعيان مصر تولى الوزارة لشجرة الدر ثم للظاهر بيبرس ثم لإبنه بركة خان . وتوفى سنة ٦٧٧ هجريه .

ومن آثاره المدرسة البهائية كانت بزقاق القناديل بالقرب من جامع عمرو بالفسطاط . وكان زقاق القناديل سكن الأشراف . نعنى الأشراف العلويين . ويُعلق على كل باب بالزقاق قنديل . وقيل كان به مائة قنديل توقد كل ليلة على بيوت الأكابر .

وابنه فخر الدين محمد توفى فى حياة والده سنة ٦٦٨ هـ . ومن آثاره الرباط على بركة الحبش شرقى الفسطاط .

كما أن حفيده تاج الدين محمد بن فخر الدين تولى الوزارة سنة ٦٩٣ - ٦٩٤ وتوفى سنة ٧٠٧ هـ وله مسجد دير الطين . وشرع فى عمارة رباط الآثار بجهة أثر النبى جنوبى الفسطاط .

وآخر من ذكر من آل حنا الرئيس شمس الدين محمد بن حفيد تاج الدين المذكور أخيراً . تولى التدريس بالمدرسة البهائية المذكورة . وتوفى سنة ٨١٣ . وهُدمت المدرسة سنة ٨١٧ هـ .

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ٥ ص ١٢٣ .

ومن هذه التراجم . ومن اسم بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن جنا رأس الأسرة لا نجد ما يدل على النصرانية . ولكن بلدية القاهرة شاعت أن تسميه ابن حَنا - بفتح الحاء . فى شارع قريب من جامع الطاهر بيبرس بالظاهر . وشُكلت الحاء بفتحة فوقها . ولم تكتف بذلك بل كتبت تحتها بالإفرنجية Hanna للتأكيد وخشية الوقوع فى الصواب . وتنبه لهذا الخطأ المرحوم أحمد باشا زكى سنة ١٩٢٩ م . وإستشهد بابن حجر العسقلانى والسخاوى والمقريزى وعلى مبارك واجماعهم على أن حِنا بكسر الحاء أى على مثال الشجرة الطيبة المعروفة باسم تمر حِنا . وعرفها العرب باسم الفاغية (١) .

ثم نجد بحى المنيرة الآن من الأسماء القديمة شارع بستان الفاضل . وشارع **عبد الرحيم البيسانى** وهما متفرعان من شارع القصر العينى أمام دار الحكمة تقريباً وموازيان لشارع الرشيدى السابق ذكره فى الفصل الأول من هذا القسم فى الكلام عن القصر العينى . كما نجد شارعاً ثالثاً اسمه شارع **منشاة الفاضل** يصل ما بين شارعى يوسف الجندى وقدادار بالقرب من ميدان التحرير والجامعة الأمريكية .

هذه الشوارع الثلاثة : بستان الفاضل وعبد الرحيم البيسانى . ومنشاة الفاضل . نسبة إلى شخص واحد هو **القاضى الفاضل عبد الرحيم** البيسانى العسقلانى المصرى . محيى الدين أبو على عبد الرحيم بن على .

تولى أبوه القضاء فى بيسان فنُسب إليها . وولد المترجم له عبد الرحيم سنة ٥٢٩ هـ فى عسقلان (٢) فنُسب إليها . ودخل مصر وخدم الموفق ابن الجلال صاحب

---

(١) أحمد باشا زكى شيخ العروبة للأستاذ أنور الجندى . وكانت لافتات الشوارع وقتذاك تكتب بالعربية والإفرنجية . والفاغية (بالغين) من فاغت الرائحة أى فاحت . وفوغة الطيب أى فوحته . والفائغة الرائحة المحتشمة (القاموس المحيط) .

والحناء اسمها العلمى لاوسونيا نيبرميس . ولقدماء المصريين فضل نقلها من فارس . واستعملوها فى التحنيط والتجميل وإستخراج العطور . ونقلها عنهم إلى أوربا اليونان والرومان . وتستعمل أوراق الحناء بعد تجفيفها فى صناعة صبغات الشعر ودبغ الجلود وتلوين المنسوجات وبعض الأدوية الملطفة للالتهابات الجلدية . وزيت زهر الحناء يدخل فى صناعة العطور . وله رائحة هادئة لطيفة . وأعواد الحنا تصنع منها السلال (الموسوعة العربية) .

(٢) بيسان وعسقلان من فلسطين المحتلة . وعسقلان أول ميناء على البحر الأبيض شمال غزة .

ديوان الإنشاء فى أيام الخليفة الحافظ لدين الله الفاطمى (١) . وعنه أخذ صناعة الإنشاء ثم خدم مدة بالإسكندرية . ثم استقدمه العادل رزيك بن الصالح طلائع ابن رزيك وعينه بديوان الجيش . فلما توفى الموفق صاحب ديوان الإنشاء سنة ٥٦٦ عينه الوزير شاور السعدى مكانه . فلما حضر أسد الدين شيركوه عم صلاح الدين الأيوبى أعجب به فأقره فى عمله . ولما تولى صلاح الدين وزارة العاضد . آخر الخلفاء الفاطميين . حسُن اعتقاده فيه . واستعان به على إزالة الدولة الفاطمية حتى تم له ماأراد . وكان عبد الرحيم شافعى المذهب .

وعظم شأن الفاضل عبد الرحيم حتى أن صلاح الدين كان لا يصدر أمراً إلا عن رأيه . واستمر على عظمته فى أيام العزيز بن صلاح الدين . ولما توفى العزيز وقام بعده ابنه المنصور . ويدبّر أمره عمه الأفضل بن صلاح الدين . كان الفاضل معهما على حاله .

ثم تحرك العادل بن أيوب - أحو صلاح الدين ضدهما . واستولى على الملك بمصر . ونكب الفاضل . وتوفى الفاضل سنة ٥٩٦ . ودفن بتربته بالقرافة الصغرى .

وكانت له مدرسة بجوار داره بدرب ملوخيا شمال مسجد الحسين (٢) .

وكان بهذه المدرسة مصحف كبير جداً بالخط الكوفى . ويسميه الناس مصحف عثمان بن عفان . قيل أن الفاضل اشتراه بأكثر من ثلاثين ألف دينار (٣) .

---

(١) هكذا ذكر المقريزى ج ٢ ص ٣٦٦ . والحافظ توفى سنة ٥٤٤ هـ . فتأمل . وراجع الجدول الحادى عشر بالقسم الثالث .

(٢) كان درب ملوخيا اسمه درب قائد القواد . نسبة لسكن القائد حسين بن جوهر الصقلى . وبعد أن قتل الحاكم بأمر الله حسينا المذكور سنة ٤٠١ هـ . عرف الدرب بإسم درب ملوخيا نسبة إلى ملوخيا صاحب ركاب الحاكم بأمر الله (صبح الأعشى ج ٣ ص ٣٥٩) وقد قتله الحاكم أيضا . ويعرف الآن بشارع القزازين (من صناعة القز وهى المنسوجات الحريرية) شمال شرقى مسجد الحسين بين أم الغلام وقصر الشوق .

(٣) خطط المقريزى ج ٢ ص ٣٦٦ . وذكر ابن إياس فى بدائع الزهور فى وصف معركة مرج دابق فى شعبان سنة ٩٢٢ هـ التى هزم فيها السلطان الغورى . وكانت بداية استيلاء السلطان سليم العثمانى على مصر . قال فركب السلطان وعلى كتفه طير . وهو بتخفيفة صغيرة وملوطة . وصار يرتب العسكر بنفسه . وكان أمير المؤمنين على الميمنة وهو بتخفيفة وملوطة وعلى كتفه طير مثل السلطان . وعلى رأسه الصنجق الخليفتى (نسبة للخليفة!!) . وكان حول السلطان أربعون مصحفاً فى أكياس حرير أصفر وعلى رؤوس

كما بنى الفاضل قيسارية باسمه على يمين الداخل من باب زويلة بالحي المعروف بالسكرية .

وله من الآثار أيضا بستان وجامع كان انشأهما فى هذه المنطقة ـ أى فى المنيرة ـ فأكل أرضهما النيل .

وقد ذكره ابن خلكان فى وفيات الأعيان . وأثنى عليه . وذكر أنه كان شيخاً ضئيلاً . له حدبة بظهره يخفيها بطيلسانه . وكله رأس وقلب . يكتب ويملى على اثنين فى نفس الوقت . وكان تقياً دَيِّناً عفيفاً ذا معروف فى السر والعلانية .

منشأة المهرانى :

ونجد أيضاً من الأسماء القديمة شارعا باسم سكة المنشاة يتفرع من شارع القصر العينى أمام مستشفى فم الخليج تقريباً.

كما نجد شارع منشاة المهرانى يتفرع من شارع قدادار بالقرب من الجامعة الأميريكية وميدان التحرير . (خلف محل استرا)

ومنشاة المهرانى نسبة إلى بلباى المهرانى أحد أمراء دولة الظاهر بيبرس وهو أول من عمرّ بها (صبح الأعشى ج٣ ص٣٤٠) وقد سبق ذكر هذا فى الفصل الأول من هذا القسم.

واعتقد أن منشاة المهرانى لم تكن بهذا الموقع الأخير . بل كانت أقرب لفم الخليج بموقع الشارع المعروف بسكة المنشاة وما حوله .

والمنشاة تعبير يطلق على حي جديد يُنشأ بجانب مدينة . بتخطيط جديد . ويسميها الناس المنشية . ونجد اسم المنشية فى كثير من المدن المصرية .

= جماعة من الأشراف . وفيها مصحف بخط الأمام عثمان بن عفان رضى الله عنه . . . ثم قال : فلما تحقق السلطان من الهزيمة غلبه فى الحال خلط فالج أبطل شقه وأرخى حنكه . . ثم قال : وانقلب عن الفرس إلى الأرض . فأقام نحو درجة وخرجت روحه من شدة قهره . . ثم قال : وأما السلطان من حين مات لم يعلم له خبر ولا وقف له على أثر . ولا ظهرت جثته بين القتلى . فكأن الأرض ابتلعته فى الحال . وفى ذلك عبرة لمن إعتبر . فداس العثمانية وطاق (معسكر) الغورى بما فيه من الأمتعة والأرزاق التى كانت حوله بأرجل الخيول . وفقد المصحف العثمانى .

وداسوا أعلام الفقراء (يعنى الصوفية) وصناجق الأمراء . . الخ .

قدادار :

وقدادار الذى ورد ذكره مرتين كان واليا على القاهرة[1] فى عهد الناصر محمد بن قلاوون . وكان ظالما غشوما قاسيا فى أحكامه . وتضرر منه الناس . ولكن تمسك به الناصر باعتبار أن العامة لاترتدع إلا بالشدة . وإليه تنسب القنطرة باسمه على الخليج الناصرى . وكانت فى موقع شارع قدادار تقريباً .

وكانت مجلة الهلال بشارع قدادار قبل إنشاء دار الهلال بمقرها الحالى بشارع محمد عز العرب (شارع المبتديان ثم على يوسف سابقا) .

منظرة السكرة :

ومن الأسماء القديمة أيضاً شارع منظرة السكرة يتفرع من شارع القصر العينى بين شارعى الماوردى وعبد الرحيم البيسانى السابق ذكره أمام دار الحكمة . وقد نبهنا فى الفصل الثانى من القسم الأول خطأ تسمية هذا بمنظرة السكرة . التى كان يحتفل فيها الفاطميون بفتح الخليج . لأنها كانت بعيدة كل البعد عن هذا الموقع . وأن هذا الموقع بالمنيرة لم يظهر للوجود إلا بعد انتهاء عهد الفاطميين بما يقرب من قرن من الزمان .

كما تكلمنا عن منظرة السكرة وما كان لها من شأن فى الاحتفال بوفاء النيل وجبر الخليج فى عهد الفاطميين فى الفصل الثالث من القسم الأول .

شارع الماوردى :

هذا الشارع ربما كان نسبة للشيخ محمد الماوردى صاحب الضريح بشارع الخليج على امتداد هذا الشارع الذى ينتهى إلى سكة حديد حلوان والضريح المذكور بالقرب من ميدان أبى الريش .

---

(١) كان للعاصمة ثلاثة ولاة : والى القاهرة . ووالى مصر (الفسطاط) . ووالى القرافة . وكان والى القاهرة أكبرهم شأناً فولايته تشمل القاهرة الفاطمية وامتدادها شمالاً بالحسينية والظاهر . وامتدادها جنوباً حتى الفسطاط . وما استجد غرباً حتى مجرى النيل .

ولم أعثر على ترجمة لصاحب هذا الضريح . ولكن من الاسماءالمعروفة لعلماء الفقه اسم الإمام أبى الحسن على بن محمد بن حبيب البصرى المعروف بالماوردى . المتوفى سنة ٤٥٠ هـ عن ٨٦ عاماً . ودفن ببغداد . وهو مؤلف كتاب الحاوى الكبير فى فقه الإمام الشافعى من ١٩ جزءا . والأحكام السلطانية فى فقه الشافعية . وأدب الدنيا والدين وغيرها . فلعله من جدود صاحب الضريح المذكور[١].

وربما . . وهو رأى أضعه للتمحيص . أن الموارادى محرفة من موردة الماء . فقد كانت هناك بالقرب من موقع القصر العينى موردة على النيل .

وتجار العطور الشرقية يسمون بالماوردية نسبة إلى ماء الورد الذى يدخل فى صناعة كثير من العطور .

تل العقارب :

وعند دخول الفرنسيين كان حى المنيرة والأنشاء عبارة عن برك ومستنقعات وبعض المزارع . وبيوت متفرقة هنا وهناك. مثل القصر العينى وتكية البكتاشية السابق ذكرها . كما كانت لبعض الأمراء المماليك بيوت على حافة البركة الناصرية .

ولما حُكم بالأعدام على سليمان الحلبى وزملائه بعد محاكمتهم فى قتل الجنرال الفرنسى كليبر . نُفذ فيهم حكم الأعدام فى مكان كان إسمه غيط قاسم بك . محله الآن كلية دار العلوم والمعهد الفرنسى بالمنيرة .

وفى عهد أسرة محمد على كان حى المنيرة والإنشاء محل عناية خاصة لمقابلتها لحى جاردن سيتى حيث كانت قصور الخديوى والأمراء .

ففى أيام محمد على شرعوا فى تعمير منطقة المنيـرة . فقد نشـر فى الوقـائع الرسمية سنة ١٨٣٠ م [٢] : أزيل تل العقارب الواقع بين القصر العالى والمحروسة

---

(١) كان الضريح المذكور معترضاً توسعة شارع الخليج فنُقل إلى الجانب الغربى من شارع الخليج . ويقابله فى الجانب الشرقى الآن شارع باسم شارع مقام الماوردى . وتوجد أيضا زاوية باسم على الماوردى بحارة السيدة زينب التى تصل بين شارعى السد البرانى والخليج .

(٢) العدد ١١١ فى ٧ رمضان سنة ١٢٤٥ هـ .

ومسطحه ٣ أفدنة و ٢٣٣ قصبة (= ٣ أفدنة و ١٦ قيراط و ١٨ سهماً) . كما شرع فى إزالة التل الشامخ الكائن بين الناصرية إلى قرب القصر العالى ومساحته ٣٨ فدان و ١٩٥ قصبة (= ٣٨ فدان و ١٤ قيراط) وتكلفت ١٧٢١ كيسة و ٢٢٢ قرش (= ٨٦٠٧ جنيه و ٢٢٠ مليم) وغرست أشجار الزيتون وغيرها وكانت معمورة . اهـ.

وقد ذكرنا فى الفصل السابق تنظيم القاهرة فى عهد اسماعيل فى المنطقة التى عُرفت بالاسماعيلية .

الإنشاء والمنيرة :

وكان الجزء الشمالى مما هو شرقى شارع القصر العينى معروفاً بالإنشاء . والجزء الجنوبى معروفاً بالمنيرة . والفاصل بينهما شارع صفية زغلول الآن الذى كان اسمه شارع الإنشاء سابقاً .

وأصبح اسم الإنشاء غير متداول الآن . ولكن اسم المنيرة باقٍ .

واسم الإنشاء واضح . وأما اسم المنيرة فربما كان لأفراح الأنجال التى أقيمت فيه أربعين يوما . ونعنى أنجال الخديوى اسماعيل . وسنتكلم عنها فيما بعد بإذن الله .

ويتفرع من شارع القصر العينى من الجهة الشرقية عدة شوارع بعضها رئيسية أعنى أنها تمتد شرقاً إلى ما بعد سكة حديد حلوان - الموازية لشارع القصر العينى وبعضها يصل لغاية السكة الحديد المذكورة فقط .

والشوارع الرئيسية ابتداء من الشمال خمسة : ١ شارع محمد باشا محمود (القاصد سابقاً) ٢ شارع الشيخ ريحان (السلطان حسين سابقاً) ٣ شارع مجلس الشعب (مجلس النواب ثم مجلس الأمة سابقاً) ٤ شارع اسماعيل باشا أباظة (الطرقة سابقاً) ٥ شارع محمد عز العرب (المبتديان ثم على يوسف سابقاً) .

وسنتكلم عن بعض هذه الاسماء فى نهاية هذا الفصل بأذن الله .(١)

أما الشوارع التى تتفرع من شارع القصر العينى وتنتهى فقط إلى سكة حديد

---

(١) راجع الرسم الكروكى فى نهاية هذا الفصل وأول الفصل التالى .

حلوان . فأولها من الشمال (جنوب شارع مجلس الشعب) شارع حسين حجازى (محمد باشا سعيد سابقاً) .

حســين حجازى

المسمى به الشارع المذكور أخيراً هو لاعب كرة القدم المشهور . سافر لإنجلترا قبل الحرب العالمية الأولى . وبقى هناك . وبلغت مهارته أن اختارته إنجلترا ضمن فريقها القومى فى مباراة ضد أسبانيا . ورأس أول فريق مصرى فى الألعاب الأولمبية سنه١٩٣٠ . فى أنفرس (بلجيكا) . وكذلك سنة١٩٢٤ فى دورة باريس . واشترك فى فريق أندية السكة الحديد والأهلى والمختلط (الزمالك الآن) وتقاعد عن لعب الكرة سنة١٩٣١ . وفى سنة١٩٤٢ عين مراقباً لكرة القدم بوزارة الشؤون الأجتماعية حتى توفى سنة١٩٦١[(١)].

محمد باشا سعيد

وهو صاحب الاسم السابق لشارع حسين حجازى . كان أحد الساسة المصرين لغاية العشرينات فى القرن الحالى . عُين مستشاراً بمحكمة الاستئناف سنة ١٩٠٥ . ثم وزيراً للداخلية سنة ١٩٠٨ فى وزارة بطرس باشا غالى . إلى أن قتل الأخير فى ١٩١٠/٢/٢١ . ثم ألف محمد سعيد وزارته الأولى من سنة١٩١٠ – سنة ١٩١٢ [(٢)].

وفى مطلع ثورة سنة ١٩١٩ ظهر على مسرح السياسة ثانية . وعُرف بالانتماء إلى الأمير عمر طوسون[(٣)]. الذى كان (السلطان) أحمد فؤاد يعتبره منافساً على العرش . وكان عمر طوسون يشجع الثورة سياسياً ومالياً . فأمره السلطان بالسفر إلى الأسكندرية والإقامة فيها . وذهب محمد سعيد إلى دار الحماية ليعلن لها أنه وعمر طوسون من الوطنين المعتدلين . وأنه يعمل لعدم انضمام المعتدلين إلى المتطرفين . كما كانت دار الحماية تسمى المطالبين بالاستقلال التام .

---

(١) الموسوعة العربية باختصار .

(٢) كان سعد زغلول وزيرا للحقانية (العدل) فى هذه الوزارة واستقال سعد باشا سنة ١٩١١ .

(٣) عمر طوسون بن طوسون باشا بن سعيد باشا الوالى بن محمد على . ووالدة عمر طوسون الأميرة فاطمة بنت اسماعيل وهى ممن أقيمت لهم أفراح الأنجال سنة ١٨٧٣ .

وكان حسين باشا رشدى رئيس الوزارة قد قدم استقالته فى ١٩١٨/١٢/٣ احتجاجاً على عدم التصريح للوفد المصرى بالسفر لتقديم مطالب مصر إلى مؤتمر الصلح بباريس ثم كرر هذه الاستقالة مرتين حتى قبلت فى أول مارس سنة ١٩١٩ وتعذر على السلطان ودار الحماية إيجاد من يقبل تشكيل الوزارة حتى ١٩١٩/٥/٢١ فقبل محمد سعيد فى التاريخ المذكور وألف الوزارة التى عرفت بوزارة السبعة . وهم : ١ - محمد سعيد للداخلية والرئاسة ، ٢ - أحمد ذو الفقار للحقانية (العدل) ، ٣ - يوسف وهبة للمالية ، ٤ - عبد الرحيم صبرى[1] للزراعة ، ٥ - محمد توفيق نسيم للأوقاف ، ٦ - اسماعيل سرى للحربية ، ٧ - أحمد زيور للمعارف .

وقوبل تشكيل هذه الوزارة بسخط شديد من الرأى العام . الذى كان يرى أن تأليف أى وزارة قبل تحقيق مطالب البلاد يعتبر خيانة عظمى[2] .

وفى ٣ سبتمبر سنة ١٩١٩ ألقيت قنبلة على محمد سعيد فى محطة جناكليس برمل الأسكندرية . ولكن لم تصبه . وألقى القنبلة سيد محمد على الطالب بالمعهد الدينى بالأسكندرية[3] .

وقررت انجلترا إرسال لجنة إلى مصر برئاسة اللورد ملنر وزير المستعمرات أولاً للتحقيق فى الأسباب التى دعت الفلاح المصرى للهياج . وثانياً العمل على اشتراك الأجانب فى التشريع وثالثاً النظام النيابى الحالى وتعديله .

ولم يكن من أغراض اللجنة المناقشة فى طلب الاستقلال . حيث كانت انجلترا تعتبر الحماية على مصر أمراً مفروغاً منه . خصوصاً وقد قرر مؤتمر الصلح فى مايو سنة ١٩١٩ الحماية البريطانية على مصر .

---

(١) والد الملكة السابقة نازلى . وعقد قران احمد فؤاد على نازلى فى ١٩١٩/٥/٢٤ .

(٢) اندلعت الثورة المصرية فى ١٩١٩/٣/٩ عقب اعتقال سعد زغلول وثلاثة من زملائه كما سيرد فى ترجمة سعد زغلول بإذن الله .

(٣) حكم عليه بالأشغال الشاقة عشر سنوات فى فبراير سنة ١٩٢٠ . ثم اشتغل محامياً شرعياً بعد خروجه من السجن . وهو أصلاً من كفر الزيات . ونشرت مجلة الدنيا المصورة التى كانت تصدر عن دار الهلال صورته ومذكراته فى الأعداد من ٣٧-٤٣ من يناير إلى مارس سنة ١٩٣١ .

وكان الرأى العام قد قرر مقاطعة هذه اللجنة . وعدم الاتصال بها . حيث أن للبلاد وكيلاً رسمياً هو الوفد المصرى . وهو الذى تجوز مخاطبته فى كل الشؤون .

وكان محمد سعيد أرسل لدار الحماية بأن الظرف الحاضر غير موفق لحضور هذه اللجنة . فلما أعلنت دار الحماية فى ١٤/١١/١٩١٩ قرب حضور هذه اللجنة . قدم استقالته فى ١٨/١١/١٩١٩

ثم اشترك محمد سعيد فى وزارة سعد زغلول الأولى سنة١٩٢٤

وتوفى محمد سعيد سنة١٩٢٨

حسين باشا رشدى طبوزاده(١) :

وممن سكن فى شارع حسين حجازى (محمد سعيد سابقاً) حسين باشا رشدى . وهو رئيس الوزارة . وقائمقام الخديوى عباس حلمى الثانى . الذى كان خارج مصر عندما أعلنت انجلترا الحماية على مصر فى ١٨/١٢/١٩١٤ . وأعلنت فى اليوم التالى خلع عباس حلمى من خديوية مصر . وقبول حسين كامل لها بلقب سلطان(٢).

واحتفظ حسين رشدى وقتذاك بحق مصر . وأن إعلان الحماية ضرورة حربية . وبعد انتهاء الحرب لمصر الحق فى طلب تعديل وضعها السياسى .

ولما رفضت دار الحماية فى نوفمبر سنة ١٩١٨ التصريح للوفد المصرى بالسفر إلى أوربا لعرض مطالب مصر على مؤتمر الصلح كما ذكرنا . كما رفضت التصريح لرئيس الوزارة بالسفر لتقديم طلبات للمسؤولين فى انجلترا . قدم استقالته فى ٣/١٢/١٩١٨

وأحرجت هذه الاستقالة الانجليز كل الحرج . فلم يجدوا فى مصر من يجرؤ على تشكيل الوزارة . وظلت هذه الاستقالة معلقة حتى ١/٣/١٩١٩ مع تمسكه بها

---

(١) طبوُ تركية معناها نوع من السلاح كالمضرب برأسه كرة من الحديد بها نتوءات بارزة مدببة هذا ما علمت من ابنه السفير السابق غالب حسين رشدى .

(٢) اختيار لقب سلطان لقطع كل صلة بين مصر وتركيا . فلقب حاكم مصر أصبح مساوياً للقب حاكم تركيا وسبق ذكر هذا .

فقبلت ثم شكل الوزارة مرة أخرى فى ٤/٩ بعد الافراج عن سعد زغول ولكنه استقال مرة أخرى لما نما إلى علمه اعتراف رئيس الولايات المتحدة الاميركية بالحماية الانجليزية على مصر وشكل الوزارة بعد ذلك محمد سعيد فى ٥/٢١ .

وعين حسين رشدى رئيساً للجنة الدستور سنة ١٩٢٢ بعد صدور تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ ورئيساً لمجلس الشيوخ سنة ١٩٢٦ وتوفى سنة ١٩٢٨ .

ويوجد الآن شارع اسمه شارع رشدى (الساحة سابقاً) يمتد من شارع عبد العزيز حتى أول شريف عند مبنى جريدة الأهرام القديم والترجمة الصحيحة لحسين باشا رشدى تكون هناك . وقد ذكرنا شارع الساحة ومعنى هذا الاسم فى الفصل الخاص بالأزبكية . ولكن ذكرنا هذه النبذة لتتكامل صورة من صور ثورة سنة ١٩١٩ .

سعد زغلول باشا وثورة سنة ١٩١٩ :

ويلى شارع حسين حجازى المذكور من الجنوب شارع سعد باشا زغلول ثم شارع ضريح سعد .

واسم سعد زغلول أشهر من أن يعرَّف . فهو بطل الجهاد ورأس ثورة سنة ١٩١٩ والترجمة له تحتاج إلى المطولات . ولكن نحاول أن نوجز له هنا ترجمة مختصرة .

ولد سعد زغلول فى أبيانه مركز فوّه (على فرع رشيد بمحافظة كفر الشيخ) سنة ١٨٦٠ . والتحق بالأزهر . وعُين سنة ١٨٨٠ محرراً بالوقائع المصرية . ولما قامت الثورة العرابية سنة ١٨٨٢ كان من المؤيدين لها . واعتقل بضعة أشهر . واشتغل بالمحاماة . ثم عُين بالقضاء . وتزوج السيدة صفية بنت مصطفى باشا فهمى ناظر النظار (رئيس الوزراء) وقتذاك . وعُين مستشارا بمحكمة الاستئناف العليا . وحصل على ليسانس الحقوق وهو مستشار . وعُين ناظراً للمعارف (وزير التربية والتعليم والتعليم العالى) سنة ١٩٠٦[1] فعُرف بمقاومته لدنلوب المستشار الانجليزى

---

(١) قيل فى تعيينه ناظراً للمعارف أن اللورد كرومر المعتمد البريطانى عندما رأى ما يبشر به شروع إنشاء الجامعة المصرية من نجاح . وكان سعد من الداعين لها أراد إبعاده عن الاشتغال بالمشروع (جامعة القاهرة دائرة معارف الشعب ج٤ ص٦٥٠) .

وصاحب النفوذ الكلى فى الوزارة . ثم عين ناظراً للحقانية فى وزارة محمد باشا سعيد كما ذكرنا واتهم الخديوى بالارتشاء والتدخل فى شؤون القضاء . واستقال سنة ١٩١١ .

وتقدم لانتخابات الجمعية التشريعية سنة ١٩١٣ . فانتخب نائباً عن بولاق والسيدة زينب رغم اللورد كرومر . ثم انتخب أحد الوكيلين بالجمعية التشريعية (١)

وفى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ بعد انتهاء الحرب (أعلنت الهدنة فى ١١ نوفمبر) ذهب سعد باشا زغلول ومعه على باشا شعراوى وعبد العزيز بك فهمى (باشا فيما بعد) إلى اللورد وينجت المعتمد البريطانى يطلبون التصريح بالسفر إلى فرنسا لعرض قضية مصر على مؤتمر الصلح بفرساى .

فرفض وينجت مع التهوين من شأن مصر . وعدم جدارتها بالاستقلال . وارتفاع نسبة الأميين فيها . وغير هذا من الأسباب المهينة . ولكن أمكن لسعد وزملائه الرد عليه بالردود المفحمة .

وبعدها أبدى اللورد وينجت لحسين باشا رئيس الوزارة وقتذاك عدم الصفة بالنسبة لسعد وزملائه . فردَّ عليه حسين رشدى بأن سعد هو الوكيل المنتخب . وعلى شعراوى وعبد العزيز فهمى عضوان بالجمعية التشريعية . وفى هذا ما يعطيهم حق الكلام نيابة عن الشعب .

الوفد المصرى :

ولكن تنبه سعد وزملاؤه لسد هذه الثغرة . فأرسلوا فى العواصم والبلاد يجمعون التوقيعات بإنابة الشعب (لوفد) يتقدم بمطالب مصر يسمى (الوفد المصرى) .

وكان أعضاء الوفد أولاً سبعة ثم أضيف إليهم سبعة آخرون وهم :

١ - سعد باشا زغلول رئيساً -٢- على باشا شعراوى -٣- عبد العزيز بك فهمى

---

(١) كان للجمعية التشريعية وكيلان أحدهما تنتخبه الجمعية والثانى تعينه الحكومة . فانتخبت الجمعية سعد باشا وعينت الحكومة عدلى باشا يكن .

(باشا فيما بعد) -٤- محمد محمود باشا -٥- احمد لطفى السيد بك (باشا) -٦- عبد اللطيف بك المكباتى -٧- محمد على علوبة بك (باشا) -٨- حمد الباسل باشا -٩- اسماعيل صدقى باشا -١٠- سينوت حنا بك -١١- جورج خياط بك -١٢- محمود أبو النصر بك -١٣- الدكتور حافظ عفيفى بك (باشا) -١٤- مصطفى النحاس بك (باشا فيما بعد) .

وكانت البلاد تحت الأحكام العرفية منذ قيام الحرب سنة١٩١٤ . فحاولت السلطة العسكرية أن تمنع هذه التوقيعات . ولكن لم تستطيع . وأقبل الشعب على التوقيع على التوكيل فى حماسة ووطنية بالغتين[٢] .

وكانت الفكرة أن يسافر وفدان . أحدهما الوفد المصرى ويرأسه سعد باشا ويسافر هذا الوفد إلى مؤتمر الصلح بباريس والوفد الثانى من الحكومة ويرأسه حسين باشا رشدى ومعه عدلى باشا ويسافر هذا الوفد إلى لندن

وكان حسين رشدى يعمل مع الوفد يدا بيد . فقدم حسين رشدى تقريرا إلى السلطان جاء فيه :

(إن الحوادث تتوالى سراعا . وستبدأ مفاوضات الصلح . ويُشرع فى تسوية جميع المسائل التى أثارتها الحرب . ومن أهم الأمور أن تبسط آراء عظمتكم وآراء حكومتكم فى مصير مصر السياسى لحكومة صاحب الجلالة البريطانية مباشرة . ولذا أقترح على عظمتكم أن تعهدوا إلىّ وإلى زميلى عدلى باشا بهذه المهمة . وسينوب عنى سرىّ باشا فى رئاسة مجلس الوزراء أثناء غيابى . وينوب عنى ثروت باشا فى وزارة الداخلية . وينوب زيور باشا عن عدلى باشا فى وزارة المعارف)

ووافق السلطان . وتقدم حسين رشدى إلى اللورد وينجت بالطلب ليرفعه إلى حكومتة . ولكنها رفضت التصريح بالسفر . فقدم رشدى باشا استقالته إلى السلطان كما ذكرنا . وجاء فى هذه الاستقالة ما يأتى :

(إنه عندما احتمل أمام ضميره . وأمام بلاده . وأمام التاريخ . مسؤولية عمله فى ظل نظام الحكم الجديد . احتفظ لنفسه بأن يطالب لمصر من الحكومة

---

(٢) الوثائق الرسمية للحكومة البريطانية نشرت فى جريدة الأهرام فى مارس وأبريل سنة ١٩٦٩م .

البريطانية باكبر حرية ممكنة متى بُدئتِ مفاوضات الصلح . ثم قال : أما وقد أوشكت (يعنى المفاوضات) اليوم أن تُفتح . فقد طلبتُ بمصادقة عظمتكم السامية . من الحكومة البريطانية أن تسمعنى . وتلقيتُ ردا يكاد يكون : (فيما بعد . أى بعد الصلح) . ولكننى أرى العكس من ذلك . أن الوقت الحالى هو وقت عرض أمانى مصر الأصلية والدفاع عنها . وفى هذه الحالات أتشرف بتقديم استقالتى لعظمتكم من رئاسة مجلس الوزراء ووزارة الداخلية)

وذكر رشدى باشا فى استقالته أن عدلى باشا متضامن معه فى ذلك . وأنه هو أيضاً يقدم استقالته من وزارة المعارف (١) .

وكان سعد أرسل طلبا للسلطة العسكرية فى ١٩١٨/١١/٢٠ بطلب التصريح للوفد بالسفر . وا. ىعجله فى ١٩١٨/١١/٢٨ . ورفض الطلب . فأرسل للمعتمد البريطانى فرد عليه سكرتيره فى ١٢/١ بتأكيد الرفض . فأرسل برقية إلى المستر لويد جورج رئيس الوزارة فى بريطانيا . ولكن السلطة العسكرية فى مصر منعت إرسال البرقية .

ولم يستكِن سعد باشا . فأرسل مذكرة لجميع ممثلى الدول الأجنبية فى مصر بشرح تصرفات السلطات الإنجليزية . ويحذّر من اتخاذ أى قرار يمسّ مصر دون سماع صوتها . وأرسل برقية للرئيس الأميريكى ويلسون صاحب المبادىء الأربعة عشر الشهيرة التى منها حق الشعوب فى تقرير مصيرها . ويخطره بتصرف السلطة الإنجليزية . ويطلب استعمال نفوذه للتصريح للوفد بالسفر .

وكان رشدى باشا قد طلب من السلطات البريطانية أن تسمح لنواب الأمة أيضاً بالسفر . فلما رفضت قدم استقالة ثانية فى ١٩١٨/١٢/٢٣ قال فيها :

(وفى ذلك الوقت طلبت وفود مؤلفة من بعض أعضاء أنظمتنا النيابية السفر إلى لندرة للدفاع عن قضية مصر . وقد أشرت بأن يؤذن لها بالسفر فلم تهمل مشورتى فقط . بل ورُفض سماع آرائى فيما يحتمل أن يكون عليه نظام الحماية

---

(١) المسألة المصرية والوفد لمحمود أبو الفتح ص ٥٢ , ٥٣

وهكذا ستكون مصر البلد الوحيد الذى لم يسمع صوته فى الوقت الذى يسوى فيه مصيره نهائيا) .

ورفض السلطان قبول الاستقالة . وتمسك رشدى بها . وقدم فى ١٢/٣٠ استقالة ثالثة ذكر فيها إنه لا يتحول عنها . وأنه يرجو قبولها خشية أن يؤدى التأخر فى ذلك إلى تحميله مسؤولية عدم الاهتمام بمصير مصر بصفته رئيس وزارتها . فى الوقت الذى يفصل فيه فى مصيرها نهائياً .

وقبلت الحكومة البريطانية سفر رشدى وعدلى للندن . ولكنها رفضت التصريح للوفد . فعلق رشدى سحب استقالته على التصريح للوفد بالسفر . ولم تقبل بريطانيا . فتمسك باستقالته حتى فى ١٩١٩/٣/١ كما ذكرنا .

ودعا الوفد إلى اجتماع فى منزل حمد باشا الباسل فى ١٩١٩/١/٢٣ . بشارع ضريح سعد (الداخلية سابقا) ألقى فيه سعد باشا خطابا . ووزع الخطاب فى منشورات لأن السلطة العسكرية منعت الصحف من نشره .

ودعا إلى اجتماع آخر فى ١٩١٩/١/٣١ فى منزل سعد باشا بشارع سعد زغلول . ولكن السلطة العسكرية منعت الاجتماع .

وفى ١٩١٩/٢/٧ كانت محاضرة فى نادى الاقتصاد السياسى والإحصاء والتشريع يلقيها المستر برسيفال المستشار الإنجليزى بمحكمة الاستئناف . عن مشروع برونيت . وهو مشروع كانت تعده بريطانيا لإتمام تمكين قبضتها على مصر . بحجة التعديل الدستورى .

ومجمل هذا المشروع حرمان مصر من حق التشريع . وتركه لهيئة مكونة من مجلسين : الأول استشارى ولاقيمة فعلية لآرائه وقراراته . والثانى من هيئة الوزراء والمستشارين الأجانب و ١٥ أجنبيا و ٣٠ مصريا منتخبين بحيث تكون الأغلبية دواما ضد الأهالى المنتخبين (الوزراء + المستشارين + الأجانب = أكثر من المصرين المنتخبين)

وكانت سياسة وأطماع انجلترا التى تدور فى الخفاء لما تعبّر عليها سياسيا ضم مصر إلى ممتلكاتها ـ أن تجعل النائب العام انجليزياً . واللغة الإنجليزية هى اللغة الرسمية فى القوانين والتعليم والحكومة . وأن تُعدَّل القوانين المصرية على وضع

القانون الإنجليزى . وأن يكون بجانب القاضى المصرى قاضى إنجليزى . يعنى بصفة عامة إلغاء الشخصية المصرية .

هذا المشروع كانت أبلغته دار الحماية إلى حسين باشا رشدى . فثار ثورة شديدة عندما اطلع عليه . ورد عليه بمذكرة من أعنف ماكتبه رئيس وزارة إلى دار الحماية . يندد فيها بالمشروع وكيف أن شرذمة من الأجانب (هكذا تعبيره فى المذكرة) تُقَنِّن وتُشَرِّع لمصر . وكيف مصر بعد انتصار انجلترا . وماكان لمعونة مصر من قيمة كبرى فى هذا الانتصار أن ينزل وضعها السياسى عما كان عليه قبل الحرب . . . الخ .

وكان اختيار نادى الاقتصاد والتشريع لإلقاء هذه المحاضرة لانه هيئة تشريعية مادامت الجمعية التشريعية معطلة من سنة ١٩١٤ .

وبعد المحاضرة وقف سعد باشا . فعارض مناقشة هذا المشروع فى النادى من الناحية الشكلية لإنتفاء صفة النيابة عن الشعب . ومن الناحية الموضوعية فند المشروع . واعتمد على حق مصر فى الاستقلال الذاتى على معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ . وأعلن أن الحماية التى أعلنتها إنجلترا سنة ١٩١٤ باطلة . لأنها من جانب واحد . وأنها تنتهى بانتهاء الحرب . وهى الضرورة التى تذرعت بها لفرضها .

ودوت القاعة بالتصفيق والهتافات . وأطفئت الأنوار حتى لا تتحول إلى مظاهرات .

وأرسل سعد إلى السلطان مذكرة يطلب فيها انضمام العرش إلى الشعب وتأييد السلطان لمطالب البلاد . ويلمح بطريقة دبلوماسية أنه لا يوجد مصرى يستحق شرف هذا اللقب يقبل تشكيل وزارة والبلاد محرومة من مجرد حق رفع صوتها .

وكان لهذه المذكرة أثر كبير فى صعوبة تشكيل وزارة تحل محل وزارة حسين رشدى .

وضاق صدر إنجلترا . فأقدمت على خطوة كان لها أكبر الفضل فى تمكين الثورة . وهى اعتقال سعد زغلول .

فقد اعتقلته فى ١٩١٩/٣/٨ مع ثلاثة من زملائه هم : محمد محمود باشا واسماعيل صدقى باشا وحمد الباسل باشا . ونَفَتْهم إلى مالطه .

واندلعت الثورة فى ٩ مارس . وبدأت باضراب (مدرسة) الحقوق . ولما أراد ناظرها إقناع الطلبة بأن يتركوا لآبائهم الاشتغال بالسياسة . قالوا : (آباؤنا فى السجون . ولا ندرس القانون فى بلد يداس فيه القانون) .

ثم عمّت الإضرابات والمظاهرات باقى المدارس . وامتدت إلى الأرياف وأضرب عمال السكة الحديد والترام . وخطب كيرزون وزير الخارجية فى مجلس العموم البريطانى أن الحركة المصرية حركة رعاع . بدليل أن الموظفين لم يشتركوا فيها . فأضرب الموظفون لأول مرة . واستمروا مضربين ثلاثة أيام . وربما كان يستمر الإضراب لولا سرعة الإفراج عن سعد وزملائه .

وقطعت فى الأرياف خطوط السكة الحديدية والتلغراف . وأعلنت بعض البلاد مثل زفتى والفيوم الاستقلال . وألف الأهالى بها حكومة خاصة بهم .

ولجأت السلطة العسكرية إلى أشد وسائل القمع والعنف . من ضرب المتظاهرين بالرصاص . والاعتقالات بالمئات والألوف . والتهجم على البيوت بحجة البحث عن السلاح . والاعتداء على الأعراض . وغير هذا من وسائل الشدة والقسوة .

ولكن لم يكن ماتفعله السلطة العسكرية إلاوقودا للثورة تزداد به اشتعالا وأظهرت الأمة ترابطا وتماسكا ضد الغاصب المحتل . فرُفع علم الثورة . هلال بداخله صليب . وخطب القسس فى الأزهر . كما خطب العلماء المسلمون فى الكنائس . وكانت الثورة شاملة لجميع البلاد .

ولم يستطيع اللورد اللنبى . الذى أوفدته انحلترا فى أواخر مارس سنة ١٩١٩ مندوبا ساميا فوق العادة . ونائبا عن جلالة ملك انجلترا فى مصر والسودان . لقمع الفتنة بما عُرف عنه من ظفر وانتصار فى الحرب العالمية الأولى جعلا اسمه ملء الأفواه والأسماع . لم يستطع اللورد اللنبى شيئا إزاء عنف الثورة واندلاعها فى كل النواحى فأشار على حكومتة بالإفراج عن سعد وزملائه . والتصريح لمن أراد من رجال الوفد بالسفر . وعلى انجلترا أن تعرقل بالطرق السياسية مساعيهم بباريس

واضطرت إنجلترا إزاء هذا أن تقرر فى ١٩١٩/٤/٧ الإفراج عن سعد وزملائه والتصريح لمن أراد من رجال الوفد بالسفر .

فسافر أعضاء الوفد المصرى [1] فى ١١/٤ حيث استقلوا من بورسعيد الباخرة كالدونيا فى ١٢ منه إلى مالطه . ومن هناك انضموا إلى سعد وزملائه . وسافر الجميع فوصلوا مرسيليا فى ١٨ منه ومن هناك ركبوا القطار إلى باريس .

وكانت محطة القاهرة تغصُّ بآلاف المودعين . والمحطات فى الطريق تموج أيضاً بالمودعين فى بنها وأبى الأخضر وأبى حماد وأبى صوير والإسماعيلية والقنطرة .

وتألفت فى بور سعيد لجنة من أعيانها لاستقبال الوفد فنظمت الاحتفالات وأعدت السيارت والعربات لركوب المسافرين . وفُرش مدخل الجمرك بالبسط السجاجيد . حتى البحر . واشترك الأجانب فى إبداء شعور الود والتعاطف مع هذا الحماس الوطنى الجارف .

وعلى أثر سفر الوفد إلى أوربا أصدرت سكرتاريته فى القاهرة بيانا عن مهمته التى سيقوم بها أمام مؤتمر الصلح جاء فيه :

(إن مهمة الوفد هى السعى بجميع الطرق السلمية المشروعة لاستقلال مصر استقلالا تاما . حيث يجد الوفد للسعى سبيلا . ولا يجوز للوفد أن يتصرف فى المهمة التى انتدب لها . وليس له ولا لأحد أعضائه أن يتجاوز حدود الوكالة التى يستمد منها قُوّته . وهى المطالبة باستقلال مصر استقلالا تاما . ومايتبع ذلك من التفاصيل .

(والرئيس يمثل الوفد ويرأس جلساته ويحافظ على نظامه . ويشرف على لجانه . ولايجوز لأحد أعضاء الوفد أن يحادث شخصا من الأشخاص العموميين باسم الوفد إلا إذا عرض على الرئيس الموضوع الذى سيدور الحديث عليه وأجازه . وعلى العضو أن يدون الحديث كتابة بعد انتهائه . ويقدمه لرئيس الوفد . فإذا لم يتمكن العضو من إحاطة الرئيس به قبل الحديث . فيجب أن يفهم محادثه أنه لا يمثل الوفد فى حديثه معه) [2]

---

(١) أعضاء الوفد المصرى الذين سافروا هم من ذكرناهم . وأضيف إليهم حسين باشا واصف . وأيضاً ويصا بك واصف بصفته مستشاراً . ثم ضم فيما بعد بباريس لهيئة الوفد . ومن المصادفات أن الباخرة كالدونيا التى أقلت الوفد المصرى من بور سعيد كانت هى نفس الباخرة التى أقلت سعد وزملاءه إلى المنفى بمالطه

(٢) مع الوفد المصرى لمحمود ابو الفتح ص ١٨ .

وشرع سعد زغلول فور وصوله بزيارة رؤ ساء وفود الدول فى مؤتمر الصلح . وترك بطاقة لكل منهم .

وكانت الجمعية المصرية فى باريس مكونة من قبل . كما كان للطلبة المصريين فى الخارج جمعيات مصرية فى كل دولة يدرسون فيها . ولكن كانت الجمعية المصرية فى باريس مركز الحركة العامة . حتى أن الجمعية فى انجلترا جعلتها مرجعها . وكان لها مندوب فيها . وكان للجمعية علم خاص يجمع رموز الأديان السماوية الثلاثة .

فخفَّ أعضاء الجمعية لاستقبال أعضاء الوفد . ودعوهم إلى حفلة شاى تبودلت فيها الخطب الوطنية . ونشرت بعض الصحف خبر وصول الوفد . كما نشر بعضها حديثاً لرئيسه مع تصديره بصورته .

وكانت مأمورية الوفد شاقة . فعليه إزالة ماعلق بالأذهان ـ بتشويه من إنجلترا ـ أن الحركة المصرية طائفية ضد غير المسلمين . وعليه التنوير بوضع مصر السياسى قبل الحرب . وبأنها مستقلة باعتراف الدول فى معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ . وبماضيها العريق . وماهى أهل له الآن من الأستقلال . وأنه لايوجد فيها أى شعور عدائى ضد الأجانب . وأن الحماية فرضت عليها من جانب واحد . بحجة ضرورة الحرب فيجب أن تزول بزوال هذه الضرورة . وأن مساعدتها للحلفاء كانت من أعظم العوامل الحاسمة فى الفوز كاعتراف اللورد اللينبى . وأنه ليس من المعقول أو العدل أن تكافأ مصر على مساعدتها للحلفاء بنزول وضعها السياسى عما كان عليه قبل الحرب . . . الخ

وأرسل سعد إلى الرئيس ويلسون فى ١٩١٩/٤/٢٢ طلبا لتحديد موعد للمقابلة . كما أرسل لمؤتمر الصلح فى ٤/٢٨ مذكرة بهذا المعنى . وطلب التصريح بحضور الوفد أمام المؤتمر للدفاع عن القضية . وأرسل للرئيس ويلسون صورة من هذه المذكرة .

ولكن كانت الأبواب موصدة فى وجه الوفد . بتدخل إنجلترا بأساليبها المختلفة . وبمالها وقتذاك من واسع النفوذ بعد خروجها من الحرب منتصرة .

وفى ١٩١٩/٥/٣ أقام الوفد حفلة دعا إليها الصحفيين الأمريكان والإنجليز فلبى الأمريكيون الدعوة . ولم يحضر من الإنجليز إلا القليل النادر . وكان عدد

الأمريكان الذين حضروا ما يقرب من الخمسين . ويمثلون أهم الجرائد والمجلات وأوسعها أنتشاراً .

ووُضعت على مائدة طويلة صور للمظاهرات المصرية . ويظهر فيها العلم بداخله الهلال والصليب . ومظاهرة السيدات . ورجال الجيش . وطلبة الكلية الحربية . وصور بعض القتلى من السيدات والبنات والأولاد .

وكان فى هذا كسب كبير فقد ظهر أن الأمريكان على جهل تام بمصر وأوضاعها .

وتكلم رئيس الوفد كلمة قصيرة بالفرنسية حَيّى فيها المدعوين وشكرهم على تلبية الدعوة . وذكر المطالب المصرية . ثم تلاه محمد محمود باشا فخطب بالإنجليزية خطابا مطولا شرح فيه النقط السابقة . وتكلم فيه عن تأليف الوفد المصرى . ومالاقاه من عراقيل حتى سُمح له بالسفر . وعن مظاهرة السيدات وفيها عقيلة حسين باشا رشدى رئيس الوزارة . وحصار الجنود البريطانيين لهن فى الشمس ساعات . وما ارتكبته السلطة العسكرية من جرائم واعتقالات .

ولانريد أن نطيل فيما عقده الوفد من اجتماعات . وما دعا إليه من حفلات . أو نشره من مذكرات للدعاية والتنوير بالمطالب المصرية . فهذا تقريبا كان كل عمله طوال إقامته فى أوربا .

ولكن صُدمت آمال مصر والوفد . فقد سلمت فى ٧ مايو لألمانيا قرارات مؤتمر الصلح . وفيها الاعتراف بالحماية البريطانية على مصر .

فأرسل الوفد فى ١٩١٩/٥/١٢ إلى مؤتمر الصلح يحتج على هذا القرار . وعلى البت فى شأن مصر دون أن يُسمع صوتها .

وتردد الوفد بين أن يعلن فشله وينهى مأموريته . ويعود إلى مصر . وبين أن يواصل سعيا بلا أمل

ولكن كان هناك بصيص من الأمل . فلا بد أن يوافق مجلس الشيوخ الأميريكى على معاهدة الصلح . فأرسل الوفد فى ١٢ منه إلى مجلس الشيوخ مذكرة بالمعانى المذكورة وباحتجاجه على قرار مؤتمر الصلح . ومناقضة هذا القرار

للمبادىءالتى دخلت الولايات المتحدة الأميريكية الحرب من أجلها . ومن ضمنها حق كل شعب فى تقرير مصيره بنفسه .

وفى مصر لم تيأس الأمة إزاء قرار المؤتمر . فهى حريتها ولا تملك الدول مجتمعه أن تفرض عليها شيئا رغم إرادتها . فاستمرت الثورة . واستمرت المحاكم العسكرية فى أحكامها بالإعدام والحبس والجلد على الألوف . وقد ذكرنا ما كان لتأليف محمد سعيد لوزارة السبعة فى ٢١ مايو من سخط عام لدى الشعب .

وفى وسط هذه المحن التى تمر بها البلاد عقد قران السلطان أحمد فؤاد على نازلى بنت عبد الرحيم باشا صبرى فى ١٩١٩/٥/٢٤ .

وفى ٢ يولية سلم الحلفاء شروط الصلح إلى النمسا . وفيها الاعتراف بالحماية البريطانية . فأرسل الوفد احتجاجا فى ٦ منه إلى مؤتمر الصلح . كما أرسل خطابا إلى ويلسون يعيد فيه طلب المقابلة . ويحتج على قرار المؤتمر . وكان ويلسون يشعر بحرج موقفه لما قضته للمبادىءالتى طالما أعلنها . فرد فى ٦/٩ يعتذر عن المقابلة ويترك الباب مفتوحا للمستقبل . ورد عليه سعد فى ١٨ منه يعلن تمسكه بما سبق ذكره .

وفى يوليه سنة ١٩١٩ كانت معاهدة الصلح تعرض على مجلس النواب الفرنسى . فأرسل الوفد إليه جميع البيانات الخاصة بالقضية المصرية . كما أرسل مثل ذلك للبرلمان الإيطالى . وكان نتيجة ذلك ارتفاع بعض الأصوات فى البرلمانين الفرنسى والإيطالى لصالح مصر .

وفكر الوفد فى إرسال الدكتور حافظ عفيفى بك (باشا) لانجلترا لعمل الدعاية هناك . ولكنه لم يستطع الحصول على تصريح بالسفر لانجلترا .

كما قرر الوفد إرسال عبد اللطيف بك المكباتى إلى أمريكا . ولكن رفضت القنصلية الأميريكية إلا بعد موافقة الحكومة البريطانية . ولم يستطع الحصول عليها .

ولم يبق أمام الوفد إلا محاولة الاتصال ببعض أعضاء مجلس الشيوخ الأميريكى ممن يعتقدون بعدالة القضية المصرية ليدافعوا عنها أمامه .

وفى أغسطس أخذت لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ الأميريكى تنظر فى معاهدة الصلح . وقرر وزير الخارجية أثناء المناقشة أن الولايات المتحدة لم تعترف برقابة على الشؤون المصرية إلا على النحو الذى ورد فى إعلان الحماية فى ١٩١٤/١٢/١٨ حسب التصريح الذى بُلغ للولايات المتحدة . التى توقعت أن تقوم بريطانيا العظمى بتنفيذ التأكيدات التى أعطتها لسلطان مصر .

وأخيراً لما عُرض تقرير اللجنة على مجلس الشيوخ فى ١٩٢٠/٣/١٥ قرر بأن الولايات المتحدة تصرح بأنها تتمسك بمبدأ حق الأمم فى تقرير مصيرها .

لجـنة ملنر :

وسبق أن ذكرنا - فى ترجمة محمد باشا سعيد - أن الحكومة البريطانية قررت إيفاد لجنة إلى مصر برئاسة اللورد ملنر وزير المستعمرات . وذكرنا خطة عمل هذه اللجنة . وأنه لم يكن من ضمن هذه الخطة بحث موضوع الاستقلال .

كما ذكرنا أن محمد باشا سعيد قدم استقالته فى ١٩١٩/١١/١٨ لمَّا لم يؤخذ برأيه فى تأجيل حضور هذه اللجنة . وورد فى خطاب استقالته :

(حينما تفضلتم عظمتكم فطلبتم معاونتى فى تأليف الوزارة . قد رأيت أن الواجب المفروض علىَّ أمام وطنى يقضى بقبول هذه المهمة . التى ما كنت أتجاهل أعباءها الثقيلة . فمع تأييد عظمتكم وتأكيدها قد بذلت كل ما فى وسعى للتغلب على المتاعب المتجددة فى كل يوم . بقصد إيجاد ما كان مرغوباً فيه من تهدئة الخواطر فى البلاد . على أنه قد حدث الآن اختلاف فى النظر بشأن ملاءمة حضور اللجنة المعلن عن مجيئها إلى مصر . كما قد عرضته على مسامع عظمتكم . وهذا الاختلاف من شأنه أن يجعل استمرارى فى العمل عديم الفائدة بالمرة للبلاد ولعظمتكم . لذلك أرانى مضطرا للتقدم بين يدى عظمتكم بقبول استقالتى من رئاسة الوزارة . . . . إلـخ . الخاضع محمد سعيد[1]

وقُبلت الاستقالة وشكل يوسف وهبة باشا الوزارة الجديدة فى

(١) المسألة المصرية والوفد لمحمود أبو الفتح ص ٢٢٣

١٩١٩/١١/٣٠ ومعظم أعضائها من وزارة محمد سعيد ودخل فيها يحيى باشا ابراهيم ومحمد باشا شفيق .

واحتج الأقباط على يوسف وهبة لقبوله تأليف الوزارة . وخطب الكثيرون من أعيانهم ضده فى مختلف الأماكن .

ولم تطل مدة وزارة يوسف وهبة . فاستقال بعد حضور لجنة ملنر بقليل . وحل محله فى رئاسة الوزارة محمد توفيق نسيم باشا .

ووصلت لجنة ملنر إلى بور سعيد صباح ٧ ديسمبر سنة ١٩١٩ . ومنها استقلت القطار إلى القاهرة .

وكان الوفد أرسل بمقاطعتها . ونُفذت المقاطعة بشكل دقيق يدل على ما كان فى الأمة من وعى قومى وترابط تام .

وطرقت اللجنة كل الأبواب فلم تجد من يتحدث إليها فى مهمتها . حتى السلطان كان فى مقابلتها متحفظاً وملتزماً الحياد فلم يبد رأياً فى الحالة الدستورية والسياسية للبلاد . ولكنه نصح اللورد ملنر بالاتصال برشدى باشا وعدلى باشا ومظلوم باشا وسعيد باشا من الوزراء السابقين .

ولما اتصل ملنر برشدى وعدلى وثروت أفهموه أنه ليس فى البلاد مصرى يرضى بمفاوضته مادامت اللجنة تعمل فى نطاق الحماية . وأن المصريين جميعاً مصممون على المطالبة بالاستقلال التام .

وإزاء هذا لم تجد اللجنة مناصاً من تعديل خطتها . فأعلنت فى ١٩١٩/١٢/٢٩ أنها لم تحضر لتسلب أى حق من مصر . ولكن للتوفيق بين الأمة المصرية وبين ما لبريطانيا من المصالح الخاصة فى مصر . مع المحافظة على الحقوق المشروعة التى لجميع الأجانب القاطنين فيها ... ثم قالت : وللوصول إلى هذه الغاية تود اللجنة أن تقف على آراء الهيئة المشخصة للأمة المصرية . والأشخاص الذين يهتمون اهتماماً صادقاً بخير بلادهم . ويتمكن كل فرد من ابداء رأيه بغاية الصراحة ونهاية الحرية . إذ ليس من غرض اللجنة تقييد الآراء . أو المناقشة بقيد . أو حصرها فى دائرة مخصوصة ... الخ .

ويدل هذا الإعلان على التراجع . ولكن لم يُفد شيئاً . فالبلاد لها وكيل هو الوفد المصرى . ولا تقبل غيره . وأصدرت لجنة الوفد المركزية بالقاهرة بلاغاً عقب ظهور هذا الإعلان من اللجنة باستمرار مقاطعتها .

ووجدت اللجنة أنه لا مناص من مفاوضة الوفد . ولكن سعداً رفض الحضور لأنه سبق له أن احتج مراراً على حضور اللجنة لمصر . وأرسل احتجاجاته إلى مؤتمر الصلح وإلى لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية .

واستمر القبض على زعماء الثورة فى مصر . وتعطيل الصحف . وحظر التجول ليلاً . وغير هذا من الاجراءات العسكرية . ولم يُقابل كل هذا إلا بالمظاهرات العنيفة . وسلاح المتظاهرين فيها الطوب والعصى مقابل الرصاص . وأهم من هذا روح البذل والفداء . .

واستمرت لجنة ملنر فى مصر حتى مارس سنة ١٩٢٠ . فقابل لورد ملنر عدلى باشا وأخبره أنه لن يقدم تقريره إلا فى أواخر ابريل بعد انتهاء عطلة الأعياد (عيد الفصح عند المسيحيين) . وأنه مستعد لمفاوضة الوفد المصرى وقبول كل ما من شأنه الوصول إلى حل مُرضى . وسافرت لجنة ملنر فى ١٨ مارس سنة ١٩٢٠ .

وأرسل عدلى يكن لسعد زغلول بما حصل . وأن عدلى يزمع السفر إلى أوربا فى مايو ولكنه مستعد لتقديم هذا الموعد إذا رأى الوفد ذلك . ووجد سعد أنها فرصة مفتوحة بعد أن سُدَّت جميع الأبواب . فأرسل إلى عدلى يستعجل حضوره .

ولا نطيل فى التفاصيل . فقد دعا اللورد ملنر الوفد رسمياً إلى لندن للمفاوضة . فقرر الوفد إرسال ثلاثة من أعضائه مع عدلى باشا للوقوف على مدى استعداد ملنر وتقابلوا معه مرتين . الأولى للتعارف . وفى المقابلة الثانية طلبوا تصريحاً من اللورد ملنر نيابة عن الحكومة البريطانية بقبول مبدأ الاستقلال التام . ولكن ملنر رفض هذا وقال أنه مستعد للمفاوضة فى حقوق مصر ومصالح بريطانيا والتوفيق بينهما .

ورأى سعد أنه لا ضرر من المفاوضات . فسافر من فرنسا إلى لندن فى ١٩٢٠/٦/٥ . واستمرت المفاوضات ما يقرب من الشهرين ونصف . قدم فى نهايتها اللورد ملنر فى ١٩٢٠/٨/١٨ مذكرة بالنقط التى تبنى عليها المفاوضة فى إبرام

معاهدة تعترف فيها إنجلترا باستقلال مصر فى حكومة ملكية دستورية ذات هيئة نيابية . وتمنح فيها مصر إنجلترا الحقوق اللازمة لصيانة مصالحها الخاصة . ولتمكينها من تقديم الضمانات للدول الأجنبية لتتخلى عن الامتيازات . وتتعهد انجلترا بمقتضى المعاهدة بالدفاع عن سلامة مصر .

كما تتعهد مصر بمساعدة إنجلترا فى داخل حدود مصر فى أى حرب ولو لم يكن فيها مساس بسلامة الأراضى المصرية . وتمنح مصر إنجلترا حق ابقاء قوة عسكرية تحدد المعاهدة مكانها . ولا يمسُّ وجود هذه القوة حقوق مصر على المكان التى تعسكر فيه .

ولمصر حق التمثيل السياسى الخارجى . ويعين فى الحكومة المصرية مستشار مالى بريطانى يعهد إليه باختصاصات صندوق الدين . وتستشيره مصر فى المسائل المالية . وكذلك مستشار بريطانى فى وزارة الحقانية (العدل) يُحاط علما بكل ما يتعلق بالتشريع والقضاء فيما يختص بالأجانب .

وكثير غير هذا من القيود والتفاصيل . بخصوص الموظفين الأجانب . ومركز ممثل انجلترا فى مصر . وتقدمه على باقى الممثلين الأجانب . وبخصوص الامتيازات الأجنبية . والمعاهدات الحالية والتى تبرمها مصر مستقبلاً . والمدارس الأجنبية . وحرية انشاء المعاهد الدينية والخيرية كالمستشفيات وغيرها . . الخ .

ومع كثرة هذه القيود فقد رأى الوفد فى المذكرة بعض المزايا . ولم يشأ أن يستبد برأيه فى الموضوع . فقرر الرجوع إلى باريس . وإيفاد ثلاثة من أعضائه إلى مصر لاستطلاع رأى الأمة . فسافر هؤلاء الثلاثة إلى مصر ١٩٢٠/٩/٥ ثم عادوا إلى باريس حيث كان فى انتظارهم باقى أعضاء الوفد .

ورأى الوفد إبداء بعض التحفظات على المذكرة وأنه لا يبدأ المفاوضات إلا إذا أجيبت هذه التحفظات .

وعلى هذا سافر سعد وبعض الأعضاء إلى لندن .

وكان أهم هذه التحفظات البدء بإعلان إلغاء الحماية قبل المفاوضة .

ولم يُبد ملنر استعداداً لقبول هذه التحفظات قبل المفاوضة نظراً لما ذكره عن صعوبة مركزه وما يُنسب إليه فى دوائر حكومته من التساهل .

وأرسل سعد لباقى الأعضاء بالحضور إلى لندن . فصمم الوفد على موقفه وبذا قطعت المفاوضات . وعاد سعد والوفد إلى باريس .

بدء الانقسام :

وبعد قطع المفاوضات مع ملنر أخذت وجهات النظر فى الوفد تختلف . وعاد بعض الأعضاء إلى مصر .

وفى ١٩٢١/١/٥ قدم بعض الأعضاء لسعد مذكرة : أن يعُهد بالمفاوضة إلى هيئة حكومية يُركن إليها برئاسة شخص موثوق به . ويكون الوفد رقيباً عليها . بشرط أن تعلن قبل المفاوضة مبدأ الاستقلال التام . والتمسك بالتحفظات التى أبداها الوفد على مذكرة ملنر .

ولكن سعداً فى ٧ منه رفض التوقيع على المذكرة . ولما قيل له أن الأغلبية وافقت عليها . قال إن المسألة ليست مسألة أغلبية . ولكنها موضوع توكيل الأمة للوفد ولا يجوز الخروج عن التوكيل .

وفى ٧ يناير أيضاً أعلن ملنر استحالة إعلان إنجلترا إلغاء الحماية قبل أن تطمئن على مصالحها .

وعاد سعد بعد ذلك إلى مِصر .

وتألفت وزارة برئاسة عدلى يكن . وقررت انجلترا طلب المفاوضة . فاختُلف على رئاسة وفد المفاوضات . هل يرأسه رئيس الحكومة . أو رئيس الوفد المصرى المختار من الأمة . وكان هذا بدء الخلاف . واتهم سعد عدليٌ ومن معه أنهم براذع الإنجليز وغير هذا من الألفاظ الجارحة .

وسافر وفد المفاوضات برئاسة عدلى يكن وعضويه حسين رشدى واسماعيل صدقى ومحمد شفيق (من وزارة عدلى) وأحمد طلعت رئيس محكمة الاستئناف العليا ويوسف سليمان من الوزراء السابقين .

وسافر وفد المفاوضات هذا فى يوليه سنة ١٩٢١ وعاد فى نوفمبر سنة ١٩٢١ . بعد فشل المفاوضات . واستقال عدلى يكن فى ١٩٢١/١٢/٨ .

واتهم الانجليز سعداً بالتحريض على الفتنة . فاعتقلوه وسبعة من زملائه .

ونفوهم إلى جزر سيشل فى سبتمبر سنة ١٩٢١ . ثم نقل سعد إلى جبل طارق لأسباب صحية .

تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ :

وأمكن صدور تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ . وهو تصريح من جانب واحد . تعترف فيه انجلترا بأن مصر مملكة مستقلة ذات سيادة مع تحفظات أربعة من انجلترا خاصة بمواصلات الامبراطورية البريطانية وحماية الأقليات والأجانب . والسودان .

وأفرج عن سعد وزملائه فى مارس سنة ١٩٢٣ . وأعلن الدستور فى مارس سنة ١٩٢٣ . وأجريت الانتخابات . وفاز الوفد المصرى بأغلبية ساحقة . فألف سعد الوزارة .

ثم جرت المفاوضات بين سعد ورمزى مكدونلد رئيس الوزارة البريطانية فى صيف سنة ١٩٢٤ . وفشلت .

وقُتل حاكم السودان السيرل . استاك سرادار الجيش المصرى فى نوفمبر سنة ١٩٢٤

وانتهزها الانجليز فرصة . فتعسّفوا فى طلباتهم[1] فاستقال سعد . وحُل

---

(١) كان من ضمن هذه الطلبات فدية نصف مليون جنيه . ودفعتها مصر . ولكن أهمها وهو الذى رفضه سعد هو طلب خروج الجيش المصرى من السودان . وكان لأفراد الجيش المصرى بالخرطوم إزاء هذا الطلب موقف رائع ومثال صادق من الوطنية الحقة .

فقدْ رفض القائمقام أحمد بك رفعت أمر هدلستون باشا نائب السردار . وقرر هو وأفراد القوة الدفاع حتى الموت . وقررت القوة أن تعهد بالقيادة إلى أحمد رفعت . حيث أن أقدم الضباط اللواء محمد أمين باشا قد تخلى عنها فى هذا الوقت العصيب . واشترطوا للخروج أن يصل الأمر من ملك مصر . وأن يخرجوا بأسلحتهم موفورى الكرامة . وأن يكون سفرهم عن طريق حلفا .

وفعلاً أرسل وزير الحربية يثنى عليهم ويأمرهم بالخروج ما دامت الحكومة المصرية احتجت على هذا الطلب الذى نفذ بالقوة .

وما أن وصلت القوة إلى أسوان حتى أُمرت بالبقاء هناك ثلاثة شهور حتى لا يثير حضورهم للقاهرة الاضطرابات . ثم وصلوا القاهر فى سر وتكتم من السلطات .

وطالبت الصحف البريطانية بمحاكمة أحمد رفعت . بل وطالب بعضها بإعدامه . ثم مات كمداً . وتكاد أن تنسى ذكراه . وهو البطل الجدير بالتخليد (المكافحون لعبد الرحمن الخميسى ص ٥٩)

مجلس النواب . وشكل أحمد باشا زيور الوزارة . وهى الوزارة التى عرفت بوزارة إنقاذ ما يمكن إنقاذه . وكان إسماعيل باشا صدقى وزير الداخلية بها .

وأجريت الانتخابات سنة ١٩٢٥ . وحاربت الحكومة الوفد فى هذه الانتخابات بكل الطرق . ولكن تمسّك الأمة بالوفد فوّت على الحكومة أغراضها . وفاز الوفد بأغلبية ساحقة . فحُلّ مجلس النواب بعد ساعات من انعقاده .

ثم تكونت وزارة ائتلافية برئاسة عدلى يكن سنة ١٩٢٦ . وانتخب سعد رئيساً لمجلس النواب الجديد . ثم استقال عدلى وخلفه عبد الخالق باشا ثروت فى رئاسة الوزارة .

وبدأ ثروت فى مفاوضة أوستن شمبرلن لعقد معاهدة بين مصر وإنجلترا .

ولكن توفى سعد باشا زغلول فى ١٩٢٧/٨/٢٣ . فتوقفت المفاوضات وكانت تبشر بالوصول لبعض النجاح . فقد كان سعد ظهيراً قوياً لثروت فى مفاوضته .

وخلف سعداً فى رئاسة الوفد مصطفى النحاس .

ولم يرزق سعد فى حياته بذرية .

ولم يترك من الثروة غير خمسين فداناً . وبيتاً بشارع سعد زغلول بالأنشاء وآخر فى بلدته ابيانه .

ودُفن سعد بالإمام الشافعى مؤقتاً إلى أن يبنى الضريح الذى تقرر بناؤه .

بيت الأمة :

وفى شارع سعد زغلول بيته الذى كان يقيم فيه . وأطلق على البيت المذكور بعد ثورة سنة ١٩١٩ بيت الأمة . حيث كانت تحج إليه الوفود . وتنبعث منه صيحات التحرر المطالبة بحقوق البلاد .

وبعد وفاة سعد قررت الحكومة مشترى البيت المذكور . وبيت الفقيد ببلدته أبيانة . وكان قد رممه فى حياته . وقررت الحكومة ثمنا للبيتين ١٨٠٠٠ جنيه . ثمانية عشر ألفا من الجنيهات . شاملة ما بهما من منقولات . وهو مبلغ ضئيل حتى بنسبة أسعار ذلك الوقت . واعتبرتها من أملاك الدولة .

على أن تقيم زوجته فى منزل مصر طول حياتها .

والبيت المذكور أصبح الآن متحفا باسم متحف بيت الأمة . فى حالة جيدة من الداخل . يتضح مما فى غرفه وصالاته من تحف وسجاد ومنقولات ما كانت عليه الحياة الخاصة لزعماء ذلك العصر . وبه مكتبة الفقيد أغلبها من أمهات المراجع القانونية بالفرنسية والعربية مجلدة تجليدا فاخرا . ورسم دخول المتحف قرشان .

وحوله حديقة معتنى بها . وإن كان خارج المنزل - خصوصا واجهته القبلية الخلفية - يحتاج إلى ترميم وإعادة طلاء .

وقررت الحكومة إقامة تمثالين لسعد زغلول أحدهما فى مصر والثانى فى الأسكندرية وقد أقيم الأول بالجزيرة نعنى جزيرة الزمالك عند مدخل كوبرى قصر النيل . والثانى بميدان سعد زغلول بمحطة الرمل بالاسكندرية .

كما قررت الحكومة إقامة ضريح للفقيد يبنى بجوار بيته

أم المصريين :

واستمرت السيدة صفية زغلول فى الإقامة ببيت الأمة . وقد لقّبها الشعب عن جدارة بلقب أم المصريين . لما اتّسمت به من رجاحة العقل وصادق العزيمة فى مشاركة زوجها أعباء جهاده الوطنى . وابتعدت عن الخلافات التى دبّت فيما بعد بين أعضاء حزب الوفد .

وظلت محترمة مُبَجَّلة من الجميع حتى توفيت سنة ١٩٤٦ .

وأطلق اسم شارع صفية زغلول على الشارع جنوبى شارع إسماعيل أباظة التالى لشارع ضريح سعد الذى نتكلم عنه فى الفقرة التالية .

وكان شارع صفية زغلول اسمه شارع الإنشاء .

ضريح سعد :

وضريح سعد ليس فى شارع ضريح سعد الواقع جنوبى شارع سعد زغلول والذى تطل عليه الواجهة الخلفية لبيت الأمة .

ولكن الضريح فى شارع الفلكى - الموازى لشارع القصر العينى - ويواجه شارع ضريح سعد منتصف الضريح تقريبا .

وحد الضريح البحرى شارع سعد زغلول والغربى شارع الفلكى المذكور والشرقى شارع سكة حديد حلوان (منصور باشا سابقا) والقبلى شارع إسماعيل أباظة .

والضريح على مساحة ٥٢٢٥ م.م. تقريبا (٥٥×٩٥م) . ومبنى الضريح فى وسط المساحة على ٦٢٥ م.م. تقريبا (٢٥×٢٥م) على طراز فرعونى . به أعمدة ضخمة من الجرانيت . والتركيبة فوق المدفن كتلة ضخمة من الجرانيت الفاخر .

واختير الطراز الفرعونى ليكون الضريح لكل المواطنين دون طائفية بينهم .

وقد أثار قرار الحكومة : إقامة تمثالين لسعد وضريح لرفاته - [1] شيئاً من الامتعاض عند السراى الملكية والإنجليز . وقالت الإشاعات أن السراى اعترضت بأنه ليس لكل من محمد على الكبير وابراهيم باشا غير تمثال واحد . كما أن الخديوى إسماعيل ليس له أى تمثال . فكيف يكون لسعد تمثالان ! ! ورأى الانجليز أن فى التمثالين والضريح إزكاءًا دائما للشعور الوطنى والحركة القومية . ولكن لم يستطع الانجليز ولا السراى أى شىء إزاء هذا القرار الذي أملته العواطف المتأججة نتيجة لخسارة الوطن بوفاة سعد .

اقـــتراح :

وهذا يذكرنا بالضريح الذى أقيم لأحمد باشا ماهر بعد اغتياله بمجلس النواب فى ١٩٤٥/٥/٢٤ . ثم دفن فيه أيضا محمود فهمى النقراشى باشا بعد اغتياله فى وزارة الداخلية سنة ١٩٤٨ . وهذا الضريح بشارع رمسيس بالقرب من مستشفى الدمرداش الجامعى لكلية طب جامعة عين شمس .

ويذكرنا أيضا بالضريح الذى دفن فيه الرئيس جمال عبد الناصر بعد وفاته فى ١٩٧٠/٩/٢٨ . والضريح بشارع الخليفة المأمون بمنشية البكرى .

---

(١) كان من ضمن القرارات أيضا إنشاء ملجأ أو مستشفى فى العاصمة يطلق عليه اسم سعد زغلول ولم ينفذ هذا البند

ولا شك أن واجب الأمة العمل على تخليد ذكرى عظمائها . ولكننى أرى فيها ذكر إسرافا يمكن الاقتصاد منه . فكل ضريح له نفقات دائمة للخدمة والصيانة .

فالأجدر أن يكون لعظمائنا مقبرة واحدة عامة شاملة . يدُفن فيها من تُرى جدارتهم واستحقاقهم لهذا الشرف . على أن تقرر هذا هيئة عليا بعيدة عن الأهواء السياسية . ولا تبحث هذه الهيئة الموضوع إلا بعد سنة أو ستة شهور على الأقل من الوفاة منعا من الانفعالات الوقتية .

ولا نعنى مقبرة واحدة بمعنى هذه الكلمة بل نعنى عديدا من الأضرحة المتجاورة على كل ضريح تركية باسم المتوفى وتاريخ مولده ووفاته . ومساحة المقبرة . والشكل الهندسى لانشائها . وموقعها يترك تقرير هذا للمهندسين .

ويلى شارع ضريح سعد من الجنوب شارع إسماعيل أباظة يمتد شرقا حتى شارع خيرت قاطعا سكة حديد حلوان . ومكان الكلام عنه بحى الناصرية .

ثم يلى شارع اسماعيل أباظة من الجنوب شارع صفية زغلول (الانشاء سابقا) .

قصــور الخديوى إسماعيل بالانشــاء :

وكان شارع صفية زغلول المذكور جنوبى موقع قصرين كان أنشأهما

الخديو إسماعيل على مساحة تسعة أفدنة .

القصر الأول فى النصف الشرقى من المساحة المذكورة . بناه لمتَبنيتَّه فائقة التى تزوجها مصطفى باشا بن إسماعيل باشاصديق المفتش . ومحل هذا القصر الآن وزارة التربية والتعليم .

والقصر الثانى فى النصف الغربى من المساحة المذكورة . بناه لابنته جميلة التى تزوجها محرم باشا بن كنج شاهين باشا[1] واستعمل بعد ذلك القصر المذكور

---

(١) كنج شاهين باشا كان ناظراً للجهادية (الحربية) سنة ١٨٧٩ . ثم بعد خلع اسماعيل جُرد من ألقابه . ومُنع من الرجوع لمصر . لدخوله فى رعوية (جنسية) دولة أجنبية بدون إذن الدولة العلية (تركيا) (تقويم النيل ج ٣ ص ١٥٤٨) .

للمدرسة السعيدية الثانوية أثناء الحرب العالمية الأولى[1] . ثم لوزارة المعارف ثم لمدرسة محمد على للبنات . والآن بموقعه ثلاث وزارات . وزارةالتموين والتجارة الداخلية ووزارة الإسكان والمرافق . ووزارة البحث العلمى .

ويواجه الوزارات المذكورة من الناحية الأخرى من شارع القصر العينى . أى بجاردن سيتى . شارع كان اسمه إسماعيل باشا . يصل غرباً إلى النيل مع الاستدارات الموجودة بتقسيم جاردن سيتى . وأصبح اسم هذا الشارع الآن شارع **جمال الدين أبو المحاسن** وهو المؤرخ **يوسف بن تغرى بردى** مؤلف (النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة) ، (المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى) توفى سنة ١٤٦٩م (٨٧٤ هـ) .

كما بنى اسماعيل قصراً ثالثاً لابنته توحيدة[2] زوجة منصور باشا محله الآن وزارة الحربية بشارع الفلكى .

ومنصور باشا هو الذى كان يطلق اسمه على شارع سكة حديد حلوان .

قصور اسماعيل باشا صديق المفتش :

واسماعيل صديق الذى عُرف بالمفتش . لأنه فضلاً عن نظارته للمالية . فقد كان مفتشاً لعموم الأقاليم . مما مكنه من جمع ثروة طائلة ظهرت ضخامتها بعد ما غضب عليه الخديوى إسماعيل . وقبض عليه فى ١٨٧٦/١١/١٤ (٢١ شوال سنة ١٢٩٣هـ) وأرسله منفياً إلى دنقله بالسودان . حيث قيل أنه مات هناك . ويشك بعض المؤرخين أنه نقل حياً إلى دنقلة .

وترك إسماعيل المفتش أكثر من ثلاثين ألف فدان . من أجود الأطيان . ومجوهرات . بأكثر من ٦٥٠٠٠٠ جنيهاً . وأسهماً وأوراقاً مالية بأكثر من نصف مليون جنيه . وكان يعيش فى ترف وبذخ زائدين عن الحد . حتى أن مروحة إحدى زوجاته بلغ ثمنها ٣٧٥٠٠٠ فرنك (١٥٠٠٠ جنيهاً تقريباً) . ومظلتها أكثر من

---

(١) استعملت بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى المدرسة السعيدية بالجيزة مستشفى للجنود البريطانيين.

(٢) هذا فضلاً عن سراى بباب الخلق محلها الآن مديرية الأمن ومحكمة مصر .

٦٠٠٠٠ فرنك (٢٤٠٠ جنيهاً تقريباً) . وربما كان في هذا بعض المبالغة . ولكن مهما كانت المبالغة فهذا كثير جداً في وقت كانت فيه مالية الدولة في شبه إفلاس .

بنى اسماعيل المفتش هذا في منطقة الاسماعيلية ثلاثة قصور متجاورة .

الأول يصل شمالاً إلى شارع الشيخ ريحان . وبموقعه الآن وزارة الداخلية .

والثاني يليه جنوباً حتى يصل إلى ميدان لاظأوغلي . وبموقعه المبنى السابق لوزارة العدل .

والثالث جنوبي شارع مجلس الشعب ويطل على ميدان لاظ أوغلي . وكان بموقعه رئاسة الوزارة ووزارة المالية . وبموقعه الآن وزارة الخزانة .

هذا فضلاً عن قصر بالإسكندرية على ترعة الجعفرية .

وكانت هذه القصور الثلاثة المتجاورة مؤثثة بفاخر الأثاث والرياش . كُسيت أغلب جدرانها بالأقمشة الحريرية النفيسة . وزُخرفت بأبدع ماأنتجته قريحة الفنانين من نقوش وزينة . وقُسِّمت حدائقها ونُسِّقت في براعة وبهاء .

وكانت له من الزوجات الشرعيات والسراري ستاً وثلاثون زوجة وسرية . ولكل واحدة منهن لخدمتها ست جوار بيض وعدد كبير من الجواري السود . وقد بلغ عدد جواريه أكثر من ٧٠٠ جارية . مابين حورية شركسية بيضاء ذات ثمن يفوق كل تقدير . وخمرية مسكرة . وسمراء غانجة . وحبشية شعرية ذات أعين بقرية . وبرونزية موشومة ذات نهود سفر جلية . وسودانية فحماء متقدة الدم الهائج(١) .

وذكر أحمد باشا شفيق أنه لما تزوجت نعمت توفيق أخت الخديوى عباس حلمي الثاني بجميل طوسون في يناير سنة ١٨٩٦ : (توجهت الأميرة مع والدتها إلى سراى عابدين ليخرج منها موكب الزفاف في اليوم التالي . وتحرك الموكب . وكانت عربة العروس تجرها ستة خيول مزركشة مزينة . وأمامها السُّيَّاس بملابسهم الخاصة . وعلى يمينها ويسارها ضابطان برتبة اللواء . وخلفها عربات خديوية تقل الأميرات . وخلف الجميع محافظ مصر بملابسه الرسيمة . وسار الموكب من شارع

---

(١) تقويم النيل ج٣ ص ١٤٥٤ وهذا وصفه . وهو أشبه بكلام اديب من قول مؤرخ

عابدين إلى ميدان الأوبرا الخديوية . فشارع كامل (شارع ابراهيم باشا أو الجمهورية الآن) . فالفجالة . فشارع العباسية . فسراى القبة . وكان الطريق كله حافلاً بالزينات . والسراى ساطعة بالأنوار البديعة . وكان عبده الحمولى ومحمد عثمان يغنيان . . . وفى المساء . أقيمت مأدبة فاخرة . وبعد الزفاف بيومين إنتقل العروسان إلى سراى المنيرة . وكانت أعدت لها . ثم سافراً إلى الوجه القبلى لقضاء بضعة أسابيع[1] اهـ .

شارع المبتديان

ونعود إلى ما قبل الاستطراد . فنقول :

يلى شارع صفية زغلول جنوباً شارع المبتديان الذى تغير اسمه إلى شارع الشيخ على يوسف ثم أخيراً إلى **شارع محمد عز العرب** . وشارع المبتديان هو أول حى المنيرة بعد حى الأنشاء . وينتهى شرقاً إلى حى الناصرية عند ملتقى شارعى الناصرية وخيرت .

وسمى المبتديان بهذا الاسم لأنه فى يناير سنة ١٨٦٨ نقلت مدرسة المبتديان (وهى الصيغة التركية لكلمة الابتدائية) إلى الناصرية بقصر البرديسى . وكان القصر مستعملاً مسافرخانة (اى لاستقبال الضيوف الذين يفدون على مصر [٢] كما نقلت المدرسة التجهزية إلى قصر مصطفى باشا فاضل بدرب الجماميز[٣]

وكانت المدرستان . المبتديان والتجهيزية ـ قبل ذلك بالعباسية . وقد فتحتا فى عهد اسماعيل سنة ١٨٦٣ .

---

(١) مذكراتى فى نصف قرن لأحمد باشا شفيق ج ٢ قسم أول ص ٢٢٤ . وكامل باشا المنسوب إليه قبلا شارع ابراهيم باشا أو الجمهورية الآن . هو زوج زينب بنت الخديوى اسماعيل توفيت سنة ١٨٧٦ م .

(٢) كما كانت المدرسة التوفيقية الثانوية بشبرا مسافر خانة أيضاً فى عهد محمد على . واللفظ مركب فى كلمتين إحد هما مسافر عربية والثانية خانة بمعنى مكان فيكون المعنى مكان المسافر . وكانت غرفة الصالون فى منازل العائلات المصرية لغاية أوائل القرن الحالى تسمى غرفة المسافرين أى الضيوف القادمين من السفر .

(٣) المدرسة الخديوية الثانوية . وكانت أولاً جنوبى جامع مصطفى فاضل . أما المدرسة الحالية فبحرى الجامع فى جزء من جنينة المدرسة السابقة مضافا إليها المدرسة المحمدية الابتدائية السابقة . وقد امتد الآن شارع مجلس الشعب حتى ميدان مصطفى فاضل بالحلمية الجديدة مخترقاً فناء المدرسة الخديوية السابقة قبلى الجامع المذكور .

وفى نهاية الشارع المذكور قصر البرديسى الذى بموقعه المدرسة السنية الثانوية للبنات . ومدرسة المعلمات . وكان اسمها مدرسة المعلمات السنية : أنشئت سنة ١٩٠٠ لتخريج معلمات للمدارس الإبتدائية . وفى سنة ١٩٣٣ استعيض عن مدرسة المعلمات بمعهد التربية . وكانت المدرسة السنية أرقى مدرسة ثانوية للبنات .

وأول مدرسة للبنات فى مصر فُتحت فى عهد اسماعيل سنة ١٨٦٨ محل وزارة الأشغال الحالى بشارع القصر العينى ثم فتحت مدرسة البنات بالسيوفية سنة ١٨٧٣ . ثم بالقربية سنة ١٨٧٥ . ثم بالجمالية سنة ١٨٧٦ (١)

ترجمة البرديسى :

والبرديسى صاحب القصر المذكور هو عثمان بك البرديسى توفى سنة ١٨٠٦ (١٢٢١هـ) . وقد ترجمه الجبرتى بما ملخصه أنه كان من مماليك مراد بك . وسمى البرديسى لأنه تولى كشوفية برديس بالصعيد(٢) . تقلد الصنجقية (الأمارة) سنة ١٧٩٥ . وبعد خروج الفرنسين وإيقاع حسين باشا القبودان سنة ١٨٠١ ببعض المماليك فى بوقير. وبعد سفر محمد بك الألفى إلى إنجلترا. أصبح عثمان بك رئيساً للمماليك المرادية .

وفى سنة ١٨٠٣ تعاهد مع محمد على على التحالف وعدم خيانة أحدهما الآخر . وكان لمحمد على مآرب فى هذا التحالف . فأخذ يغريه على زملائه . وأنه أحق برئاسة جميع المماليك .

وسكن عثمان بك بداره بالناصرية . وأشار عليه محمد على أن يبنى أبراجاً حولها . فلما أتمّها أنزل محمد على بعض جنوده بها كأنهم محافظون عليه مما عساه أن يكون .

واصطحبه محمد على معه فى قتال محمد باشا خسرو الوالى العثمانى المعزول .

---

(١) تقويم النيل ج ٣ ص ٨٢٠ . وهذا بخلاف مدرسة الولادة الملحقة بمدرسة طب أبى زعبل فقد فتحت فى عهد محمد على كما ذكرنا . وهى مدرسة فنية لموضوع خاص وليست من التعليم العام .

(٢) الكاشف يقابله المحافظ ومدير الأمن الآن . وهو أقل من الصنجق .

وعادا بالوالى أسيرا . ولما عاد الألفى من انجلترا أمكن لمحمد على - بخيانة البرديسى - الإيقاع بالألفى والعزل بينه وبين المماليك . وتشتيت أمرائهم والتفريق بينهم .

ثم سلّط محمد على العسكر على البرديسى يطلبون مرتباتهم المتأخرة . ففرض البرديسى ضرائب جديدة على أهالى العاصمة . فثار الفقراء . ومشت النساء فى الشوارع فى مظاهرات (إيش تأخذ من تفليسى يابرديسى) . وأظهر محمد على تأييده للأهالى . وكانت العسكر يقولون : إنما نحن نطالب البرديسى بحقوقنا المتأخرة .

ولم يشعر البرديسى إلا والعسكر الذين فى الأبراج التى أقامها حول داره يضربون عليه . فلم يسعه إلا الهرب إلى الصعيد .

ومع ذلك ظل معادياً للألفى حتى ماتا فى سنة واحدة . وقال الجبرتى : (وكان البرديسى ظالماً غشوماً سيىء التدبير . وقد أوجده الله جلّ جلاله . وجعله سبباً لزوال عزهم (يعنى المماليك) ودولتهم . واختلال أمرهم . وخراب دورهم . وهتك أعراضهم ومذلتهم وتشتيت جمعهم . ولم يزل على خبثه حتى مرض ومات بمنفلوط ودفن هناك)[1]

الشيخ على يوسف

وهو الاسم الذى أطلق بعد ذلك على شارع المبتديان . فهو السيد[2] على يوسف الصحفى المعروف وأحد الرواد الأوائل فى الصحافة المصرية . من مواليد بلصفورة مركز سوهاج سنة ١٨٦٣ م . وتوفى أبوه وهو صغير . فكفله أخواله ببنى عدى مركز منفلوط . ثم التحق بالأزهر حيث تلقى العلوم الدينية والأدبية التى كانت تدرس وقتذاك .

وفى سنة ١٨٨٩ انشأ جريدة المؤيد بالاشتراك مع أحمد ماضى . ثم استقلّ بالجريدة .

---

(١) ترجم أيضا على مبارك فى ذكر بلدة منفلوط حيث توفى البرديسى سنة ١٨٠٦ م (١٢٢١هـ) .

(٢) السيد لقب كان يطلق على كل شريف علوى من نسل السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول (ص) وعلوى نسبة إلى الأمام على بن أبى طالب زوج السيدة فاطمة وجد العلويين . وكان للأشراف نقابة ترعى حقوقهم وتدير ماأوقف عليهم . وظلت نقابة الأشراف حتى ألغيت بعد ثورة يولية سنة ١٩٥٢ . وأصبح (السيد) لقباً يطلق على كل مواطن ولو كان مسيحياً .

وكانت جريدة المؤيد بفضل مقالات على يوسف رائجة كل الرواج . يكتب فيها المشهورون من أعلام العصر . مثل الشيخ محمد عبده . وسعد زغلول . وقاسم أمين . وحفنى ناصف . وغيرهم وكانت تدعو إلى محاربة الاستعمار الإنجليزى . وإلغاء السخرة وتطالب بالدستور والحياة النيابية للشعب .

كما كان على يوسف من السباقين إلى توجيه الأذهان لعدم الانكباب على الملذات أو اكتناز المال . بل توجيه المال إلى الأسواق التجارية لمنافسة الأجنبى الدخيل الذى غايته من الإستعمار استغلال موارد البلاد .

كما دعا إلى ترقية الصناعات .

وحَرَّر على يوسف أسلوب جريدته من السجع الذى كان سائداً بأقلام الكتاب .

واتصل على يوسف بالخديوى عباس حلمى الثانى . فقرَّبه الخديوى إليه . لاتحاد الغاية . وهى محاربة الاستعمار الإنجليزى . وكان على يوسف يسافر كل صيف إلى استانبول ـ مثل الخديوى وأغلب أعيان القطر ـ حيث مقر الخلافة التابعة لها مصر من الجهة الرسمية .

وفى سنة ١٨٩٦ نشرت جريدة المؤيد صورة تلغراف مرسل من سردار الجيش المصرى فى السودان إلى وزير الحربية فى مصر . عن الحملة العسكرية فى دنقلة . وكان التلغراف سرياً . فاغتاظ الإنجليز . فقدموا على يوسف وأحد موظفى التلغراف للمحاكمة . ولكن المحكمة بَرَّأت على يوسف ابتدائياً واستئنافياً . مما زاد فى غيظ الإنجليز ودعاهم إلى زيادة ثلاثة مستشارين انجليز بمحكمة الاستئناف . ليزداد عددهم . ويكون الحكم على أعداء الاحتلال أمراً سهلاً كتعبير المؤيد فى ١٨٩٦/٨/١٧ .

واهتم المصريون بهذه القضية كثيراً . وكانت تزدحم بهم قاعة المحاكمة . وعُرفت القضية بقضية التلغراف .

واشتهر على يوسف بقضية أخرى . هى قضية زواجه بالسيدة صفية بنت السادات . فقد خطبها من أبيها . فقبل بعد تردد . ثم عدل فماطل فى إتمام الزفاف . وطال الأمر بخطوبة على يوسف أربع سنوات . فلجأ إلى السيد محمد

توفيق البكرى[1] . فساعده . وتم عقد قران على يوسف بالسيدة صفية . وكانت رشيدة أى غير قاصر - فى منزل البكرى بالخرنفش . واغتاظ الشيخ السادات . فرفع قضية يطلب فيها التفريق بينهما لعدم التكافؤ . وحكمت المحكمة ابتدائياً واستئنافياً لصالح السادات بفسخ العقد والتفريق بين الزوجين[2] .

ثم تدخل وسطاء الخير فاصطلحوا على أن يعقد عقد جديد سنة ١٩٠٥ .

ومن المصادفات أن المحامى عن السيدة صفية فى هذه القضية كان الشيخ عز العرب الذى حل اسمه محل اسم الشيخ على يوسف فى شارع المبتديان .

الجامعة المصرية :

وكانت جريدة المؤيد من الداعين إلى إنشاء الجامعة المصرية . وكانت فكرة إنشائها تراود الأذهان وتتردد بأقلام الكتاب من سنة ١٩٠٣ . ودعا لها مصطفى باشا كامل وآخرون .

وفتح باب الاكتتاب . فكانت القائمة الأولى ٤٥٨٥ جنيهاً بخلاف التبرعات العينية مثل الأطيان . واجتمع الكثيرون فى منزل عزتلو (أى صاحب العزة) سعد بك زغلول بالأنشاء فى ١٩٠٦/١٠/٢أ وقرروا انتخاب اللجنة التحضرية وتأجيل انتخاب الرئيس والدعوة للمشروع فى جميع الصحف . وتسمية الجامعة بالجامعة المصرية .

وفى ١٩٠٧/١/٢٠ نشرت جريدة المؤيد مقالاً جريئاً تدعـو فيه العنـاصر التركية والشركسية الموجودة فى مصر إلى المساهمة فى المشروع اعترافاً بجميل مصر . وتشبُّها بأسلافهم الذين شيَّدوا العمارات الشامخة من جوامع ومساجد للعبـادة .

---

(١) السيد محمد توفيق البكرى كان نقيبا للأشراف . وكان زميلا للخديوى عباس فى الدارسة . فعينه فى يناير سنة ١٨٩٢ فى مشيخة الطرق الصوفية . كما عينه فى مايو عضواً بمجلس شورى القوانين . ثم فى أبريل سنة ١٨٩٥ صُرف البكرى عن نقابة الأشراف وأضيفت على السيد على البيلاوى . وظل البكرى شيخاً لمشايخ الطرق الصوفية .

(٢) لعل فى هذا ما يعطينا فكرة عن النظرة لمهنة الصحافة فى ذلك الوقت .

ومدارس لنشر وتقرير العلوم والفنون . وملاجيء للفقرة والعجزة . . الخ . وفى هذا تلميح بأن الأسرة المالكة لم يتبرع أعضاؤها بشيء للمشروع[1].

جمعية الهلال الأحمر :

وفى سنة ١٩١١ أنشأ على يوسف جمعية الهلال الأحمر المصرى : لمساعدة الجرحى والمرضى فى حرب تركيا مع ايطاليا فى طرابس (ليبيا) . وكان الهلال الأحمر أنشيء فى تركيا سنة ١٨٧٦ أثناء حرب تركيا مع الصرب .

وتوفى الشيخ على يوسف سنة ١٩١٣ عن خمسين عاماً . ورثاه الكتاب والشعراء ومنهم حافظ بك إبرهيم بقصيدة . منها[2] :

أقام فينا عصامياً فعلّمنا — معنى الثبات ومعنى الجد والدأب
وراح عنا ولم تبلغ عزائمنا — مدى مناها ولم تقرب من الأرب

ولم تشأ بلدية القاهرة أن تترك الشيخ على يوسف مستقراً مكانه فى شارع المبتديان فنقلت اسمه إلى شارع المنيرة . المتفرع من شارع المبتديان . وأصبح شارع المنيرة سابقاً اسمه الآن شارع الشيخ على يوسف . كما أصبح اسم شارع المبتديان سابقاً الآن شارع محمد بك عز العرب .

شارع أفراح الأنجال :

ثم نجد جنوبى شارع محمد عز العرب (المبتديان) شارعاً صغيراً يصل مابين شارعى القصر العينى وعلى يوسف (المنيرة سابقاً) اسمه شارع أفراح الأنجال . وهو جنوبى دار مجلة روزاليوسف .

والاسم يرجع إلى انجال الخديوى إسماعيل كما سبق ذكره :

ففى ١٦ ذى القعدة سنة ١٢٨٩هـ (يناير سنة ١٨٧٣) بدأت أفراح زفاف

---

(١) جامعة القاهرة – دائرة معارف الشعب ج٤ ص٦٦٢ (بحث للدكتور خليل صابات) . وقد ذكرنا فى ترجمة سعد باشا زغلول أن تعيينه ناظراً للمعارف سنه ١٩٠٦ كان لصرفه عن الأشتغال بمشروع الجامعة .
(٢) الشيخ على يوسف – دائرة معارف الشعب المجلد الخامس ص٥٢ مقال للدكتور جمال الدين الرمادى .

ثلاثة أمراء وأميرة من أولاد الخديوى إسماعيل على ثلاث أميرات وامير من الأسرة الحاكمة . وهم :

١ - محمد توفيق (الخديوى) بن إسماعيل
تزوج أمينة بنت إلهامى بن عباس حلمى الأول بن طوسون بن محمد على

٢ - حسين كامل (السلطان) بن إسماعيل
تزوج عين الحياة بنت احمد (أخى إسماعيل) بن ابراهيم باشا بن محمد على .

٣ - حسن باشا بن إسماعيل
تزوج خديجة بنت محمد على الصغير بن محمد على الكبير

٤ - فاطمة بنت إسماعيل
تزوجت طوسون بن سعيد باشا (الوالى) بن محمد على الكبير

واستمرات الأفراح أربعين يوماً باعتبار عشرة أيام لكل فرح . ويُذل فيها من البذخ والقصف مالا مزيد عليه . وكان مقرها محل كلية دار العلوم . وكلية تجارة عين شمس بحى المنيرة أمام القصر العالى بجاردن سيتى حيث كانت تقيم والدة إسماعيل .

وفى ١٧ ذى القعدة خرج شوار (جهاز) الأميرة امينة من القصر العالى وبه هدايا والدة إسماعيل وغيرها . فسير به إلى قصر القبة بحراسة آلاى مشاة تتقدمه جوقة موسيقية . والهدايا موضوعة فى سلالات مكشوفة . فوق عربات مكسوة بالقصب على مخدات من القطيفة المزركشة بالذهب والماس . ويُغَطِّيها شاش فاخر يمسك بأطرافه أربعة من الجنود لكل عربة . ويتبعهم الضباط بملابسهم الرسمية . والسيوف مشهرة بأيديهم . والهدايا عبارة عن مجوهرات من أفخر أنواع الماس البرلنتى والأحجار الكريمة وأرقى الأذواق . ومناطق من الذهب الخالص ومنسوجات مطرزة باللؤلؤ والزمرد فى حجم البيض (!!) وملابس بيضاء مطرزة باسم الأميرة باللآلىء والأحجار الكريمة . وأوانى متنوعة من الفضة الخالصة بكمية عظيمة . وثمن ذلك يفوق العد والحصر[1]

وكذلك كان شوار باقى الأميرات من حيث الفخامة والنفاسة .

---

(١) تقويم النيل ح٣ ص١٠٣٦

ومن الهدايا هدية إسماعيل لابنه توفيق : سرير من الفضة العصب الخالصة مثل الذى أهداه إسماعيل لأوجينى امبراطورة فرنسا فى حفلة افتتاح قناة السويس . محلى بماء الذهب . وأعمدته الضخمة مرصعة بالماس والياقوت الأحمر والزبرجد والفيروز .

وفى ١٨ ذى القعدة أقيم سباق بالعباسية . وأقيم بعده مقصف فاخر للمدعوين حوى كل مالذ وطاب . وفاقت أصناف مأكولاته ومشروباته كل ماظهر من نوعها فى المقاصف الخديوية إلى ذلك الحين.

وفى ١٩ ذى القعدة أقيمت حفلة راقصة بسراى الجزيرة(٢). دُعى إليها ما يقرب من الخمسة آلاف مدعو من أعيان المصريين والأجانب . وأنير الطريق من عابدين إلى قنطرة قصر النيل (كان الكوبرى قدتم) ثم إلى قصر الجزيرة بفوانيس من الورق الزاهر . ونُشر الكثير من الفوانيس بطرقات الحديقة المحيطة بالسراى .

وبعد الرقص جلس المدعوون على الموائد العديدة الفاخرة . حيث قدم لهم أشهى الطعام والشراب . وذكر أمين باشا سامى فى تقويم النيل أنه كان طالباً بمدرسة المهندسخانة وقتذاك وشاهد هذه الأفراح . وتحقق أن كثيرين من الأعيان تقدموا للخديوى إسماعيل بالهدايا المختلفة مما ساعد على الأفراط فى الولائم الفاخرة .

وأقيمت المسارح والملاعب فى المنيرة . ودُعى جميع المطربين والفنانين بتخوتهم (جمع تخت وهو الفرقة الموسيقية) للترفيه عن الجمهور . كما مُدَّتْ الحبال فى الساحات ليلعب عليها البهلوانات .

وكانت الصواريخ تطلق كل ليلة إمعاناً فى الابتهاج . ودام هذا أربعين يوماً وهكذا كان دأب إسماعيل إسراف يفوق الحد فى كل متعة حتى أضاع نفسه وأخرب البلاد .

ولعل هذه الأفراح هى التى أطلقت على هذا الحى اسم المنيرة . ولم يكن مزدحماً بالمبانى كالآن . بل كانت به فراغات كثيرة .

---

(٢) آلت سراى الجزيرة إلى ال لطف الله ثم أصبحت أخيرا فندق عمر الخيام . وكانت السراى وحدائقها ٦٠ فدانا وتكلفت ٨٩٨٦٩١ جنيها (خطط على مبارك ج١ ص٨٤)

وقد وضع المرحوم رفاعة بك رافع كتابا أسماه (الكواكب المنيرة فى أفراح العزيز المقمرة) تكلم عن هذه الأفراح . ووضع أبياتاً من الشعر . الشطر الأخير من البيت الأخير به تسجيل تاريخ هذه الأفراح :

وطاب زمان الأنس عيشاً فأرخوا　　زهت بكمال السعد أضواء أفراح

٨٠　٨٠٠　—　٢ ٤٠٧

=١٢٨٩هـ[1]

شارع أمين باشا سامى :

جنوبى شارع أفراح الأنجال نجد شارع أمين باشا سامى يصل بين شارعى القصر العينى والمنيرة .

وأمين باشا سامى تخرج من مدرسة المهندسين (المهندسخانة كما كانت تسمى) فى ١٨٧٤/١٢/٩ (غرة ذى القعدة سنه ١٢٩١هـ) وعُين مدرساً للحساب والطبوغرافيا بمدرسة بنى سويف . وقائماً بأنشاء فرقة مساحة بها . ومساعداً للضبط بمرتب شهرى قدره ٤٠٠ قرش فقط اربعمائة قرش . وتدرج فى المناصب حتى عين ناظراً للمدرسه الناصرية الابتدائية لغاية سنه ١٩١٤[2] (وكان مقرها بهذا الشارع مكان كلية تجارة عين شمس)

ثم عين عضواً فى مجلس الشيوخ . وتوفى سنه ١٩٤١ عن ٨٤ عاماً . وله مؤلفات (تقويم النيل) و (تاريخ التعليم)

وكان شارع أمين باشا سامى اسمه شارع المدرسة - يعنى المدرسة الناصرية المذكورة . وسميت الناصرية لقربها من حى الناصرية .

المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية :

وفى نهاية شارع أمين باشا سامى نجد المعهد الفرنسى للآثار الشرقية

---

(١) ذكرنا فى الفصل الخامس من القسم الأول فى ترجمة عبد الرحمن كتخدا عند الكلام عن قنطرة اللذى كفر حساب الجمل وطريقة احتسابه . وكانت فى المشرق العربى العراق وما شرقيه طريقة أخرى غير التى ذكرناها . وهى احتساب الحروف المعجمة فقط (أى المنقوطة) وما تساويه هذه الحروف المعجمة من الأرقام حسبما سبق ذكره . وهذه الطريقة هى المحتسبة فى البيت الذى وضعه رفاعه رافع وتسمى طريقة العجم (من مقال للمؤلف نشر بمجلة الأزهر فى ربيع الأخر سنه ١٣٩٣ (مايو سنه ١٩٧٣)

(٢) نقلت مدرسه الناصرية فى اثناء الحرب العالمية الأولى إلى سراى سعيد باشا حليم الصدر الأعظم بتركيا (وهو من أسرة محمد على) بجهة معروف مقرها الحالى . واستعمل الانجليز مكانها السابق مستشفى للجنود .

ومن المصادفات أن مكان هذا المعهد حيث شَنق الفرنسيون سليمان الحلبى وزملاءه بعد محاكمتهم بقتل القائد الفرنسى كليبر .

وأنشىء هذا المعهد بقرار من الحكومة الفرنسية سنه ١٨١١ . وكان عند انشائه بشارع القلعة (محمد على سابقاً) بالقرب من العتبة الخضراء . ثم انتقل سنه ١٨٨٤ بجوار المتحف المصرى ببولاق .

وفى سنه ١٩٠٧ أمكن إنشاء المعهد فى مكانه الحالى . وأُنشئت بجواره مدرسة الحقوق الفرنسية . وبذلك ضمن المعهد إيراداً ثانياً بما كان يتقاضاه من إيجار مدرسة الحقوق حيث هو الذى أنشأها .

وهو ليس معهداً بالمعنى المعروف . وعدد الدارسين فيه لا يتجاوز العشرة . ويعينون من الحكومة الفرنسية بشروط معينة

وفى سنه ١٩٥٦ بعد العدوان الثلاثى وُضع المعهد تحت الحراسة . ولما عادت العلاقات السياسية بين مصر وفرنسا تصرح للمعهد سنه ١٩٦٣ بمعاودة نشاطه

وكان إهتمام المعهد أولا بدراسة الآثار المصرية القديمة من ناحية . ومن ناحية أخرى الدراسات الشرقية والأسلامية . وبإنشاء معاهد أخرى فى بلاد الشرق اقتصر نشاط المعهد على دراسة الآثار المصرية الفرعونية . وازداد اهتمامه أخيراً بالآثار العربية والإسلامية فى مصر .

وبالمعهد مطبعة بها حروف هيروغليفية وعبرية ويونانية وقبطية ولاتينية وحِمّيرية فضلاً عن العربية كما أن به مكتبة بها مايقرب من ٦٠٠٠٠ ستين ألف مجلد .

ونشاط المعهد الآن مقصورعلى نشر أبحاث ودراسات مع بعص أعمال التنقيب عن الآثار .

شارع إسماعيل باشا صبرى :

وبعدشارع أمين باشا سامى نجد عدة شوراع متفرعة من شارع القصر العينى سبق ذكر بعضها فى أول هذا الفصل مثل شارع عبد الرحيم البيسانى وشارع منظرة السكرة وشارع بستان الفاضل . وشارع المواردى وشارع الرشيدى سبق ذكرها فى الفصل الخاص بالقصر العينى . (راجع الخريطة فى آخر هذا الفصل)

ثم نجد شارع إسماعيل باشا صبرى وهو جنوبي شارع الدكتور على باشا إبرهيم الذى كان آسمه شارع مدرسة الطب .

وإسماعيل باشا صبرى (١٨٥٤ - ١٩٢٣) تولى عدة وظائف كبرى مثل النائب العام ومحافظ الأسكندرية وأخيراً وكيل وزارة الحقانية (العدل) قبل إحالته على المعاش .

ولم تكن هذه الوظائف سبب شهرته . ولكنه اشتهر بكونه شاعراً من الطراز الجيد حتى أن شوقى بك وحافظ بك ابرهيم كانا يعرضان عليه قصائدهما ويقدران رأيه فيها .

وكان صادق الوطنية . فقد رفض وهو محافظ الأسكندرية الاشتراك فى تشييع جنازة أحد أعيان الإفرنج بها الذى أثرى ثراءاً فاحشاً فى مصر . ولم يذكر مصر فى وصيته بأى شىء وقال إنه لا يستحق التكريم من أى مصرى .

وتناول فى شعره شتى النواحى من غزل ورثاء وتصوف وأحداث جارية ولُحنت بعض أشعاره للمغنين . كما وضع (أشعاراً) باللغة العامية .

فمن أشعاره فى الغزل يخاطب المرأة الجميلة :

إن هذا الحسن كالماء الذى   فيه للأنفس رى وشفاء
لاتردى بعضاً عن ورده   دون بعض واعدلى فى الظماء

وفى الرثاء يرثى ولداً صغيراً للشيخ على يوسف اسمه عمر :

يامالىء العين قدراً والفؤاد هوى   والبيت أنسا تمهل أيها القمر
لاتخل أفقك يخلفك الكلام به   والزم مكانك لايحلل بك الكدر

وقال فى ختامها :

وارحل تشيعك الأرواح جازعة   فى ذمة الله بعد القبر ياعمر

ومن شعرة فى التصوف :

يارب أهلنى بفضلك واكفنى   شطط العقول وفتنة الأقدار
ومر الوجود يشف عنك لكى أرى   غضب اللطيف ورحمة الجبار

يـاعـالم الأسـرار حسبى محنـة | عـلمى بـأنـك عـالم الأسـرار
أخلق بـرحمتك التى تسع الورى | ألا تـضيـق بـأعـظم الأوزار

ومن مأثور قوله :

آه لـو عـقـل الـشبـاب | وآه لـو قـدر المـشيـب

وحينما اشتد به المرض فى آخر حياته . تمنى الموت فقال يخاطبه :

بيـنى وبـيـنـك خـطوة | لـو تخـطهـا فـرَّجتَ عنى

رحمه الله[1] .

عود إلى بدء :

ذكرنا فى أول هذا الفصل أن هناك خمسة شوارع رئيسية تتفـرع من شارع القصر العينى . وقصدنا بكلمة رئيسية أنها تمتد شرقاً إلى ما بعد التقاطع مع سكة حديد حلوان .

وذكرنا من هذه الشوارع الخمسة شارع المبتديان (محمد عز العرب) وشارع مجلس الشعب كما ذكرنا أن شارع إسمـاعيل أبـاظة مـوضع الكـلام عنه فى حى الناصرية .

يبقى شارعان هما شارع محمد باشا محمود (القاصد سـابقاً) والشيـخ ريحان (السلطان حسين سابقاً)

شارع محمد باشا محمود (القاصد سابقاً) :

يبدأ من ميدان التحرير . وينتهى إلى شارع قَوَلَه بعابدين . ويأوله من جهة ميدان التحرير الجامعة الأميركية .

ولم يكن هذا الشارع واصلاً إلى ميدان التحرير بل كان يصل إلى شارع قدادار السابق ذكره أمـام الجامعـة الأميريكيـة . ثم مُدَّ فى أواخـر الأربعينات أو أوائـل الخمسينات إلى ميدان التحرير .

---

(١) من مقال للدكتور محمد حسين هيكل باشا بالسياسة الأسبوعية العدد ١٠٥ فى ١٩٢٨/٣/١٠

وكـان اسمه شـارع القاصـد نسبة إلى ضـريح اسم صـاحبه الشيـخ محمد القاصد . والضريح ليس بهذا الشارع بل بشارع يقطعه كان اسمه شارع الشيخ عبد الدايم والآن أسمه شارع عبد العزيز جاويش نسبة للوطنى المجاهد المعروف .

والقاصد وعبد الدايم مجهولا التاريخ .

وقد ذكرنا فى ترجمة عبد الرحمن كتخدا القازدوغلى فى الفصـل الخامس من القسم الأول فى الكلام على قنطرة الذى كفر أنه أنشأ قصراً على النيل وأن موقع هذا القصر كان بالقرب من ميدان التحرير . وأنه هدم سنه ١٢٥٠هـ(١٨٣٤م) وذكرنا أيضاً فى ترجمة...... محمد بك لاظأوغلى أن كلمة أوغلى معنى آل أى من أسرة فلان . فيكون القازدوغلى معناها آل القازد . وربما محرفة من آل القاصد . وربما مجرد تشابه .

ترجمة محمد باشا محمود :

أحد رجال مصر البارزين . وكان له دور هام فى ثورة سنه ١٩١٩ . اجتمع فى منزله فى ١٨ سبتمبر سنه ١٩١٨ الزعماء سعد زغلول وعلى شعراوى وعبد العزيز فهمى وأحمد لطفى السيد . لدراسة موقف مصر بعد انتهاء الحرب . وفى ١٣ نوفمبر ١٩١٨ ذهب سعد زغلول وعلى شعراوى وعبد العزيز فهمى لمقابلة ونجت المعتمد البريطانى بطلب التصريح بالسفر إلى أوربا لعرض طلبات مصر على مؤتمر الصلح بفرساى كما ذكرنا فى ترجمة سعد باشا . وكان عضواً فى الوفد المصرى الذى سافر بعد ذلك إلى أوربا .

واعتُقل مع سعد زغلول وإسماعيل صدقى وحمد الباسل ونفوا إلى مالطه فى ٨ مارس سنه ١٩١٩ مما أدى إلى اندلاع الثورة سنه ١٩١٩ فى ٩ مارس . ثم اضطرت إنجلترا للأفراج عن المعتقلين والتصريح للوفد بالسفر فى ٧ أبريل .

وأوفده الوفد سنه ١٩١٩ إلى الولايات المتحدة الأميريكية للدعايـة للقضية المصرية .

واستقال محمد محمود من الوفد على أثر الخلاف بين سعد زغلول وعدلى يكن على رئاسة وفد المفاوضات . وألف عدلى يكن حزب الأحرار الدستوريين . وكان محمد محمود وكيله . ثم لما ضعفت صحة عدلى يكن تولى رئاسته .

وألف وزارته الأولى سنه ١٩٢٨ . وقام بالمفاوضات مع هندرسون وزير خارجية إنجلترا . وفشلت المفاوضات . وأبرم اتفاقية مياه النيل لتوزيع مياهه بين مصر والسودان . وألف وزارته الثانية سنه ١٩٣٧ . ثم رأس المعارضة بمجلس النواب إلى أن توفى سنه ١٩٤١ .

وكان له قصر كبير بشارع الفلكى تحيط به حديقة واسعة هدم منذ بضع سنوات وبيعت أرضه وأنقاضه بما يقرب من مائتى ألف جنيه . ولوظل للآن (١٩٧٦) لتضاعف الثمن عشر مرات على الأقل .

وترك من الأولاد ولدين وبنتاً : الأستاذ محمود محمد محمود كان رئيس ديوان المحاسبة قبل سنه ١٩٥٢ . وهو زميلى فى الدراسة فى الناصرية الإبتدائية والخديوية الثانوية وكلية الحقوق إلى أن تخرجنا سوياً سنه ١٩٣٠ . والمرحوم المهندس همام محمد محمود استاذ بكلية الهندسة بجامعة القاهرة . والسيدة زوجة المرحوم كامل بك عبد الرحيم وزير مصر المفوض فى واشنطن سابقاً .

شارع الشيخ ريحان :

وهو شارع طويل يبدأ من جاردن سيتى ويقطع شارع القصر العينى . ويستمر شرقاً حتى يقطع شارع عماد الدين . ثم يمتد شرقاً بالحد الجنوبى لسراى عابدين . حتى يقطع شارع الخليج لغاية ابتداء سكة راتب باشا الكبير عند مدخل الحلمية الجديدة . وبهذا يبلغ طوله ١٦٥٠ متراً تقريباً .

وقد ذكر على باشا مبارك أن طوله ٢٨٠ متراً فقط وقال أنه يبدأ من شارع البلاقسة وينتهى بحارة السقائين . وقد تغيرت أوضاع هذه الأسماء . وما ذكره على مبارك هو جزء فقط من الشارع الآن .

واسم الشيخ ريحان يرجع إلى أن بوسطه تقريباً زاوية بها ضريح بهذا الاسم موقعها بين زاوية الشيخ عماد الدين وزاوية الشيخ عبد الله . على يسار الذاهب إلى عابدين بعد وزارة الداخلية بقليل .

ولم يترجم على مبارك الشيخ ريحان . واكتفى بترجمة الشيخ عبد الله بأنه من نسل الحسين بن على بن أبى طالب . ولم أعثر على ترجمة لهما .

أما الشيخ عماد الدين فسنتكلم عنه فى الفصل الخامس من هذا القسم الخاص بالأزبكية بإذن الله .

وبعد وفاة السلطان حسين كامل سنه ١٩١٧ أطلق إسمه على شارع الشيخ ريحان . ثم بعد ثورة سنه ١٩٥٢ وانقضاء الملكية اعيد اسم الشيخ ريحان إليه .

وكان هناك شارع كبير إسمه شارع الشيخ عبد الله يتفرع من شارع الشيخ ريحان مقابل زاوية الشيخ عبدالله . وتغير إسم هذا الشارع الآن إلى شارع مصطفى باشا كامل .

وكان يجدر أيضاً تغيير اسم الشيخ ريحان إلى اسم علم من أعلام التاريخ المصرى بدلاً من اسم أصبح مجهول التاريخ .

رسم كروكى (٢)

عن أحياء المنيرة . والإنشاء وفم الخليج

ش. محمد محمود باشا
ش. الشيخ ريحان
(السلطان حسين سابقا)
ش. مجلس الشعب
ش. حسين حجازي
ش. سعد زغلول باشا
ضريح سعد
ش. اسماعيل اباظة
ش. صفية زغلول
ش. امين باشا
ش. عبد الرحيم
ش. منظور
ش. المواردي
ش. بستان الفاضل
ش. الرشيدي
ش. اسماعيل باشا صبري
ش. الموردة
ش. معمل البارود
ش. بستان الخشاب
ش. السبع سقايات
الخليج المصري
ش. السد البراني
ابو الريش
عقبة محمد المسري
جزيرة الروضة
ميدان فم الخليج
السبع سواقي
ش. مجرى العيون

الفصل الرابع

مجرى العيون - السبع سقايات - سكة حديد حلوان

إذا وقفنا فى ميدان فم الخليج متجهين إلى شارع القصر العينى . نجد على اليمين شارعا صغيرا اسمه شارع قنطرة فم الخليج . وهو اسم واضح لا يحتاج إلى تعريف .

ونجد شارع السد البرانى يتجه إلى الشمال الشرقى فى خط مستقيم تقريبا حتى ينتهى إلى ميدان السيدة زينب غربى مسجدها . ويكوّن مع شارع القصر العينى مثلثا رأسه فى ميدان فم الخليج .

وشمال هذا الالتقاء بقليل يبدأ شارع السبع سقايات . متجها إلى الشمال بين شارعى القصر العينى وسكة حديد حلوان وموازيا لهما .

وكان الخليج المصرى يبدأ من النيل عند الميدان المذكور . ولكن قطع جزءا منه توسيع شارع القصر العينى . ثم سكة حديد حلوان . والآن يبدأ شارع الخليج شرقى سكة حديد حلوان ملاصق لها . ثم يسير فى اتجاه شارع السد تقريبا . مع بعض الانحناءات . حتى يتلامسا عند مقام الشيخ محمد السُّدِّى المعروف بأبى الريش . ثم يفترقان . فبينما شارع السد يتجه نحو الشمال الشرقى فى خط مستقيم تقريبا حتى ميدان زينب . إذا بشارع الخليج يتجه شمالا فى خط شبه مستقيم موازى

لسكة حديد حلوان . حتى قرب جنوب شارع محمد عز العرب (المبتديان سابقا)عند مطابع دار الهلال . ثم ينثنى فى شبه قوس متجها إلى الجنوب الشرقى نحو ميدان السيدة (١) .

وقديما اقتضى نظام الرى بالحياض إقامة الجسور . وهذا أيضا لحماية المدن من مياه الفيضان .

فكان هنالك جسر من جسور النيل فى موقع الجزء الشمالى من شارع السد حتى ميدان السيدة . ثم يتجه شرقا نحو موقع القلعة فى اتجاه شارع عبد المجيد اللبان (مراسينا سابقا) وكان يسمى الجسر الأعظم . أما الجزء الجنوبى من موقع شارع السد فقد كان من المجرى القديم للنيل ومما هو غربيه من الاراضى .

ثم لما تحول النيل غربا فى القرنين السادس والسابع الهجريين . مدَّ الصالح نجم الدين أيوب حوالى سنة ٦٤٠هـ الخليج الى المجرى الجديد للنيل . كما ذكرنا . وما استجد شرقى الخليج كان يعرف ببستان الحارة نم حكَّره أقبغا عبد الواحد فعرف بحكر آقبغا (٢) .

وما استجد غربى الخليج عُرف باسم بستان الحِلِّى(٣) وبستان الخشاب ومنشاة المهرانى .

وفى الطرف الجنوبى الغربى لميدان فم الخليج نجد السبع سواقى ومبدأ مجرى العيون . وهى مجراة تحمل الماء من النيل إلى القلعة . والمجراة محمولة على أكتاف معقودة . وترفع السواقى المياه من البئر الآخذة من النيل إلى أعلى هذه العقود . حيث المجراة . فتحمل المياه إلى القلعة .

وقد ذكر المقريزى(٤) أن الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٢هـ(١٣١٢م) أنشأ

---

(١) راجع الرسم الكروكى فى أول الفصل.

(٢) يوجد الآن شارع عبد الرحمن شكرى (أقبغا عبد الواحد سابقاً) يصل بين شارعى الوافدية والأربعين شرقى الخليج . وأقبغا المذكور كان من امراء دولة الناصر محمد بنقلاوون . وقيل زوج أخته . أو أخو زوجته . وهو منشىء المدرسة التى أدخلها عبد الرحمن كتخدا ضمن مبانى الأزهر الحالية . وهى على يسار الداخل من الباب الرئيسى ومعروفة باسم الأقبغاوية . وبها مكتبة الجامع الأزهر . كما سبق ذكره.

(٣) الحلى نسبة إلى القاضى بهاء الدين الحلى ناظر الجيش فى عهد الناصر محمدبن قلاوون.

(٤) خطط المقريزى جـ ٢ ص ٢٣٠ .

أربع سواقى على بحر النيل تنقل الماء إلى السور (يعنى سور صلاح الدين) ثم من السور إلى القلعة .

وذكر ابن إياس فى بدائع الزهور فى حوادث سنة ٧١٨هـ أن الناصر أجرى ماء النيل من البحر إلى قلعة الجبل . وعمل مجراة جارية على قناطر مبنية من الحجر . وركزً للمياه آبارا . وجعل عليها سواقى نقالة فى عدة أماكن .

وفى سنة ٧٢٨هـ عزم الناصر على حفر خليج من حلوان إلى جهة القلعة ـ عن طريق الجبل - ليُغَذِّيها دواما بالماء . ثم يتجه الخليج نحو الجبل الأحمر لإمكان زراعة الأرض هناك . ولكنه عدل عن هذه الفكرة لمَّا أبدى له مستشاروه ما يتكلفه تنفيذها من وقت ومال (١) .

وفى سنة ٧٤١هـ اهتم الناصر ثانية بإكثار المياه فى القلعة لما اتسع بها من زراعة البساتين التى أنشأها . فأمر بحفر بئر أخرى على الساحل ليركب عليها قناطر تتصل بالقناطر العتيقة فيتخد ماؤهما ويكثر .

والقناطر العتيقة كانت على سور القلعة الذى أنشأه بهاء الدين قرة قوش الأسدى فى عهد صلاح الدين . على أن يتصل السور بسور الفسطاط جنوبا . وبسور القاهرة الفاطمية شمالا . ولم يتم (٢) .

ثم أراد الناصر حفر خليج من النيل وسط بساتين بهاء الدين بن حنًا (٣) عند أثر النبى إلى حائط الرصد . ويحفر هناك عشر آبار يصب فيها الخليج المذكور . وتُركبَّ على الآبار عدة سواقى لتنقل الماء إلى القناطر العتيقة . وعُرفت السواقى المذكورة باسم سواقى السلطان . وانتدب لتنفيذ المشروع أقبغا عبد الواحد . فنزع ملكية الأراضى والأملاك المعترضة . وحفر الخليج بعمق أربع قصبات (١٥ متر تقريبا) عند المأخذ . وحفر الآبار بعمق أربعين ذراعا . وتوفى الناصر قبل اتمام المشروع . فأهمل وأبطل . وطُمَّ الخليج وردم .

---

(١) هذه الفكرة جديرة بأن تدرس الآن . ولكن ليس لتوصيل المياه للقلعة . ولكن لرى واستصلاح الأراضى القابلة للزراعة شرقى مدينة نصر حتى السويس .

(٢) جامع السلطان حسن وما حوله للمرحوم الأستاذ حسن عبد الوهاب .

(٣) ذكرنا ترجمته فى أول الفصل السابق .

وقال المقريزى : وبقيت منه إلى (اليوم) [1] قطعة بجوار رباط الآثار . ومازالت الحائط قائمة فى غاية الاتقان وجودة الصنعة . حتى هدمه الأمير يلبغا السالمى سنة ٨١٢هـ . ورمم به القناطر العتيقة التى تحمل الماء إلى القلعة . وجُهل موضع الخليج والسواقى المذكورة . اهـ .

وذكر ابن إياس عند الكلام على أعمال الظاهر برقوق المتوفى سنة ٨٠١هـ أنه جدَّد عمارة المجراة التى تجرى من بحر النيل إلى قلعة الجبل . ولكنه لم يحدد تاريخ هذا التجديد .

والواقع أن المجراة التى آثارها باقية للآن هى غير الجراة التى أقامها الناصر محمد بن قلاوون .

فقد ذكر ابن إياس فى حوادث سنة ٩١٢هـ(١٥٠٦م) ـ وكان معاصرا لها ـ أن السلطان الغورى أبطل المجراة القديمة التى كانت عند درب الخولى بمصر العتيقة . وشرع فى بناء مجراة جديدة . فجمع المهندسين . فاختاروا أن يكون مبلؤ ها عند موردة الخلفاء[2] بالقرب من الجامع الجديد . فأنشأ هناك بئرا . وجعل لها مسربا من النيل . وجعل على هذه البئر سواقى نقالة . وأنشأ من هناك مجراة على قناطر معقودة . على دعائم . متصلة إلى باب الزغلة . ومن هناك تصل إلى الميدان والقلعة . فجاءت هذه المجراة من العجائب والغرائب . ولكن صُرف على بنائها مالا يُحصر من الأموال . وغالبه من وجوه الظلم والمصادرات . اهـ .

وقال فى حوادث سنة ٩١٤هـ : كان انتهاء العمل من المجراة التى أنشأها السلطان كما تقدم . فدارت هناك الدواليب (أى السواقى) وجرى الماء فى المجراة حتى وصل إلى الميدان تحت القلعة . ثم إن السلطان عمل هناك سواقى نقالة . وبنى ثلاثة صهاريج تمتلىء بماء النيل برسم المماليك الذى يلعبون الرمح فى الميدان . وشرع فى بناء بحرة (أى بحيرة) فى وسط ذلك البستان الذى أنشأه بالميدان . فكان طول تلك البحرة أكثر من أربعين ذراعاً . وقيل أكثر من ذلك . وبنى هناك عدة

---

(١) المقريزى توفى سنة ٨٤٥هـ (١٤٤١) .

(٢) يوجد شارع متفرع من شارع القصر العينى مواجه شارع معمل البارود بالقرب من ميدان فم الخليج اسمه شارع الموردة (راجع الرسم الكروكى فى أول الفصل) .

مقاعد ومناظر مطلات على ذلك البستان . وفك رخام قاعات الأتابكى أزبك[1] ونقل ذلك إلى الأماكن التى أنشأها بالميدان . وصارت البحرة تمتلىء كل يوم بماء النيل وفائضها يسقى البستان .

فكأن المجراة التى آثارها باقية للآن والمعروف مجراها بشارع مجرى العيون هى من إنشاء السلطان الغورى سنة ٩١٢ هـ (١٥٠٦) .

ومجرى العيون الحالى يتجه شرقاً بجنوب . مع بعض الانحناءات البسيطة . حتى آثار طابية قديمة بالقرب من نهاية شارع الأشرف عند جبانة السيدة نفيسة بطول ٢٢٠٠ متر تقريباً . ثم يتجه شمالاً بشرق حتى باب القرافة أو باب السيدة عائشة أو باب قايتباى بطول ٩٠٠ متر تقريباً .

هكذا ذكرت مصلحة المساحة الاسماء الثلاثة فى خريطتها للقاهرة سنة ١٩٥٢ . فهو باب القرافة الصغرى من أنشاء السلطان قايتباى سنة ٩٠١هـ (١٤٩٥م) وتسميه العامة باب السيدة عائشة لقربه من مسجدها[2] .

وعند ملتقى الجزء الأول بالثانى نجد آثار مجرى عيون آخر قادم من الجنوب الشرقى . وطول الآثار الباقية الآن من هذا المجرى الفرعى ما يقرب من ٧٠٠ متر . ولعلها من آثار مجرى الناصر محمد بن قلاوون الذى أنشأه سنة ٧١٢هـ .

وقد ذكرت الدكتورة سعاد ماهر فى كتابها (القاهرة القديمة ص ٤٠) أن رأس المجرى مساحته ٦٢,٨٥ م.م. على شكل سداسى . وداخله شكل سداسى آخر . بوسطه عمود . ويحيط بالشكل السداسى الداخلى ستة عقود ترتكز على أكتاف .

---

(١) ازبك بن ططخ المنسوب إليه حى الأزبكية وستتكلم عنه فى الفصل التالى بأذن الله .

(٢) قبر الأمام السيوطى وتحقيق موضعه لاحمد باشا تيمور . وخطأ على مبارك فى تسمية الباب المذكور بوابة حجاج الخضرى . كما خطأ مصلحة المساحة وبلدية القاهرة فى تسمية الشارع الآخذ من باب القرافة المذكور بشارع القرافة الكبرى . فصحته القرافةالصغرى . فالكبرى كانت شرقى الفسطاط . أما الصغرى فقد بدأت بإنشاء السلطان الكامل الإيوبى قبة الإمام الشافعى . وامتدت شمالاً بعد ذلك . وتلاشى أمر الكبرى . وأن القرافة فى هذا الجزء عند باب قايتباى استجدها أمراء الناصر محمد بن قلاوون بعد السبعمائة من الهجرة . كما ذكر المقريزى وأشار اليه احمد تيمور .

وأعلق على رأى المرحوم تيمور باشا أن القرافة الصغرى كانت معروفة قبل الكامل الأيوبى (٦١٥ - ٦٣٥) بدليل ما نقلناه على المقريزى (الخطط جـ ٢ ص ٣٦٦) فى ترجمة الفاضل عبد الرحيم البيسانى فى الفصل السابق أنه توفى سنة ٥٩٦ هـ . ودفن بتربته بالقرافة الصغرى .

ويُصعد إلى سطح المأخذ بمزلقان ليس به درج . ولعل ذلك خصيصا لصعود الدواب التى تدير السواقى . وبوسط السطح حوض تحيط به ست فتحات . وبأعلى المأخذ مكان ست سواقى لرفع الماء . وقالت أن الباقى من عقود المجراة الآن ٢٧١ عقداً معظمها على شكل شبه دائرى . وأنه أصلح سنة ١١٤٠هـ على يد عبدى باشا [1] .

وفى أيام الفرنسيين فى مصر سُدَّت أغلب الفتحات بين الأكتاف الحاملة للعقود . واستخدمها الفرنسيون سوراً يحتمون وراءه . ويحصرون به مدخل المدينة من الجنوب .

السبع سواقى والسبع سقايات :

ونلاحظ اسم السبع سواقى والسبع سقايات . فقد رأينا من الوصف المذكور أن به مكاناً لست سواقى .

وذكر المقريزى . كما رأينا . أن الناصر محمد سنة ٧١٢هـ أنشأ أربع سواقى .

ولكن برغم أن المقريزى توفى سنة ٨٤٥هـ . أى قبل عمارة الغورى للجراةسنة ٩١٢هـ . فقد ذكر خط السبع سقايات [2] . فى الكلام على بركةقارون [3] .وخراب ما حولها سنة ٧٢١هـ . قال : (فصار جانب هذه البركة الذى يلى خط السبع سقايات مقطع طريق فيه مركز يقيم فيه من جهة متولى مصر (يعنى والى الفسطاط) من يحرس المارة من القاهرة إلى مصر . ولم يكن هناك شىء من الدور . إنما كان هناك بستان بجوار حوض الدمياطي [4] . الموجود الآن تجاه كوم

---

(١) عابدى باشا تولى ولاية مصر من سنة ١١٢٦ ـ سنة ١١٢٩ هـ كما ورد فى تقويم النيل لأمين باشا سامى . أو من سنة ١١٢٧ ـ سنة ١١٢٩ كما ورد فى تايخ الجبرتى . ويوجد والى آخر تولى من سنة ١٢٠١ ـ سنة ١٢٠٣ هـ اسمه الشريف عابدى باشا (راجع الجدول السابع عشر بالقسم الثالث)

أما الوالى على مصر فى التاريخ الذى ذكرته الأستاذة.الدكتورة سعاد ماهر فقد كان أبو بكر باشا .

(٢) خطط المقريزى جـ٢ ص ١٦١ .

(٣) بركة قارون كانت جنوبى مسجد ابن طولون وموقع جامع السيدة زينب كما سبق ذكره .

(٤) الدمياطى المذكور هو عز الدين أيبك الدمياطى من أمراء دولة الظاهر بيبرس توفى سنة ٦٩٦ هـ . ودفن بزاويته ما بين خط السبع سقايات وقنطرة السد خارج مصر الى جانب حوض السبيل المعد لشرب الدواب (خطط المقريزى جه ٢ ص ٤٣٠) . وموقع هذه الزاوية الآن بشارع السد باسم محمد عز الدين أيبك على يمين المتجه من مقام أبى الريشى إلى السيدة زينب فى نصف المسافة تقريباً وقد ذكرها على مبارك فى الزوايا باسم زاوية الحبيبى (جـ٦ ص ٢٤) . ولكنه قال فى موضع آخر (جـ٢ ص ٢٤) أن زاوية الدمياطى تقابل زاوية الحبيبي . أى فى الجانب الآخر من الشارع .

الأسارى على يمنة من خرج وسلك من السبع سقايات إلى قنطرة السد . ويشرف هذا البستان على هذه البركة . فحكر أقبغا عبد الواحد مكانه . وصارت فيه الدور الموجودة الآن (يعنى وقت المقريزى) كما ذكر عند حكر أقبغا عبد الواحد فى الأحكار)[1] اهـ .

فما معنى هذا !! هل أنشأ الناصر سواقى أخرى بعد الأربع التى ذكرها المقريزى !! تكملة للسبعة . أو أهل أخطأ المقريزى . أو أخطأ الناسخ . أو هى مبالغة من الناس جرت على ألسنتهم للقيمة الاعتبارية للعدد ٧٠ أو غير هذا من الأسباب !!

لا شىء من كل هذا . فالسقايات السبع كانت موجودة فعلاً قبل مجرى القناطر . وقبل الغورى . وقبل الناصر . بل وقبل بناء قلعة الجبل بعدة قرون . وفى موقع يبعد عن رأس مجرى العيون وعن الشارع الذى أسمته البلدية بشارع السبع سقايات بألفى متر تقريباً .

خط بئر الوطاويط :

فقد ذكر المقريزى (الخطط ج٢ ص١٣٥) فى الكلام على خط بئر الوطاويط أن هذه البئر أنشأها الوزير أبو الفضل جعفر بن الفضل بن جعفر بن الفرات المعروف بابن حنزابه سنة ٣٥٥هـ لينقل منها الماء إلى السبع سقايات التى أنشأها وحبسها (أى وقفها) لجميع المسلمين التى كانت بخط الحمراء (يعنى الحمراء القصوى وقد سبق ذكر موقعها فى الفقرة السادسة من المقدمة الموضوعية) فلما طال الأمر خربت السقايات . وإلى (اليوم) يعرف موضعها بخط السبع سقايات . وبُنى فوق البئر المذكورة . وتولد فيها كثير من الوطاويط . ولما أكثر الناس من بناء الأماكن فى أيام الناصر محمد بن قلاوون . عمرُ هذا المكان . وعرف اليوم (يعنى وقت المقريزى) بخط بئر الوطاويط . وهو خط عامر . اهـ .

وخط بئر الوطاويط كان موقعه بجوار جامع ابن طولون بالصليبة . ولا يزال للآن الشارع شرقى المسجد يُسمى حارة بئر الوطاويط .

---

(١) ذكرنا فى أول هذا الفصل بستان الحارة الذى حكره أقبغا عبد الواحد شرقى الخليج

ويؤيد هذا ما نقلناه عن المقريزى فى الكلام على بركة قاورن . فقوله : فصار جانب هذه البركة الذى يلى السبع سقايات . . الخ وقوله : وكان هناك بستان بجوار حوض الدمياطى على يمنة من خرج وسلك من السبع سقايات إلى قنطرة السد . يعنى أن السبع سقايات كانت قبل حوض الدمياطى وقبل قنطرة السد .

وفضلاً عن هذا فأن الموقع الذى أسمته البلدية شارع السبع سقايات كان مغموراً بالمياه فى القرن الرابع الهجرى ولم تكن الأرض استجدت هناك .

وجعفر بن الفرات المذكور كان وزيراً لبنى الأخشيد لغاية انقراض دولتهم بدخول الفاطميين سنة ٣٥٨هـ . وتوفى سنة ٣٩١هـ .

أما أبوه الفضل فقد كان وزيراً للمقتدر العباسى ببغداد سنة ٣٢٠ . ولما قتل المقتدر عُين عاملاً للخراج بمصر . ثم أعيد للوزارة فى خلافة الراضى العباسى . ثم عُين عاملاً للخراج بمصر والشام . وتوفى سنة ٣٢٧هـ . والفضل هذا هو الذى يلقب بابن حنزابه نسبة لأمه وهى جارية رومية[١] .

وفيما ذكر ما يؤيد أحد أهداف هذا الكتاب من ضرورة وضع الأسماء الصحيحة فى الأماكن الصحيحة لعدم الخلط فى تاريخ خطط المدينة .

مجرى العيون :

ويعتبر مجرى العيون من أجمل الآثار المعمارية الإسلامية الباقية للآن . وقدرت الحكومة أخيراً أهمية المحافظة على هذا الأثر . ففى ١٩٥٣/٥/٧ صدر مرسوم باعتماد مشروع تخلية حول سور العيون الأثرى . وذلك بإنشاء شارعين بعرض ٣٠ متراً لكل منهما . وفى سنة ١٩٥٩[٢] صدر قرار وزارة الشؤون بأنه يعتبر من أعمال المنفعة العامة مشروع تنفيذ مجرى العيون قبلى سور العيون الأثرى . وفى

---

(١) دائرة المعارف الاسلامية المجلد الأول ص٣٦٠ . وراجع الجدول الخامس بالقسم الثالث .

(٢) القرار ٣٠٥ فى الوقائع الرسمية ١٩ فى ١٩٥٩/٣/٥ . وشارع القادرية يبدأ من ميدان السيدة عائشة عند باب قايتباى السابق ذكره . وامتداد شارع القادرية هو شارع الامام الشافعى . والقادرية نسبة إلى إحدى الطرق الصوفية كما سبق ذكره فى قنطرة الحنفى فى الفصل الخامس من القسم الأول .

المسافة بين فم الخليج وشارع القادرية . ويجرى نزع ملكية العقارات اللازمة لهذا الشارع .

وكان قبل ذلك قد تنفذ الشارع بحرى السور .

وبرغم صدور هذا القرار سنة ١٩٥٩ فللآن (١٩٧٦) لم يتم الشارع قبلى السور .

سكة حديد حلوان :

نعود الآن إلى ميدان فم الخليج .

فقد سبق أن ذكرت فى أول هذا الفصل أن الخليج المصرى كان يخترق المثلث الذى يتكون رأسه فى الميدان من تلاقى شارعى السد والقصر العينى . وكان يتجه شمالاً بشرق بين شارعى السد والسبع سقايات حتى يتلامس تقريباً مع شارع السد عند مقام أبى الريش . وأن سكة حديد حلوان قد قطعت جانباً منه وأصبح شارع الخليج الآن يبدأ من سكة حديد حلوان فى الجانب الشرقى منها . وأن ما تخلف غربى السكة الحديد ضاع وتداخل فى الشوارع والمبانى الحالية .

وجزء الخليج من السكة الحديد لغاية أبى الريش لم يكن داخلاً ضمن ما ردمته شركة الترام سنة ١٨٩٨ وأجرت فيه خطوطها . وأصبح الآن هذا الجزء وصمة فى جبين العاصمة . وعبارة عن قاذورات فوق قاذورات . والغريب فى هذا أنه بجوار مخزن لمهمات بلدية القاهرة .

وسكة حديد حلوان لم تكن فى هذا الموقع عند إنشائها .

فحلوان قد خمل شأنها منذ عهد عبد العزيز بن مروان[1] ومن تلاه من ولاة بنى أمية . وظلت فى التدهور . وآخر الأمر أحرقها إبراهيم بك الكبير سنة ١٧٨٧م (١٢٠١هـ) فى نزاعه مع زملائه المماليك . وهذا قبل قدوم الفرنسيين .

---

(١) عبد العزيز بن مروان تولى ولاية مصر من ٦٥ ـ ٨٥هـ (راجع الجدول الرابع بالقسم الثالث) وفى سنة ٧٠هـ ظهر طاعون بالفسطاط . فلجأ إلى حلوان فأعجبه هواؤ ها وجوها . فاتخذها مقراً له . واعتنى بها وزرع فيها الأشجار المثمرة . كما أنشأ بها مقياساً صغيراً للنيل . (وقد سبق ذكر ذلك) .

وفى سنة ١٨٥٠م (١٢٦٦هـ) فى عهد عباس حلمى الأول عُثر على عين للمياه المعدنية بها . وعُرفت قيمتها العلاجية . ولكن أهمل أمرها حتى عهد الخديوى إسماعيل .

ويبدو أن العرب كانوا قد تنبهوا لفائدة هذه المياه المعدنية فى علاج الأمراض . فقد وُجد عند حفر الحمامات الجديدة آثار المبانى القديمة والحمامات من حجر وخزف وقطع من أعمدة ومنارات منقوش عليها كتابة عربية وكذلك دراهم إسلامية وغير ذلك من الآثار(١) .

وفى سنة ١٨٧١م (١٢٨٨هـ) زار الخديوى إسماعيل المنطقة . وكانت عيون المياه المعدنية غربى حلوان وقتذاك بحوالى ١٥٠٠ متر تقريباً . والنيل غربى العيون بحوالى ٢٥٠٠ متر تقريباً . فأمر إسماعيل بإنشاء طريق من حلوان إلى النيل طوله أربعة كيلو تقريباً . كما أمر بإنشاء طريق آخر طوله ١٣٠٠ متر من الشمال إلى الجنوب يتقاطع مع الطريق المذكور . وإنشاء حمامات بجوار العيون من أكشاك خشبيه فى بادئ الأمر . وإنشاء فندق كبير للمسافرين . وإنشاء حوض سعته ٥٠٠٠ م٣ لاستحمام الفقراء . وإنشاء دار صغيرة للمرضى ملحق بها صيدلية مزودة بالأدوية . وترتيب طبيب مقيم لمباشرة وعلاج المرضى . وتحددت أسعار الفندق للإقامة والحمام . بدرجات متفاوتة للأغنياء والفقراء .

ورتب وابورات بالبحر لتسهيل الانتقال إلى حلوان .

وجاء فى الوقائع الرسمية فى العدد ٥٤١ الصادر فى ذى القعدة سنة ١٢٩٠هـ (١٨٧٤/١/١٣) :

(من المعلوم أنه من مدة قريبة كان قد استكشف بجهة حلوان القريبة من مصر المحروسة منبع ماء كبريتى . وجُرِّب نفعه فى كثير من العلل والأمراض . والآن نرى تلك الجهة كل يوم فى زيادة العمارية . فى الظلال الوارفة الخديوية . وبها محل ذلك الماء يكون من جملة الحمامات المعدودة الشفائية . والمتنزهات العامة لجميع البرية . فأنه بجوار ما كان أحدث فيها من المبانى مشتغل بتكثير الأماكن والمساكن . مع ما

---

(١) الخطط التوفيقية ج١٠ ص٨١ .

أجرته (قومبانية) تقسيم المياه المصرية فى جهته من المياه العذبة . حتى صارت فلواتها فى عهد قريب ريَّانة بها . وأنبتت من كل نبات بهيج . ولطفت اهويتها . واعتدلت حرارتها . مع ما نُقل ممن أقام هناك . من تفضيل الأقامة بها فى فصل الصيف أضعافاً مضاعفة عن الاقامة بمصر . ولإطلاق الهواء بلا مانع فى تلك الصحارى . ترى تزايد لطف هوائها . واعتدال حرارة الشمس فيها . وقد أنشئت فى حلوان (لوقندة) مرتبة . وبواسطة ما أنشىء من العربات المعروفة بالأمنيبوس يمكن الذهاب إلى هناك والإياب بغاية الراحة لمن أراد ذلك. ولا يخلو وقت من توجه ذوات معتبرين وبعض سياحين للتنزه فى ذلك المكان . والمسافة لا تزيد عن يوم واحد . وليس فى الإمكان .) هـ[1] .

ثم فكروا فى انشاء خط سكة حديد فقد جاء فى الوقائع الرسمية فى العدد ٦٩٢ الصادر فى ٢٩ ذى الحجة سنة ١٢٩٣هـ (١٤/١/١٨٧٧م) ما يأتى :

(منذ مدة كان شرع فى انشاء فرع سكة حديد يوصل من ميدان محمد على إلى حمامات حلوان . فى حالة الذهاب والاياب للقاصدين . ومساعدة لمريدى استعمال مياهها للمحتاجين . والآن بلغنا أنه تم على أحسن حال . وأكمل منوال . وسيجرى رسم الافتتاح بحالة تسر الناظرين . بل عموم الناس أجمعين) .

كما جاء فى العدد التالى ٦٩٣ فى ٦ المحرم سنة ١٢٩٤ (٢١/١/١٨٧٧) :

(سبق التنبيه أن سكة حديد حلوان التى كان سبق الشروع فيها قد تمت . على أكمل الأحوال . وقد علم الآن أن ابتداء تشغيلها يكون فى هذا اليوم الذى هو الأحد ٢١ يناير سنة ١٨٧٧ . وإن شاء الله فى النمرة التالية - يعنى العدد القادم - يُدرج بيان الأجر باعتبار المحطات. وبيان أوقات الذهاب والاياب حسب الجدول الوارد المتضمن ذلك)[2] .

---

(١) تقويم النيل ج٣ ص١١٤ . والجملة فى ختام النشرة (وليس فى الأمكان) اختصار للتعبير التقليدى (ليس فى الأمكان أبدع مما كان) . وقومبانية من الكلمة الفرنسية companie يعنى شركة . كما أن لوقندة تعنى لوكندة أى فندق . وقد مرَّ بنا مثل هذا التقعُّر فى الكلام على القصر العينى .

(٢) تقويم النيل ج٣ ص١٤٥٨ . يلاحظ استعمال التقويم الميلادى فى الخبر فقد بُدىء بالأمر الصادر ١٨٧٥/٧/٤ باستعمال التقويم الميلادى الجريجورى رسمياً من الحكومة المصرية بجانب التقويم الهجرى .

ومن الخبرين المذكورين نعلم أن سكة حديد حلوان كانت عند إنشائها تبدأ من ميدان محمد على . أى الميدان تحت القلعة . الذى عُرف قديماً باسم الرميلة . ثم المنشية . ثم قره ميدان ثم ميدان محمد على . وأخيراً باسم ميدان صلاح الدين .

وكانت سكة حديد حلوان تمر فى الصحراء شرقى قرافة المماليك وضريح الأمام الشافعى . ثم شرقى البساتين . ثم شرقى المعادى (١). ثم شرقى طرا . حتى حلوان . ولا يزال هذا الخط موجوداً للآن ويعرف بخط المحاجر وغير مستعمل للأهالى .

ولم ينس إسماعيل نفسه وعائلته . فأمر بانشاء حمام خاص له ولأسرته وقد كسيت جدرانه بالقيشانى النفيس .

وللتعمير قرر لكل راغب فى البناء أن يأخذ أى مساحة . على أن يبني خُمسها فى مدة محدودة . وجعل لكل ٥٠٠م.م رسماً رمزياً قدرة جنية واحد . وبعد البناء فى الموعد المحدد وطبقاً لشروط التنظيم تستخرج الحجة الشرعية بتمليكه من مديرية الجيزة (٢) .

واستمر الاهتمام بحلوان فى عهد الخديوى توفيق فبنى بها سنة ١٨٨٥ قصراً على مساحة ٢٠٠٠٠م.م عشرين ألف متر مربع . كما بنى الكثيرون من عظماء ذلك الوقت قصوراً على مساحات كبيرة لا تقل الواحدة منها عن ٢٥٠٠ م.م .

واعتاد توفيق الذهاب إلى حلوان مرتين كل شهر . وأمر بزراعة الأشجار على جانبى الطريق بين الحمامات والنيل . وطوله ٢٥٠٠ متراً كما ذكرنا . كما أمر فرقة الموسيقى الخديويه بالانتقال إلى حلوان كل يوم جمعه للعزف بها والترفيه عن السكان (٣) .

---

(١) كانت المعادى إلى عهد قريب اخر حدود محافظة القاهرة . وكانت حلوان تابعة لمديرية الجيزة . وكانت المعادى تعرف بمعادى الخبيرى . والمعادى جمع معدية حيث كان من هناك أغلب عبور النيل للقاصدين أو القادمين من الصعيد .

(٢) لم يكن التعمير وحده هو الدافع لهذا . ولكن كانت أراضى حلوان من أملاك اسماعيل . فاذا انتشر العمران تصقعت هذه وزادت قيمتها . وقد أوقف إسماعيل تفتيش حلوان على زوجاته الثلاث .

(٣) توفى فى قصره المذكور بحلوان فى ١٨٩٢/١/٧م .

ونظمت مواعيد القطارات ذهاباً وإياباً بما يتلاءم مع راحة السكان .

وفى عصر عباس حلمى الثانى . عندما تزوجت شقيقته خديجة بعباس حليم فى يناير سنة ١٨٩٥ . أعدت سراى القبة للزفاف . ثم انتقل العروسان إلى حلوان من باب اللوق . ليقيما بالسراى الخديوية بضعة أسابيع قبل سفرهما للآستانة . (مذكرات أحمد باشا شفيق ـ مذكراتى فى نصف قرن ـ ج٢ ص٢١٩) .

وفى هذا الخبر مايدل على أنه كانت أنشئت محطة حلوان بباب اللوق .

وبدأ العمران أولاً فى الجهة الشرقية بجانب السكة الحديد والمدينة الأصلية . ثم زحف غرباً نحو الحمامات .

وحمامات حلوان تتدفق المياه من العين بمعدل ٥٠٠م٣ فى الساعة محتوية على كبريت بنسبة، ٣٩,٢مم٣ فى كل ١٠٠سم٣. وهى نسب مرتفعة إذا قورنت بحمامات أوربا . فمثلاً لا تزيد نسبة الكبريت فى حمام بادن بفينا عن ١٥,٩مم٣ فى كل ١٠٠سم٣. وقد جددت بلدية القاهرة الحمامات سنة ١٩٥٥ . وتكلفت عملية التجديد ١٢٠٠٠٠ جنية مائة وعشرين ألف جنيها تقريباً .

وابتدىء فى كهربة خط حلوان سنة ١٩٥٣ . وانتهى العمل فيه سنة ١٩٥٦ . وأدخل نظام الإشارات الأوتوماتيكى . كما تم بعد ذلك بناء محطة حلوان .

وتكلف مشروع كهربة خط حلوان حوالى الأربعة مليونا من الجنيهات . بما فى ذلك المبانى الجديدة للمحطات . وإنشاء أسوار حول الخط فى داخل القاهرة عند الأماكن المزدحمة بالسكان . وترميم كبارى القدم عند محطات السيدة زينب ومار جرجس وفم الخيج .

كما أنه لخدمة صناعة الحديد والصلب والصناعات الأخرى التى قامت بحلوان أنشئت تفريعة من خط سكة حديد الصعيد عند المرازيق جنوبى البدرشين تصل إلى بلدة التبين قرب حلوان . وأنشىء كوبرى على النيل من الطراز العالى الثابت لتسهيل الملاحة . ويمكن استعماله للسيارات والسكة الحديد معاً . ويعرف بكوبرى المرازيق .

الفصل الخامس

الأزبكية

كان ما بين المجرى القديم للنيل ومجرى الخليج المصرى قليل عرض . وكان على جانبى الخليج الشرقى والغربى البساتين والمزارع والبرك .

وأقدم ما عرف من البساتين غربى الخليج البساتين المعروفة بجنان الزهرى .

جنان الزهرى :

وكانت تصل جنوبا إلى قرب موقع ميدان السيدة زينب . وشمالا إلى موقع العتبة الخضراء وميدان الأوبرا حالياً .

فهى بذلك كانت تغطى مساحات كبيرة وأحياء واسعة . موقعها بالنسبة لاسناء الوقت الحاضر حىّ الناصرية (وكان قديما يعرف ببركة السبّاعين) . وشرقاً منه حىّ الحنفى . وشمالا منهما حى عابدين . ومن ضمنه بركة كانت تعرف ببركة الشقاف . وعلى حافة بركة الشقاف الجامع المعروف بجامع الطباخ .وهو موجود للآن بميدان باب اللوق خلف محافظة القاهرة . وكان موقعه يطل على موقع المجرى القديم للنيل . ومن ضمن جنان الزهرى أيضاً شارع عبد العزيز وميدان العتبة الخضراء وميدان إبراهيم (الأوبرا) .

والزهرى المنسوبة إليه هذه الجنان هو أبو العباس عبد الوهاب بن موسى بن عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عوف (وعبد الرحمن بن عوف هو الصحابى المشهور) . وأمه ينتهى نسبها إلى عبد الملك بن مروان . وقد تولى الشرطة بمصر سنة ٢١١هـ .

ثم قُسمت أرض جنان الزهرى وحُكِّرت مبانى . وابتدأ هذا فى زمن الفاطمين . فقد بنى ابن التبأن ـ وكان رئيسا للأسطول غربى الخليج مقابل باب الخلق وحى الحبانية . فعُرف الجانب الغربى من الخليج هناك ببرّابن التبان وتوالت الأحكار بعد ذلك . فقد ذكر المقريزى ما يقرب من خمسة عشر حكرا غربى الخليج . وقد ذكرنا منها حكر طقزدمر عند درب الجماميز وحكر الست حدق أو مسكة عند منظرة السكرة .

كما أن بركة الشقاف حكرت أرضها بعد سنة ٦٠٠هـ . وبركة السباعين (وسميت هكذا لوجود دار للسباع كانت بجانبها) ظلت منها بقية إلى زمن المقريزى . ولم تبدأ بجانبها العمارة والمبانى إلا بعد سنة ٧٠٠هـ (١٣٠٠م)(١) .

وخلدت بلدية القاهرة إسم جنان الزهرى بأن أطلقته على شارع صغير موازى لشارع نوبار ومتفرع من شارع محمد عز العرب (المبتديان) .

وشمال جنان الزهرى كان هناك بستان عرف قديما باسم بستان المقس (٢) .

بستان المقس :

وكان بستان المقس يغطى مساحة موقعها ما بين ميدان الأوبرا وميدان رمسيس . وعند الفتح العربى كانت هناك قرية اسمها أم دنين موقعها كتلة المبانى الموجودة بين شارعى كلوت بك وابراهيم باشا حتى باب البحر عند ميدان رمسيس . فكأنها كانت جزءاً من مساحة هذا البستان . وكان النيل يجرى غربى هذا الموقع فى أتجاه وموقع شارع عماد الدين تقريباً .

---

(١) خطط المقريزى ج٢ ص١٢٤ و ص١٦٢

(٢) كانت كلمة بستان لا تطلق على حدائق الفاكهة فقط . بل أيضاً على الحقول المجاورة للمدينة لما بها من مزروعات الفاكهة والزهور والخضراوات اللازمة للمدينة

والمقس - كما سبق ذكره[١] - مشتقة من المقسم لأن العرب قسموا غنائم الحرب هناك . وقيل أنها من المكس - أى الجمارك على البضائع الواردة . لأنه كانت هناك الميناء النهرية للمدينة خلف جامع أولاد عنان[٢] .

وكان فى شمال الجامع المذكور منظرةللفاطميين عُرفت بمنظرة المقسى يجلس فيها الخليفة عند توديع أو استقبال الأسطول الحربى . وكان الأسطول يخرج للغزو من المقس فى النيل إلى دمياط . ومنها للبحر الأبيض[٣] .

الأسطول المصرى عند الفاطميين .

وقد اهتم الفاطميون بصناعة السفن الحربية حتى بلغت عدتها فى أيام المعز لدين الله ستمائة قطعة .

وقبل الفاطميين كانت بمصر صناعة للسفن انشأها عنبسة بن إسحق الوالى على مصر سنة ٢٣٨ هـ فى خلافة المتوكل على الله العباسى .

ثم انشأ أحمد بن طولون دارا لصناعة السفن[٤] فى جزيرة الروضة سنة ٢٥٤هـ . كما أنشا محمد بن طغج الإخشيد دارا أخرى للصناعة فى الفسطاط . وتوسع فى هذه الدار المأمون البطائحى وزير الآمر بأحكام الله الفاطمى . وأنشأ بها منظرة يستريح فيها الخليفة قبل انتقاله لتخليق المقياس بالروضة .

وكانت هناك أيضاً بالقرب من منظرة المقس منظرة أخرى للفاطميين عرفت بمنظرة الدكة وقد ذكرنا فى الفصل الثالث من القسم الأول عن الكلام على وفاء النيل وجبر الخليج وأن الخليفه فى طريق العودة بعد الاحتفال يدخل إليها بمفرده ليسقى فرسه !!

---

(١) الفصل الخامس من القسم الأول عند الكلام على قنطرة باب الخرق .

(٢) ذكرنا فى الفصل الرابع من القسم الأول الجامع المذكور وإنشاء الحاكم بأمر الله له تم تجديده بمعرفة الصاحب عبد الله المقسى سنة ٧٧٠هـ . ثم سكن السيخ محمد عنان وأولاده وأخوه فعُرف بهم

(٣) كان للفاطميين أيضاً منظرة عند باب الفتوح يجلس فيها الخليفة لتحية الجيش فى خروجه أوعودته من الحرب .

(٤) دار الصناعة تعنى صناعة السفن وقد حُرفت إلى ترسانة . ونقل اللفظ إلى أوربا ففى الإنجليزية والفرنسيه arsenal معناها مخزن للأسلحة الحربية .

أرض الطبَّالة :

ولاستكمال الصورة نذكر أنه كان شمال بستان المقس الأرض التى عُرفت بأرض الطبالة . وموقعها حى الفجالة وجزء من حى الظاهر والشرابية حالياً وقصة تسميتها بالطبالة مشهورة مجملها أن المستنصر بالله الفاطمى كانت نفسه تحدثه بالتغلب على العباسيين وتوحيد الخلافة فى مصر . وخُطب باسمه فعلا أربعين أسبوعا فى صلاة الجمعة ببغداد . فغنَّت بين يديه إحدى المغنيات أبياتا من الشعر منها :

بنى العباس رُدوا مَلَك الأمرَ معدٌّ
مُلككم مُلك مستعار والعوارى تستردُّ

ومعدٌّ اسم المستنصر بالله فأقطعها هذه الأرض :

وكان بستان المقس يطل على النيل غرباً . وعلى الخليج المصرى شرقاً . ويقابله فى الجانب الشرقى من الخليج منظرة اللؤلؤة .

فأمر الظاهر لأعزاز دين الله بن الحاكم بأمر الله الفاطمى بعد سنة ٤١١ أن يعمل البستان بركة أمام منظرة اللؤلؤة .

هذه البركة محل البستان عُرفت فيما بعد باسم بركة بطن البقرة .

بركة بطن البقرة

ولا أعرف العلة فى الاسم . ولكن نجد فى مقاطع الأحجار بالمقطم أجزاء يسميها النحاتون مقطع بطن البقرة . وكانوا يعتبرونها ممتازة فى عمل درج السلالم لنعومة وجهها بعد النحت . فربما كان الاسم للبركة يدل على نعومة طينها وهدوء مياهها .

وكانت بركة بطن البقرة يغذيها خليج الذكر بالماء . وكان خليج الذكر يأخذ مياهه من خليج فم الخور . الذى يأخذ مياهه من النيل . وقد مرَّ ذكر الخليجين فى آخر الفصل الأول من القسم الأول .

ثم هُجرت البركة وأهمل شأنها فبُنيت أغلب مساحتها . وقال المقريزى (توفى سنة ٨٤٥ هـ) ولاتزال هناك بقية من تلك البركة يجتمع فيها الناس للنزهة[١] .

هذه البقية من بركة بطن البقرة هى إلتى عرفت فيما بعد ببركة الأزبكية نسبة للأتابك أزبك بن ططخ .

بركة الأزبكية :

قال ابن إياس فى بدائع الزهور فى حوادث سنة ٨٨٠هـ أن أزبك بن ططخ بدأ بعمارة الأزبكية . وكانت خرابا ذات كيمان وأرض سباخ . وكان خليج الذكر الذى يغذى البركة قدارتدم . فحفر بعض الناس مجرى من الخليج الناصرى أوصله لأرض الأزبكية فصار يروى بعضها أيام زيادة النيل .

وكان الأتابك[٢] أزبك بن ططخ ساكنا بقرب هذه المنطقة . فخطر له أن ينشىء مناخا لخيوله وجماله ـ وأن يعمرها . فحرث الأرض . وجرف الكيمان ومَهَّدها . وجدد حفر البركة . وجدد عمارة قنطرة خليج الذكر . وبنى رصيفا محيطا بالبركة . وبلغ ما صرفه على عمارتها مائتى ألف دينار ثم شرع الناس يبنون على حافة هذه البركة القصور الفاخرة والدور الجليلة . ولا زالت العمارة تتزايد حتى سنة ٩٠١هـ (١٤٩٥) . وصارت مدينة على انفرادها . وأنشأ الأتابك أزبك المذكور جامعا كبيرا . وأنشأ حول الجامع الربوع والحمامات والقياسر والطواحين وغير ذلك . وكانت فى كل سنة فى موسم الفيضان تضرب الخيام حول البركة . ويقع من القصف واللهو مالا مزيد عليه .

والجامع المذكور الذى انشأه أزبك بن ططخ كان مكانه بالقرب من مدخل شارع الأزهر وأزيل ضمن ما أزيل فى تنظيم ميدان العتبة الخضراء وفتح شارع محمد على (القلعة) فى عهد أسرة محمد على[٣] .

---

(١) خطط المقريزى ج٢ ص١٢٤ وص١٦٣ . ويجدربنا أن نذكر أن كثيرا من البرك لم تكن تمتلىء بالماء طول السنة بل أثناء الفيضان فقط . ثم تنحسر المياه عن كلها أو بعضها فتزرع .

(٢) سبق تعريف لفظ أتابك فى مقدمة هذا القسم الثانى .

(٣) تخطيط القاهرة للمرحوم حسن عبد الوهاب

الأتابك أزبك بن ططخ :

أصله من مماليك الأشرف برسباى . ثم اشتراه الظاهر جقمق . وقرّبه ورقّاه . وصاهره مرتين فى ابنتيه . أى تزوج أزبك واحدة بعد الأخرى . وتولى عدة وظائف عالية حتى عُين نائب الشام فى دولة الظاهر بلباى ثم أتابكا فى دولة الأشرف قايتباى سنة٨٧٣ هـ [١] .

واستمر أتابكيا نحو ثلاثين سنة . وكان كفؤا للمهمات التى يكلف بها . وسافر فى عدة حملات عسكرية . وأظهر الشجاعه والعزم فى قتال بايزيد الثانى بن محمد الفاتح .

وتوفى سنة ٩٠٤هـ عن ٨٥ عاما . وترك ثروة طائلة منها ٧٠٠٠٠٠ دينار نقدا ذهبا بخلاف الخيول والقماش والتحف والأزبكية وغيرها من الدور . ودفن بتربة أستاذه الظاهر جقمق .

وتوفى فى نفس اليوم الذى توفى فيه أزبك بن ططخ أمير آخر اسمه .

أزبك اليوسفى :

كان أيضاً من مماليك الظاهر جقمق . وتولى عدة مناصب كبيرة وكان يعرف بأزبك الخازندار وناظر الخاص . وهو صاحب الجامع الموجود الآن بحى الصليبة بالقرب من مسجد ابن طولون . ومعروف باسم جامع أزبك اليوسفى . توفى وهو فوق الثمانين فى ٢٠ رمضان سنة ٩٠٤هـ . وصلّى عليه السلطان بعد أن كان صلى على أزبك بن ططخ . ودُفن بجامعه المذكور .

وقد خلط على باشا مبارك رحمه الله بين الأثنين [٢] . وتابعه فى الخطأ كتاب آخرون [٣] .

---

(١) راجع الجدول الخامس عشر بالقسم الثالث .

(٢) بدائع الزهور لابن أياس حوادث سنة ٩٠٤ ، الخطط التوفيقية لعلى مبارك ج٣ ص ٦٦

(٣) ذكرت الأستاذة سنية قراعة فى (مساجد وقصور ص ٢٩٣) أنه فى حفل افتتاح مسجد الكخيا (بأول شارع قصر النيل) الذى بناه عثمان كتخدا القازدوغلى والد عبد الرحمن كتخدا صاحب العمائر المشهور لم يجد الأمير عثمان بك ذو الفقار له مكاناً بالمسجد اذ حضر متأخراً فذهب ليصلى فى مسجد أزبك اليوسفى القريب من مسجد الكخيا . =

ونضيف لمنع خطأ آخر أن ميدان الخازندار الحالى ليس نسبة إلى أزبك اليوسفى الخازندار المذكور وإنما نسبة إلى أحمد أغا الخازندار الشهير ببونابارته من امراء دولة محمد على عمّر دارا عظيمة بجهة الرويعى وتوفى سنة ١٢٣١هـ كما ذكر الجبرتى .

ودخل العثمانيون مصر سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م) .

وقد رأينا قول ابن أياس (توفى سنة ٩٣٠هـ تقريباً) أن الخيام كانت تضرب حول البركة فى موسم الفيضان ما يدل على أن العمارة حول البركة لم تكن قد تكاملت .

فبنى رضوان كتحدا الجلفى داراً على الحافة الشرقية للبركة أصلها بيت الداده الشرايبى . وكانت معروفة عند أولاد البلد بالثلاث وليه . وبالعتبة الزرقاء ثم آلت الدار المذكورة إلى طاهر باشا ناظر الجمارك فى عهد محمد على . ثم آلت إلى عباس حلمى الأول بن طوسون بن محمد على فهدمها وأعاد بناءها وأطلق عليها العتبة الخضراء لأنه كان يتشاءم من اللون الأزرق .

العلم المصرى

وللاستطراد نذكر أن الميل للون الأخضراء كان غريزيا على ما يظهر فى أسرة محمد على . فقد كان العلم المصرى لغاية سنة ١٩١٤ عبارة عن ثلاثة أهلة بيضاء داخلها ثلاثة نجوم بيضاء . وأرضية العلم حمراء . مثل العلم التركى . ويتميز عنه بعدد الأهلة والنجوم حيث كان العلم التركى هلالا وأحداً ونجمة واحدة .

وبعد إعلان انجلترا الحماية على مصر سنة ١٩١٤ تغير رسم العلم المصرى إلى هلال وأحد وثلاثه نجوم بيضاء وأرضية العلم حمراء .

= ومسجد أزبك اليوسفى بحى الصليبة وليس قريباً من جامع الكخيا . ولكن القريب منه مسجد أزبك بن ططخ المذكور الذى أزيل فى تخطيط العتبة الخضراء والرواية منقولة عن الجبرتى ج١ ص١٦٨ . ولكنه قال أنه رجع وصلى بجامع أزبك ولم يزد . فلعل إضافة اليوسفى زلة قلم من صاحبة مساجد وقصور كما أن عثمان كتخدا ليس والد عبد الرحمن كتخدا بل مملوك والده حسن جاويش .

فلما أعلن تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ من إنجلترا بالاعتراف بمصر مملكة مستقلة ذات سيادة أمر الملك السابق أحمد فؤاد بتغيير لون أرضية العلم إلى اللون الأخضر . فأصبح هلالا وثلاث نجوم بيضاء فى أرضيه خضراء .

وظل هكذا حتى قامت الثورة سنة ١٩٥٢ . فغيرت العلم إلى شكله الحالى .

عود إلى سراى العتبة الخضراء :

ثم فى تنظيم الأزبكية فى عهد إسماعيل أصبحت هذه الدار فى وسط الميدان تقريباً . وأطلق على جزء منه العتبة الخضراء وعلى الآخر ميدان أزبك . ثم أصبحت الدار مقرا للمحكمة المختلطة عند إنشاء القضاء المختلط بمصر . ثم لما احتيج لتوسعه الميدان هدمت الدار . وانتقلت المحكمة المختلطة إلى مبنى أنشىء لها خصيصا فى شارع ٢٦ يولية (فؤاد الأول سابقا) هو الآن مقر القضاء العالى .

ولما تزوج فاروق الملك المخلوع بالملكة السابقة فريدة [١] أطلق اسمها على ميدان العتبة الخضراء كما أطلق اسمها على شارع عبد الخالق ثروت وامتداده من ميدان الأوبرا إلى العتبة وبعد طلاق فاروق لها أعيد لميدان العتبة الخضراء وشارع عبد الخالق ثروت اسماهما .

وبنى رضوان كتخدا الجلفى المذكور داراً أخرى على الحافة البحرية الغربية لبركة الأزبكية . فوسّع قطعة الخليج الناصرى بجوار قنطرة الدكة بحيث جعلها بركة عظيمة . وبنى داره المذكورة . فأصبحت تطل على الخليج الناصرى من جهة . وعلى بركة الأزبكية من جهة أخرى . واتخذ له فيها مجالس لهو يجتمع فيها بالخلان والندماء والشعراء .

وكان رضوان المذكور سادراً فى شهواته وملذاته يتجاهر بالمعاصى . ولا يبالى بشىء . تاركاً تدبير الأمور لقسيمه فى الحكم ابراهيم كتخدا . وقد مر ذكرهما فى الفصل الخامس من القسم الأول عند الكلام على قنطرة الذى كفر . وانتهى حكمهما سنة ١١٦٨هـ (١٧٥٤م) .

---

(١) كان اسمها قبل الزواج صافيناز كريمة على باشا ذو الفقار . فغير فاروق اسمها إلى فريدة ليبدأ بحرف الفاء مثل اسمه واسم أبيه وأخواته وبناته .

وبنى عثمان كتخدا جنوبي غربي البركة جامعه السابق ذكره المعروف بجامع الكخيا والموجود الأن على ناصية شارعى الجمهورية وقصر النيل .

رحبة التبن - ساحة الحمير - شارع الساحة .

وكان موقع هذا الجامع قديماً يعرف برحبة التبن . والاسم أقدم عهداً من عمارة أزبك بن ططخ سنة ٨٨٠هـ للأزبكية فقد ذكر المقريزى[1] رحبة التبن وقال أنها فى الطريق العظمى المسلوك فيها من رحبة باب اللوق إلى قنطرة الدكة . وقال : وكانت هذه الرحبة تقف بها الجمال بأحمال التبن لتباع هناك . ثم اختُطت وعمرت وصارت بها سويقة كبيرة عامرة بأصناف المأكولات . والخط يعرف برحبة التبن وقد خرب بعد سنة ٨٠٦هـ . اهـ .

وقد خلدت بلدية القاهرة اسم رحبة التبن بإطلاقه على شارع يبدأ من شارع الجمهورية جنوبي مسجد الكخيا المذكور ويتجه غرباً بجنوب حتى شارع رشدى باشا (الساحة سابقاً)

وكان موقع شارع الساحة (شارع رشدى باشا حالياً) ساحة الحمير . لم يذكرها المقريزى . ولكن ذكرها على باشا مبارك . ويفهم من كلام الأخير أنها كانت موجودة فى زمنه . فقال عنها أنها رحبة كبيرة ينصب فيها سوق كل يوم بعد صلاة العصر . تباع فيه الحمير وبه دلالون عليهم دلالة أميرية .[2] .

وخلدت البلدية الاسم . وإن كانت اختصرته تأدباً . فأسمت شارعاً كبيراً باسم شارع الساحة . ثم غُيِّرت الاسم إلى شارع رشدى باشا تخليداً لذكرى حسين باشا رشدى رئيس الوزارة المصرية سنة ١٩١٤ ـ سنة ١٩١٩ . وقد ذكرنا ترجمته فى الفصل الثالث الخاص بالأنشاء والمنيرة .

---

(١) خطط المقريزى ج٢ ص٥١ الخطط التوفيقية ج٢ص ١١٤ . والمقريزى توفى سنة ٨٤٥هـ

(٢) الخطط التوفيقية ج ٣ ص ١١٦ . ولعه يعني أنه كان على الدلالين ضريبة حكومية مما يحصلون عليه من أجر الدلالة .

شارع عبد الخالق ثروت (المناخ سابقاً)[1] :

واستكمالاً للصورة نذكر أن شارع عبد الخالق ثروت الذى تغير اسمه إلى شارع الملكة فريدة . ثم أعيد إليه كما ذكر . والذى يبدأ من ميدان الأوبرا لغاية شارع رمسيس كان اسمه قبل ذلك شارع المناخ . وقد رأينا أن أزبك بن ططخ كان مما يريده بتعمير الأزبكية أن ينشىء مناخا لخيوله وجماله . كما رأينا فى رحبة التبن أن الجمال كانت تقف فيها بأحمال التبن لتباع هناك .

وفى هذا ما يدل على التحول التجارى والعمرانى فى مدينة القاهرة . فقد كانت ميناؤ ها النهرية بالقرب من جامع أولاد عنان كما سبق ذكره . فلما تحول النيل غرباً بعد القرن السادس الهجرى أصبحت بولاق هى الميناء النهرى للمدينة . وكان هناك طريق يصل من بركة الأزبكية إلى بولاق . وقد مهَّد الفرنسيون أثناء وجودهم هذا الطريق . وزرعوا على جانبيه الأشجار . ونجده واضحاً فى الخريطة المعروفة بخريطة نابليون . يسير فى اتجاه شارع عدلى . ثم ينحرف شمالاً بغرب حتى يتصل بشارع ٢٦ يولية (فؤاد الأول سابقاً) عند أول شارع سليمان باشا تقريباً . ثم يتجه إلى بولاق .

شارع عدلى باشا يكن - المغربى سابقاً :

وكان هذا الطريق يتقاطع مع الخليج الناصرى ويعبره فوقه على قنطرة اسمها قنطرة المغربى .

وكان شارع عدلى اسمه لغاية سنة ١٩٣٣ شارع المغربى .

والمغربى الذى كان الشارع باسمه أولاً هو القاضى صلاح الدين يوسف بن المغربى رئيس الأطباء فى مصر . أنشأ هناك جامعاً وعمل فيه درساً ورتب له المقرئين .

---

(١) اسم المناخ هذا لا يرجع إلى مناخ أزبك بن ططخ ولكن إلى أن ابراهيم باشا عمل مناخاً للجمال بجوار جامع الكخيا . بدلاً من القصر الذى أراد عباس الأول اقامته هناك . وذلك فى عهد محمد على . ثم اشترى الخديوى اسماعيل هذا المناخ من دائرة أخيه أحمد باشا رفعت وأدخله ضمن تنظيم منطقة الأزبكية (الكافى فى تاريخ مصر لميخائيل شاروبيم ج ٤ ص ١٧٠ . وتقويم النيل ح ٣ ص ٥٣٤) .

وبنى بجانبه قبة دفن فيها . وكان الجامع عامرا بعمار ماحوله . فلما خرب خط بركة قرموط تعطل . وقال المقريزى : وهو آيل إلى أن ينقض ويباع كما بيعت أنقاض غيره[1]

ولم يصح ظن المقريزى فقد بقى الجامع للآن . وإن كان قد تضاءل إلى زاوية صغيرة أو ضريح فى مدخل عمارة كبيرة على يسار المتجه إلى شارع سليمان باشا بينه وبين شارع شريف . ووجوده لا يلفت النظر ولا يُعرف إلا إذا سألت عنه أحد البوابين . وهو بالتحديد فى مدخل العمارة ٣٠ بشارع عدلى .

بركة قرموط منشأة الكتبة :

وبركة قرموط كانت بين اللوق والمقس . وكانت من جملة بستان ابن ثعلب[2] وهى بمفهوم الوقت الحاضر الجزء الغربى من شوارع عدلى وثروت وقصر النيل حتى شارع سليمان باشا .

وعمرت هذه الجهة بمرور الخليج الناصرى . فبنى الناس على حافة هذه البركة وعلى شاطىء الخليج الناصرى . وأنشأ الكبراء والأعيان فيها الدور والقصور . وأحكموا البناء . وتنافسوا فى زخرفته من الداخل والخارج بالرخام والدهان . وغرسوا بها الأشجار وأجروا فيها المياه من الآبار .

وكان أكثر من يسكنها الكتاب . المسلمون منهم والأقباط .

وعاصر المقريزى عمرانها فى شبابه فقال عنها : وإنى لأذكرها وما مررت بها قط إلا وتبيّن لى من كل دار هناك آثار النعم . إما روايح تقالى المطابخ . أو عبير بخور العود والندّ . أو نفحات الخمر . أو صوت غناء . أو دق هاون . ونحو ذلك مما يبين عن ترف سكان تلك الديار ورفاهية عيشهم وغضارة نعمهم .

---

(١) خطط المقريزى ج ٢ ص ٣٢٨ . وذكر الدكتور عبد الرحمن زكى (تراث القاهرة العلمى ص ٥٩) جمال الدين ابراهيم ابن أحمد المعروف بالمغربى أنه كان رئيساً للأطباء فى زمن الناصر محمد وذكر أن تاريخ وفاته سنة ٧٠٤ أو سنة ٧٥٦هـ . ولعل من ذكره الدكتور عبد الرحمن زكى والد القاضى صلاح الدين يوسف المترحم له توفى سنة ٧٠٤ . والمترجم له توفى سنة ٧٥٦هـ .

(٢) بستان ابن ثعلب كان يمتد من باب اللوق إلى قنطرة البركة . وقد خلدت البلدية اسم ابن ثعلب بإطلاقه على شارع صغير خلف البنك الأهلى المركزى بشارع قصر النيل يصل بين شارعى الشريفين والقاضى الفاضل .

ثم قال : ثم هى الآن موحشة خراب . قد هُدمت تلك المنازل وبيعت أنقاضها منذ كانت الحوادث بعد سنة ٨٠٦هـ . فزالت الطرق . وجُهلت الأزقة . وانكشفت البركة وبقى حولها بساتين خراب .[١]

وقال عن قرموط المنسوبة إليه البركة أنه أمين الدولة قرموط مستوفى الخزانة السلطانية .

وقال فى مكان آخر أن مراكب النزهة كانت تمر بالخليج الناصرى حتى خليج فم الخور . وخرج الناس عن الحد بكثرة التهتك والتمتع بكل ما يلهى إلى ما بعد قتل الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر سنة ٧٧٨هـ وكان برقوق متسلطاً على الحكم فاستفتى شيخ الاسلام سراج الدين عمر البلقينى فأفتى بوجوب منعهم لكثرة ما يُرتكب فى المراكب من المحرمات ويتجاهر به من الفواحش والمنكرات . (وكان طلب الفتوى من الشيخ محمد صائم الدهر الذى ذكرنا فى الكلام على قناطر السباع فى الفصل الخامس من القسم الأول أنه شوه صور السباع كما شوه وجه أبى الهول) فمنعت المراكب من المرور بالخليج الناصرى إلا إذا كان بقصد التجارة . وظلت كذلك حتى زالت دولة الظاهر برقوق سنة ٨٠١هـ . فأذن بدخولها وهى مستمرة إلى وقته (٨٤٥هـ)[٢] .

وقد خلدت البلدية اسم منشاة الكتاب الذين ذكرنا أنهم أغلب السكان حول بركة قرموط بإطلاق شارع منشاة الكتاب على شارع يصل ما بين شارعى سليمان باشا وقصر النيل . وموازى لشارع الشواربى[٣] .

ابن ثعلب :

وقد ذكرنا أن بركة قرموط كانت من ضمن بستان ابن ثعلب . وهو فخر الدين اسماعيل بن ثعلب الشريف الجعفرى أحد أمراء مصر فى عهد العادل الأول الأيوبى - أخى صلاح الدين - توفى سنة ٦١٣ هـ . وهو صاحب المدرسة الشريفية بجهة

---

(١) خطط المقريزى ج ٢ ص ١٦٤ .
(٢) خطط المقريزى ج ٢ ص ١٥٠ وراجع الجدولين الرابع عشر والخامس عشر بالقسم الثالث .
(٣) وقد ذكر المقريزى (الخطط ج ٢ ص ١٣٢) منشأة أخرى للكتاب بجهة بستان الخشاب بمنطقة القصر العينى .

الفحامين بالقاهرة الفاطمية سيأتى ذكرها ونبذة لطيفة عنه فى الفصل التالى بإذن الله[1] .

وآل البستان بعده لابنه فاشتراه منه الصالح نجم الدين أيوب وأنشأ فى جزء منه الميدان بباب اللوق كما سبق ذكره فى الكلام على قنطرة باب الخلق فى الفصل الخامس من القسم الأول وفى أول الفصل من قسم الثانى .

وكان البستان يشمل باب اللوق وساحة الحمير ورحبة التبن وبركة قرموط حتى يصل شمالاً إلى المقس عند جامع أولاد عنان .

الفَوّالة :

وعند دخول الفرنسيين كانت هناك بركة كبيرة تسمى بركة الفوالة وتغطى أغلب المساحات التى ذكرناها . حدها الشمالى إلى ما بعد شارع ٢٦ يولية والشرقى موقع شارع عماد الدين . والغربى موقع شارع سليمان باشا تقريباً . والجنوبى موقع شارع الساحة (رشدى باشا) .

وهذا جميعه من ضمن منطقة الإسماعيلية التى حصل تنظيمها فى عهد إسماعيل .

وكان ما بين بركة الأزبكية وبركة الفوالة مساكن عند دخول الفرنسيين . وكان الجزء شمال جامع الكخيا من هذه المساكن سكناً للنصارى[2] .

وشارع الفُوالة الآن شارع صغير يصل ما بين شارعى قصر النيل ورشدى ويلتقى بشارع رحبة التبن قبل شارع رشدى بقليل .

---

(١) لقب الشريف الجعفرى لأن السيدة زينب بنت الإمام على بن أبى طالب تزوجت بابن عمها عبد الله بن جعفر الطيار بن أبى طالب . ورزقت منه أربعة ذكور وبنتاً . وهم على وعون وعباس ومحمد وأم كلثوم . ويقال لنسلهم الجعفريون والزينبيون . وهناك خلاف هل يعتبرون من الأشراف بحكم أنهم من آل البيت . أم أن الأشراف فقط هم نسل الحسن والحسين ولدى على بن أبى طالب والسيدة زينب هى المنسوب لها المقام بالميدان المعروف باسمها .

(٢) كما كان الجزء شمال بركة الأزبكية عند شارع نجيب الريحانى (وجه البركة سابقاً) سكناً للأقباط كما سيأتى ذكره بإذن الله .

ويبدو أنه كانت هناك فى هذه المنطقة تجارة الفول حيث يتفق هذا مع مناخ الجمال ورحبة التبن وساحة الحمير .

وقبل أن ننتقل من هذا الجانب من بركة الأزبكية . وهو الجانب الغربى والجنوبى الغربى . نود أن نذكر أن كثيراً من الشوارع بهذه المنطقة - أى منطقة بستان ابن ثعلب بوضعة السابق ذكره قد سُميت على اسماء جوامع أو زوايا أو أضرحة . والكثير منها غير معروف التاريخ على وجه الدقة والتحديد .

فقد ذكرنا شارع المغربى الذى اسمه الآن شارع عدلى . ونذكر الآن شارع عماد الدين .

شارع عماد الدين :

وهو شارع طويل طوله ٢٥٠٠ متر تقريباً . ويصل من شارع رمسيس لغاية مابعد شارع الناصرية بقليل . وإذا ما نفذ امتداده لغاية ميدان السيدة زينب لكان طوله ٣٠٠٠ متر تقريباً .

وقد قسمته بلدية القاهرة من جهة التسمية قسمين . الجزء الشمالى منه . وهو الربع تقريباً . من شارع رمسيس لغاية تقاطعه مع ٢٦ يولية (فؤاد سابقاً) - احتفظت له بالاسم الأصلى . عماد الدين . والجزء الجنوبى أسمته شارع محمد بك فريد تخليداً لذكرى الوطنى المجاهد .

محمد بك فريد :

تخرج من مدرسة الحقوق سنة ١٨٨٧ . وعين بالنيابة . ثم استقال سنة ١٨٩٧ . واشتغل بالمحاماة . وانضم إلى الحزب الوطنى . وبعد وفاة زعيمه مصطفى باشا كامل اختير لرئاسة الحزب . وهُدِّد بالقبض عليه فسافر إلى أوربا . وظل يعمل هناك للدعاية لحقوق مصر وكان يملك أكثر من ثلثمائة فدان أضاعها فى خدمة وطنه والدعاية له . وعاش فى آخر حياته فى أوربا فى فقر وفاقة . وتوفى فى ١١ نوفمبر سنة ١٩١٩ . ونُقل جثمانه إلى مصر . وقبره بجوار مدافن الخلفاء[١] . وكذلك قبر السيدة حرمه .

---

(١) نعنى الخلفاء العباسيين فى مصر بعد انتقال الخلافة من بغداد (راجع الجدولين الخامس والسادس بالقسم الثالث) . وقبورهم بجوار مسجد ومقام السيدة نفيسة من الجهة الجنوبية الشرقية . وأطلق على الحى هناك قسم الخليفة لسكناهم ومدافنهم به .

الشيخ عماد الدين :

أما عماد الدين المنسوب له هذا الشارع فهو الشيخ عماد الدين صاحب ضريح بالقرب من تقاطع شارع عماد الدين (الجزء المسمى محمد فريد) والشيخ ريحان . وقد أخذ الشارع منه جانباً . وغير معروف تاريخ إنشائه . ولا ترجمة صاحب الضريح . ولكن به كتابة عليها تاريخ ١٠٧٢هـ (١٦٦١م)

وأصبح إطلاق اسم عماد الدين على الجزء الشمالى من الشارع كما ذكرنا إطلاقاًلا يربط الاسم بالمسمى . فضريح عماد الدين فى الجزء الجنوبى من الشارع المسمى بمحمد فريد .

وقد ذكرنا فى الفقرة الثانية من المقدمة الموضوعية أن المحال العامة للهو والقصف مثل المسارح ودور السينما والغناء كانت فى مستهل القرن الحاضر مركزة فى حى الأزبكية . ثم تحولت قليلاً حتى تركز أغلبها فى شارع عماد الدين فى الجزء بين تقاطعه مع شارع رمسيس وبين تقاطعه مع ٢٦ يولية .

وتمشّت البلدية مع هذا الوضع . فغيّرت أسماء بعض الشوارع إلى أسماء بعض الفنانين .

فأسمت شارع (وجه البركة) بشارع نجيب الريحانى . (١)

وأسمت شارع جلال الذى به سينما كايرو بشارع زكريا أحمد .

كما أطلقت اسم سيد درويش على حارة صغيرة خلف مسرح الريحانى الحالى .

وقد أنشأ عباس حلمى الثانى أثناء ولايته على مصر فى هذا الجزء (عماد الدين) عدة عمارات ظلت معروفة باسم عمارات الخديوى . ثم بعد خلع عباس آلت ملكيتها إلى سيتون أحد الأجانب . ولكن استمر اسم عمارات الخديوى شائعاً لها . وهى الآن فى ملكية الدولة . وباقية للآن . ويمكن أن تتبينها من طرازها المعمارى.

---

(١) كان الحد الشمالى لبركة الأزبكية هو شارع وجه البركة كما سنذكر بإذن الله . وكان الأنسب الأحتفاظ بالاسم القديم لمعناه التاريخى . لولا أنه كان فى هذا الشارع مقر الدعارة الرسمية التى تزاول بتصريح من الحكومة . وهذه سبة فى جبين أى بلد إسلامى . فارتبط اسم الشارع بهذا المعنى الغير أخلاقى . فأريد القضاء عليه .

المترو :

كذلك كان خط مترو مصر الجديدة ينتهى فى شارع عماد الدين عند تقاطعه مع ٢٦ يوليـة . ثم نقلت محطتـه النهائيـة إلى شارع الجـلاء بالقـرب من جمعيـة الأسعاف . ثم بعد ثورة سنة ١٩٥٢ مُدَّ خط المترو إلى محطته النهائية الحالية بشارع الجلاء بالقرب من كورنيش النيل .

ثم رؤى أخيراً ما فى هذا الامتداد من تعطيل للمترو لكثرة إشارات المرور . فأعيدت نهاية الخط عند الأسعاف ثانية . ثم اختصر لغاية ميدان رمسيس .

الشيخ حمزة :

ونجد شارعاً آخر على اسم صاحب ضريح . كان اسمه شارع الشيخ حمزة والآن اسمه شارع هدى شعراوى .

وهو يصل مـا بين شـارع سليمان بـاشا وآخـر شارع شـريف خلف وزارة الأوقاف . وهو منسوب لضريح موجود به اسم صاحبه الشيخ حمزة بالقرب من أوله على يمين الداخل من شارع سليمان باشا .

وقد ذكره على باشا مبارك فى أسماء شوارع الإسماعيلية إجمالا فى آخر الجزء الثالث . ولكن لم يترجمه بين الزوايا ولا الأضرحة .

هدى شعراوى :

التى أصبح باسمها شارع الشيخ حمزة هى السيدة كريمة محمد باشا سلطان وقرينة على باشا شعراوى الذى ذكرنا فى ترجمة سعد زغلول . أنه ذهب مع سعد باشا وعبد العزيز بك فهمى إلى دار الحماية فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩١٨ يطلبون التصريح بالسفر لعرض طلب مصر للاستقلال أمام مؤتمر الصلح بباريس .

وكانت السيدة هدى شعراوى من رائدات النهضة النسائية فى مصر . طالبت بحقوق المرأة والمساواة بين الجنسين فى الوظائف العامة . وإلغاء الحجاب . ومثلت مصر فى المؤتمرات النسائية فى أوربا عدة مرات . وتوفيت سنة ١٩٤٧ عن ٦٨ عاماً .

وكان لوالدها سلطان باشا قصر فخم فى شارع صبرى أبو علم (جامع جركس سابقاً) مابين ميدان سليمان باشا ووزارة الأوقاف هدم فى السنوات الأخيرة وأنشىء مكانه مسجد .

كما كان قصر زوجها على باشا شعراوى لايقل فخامة عنه فى نهاية شارع قصر النيل عند ميدان التحرير . استعمل كمتحف ومعرض للفنون الجميلة ثم هدم فى السنوات الأخيرة . ومكانه الآن متسع فسيح (بارك) لانتظار السيارات .

شارع شريف باشا (المدابغ سابقاً) :

هو الشارع الذى يصل من شارع ٢٦ يولية لغاية وزارة الأوقاف . وقد ذكرنا أن مدابغ العاصمة كانت قبلا فى حوش الشرقاوى جنوب باب الخلق . ثم نقلت إلى باب اللوق . ثم نقلت إلى مقرها الحالى شمال القسطاط .

وكان شارع شريف اسمه شارع المدابغ ثم غير الاسم إلى شارع شريف .

محمد باشا شريف :

أحد الأعلام فى تاريخ مصر الحديثة . ومن الذين عُرفوا بحبهم وإخلاصهم لمصر[١] .

وهو تركى الأصل أبوه أحمد شريف كان شيخ الإسلام بتركيا . فأرسل ابنه محمد شريف إلى مصر ليتلقى العلوم الدينية فى الأزهر . وكان أبوه من قبل قد تلقى علومه أيضاً بالأزهر .

ونزل محمد شريف برواق الأتراك فى الأزهر .

ولما زار محمد على الآستانة أوصاه شيخ الإسلام أحمد شريف على ابنه محمد . فلما عاد إلى مصر استدعاه من الأزهر وضَمَّه إلى معيّته[٢] .

---

(١) هناك شخصان فى تاريخ مصر الحديث بهذا الاسم . الأول السيد محمد باشا شريف كان فى عهد محمد على وتعين وإلى ألوية الشام فى أثناء حروب إبراهيم باشا . ثم ناظراً للمالية . ولما تولى عباس حلمى الأول استبعده مع من استبعد من رجال الحكم فى عهد محمد على .

والثانى هو المترجم له . وقد نشر أمين باشا سامى صورة الأول ص ٤٠٩ من الجزء الثانى من تقويم النيل . وصورة المترجم له ص ٥٠٤ من القسم الثانى من الجزء الثالث ونذكر هذا لعدم اللبس

(٢) المعيّة من (مع) . وكان يقال المعيّة السنية أى من يعملون مع الأمير أو الحاكم

وأقبل محمد شريف على العلوم الحديثة . واندمج فى البيئة المصرية . وأتقن اللغة الفرنسية وأوفدته الحكومة إلى الآستانة عدة مرات .

وتقلب فى الوظائف حتى وصل إلى وظيفة باشمعاون الوالى فى عهد سعيد باشا وهى وظيفة أقرب إلى اختصاص رئيس الوزراء حاليا (1).

وفى عهد إسماعيل كان هناك مجلس يقرب من مجلس الوزراء مكون من خمسة عشرعضواً من الأعيان وكبار الموظفين . ويرأسه الخديوى بنفسه . وتولى محمد شريف وكالة هذا المجلس عدة مرات .

ثم لما اضطر إسماعيل إلى إنشاء مجلس للنظار وإنشاء حكومة دستورية تشكلت نظارة سنة ١٨٧٨ برئاسة نوبار باشا لم تمكث غير بضعة شهور . ثم تلتها نظارة يرأسها توفيق بن إسماعيل لم تمكث غير ١٩ يوماً . ثم تألفت نظارة برئاسة شريف باشا سنة ١٨٧٩ . وكانت تسمى الوزارة الدستورية الأولى .

وكان إسماعيل قد اضطر للوعد بإيجاد حياة نيابية صحيحة غير مجلس شورى النواب الذى كان موجوداً . فاشتغل شريف باشا بوضع الدستور .

وظلت نظارة شريف فى الحكم حتى عُزل إسماعيل . وحل محله توفيق . فحلّ نظارة شريف . وألّف أخرى برئاسة الخديوى شخصياً . وكان يقصد من هذا حفظ المنصب لرياض باشا الذى كان غائباً فى أوربا حتى يعود . فلما عاد رياض ترك له رئاسة النظارة .

وبدأت الحركة العرابية فأسقطت نظارة رياض باشا . وشكل شريف باشا نظارته الثانية فى سبتمبر سنة ١٨٨١ بناء على طلب الجيش .

ثم عمل العرابيون على إسقاط نظارة شريف باشا . فأحرجوه ببعض المطالب فاستقال . وتشكلت نظارة برئاسة محمود سامى باشا البارودى فى فبراير سنة ١٨٨٢ .

---

(1) كان سعيد ألغى وظيفة الكتخدا أو الكخيا بمعناها السابق وهذا بالأمر الصادر ٦ ربيع أول سنة ١٢٧١هـ(١٨٥٤)

وسئم شريف باشا من الدسائس . فسافر إلى أوربا . وظل هناك حتى انتهت الثورة العرابية بكارثة الاحتلال الانجليزى . فاستدعى شريف ليرأس النظارة من جديد فى أغسطس سنة ١٨٨٢ .

وقيل أنه لما حضر إلى مصر ورأى آثار الاحتلال الأنجليزى كان يبكى طول الطريق من الأسكندرية إلى مصر .

وظل شريف باشا فى نظارته الثالثة حتى استقال فى يناير سنة ١٨٨٤ .

وسبب استقالته أن الأنجليز نصحوا بجلاء الجيش المصرى عن السودان بحجة العجز عن مقاومة ثورة المهدى . وكان غرض الأنجليز أن يعيدوا فتح السودان مع مصر ليشاركوها فيه . فرفض شريف وقال جملته المشهورة : (لو تركنا السودان فالسودان لن يتركنا) .

وخلفه نوبار باشا فنفذ للأنجليز طلبهم .

وتوفى شريف باشا بعد ذلك بقليل سنة ١٨٨٤ عن ٧٢ عاماً . وقيل أنه مات كمداً وحسرة على حال مصر .[١]

شارع سليمان باشا (شارع طلعت حرب) :

يبدأ من ميدان التحرير حتى شارع ٢٦ يولية وتغير اسمه أخيراً إلى اسم شارع طلعت حرب تخليداً لذكرى الاقتصادى الكبير الذى دعم النهضة الاقتصادية فى مصر بانشاء بنك مصر وشركاته فى العشرينات من هذا القرن .

ورأينا الاحتفاظ بالاسم الأصلى فى سياق هذا الكتاب لأنه لايزال هو الأقرب للأذهان .

وسليمان باشا كان عسكرياً فرنسياً اسمه الكولونيل سيف . قد استعان به محمد على فى انشاء وتدريب الجيش المصرى سنة ١٨١٩ . واعتنق الإسلام .

---

(١) من مقال للمرحوم الأستاذ محمود عزمى نشر بمجلة السياسة الأسبوعية بالعدد ٦٩ فى ١٩٢٧/٧/٢)

واشترك فى حروب إبراهيم باشا فى الشام سنة ١٨٣٩ . ووصل إلى رئاسة رجال الجهادية (وزير الحربية) .

وتوفى سليمان باشا فى ١١/٣/١٨٦٠ وقبره بجهة مصر القديمة . والمنطقة هناك تسمى الفرنساوى .

وفى سنة ١٨٧٥ أمر اسماعيل بتقرير مبلغ ٢٥٠٠ قرشاً أى خمسة وعشرين جنيهاً معاشا شهرياً لأرملته[١] .

وشارعا شريف باشا وسليمان باشا متوازيان تقريباً . وفى هذا التوازى معنى لصلة قامت بين الرجلين , فقد تزوج محمد باشا شريف بابنة سليمان باشا . ورُزق منها بنتاً تزوجت عبد الرحيم باشا صبرى . فرُزق منها بنتاً هى نازلى التى تزوجها الملك أحمد فؤاد وعرفها التاريخ باسم الملكة نازلى والدة فاروق . وكان فى تصرفها وسلوكها ما أساء سمعة البلاد فى الخارج وآثار الشعب فى الداخل . ومن الأسباب التى عجلت بقيام الثورة سنة ١٩٥٢ [٢] .

شارع أبو السباع الذى أصبح الآن شارع جواد حسنى :

ونجد أيضاً فى هذه المنطقة شارعاً منسوباً لأحد الأضرحة . هو شارع أبـو السباع . وهو يبدأ من شارع عبد الخالق ثروت وينتهى إلى شارع صبرى أبو علم (جامع جركس سابقاً) .

والشارع منسوب إلى ضريح (سيدى عبد الرحمن أبى السباع) . والضـريح ليس بالشارع المذكور . ولكنه فى حارة صغيرة اسمها حارة باب اللوق . تبدأ من ميدان باب اللوق وتسير غربـاً بين شـارعى صبرى أبـو علم وعبدالسـلام عارف (البستان سابقاً) حتى امتداد شارع شريف .

---

(١) فى نفس اليوم ٧ صفر سنة ١٢٩٢هـ صدر من اسماعيل قرار باعتماد صرف مبلغ ١٠٩٢٢ جنيهاً وكسور ما صرف فى حضور ابنته زينب وزوجها كامل باشا من اصلاحات بقصر طوسـون حيث أقاما . ومصاريف انتقالاتها وإقامتها من لوازم المطبخ والكيلار . وأجر وأثمان أشيات (أشياء) متنوعة . بعضها عدمت بالاستعمال . وبعضها فقد . . الخ (تقويم النيل ج ٣ ص ١٢١٤)

(٢) كان شارع رمسيس اسمه شارع الملكة نازلى . وأثر تصرفاتها ألغى فاروق اسمها من الشارع وجعله شارع الملكة . وقبل أن يسمى الشارع بالملكة نازلى كان اسمه شارع عباس نسبة إلى عباس حلمى الثانى

وغير معروف ترجمة صاحب الضريح ولا تاريخ انشائه .

وتغير اسم شارع أبو السباع إلى شارع طلعت حرب ثم أخيراً إلى شارع جواد حسنى أحد الشهداء فى حروب فلسطين سنة ١٩٤٨ .

شارع العشماوى :

ونجد شارع العشماوى وهو يبدأ من شارع عبدالعزيز عند جامع هناك اسمه جامع العظام ويسير غرباً حتى شارع إبراهيم باشا .

وامتداد شارع العشماوى هو شارع رحبة التبن السابق ذكره .

الشيخ درويش العشماوى :

وسمى الشارع كذلك لأن به ضريح الشيخ درويش العشماوى . وأصله من قرية عشما مركز منوف بمحافظة المنوفية . توفى أخوه الأكبر . وكان يحبه كثيراً . فحزن واختلط عقله . فأرسل إلى مستشفى المجاذيب حيث ظل بها ثلاث سنوات . وخرج منها مجذوباً . فسكن بحارة الهدارة (أمام قسم عابدين تقريباً) سنة ١٧٩٨ . واجتمع إليه الناس . وأشاعوا عنه الكرامات . ونذروا له النذور . وقصده الكبراء والأمراء . وهادوه . وظل بحارة الهدارة حتى سنة ١٨١٩ . فانتقل إلى زاويته التى هى محل ضريحه الآن . واستمر بها حتى توفى سنة ١٨٣١م .

وعندما تولى عباس حلمى الأول ولاية مصر . اتصل به الشيخ سليمان أكبر تلاميذ الشيخ درويش العشماوى . فأمر ببناء الزاوية على صورتها الحاضرة . بحيث جعلها جامعاً متسعاً[١] .

الشيخ أبو قابل العشماوى :

وتوجد زاوية أخرى باسم أبى قابل العشماوى قال عنها على مبارك أنها بساحة الحمير وغير مقامة الشعائر لتخربها بمرور الشارع الموصل إلى قصر النيل بقطعة منها . وليس بها آثار تدل على إنشائها[٢] .

---

(١) الخطط التوفيقية ج ٥ ص ٥٠ (٢) الخطط التوفيقية ج ٤ ص ٥٤

والشارع المذكور هو شارع رشدى (الساحة سابقاً) . والزاوية باقية للآن . فى منتصف المسافة تقريباً بين شارعى شريف وإبراهيم باشا على يسار المتجه إلى شارع عبد العزيز .

مسجد العظام :

ومسجد العظام الذى مر ذكره بشارع عبدالعزيز على يسار المتجه إلى ميدان العتبة الخضراء - قبلها بقليل . عند مدخل شارع العشماوى .

وعندما شرعوا فى تنظيم ميدان العتبة الخضراء كان بمدخل شارع عبدالعزيز وشارع القلعة (محمد على سابقاً) ترب ومقابر عرفت بترب الأزبكية وبكوم الشيخ سلامة .

فأزيلت هذه المقابر . ونقلت عظام من كان بها من المدفونين إلى صهـريج كبير . وبنى على هذا الصهريج الجامع المذكور . ولذلك عُرف بجامع العظام .

شارع عبدالعزيز :

من العتبة الخضراء إلى قسم شرطة عابدين . وسمى بهذا الاسم تخليداً لزيارة السلطان عبدالعزيز [١] سلطان تركيا أثناء ولاية إسماعيل باشا .

ففى أواخر مارس سنة ١٨٦٣ زار السلطان عبدالعزيز مصر[٢] ومكث بها عشرة أيام (من ١٧ شوال - ٢٦ شوال سنة ١٢٧٩هـ) . وكان إسماعيل باشا فى استقباله عند وصوله للإسكندرية . فقبل يده . ونزل السلطان بسراى رأس التين . ومكث بالإسكندرية يومين زار فيهما بعض معالم المدينة .

ثم سافر بالقطار إلى القاهرة . وكانت هذه أول مرة يرى فيها السلطان القطار فقد سبقت مصر تركيا فى إدخال السكك الحديدية[٣] .

---

(١) راجع الجدول السادس عشر بالقسم الثالث

(٢) هذه الزيارة بعد شهرين تقريباً من ولاية اسماعيل الذى تولى الحكم فى ١٨/١/١٨٦٣

(٣) بُدىء بإنشاء خط مصر ـ الأسكندرية فى عهد عباس الأول سنة ١٨٥٢ . بالاتفاق مع روبرت ستيفنسون مخترع القاطرة البخارية . وكان هذا الخط أول خط فى الشرق كله .

وفى القاهرة نـزل بقصر القلعـة . وصلى الجمعـة فى اليوم التـالى لوصـوله (٢٠شوال) بجامع محمد على فى القلعة .

وصادف ٢١ شوال حفلة تشييع المحمل (١) . فرأس السلطان الاحتفال .

ومكث السلطان بالقاهرة لغايـة ٢٦ شوال زار خـلالها المتحف المصـرى . والأهرام .والقناطر الخيرية . ومصانع القطن والحرير ببولاق . ومشاهد آل البيت النبوى .

ثم سافر للإسكندرية . ومنها عاد إلى الآستانة .

وكان إسماعيل طموحاً يسعى لتوطيد مركزه وتحسينه . فكان تقربه للسلطان وإغداقه الهدايا والأموال لرجال الحكم فى تركيا سبباً لتحقيق أغراضه .

ففى ١٨٦٦/٥/٢٧ صدر فرمان (مرسوم) بجعل وراثة الحكم فى مصر فى أكبر أولاد إسماعيل . وكانت قبلا فى أكبر أفراد أسرة محمد على . وفى سنة ١٨٦٧ حصل على امتياز يتميز به حاكم مصر عن باقى الولاة فى الدولة العثمانية فأصبح له لقب خديوى .

وفى سنة ١٨٧٣ (ربيع الآخر سنة ١٢٩٠هـ) صدر قرار مثبت لهذه الحقوق . ويقرر استقلال الخديوى بشؤن مصر الداخلية استقلالاً تاماً . وله أن يعقد القروض والمعاهدات التجارية مادامت لاتتعارض مع مصلحة الدولة العلية (تركيا) ولاتناقض

---

(١) اعتادت مصر منذ عهد الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦ هـ) أن ترسل سنوياً كسوة للكعبة . مع صرة من المال مساعدة لحكومة الحجاز . ويصحب هذا فرقة من الجند لأمن الحجاج . ثم توضع على جمل يُزَوَّق ويعرض فى حفل عسكرى كبير يرأسه الحاكم أو من ينوب عنه .

وكانت وظيفة أمير الحج من الوظائف الكبرى فى عهد المماليك البكوات .

وفى عهد أسرة محمد على كانت تعطل المصالح الحكومية يومين . الأول فى تشييع المحمل .والثانى فى عودته . وكان سفر المحمل عادة فى شوال وعودته فى المحرم أو صفر . ثم لما تقدمت وسائل المواصلات وأصبح سفر الحجاج بالبواخر . كان الاحتفال بخروج المحمل فى النصف الثانى من ذى القعدة . وعودته فى المحرم .

ولما قامت الحكومة السعودية فى الحجاز اعترضت على دخول قوة عسكرية وما يصحبها من موسيقى لأن هذا يتنافى مع استقلال البلاد . وقبل ذلك كان الوهابيون قد منعوه عدة سنوات قبل أن يتغلب عليهم محمد على .

وظل الاحتفال بسفر الكسوة وعودة المحمل لغاية سنة ١٩٥٢ . وكان سفر المحمل سنتها فى أغسطس وعودته فى سبتمبر . ثم ألغى الاحتفال والعطلة بعد ذلك .

معاهداتها مع الدول الأجنبية . وله الحق فى زيادة جيشه حسبما يشاء . وفى نظير ذلك زادت الجزية التى تدفعها مصر إلى تركيا إلى ٦٦٥٠٠٠جنيهاً . وكانت أصلاً ٣٢٠٠٠٠جنيهاً سنوياً . زيدت إلى ٦٠٠٠٠٠جنيهاً عندما صدر قرار سنة ١٨٦٧ بمنح الوالى لقب خديوى [1] . ثم زيدت سنة ١٨٧٥ إلى ٦٦٥٠٠٠جنيهاً عندما صدر القرار الأخير .

وبدىء بتنفيذ الشارع من العتبة إلى عابدين فى أبريل سنة ١٨٧٠ . وسُمى بشارع عبد العزيز لتخليد ذكرى زيارة السلطان .

فانوس عمر افندى :

وعند ملتقى شارعى عبد العزيز ورشدى (الساحة سابقاً) يوجد محل عمر أفندى . وهو اسم تاجر تركى صاحب المحل أصلاً . فلما قامت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) صفيت أملاك الأتراك فى مصر فاشترى المحل تاجر فرنسى اسمه أورزدى باك . واحتفظ بالاسم الأصلى للمحل . فأصبح أورزدى باك ـ عمر افندى .

وأهمية الاحتفاظ باسم عمر افندى أنه كانت له شهرة تجارية ساعد عليها نوع من الدعاية والإعلان . فقد أقام فى القبة فوق مدخل المحل فانوساً يدور مساءً ويلقى نورا كشافاً مع دوران الفانوس فيضىء فضاء القاهرة . وكان هذا منظراً وقتها يخلب الألباب . واشتهر باسم فانوس عمر افندى .

نعوذ إلى الكلام عن بركة الأزبكية .

دار على بك الكبير :

انشأ على بك الكبير داراً على الحافة الجنوبية لبركة الأزبكية بدرب عبد الحق . وهى التى مات فيها . وآلت من بعده إلى محظيته الست نفيسة التى عرفت بالمرادية لأنها تزوجت بعد على بك من مراد بك الكبير والست نفيسة كانت ذات مكانة مبجلة عند الفرنسيين وفى السنين الأولى من حكم محمد على وتوفيت سنة ١٢٣١هـ(سنة ١٨١٦م) .

---

(١) الخديوى لفظ فارسى الأصل معناه الأمير العظيم وكان الفرس يطلقونه على حاكم الهند عند ما كانوا يحكمون أجزاء منها (تاريخ مصر من الفتح العثمانى ص ٢٢٠) .

عبد الحق السنباطى :

ودرب عبد الحق المذكور نسبة إلى مقام الشيخ عبد الحق السنباطى . وجامعه موجود خلف كازينو وسينما أوبرا . وهناك شارع باسمه . وغير معروف تاريخ إنشاء الجامع . ولكن ذكر على مبارك [1] نقلاً عن الضوء اللامع للسخاوى نبذة عن عبد الحق بن محمد بن عبد الحق السنباطي ووالده استدل منها أنهما كانا من علماء القرن التاسع الهجرى (١٥م) . وأن الوالد توفى سنة ٨٧٠هـ . وأن الابن لم يعرف تاريخ وفاته [2] . ولكنه ذكر أنه حج سنة ٨٨٢ . ودرّس بمكة والمدينة .

السيد خليل البكرى :

وكانت للسيد خليل البكرى ـ نقيب الأشراف وخليفة السجادة البكرية أثناء وجود الفرنسيين ـ دار بالقرب من جامع عبد الحق السنباطى . وفى هذه الدار كان يُحتفل بالمولد النبوى الشريف أثناء وجود الفرنسيين .

والسيد خليل من البيت البكرى الصديقى وينتهى فى النسب إلى عبد الرحمن ابن أبى بكر الصديق .

وساق صاحب الخطط التوفيقية [3] للبكرية سلسلة من النسب من السيد على ابن السيد عبد الباقى الموجود فى وقته (١٣٠٥هـ) إلى أبى بكر الصديق بها ٣٨ اسماً . وهى تتفق إلى حد كبير مع ماذكره الجبرتى عن سلسلة نسبهم . مع اختلافات يسيرة فى ترتيب بعض الأسماء . وهى اختلافات تغتفر نظراً لتكرار الأسماء . فمثلاً نجد اسم محمد فى ثلاثة أجيال متعاقبة . ولكل منهم كنية ولقب . ومن الصعب ضبط هذه الأمور فى فترة ثلاثة عشر قرناً .

ويبدو أن على مبارك أراد مجاملتهم فقال أنهم ينتسبون إلى البيت النبوى الكريم عن طريق جدهم السادس عشر . فأمه فاطمة بنت محمد بن عبد الملك بن

---

(١) الخطط التوفيقية جـ١٢ ص٥٢ وص٥٣

(٢) لعل ذلك لأن الابن عاش بعد السخاوى الذى توفى سنة ٩٠٢ هـ . والسنباطى نسبة إلى سنباط إحدى القرى التابعة لمركز زفتى .

(٣) جـ٣ ص ١٢١

عبد المؤمن بن عبد الملك بن حسن المكفوف بن على بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب [1]

ومع أحتمال الشك الذى ذكرناه فى الهامش . فأن نسبة الشرف إلى البيت النبوى الكريم قد تأتى بالتواتر . أو تأتى عن طريق النساء . وقد تولى بعض السادة البكرية نقابة الأشراف . ولا يجوز هذا إلا إذا كان النقيب معترفاً بنسبه الشريف من معاصريه الأشراف .

وأرجع صاحب الخطط التوفيقية وجودهم فى مصر إلى ما قبل سنة ٥٨١ هـ(١١٨٥م) بناء على حجة موجودة بخزانتهم بالتاريخ المذكور : أن المظفر تقى الدين شاهنشاه بن أيوب ـ أخا صلاح الدين ـ أنشأ مدرسة للشافعية بالفيوم . وأوقف عليها أطياناً . وشرط فى حجة الوقف التدريس فيها (لسيدنا ومولانا شيخ الإسلام والمسلمين بقية السلف الصالحين . سلالة صِدِّيق سيد المرسلين ـ أبى الإشراق نجم بن مولانا أبى المكارم الشيخ عيسى بن مولانا الشيخ أبى المحامد شعبان الصديقى الشافعى . ثم من بعده لذريته ونسله وعقبه المقلدين لمذهب الإمام الأعظم محمد بن إدريس الشافعى) اهـ .

ونجم أبو الأشراف بن عيسى بن شعبان المذكور هو الجد الخامس والعشرون فى السلسلة التى ساقها على مبارك [2] .

ولاشك أنه بيت عريق فى المجد . وكانت لهم مساكن متعددة . بباب الخرق . وعابدين . وعلى الخليج تجاه زاوية جلال الدين البكرى الشهيرة بالجامع الأبيض [3] . وبالأزبكية بدرب عبد الحق .

---

(١) فى هذا بعض الشك . ففى كتاب عمدة الطالب فى نسب آل أبى طالب (مخطوط) أن الحسن المثلث لم يعقب إلا من ولده عبد الله . وفى كتاب النفحة العنبرية فى انساب خير البرية للفيروز أبادى (مخطوط) أن المعقبين من أولاد الحسن المثنى خمسة . وليس فيهم الحسن المثلث . وذكر أن الحسن المثلث مات مسموماً فى أيام الوليد بن عبد الملك .

وفى النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى (جـ٢ ص ٥٩) أن الحسن المثلث أعقب عليا الذى أعقب الحسين الذى ثار وقتل فى فخ سنة ١٦٩هـ (راجع الجدول العاشر بالقسم الثالث) فهذه ثلاثة أقوال متضاربة .

(٢) لم أعثر فيما وصلت إليه يدى من مراجع على هذا الاسم . وربما كان فى مراجع أخرى

(٣) فى الجهة اليسرى من شارع بورسعيد إذا كنت متجهاً إلى غمرة . ويفصل بين الجامع وحديقة البكرية شارع اسمه شارع البكرية يتفرع جنوباً من شارع الظاهر موازياً لشارع بور سعيد

وهذه الدار بالازبكية كانت تطل على البركة . وكان يعمل فيها المولد النبوى الشريف كما ذكرنا . وعند تنظيم هذه المنطقة فى عهد إسماعيل أخذت منهم هذه الدار وعُوضوا عنها بسراى عباس باشا الأول بالخرنفش .

ويقول المؤرخ الكبير المرحوم عبد الحمن الرافعى أن مكان هذه الدار بالأزبكية حالياً محل صندوق الدين[1] . وهو بين ميدان الأوبرا والبوستة العمومية . وبينه وبين البوستة شارع البيدق . والمعقول أن صندوق الدين لم يأخذ إلا جزءاً فقط من هذه الدار . فبالرجوع إلى خريطة نابليون . نجد أن المساحة التى بها محل صندوق الدين ماعدا الجزء الجنوبى منها كانت من ضمن فراغ بركة الأزبكية .

وكان لهذه الأسرة علامة مميزة أنه إذا دنا أجل أحدهم يظهر بعقبه - أى بمؤخر قدمه - الأثر الشريف . وهو أشبه باللدغة . ويرجعونها إلى اللدغة التى أصابت أبا بكر الصديق فى الغار مع الرسول (ص) أثناء الهجرة إلى المدينة . وإذا ظهرت هذه العلامة قطع الأمل من شفاء المريض . وهى دليل على صحة النسب عندهم . وتظهر عند وفاتهم رجالاً أو نساءاً أو أطفالاً . حتى ولو كان سقطاً[2] .

وكان شيخ السجادة البكرية يجمع أحياناً - فضلاً عن الخلافة البكرية - نقابة الأشراف ومشيخة الطرق الصوفية والأضرحة والتكايا . وناهيك بما لبعض الأضرحة الكبيرة مثل سيدنا الحسين من أوقاف ونذور .

ويحسن بنا أن نذكر أن نقابة الأشراف لم تكن وقفاً على أسرة معينة . فمثلا قد ورد فى تاريخ الجبرتى[3] : (توفى السيد حسن نقيب الأشراف سنة ١١٢١هـ وكانت النقابة لأبيه وجده وعمه من قبله . وانقرضت دولتهم . وأقيم عوضه السيد مصطفى بن السيد أحمد الرفاعى . ثم ورد الأمر بتولية السيد عبد القادر . ولكنه ذبح فى نفس اليوم ورفض السيد مصطفى النقابة) .

وفى سنة ١١٦٨هـ (١٧٥٤م) تولى نقابة الأشراف أبو الأمداد أحمد سبط أبى

---

(١) تاريخ الحركة القومية للمرحوم عبد الرحمن الرافعى جـ٢ ص ١٧٢ - وصندوق الدين كان مقابل موقع دار الأوبرا

(٢) الخطط التوفيقية جـ٣ ص١٢١

(٣) تاريخ الجبرتى جـ١ ص٧٤

الوفا السادات . إذ أمه السيدة أم المفاخر بنت السيد عبد الخالق أبى الوفا المتوفى سنة ١١٦١هـ . فلما تولى أبو الأمداد خلافة السادات الوفائية تنازل عن نقابة الأشراف للسيد محمد البكرى .

وكان شيخ السجادة البكرية وقتذاك السيد أحمد بن محمد البكرى . وهو أخو السيد خليل المترجم . فلما توفى السيد أحمد سنة ١١٩٥هـ لم يعين السيد خليل مكانه . لما فيه من رعونة وارتكابه أموراً غير لائقة كتعبير الجبرتى . بل تولاها ابن عمه السيد محمد البكرى المذكور فجمع بين خلافة بيتهم ونقابة الأشراف .

ولما توفى السيد محمد سنة ١١٩٦هـ . لم يلها السيد خليل أيضاً . بل تولاها ابنُ المتوفى السيد محمدُ بن السيد محمد حتى توفى سنة ١٢٠٨هـ . (١٧٩٣م)

وبعد وفاته تولى خاله السيد خليل المترجم له مشيخة السجادة البكرية[1] . أما نقابة الأشراف فقد تولاها السيد عمر مكرم .

يدلنا هذا على أن السيد خليل لم يكن محل ثقة أو تقدير من أهله . أو من أمراء المماليك الذين كان بيدهم الأمر . فقد انتقل مراد بك فى المرتين سنة ١١٩٥هـ وسنة ١١٩٦ وألبس الخليفة الخلعة وقلده المنصب . أوعلى الأقل كان سلوكه الشخصى محل شك .

ولما استقر الأمر أخيراً على تعيينه اكتفى بتوليته خلافة بيتهم أما نقابة الأشراف فقد أعطيت للسيد عمر مكرم الذى نجمه بدأ فى الصعود . وأخذت شخصيته تظهر فى مجرى الأحداث .

فلما قدم الفرنسيون سنة ١٢١٣هـ (١٧٩٨م) وخرج السيد عمر مكرم مع من خرج إلى الشام . تداخل السيد خليل معهم وأفهمهم أن نقابة الأشراف لبيتهم . وأنها غصبت منه . فقلدوه إياها فى ١٧ أغسطس سنة ١٧٩٨م .

---

(١) ذكر الجبرتى أنه لما توفى السيد أحمد سنة ١١٩٥ وهو أخو السيد خليل أعطيت الخلافة لابن خاله خليل . وفى هذا الخبر إضطراب من الجبرتى فى تحديد القرابة . ولا يستقيم الخبر إلا إذا كان السيد خليل هو خال محمد بن محمد البكرى . وأن لفظ (ابن) أضيفت إما سهواً من المؤلف أو خطأ من الناسخ أو الناشر . وقد ذكر الأستاذ محمد فريد أبو حديد فى كتاب (سيرة السيد عمر مكرم ص ٤٤) أن السيد خليل هو خال محمد افندى البكرى

وكـان عندمـا اختلف مع ابن عمـه على الخلافة . قـد قسمّ المنزل الـذى بالأزبكية . وعمّر نصيبه . وأنشأ فيه بستاناً به أصناف الأشجـار والفواكـه . فلما استقرت له الأمور فى أيام الفرنسين . استولى على باقى المنزل . وضمه إلى نصيبه وانفرد بسكنه .

وعظم شأنه بتعيينه عضواً فى الديوان الذى أنشأه نابليون من العلماء . فضلاً عن الوظائف المذكورة ـ من الخلاف البكرية ونقابة الأشراف وشؤ ون الأضـرحة والتكايا . فازدحم بيته بأصحاب الدعاوى والشكاوى . ولجأ لخدمته مماليك الأمراء المتغيبين يحتمون به .

وكـان يحتفل فى داره بـالأزبكية بليلة المـولد النبـوى . فيدعـو كبار القـواد الفرنسيين للعشاء . ويخلع عليه صارى عسكر (أى القائد الأكبر) فى هذه المناسبة خلعة . ويرسل الفرنسيون إلى داره فرقة من الموسيقى تـدق الطبـول مع المـزامير المختلفة الأصوات . ويطلقون الصواريخ فى الهواء .

والشعب المصرى شديد الحساسية بسلوك قادته وزعمائه . فلما قامت ثورة القاهرة الثانية فى مارس ـ أبريل سنة ١٨٠٠ (شوال ـ ذى القعدة سنة ١٢١٤) بعد نقض معاهدةالعريش . اتهمه الشعب بموالاة الفرنسيين . وهجم بعض العسكر من الأتراك والمماليك مع عامة الشعب على داره بالأزبكية . فنهبوهـا . وسحبوه مـع أولاده وحريمه إلى الجمالية . سائراً على قدميه . عارى الرأس . وأهين أشنع إهانة . فلما وصلوا إلى عثمان كتخدا .(١) تأثر لحاله . وسلمه إلى أحمد محمود محرم التاجر أحد أعضاء الديوان الثانى . فأخذه إلى منزله . وآواه وأسرته حتى انتهت الثورة .

ولما فرض كليبر ـ بعد هذه الثورة ـ الغرامات الفادحة على أهالى القاهرة . تأديباً لهم . أعفى خليل البكرى من نصيبه فى الغرامة . لما حصل له . بل وعوّضوه عما فقد . وكذلك أعفى الشيخ محمد المهدى حيث نهبت داره بالأزبكية أيضاً .

ولما تخربت دار البكرى بالأزبكية انتقل إلى بيت البارودى بباب الخلق . ثم إلى بيت عبد الرحمن كتخدا القازدوغلى برحبة عابدين .

---

(١) كان كتخدا الوقت أى وكيل الوالى . وكان أحد زعماء الثورة

وخرج الفرنسيون من القاهرة فى يوليه سنة ١٨٠١ . كما خرجت بقيتهم من الإسكندرية فى سبتمبر سنة ١٨٠١ . وتمّ جلاؤهم عن مصر .

وكان للسيد خليل ابنة خرجت عن طورها - كتعبير الجبرتى - وكانت تتصل بالفرنسيين . فلما خرجوا طلبها الوالى العثمانى . فقالت أنا تُبت عن ذلك . فسألوا والدها فقال أنا برىء منها . فقطعوا رقبتها فى ٤ أغطس .

وقتل يوسف باشا - الصدر الأعظم الذى كان يرأس الجيش العثمانى عدة نساء أخريات من أشباهها .

ولما خرج الفرنسيون حضر شخص من استانبول فى ديسمبر سنة ١٨٠١ ومعه مرسوم بتوليته نقابة الأشراف . فسُحبت من خليل البكرى . ولكن لم يكن النقيب الجديد محل ثقة من الأهالى والأشراف . وظهر أنه حصل على هذا المرسوم بطرق مريبة . فراجع ولاة الأمر فى مصر السلطان فى استانبول . فصدر التقرير بعزل يوسف افندى النقيب المذكور . وتولى السيد عمر مكرم نقابة الأشراف . ووصل هذا التقرير إلى مصر فى ١٨٠٢/٤/١٨ .

ولما وصل محمد باشا خسروا الوالى الجديد فى يناير سنة ١٨٠٢ جمع المشايخ وتكلم معهم فى عزل السيد خليل البكرى عن مشيخة السجادة البكرية . ووافقوه . وكان هذا فى فى مارس سنة ١٨٠٢ [1]. وتعين بدله فى خلافة البكرية السيد محمد أبو السعود البكرى من فرع غير فرعه من البيت البكرى .

وهكذا نزعت منه نقابة الأشراف وخلافة البكرية .

وقصة أخرى تدل على هوان خليل البكرى بعد خروج الفرنسيين . قال الجبرتى : (حضر اليسرجى (أى تاجر الرقيق) الذى جلب مملوك السيد البكرى .

---

(١) خرج يوسف باشا ضيا الصدر الأعظم من مصر فى فبراير سنة ١٨٠٢ . وكان يرغب فى تعيين محمد باشا المعروف بأبى مرق والياً على مصر . وفعلاً عُين إثنى عشر يوماً (راجع الجدول الثامن عشر بالقسم الثالث) فى سبتمبر سنة ١٨٠١ . ولكن تغلب عليه حسين باشا قبطان. وعُين محمد باشا خسرو فى سبتمبر . ولكنه لم يصل مصر إلا فى ١٨٠٢/١/٢١ . وكان خسرو مملوك حسين باشا قبطان وكتخداه وزوجة خسرو معتوقة زوجة حسين قبطان . والأخيرة أخت زوجة السلطان سليم الثالث

وادعى أن البكرى بمساعدة الفرنسيين قهره بأخذ المملوك دون القيمة . وأنه كان أحضره على ذمة مراد بك . وطال بينهما النزاع . وآل الأمر بينهما على انتزاع المملوك المذكور . وكان أعتقه وزوجه ابنته . فأبطلوا العتق . وفسخوا الزواج . وأخذ المملوكُ عثمان بك الطنبورجى المرادى . ودفع للشيخ دراهمه . وللجلاَّبه باقى الثمن . وتجرع فراقه!!)

وكان خليل قد عقد لابنه أحمد على بنت المرحوم محمد افندى البكرى (لعله السابق له فى المشيخة) . فبعد عزله من النقابة والمشيخة . تصدى له الشيخ السادات والسيد عمر مكرم وآخرون . وأبطلوا العقد وفسخوا الزواج ببيت القاضى .

واشترى خليل البكرى لنفسه داراً بحارة الفرن . خلف حارة السادات بدرب الجماميز . واشترى بيتين بجوارها من بيوت الأمراء الأقدمين . وضمهما إليها . وعمَّر الجميع عمارة متقنة . وباع فى سبيل ذلك حصصه والتزامه . واكتفى بما يخصه فى وقف جده لأمه الشيخ الحفنى[1] . وأصبحت داراً كبيرة تصل حدودها إلى منزل السادات الوفائية . فبعد وفاة خليل تعرض الشيخ السادات لابنه أحمد المذكور . وأخذ بستان هذه الدار بأبخس الأثمان . وأضافه إلى بستان السادات . وأقام جداراً سدَّ به شبابيك بيت البكرى وأظلمه .

وتوفى السيد خليل البكرى فى فقر وفاقة ودين وخمول فى أول فبراير سنة ١٨٠٩م (١٥ ذى الحجة سنة ١٢٢٣هـ) .

وجميل من على باشا مبارك أن يحاول ستر عثرات شخص من بيت كريم له مكانته الاجتماعية والدينية فى وقت وضع الخطط التوفيقية (١٣٠٥هـ ــ ١٨٨٨م) . فقد قال فى ختام الترجمة لخليل البكرى[2] ـ بعد أن أغفل ذكر بعض الوقائع التى ذكرها الجبرتى وخفَّف من ألفاظ البعض الآخر : (ولا التفات لما قاله الجبرتى مما لايناسب شرف هذا البيت العالى المقدار . سيما والأحوال الجارية فى أوقات الفتن لايوقف لها على قرار . ولا تعلم لها حقيقة . ولا يوصل لها إلى أصل صحيح) . ثم قال فى ختام الفذلكة التى ذكرها عن البكرية[3] (فلا يرين القارىء ماعسى أن يقف

---

(١) سبق ذكره فى قنطرة الحفنى فى الفصل الخامس من القسم الأول

(٢) الخطط التوفيقية ج٣ ص ١١٣ (٣) الخطط التوفيقية ج٣ ص ١٣٥

عليه فى بعض الكتب مما يخالف ذلك . فإنه مع قلته لا يُعوَّل عليه) مع أنه لم يذكر فى هذه الفذلكة اسم السيد خليل . حين أنه ذكر فيها جميع ماأمكنه الوصول إليه من تراجم من تولوا المشيخة . بل وتراجم من كان له ذكر من فروعهم ولم يتولوا المشيخة .

وهو إنكار عاطفى لم يقدم عليه أى دليل . فهو مجرد نفى . ولا يعيب الأسرة أن ينحرف بعض أعضائها . فالناس بشر . ولا عصمة إلا لنبى . وليس من حق المؤرخ أن يخفى الحقائق . وإن كان يجوز له أن يفسرها أو يوجد لها المبررات .

وآلت الدار المذكورة التى بدرب عبد الحق بالأزبكية إلى السيد محمد أبى السعود البكرى الذى حل ـ وذريته من بعده ـ محل الشيخ خليل بالمشيخة . وكان يحتفل فيها بليلة المولد النبوى الشريف . حتى شرع فى تنظيم منطقة الأزبكية فى عهد إسماعيل . ولزمت الدار لهذا التنظيم فأخذت منه . ودخل جزء كبير منها فى السراى التى كان بها صندوق الدين . وعُوِّض البكرية عن دار الأزبكية بسراى عباس الأول بالخرنفش .

خط الساكت :

وكان الجزء الجنوبى والجنوبى الشرقى من بركة الأزبكية معروفاً بخط الساكت . وتوجد زاوية صغيرة داخلها ضريح باسم الشيخ محمد الساكت . وموقع هذه الزاوية بقرب شارع اسمه علوة الكوم يصل بين شارعى الأزهر والموسكى بالقرب من العتبة الخضراء . فلعل اسم الخط نسبة لصاحب هذا الضريح . أو أن لقب صاحب الضريح من اسم هذا الخط .

الشيخ محمد المهدى الحفنى :

وكان بالجانب الشرقى من بركة الأزبكية عند دخول الفرنسيين دار الشيخ محمد المهدى . ويوجد الآن شارع صغير متفرع من شارع الرويعى بالبواكى اسمه شارع المهدى الخصوصى . فالدار كانت هناك .(١)

---

(١) يوجد الآن أيضاً شارع كبير باسم شارع المهدى يتفرع من شارع إبراهيم باشا ويتجه شرقاً موازياً لشارع نجيب الريحانى (وجه البركة سابقاً) . ولكن هذا الموقع كان من ضمن بركة الأزبكية عند دخول الفرنسيين . فالتسمية فى غير موضعها كما هو ظاهر . إلا إذا كانت جدّت ملكية لأسرة المهدى بعد تنظيم منطقة الأزبكية

والمهدى من الشخصيات المصرية التى برزت وكان لها دور هام فى الأحداث زمن الفرنسيين والسنين الأولى من حكم محمد على .

وكان اسمه (هبة الله بن أبيفانيوس) من بلدة نهيا بمديرية الجيزة وكان أبوه أبيفانيوس كاتباً نصرانياً عند سليمان كاشف . وكان مولده على الأرجح سنة ١٧٤٢م . (١١٥٥هـ) . أو حوالى ذلك . وتوسم سليمان كاشف فى الغلام النجابة . فضلاً عن خفة الظل ووسامة الوجه . فكفله . وأراد أن يخلطه بمماليكه . ولكن التربية العسكرية للمماليك لم تلائم الغلام . فانقبض عنها . فوجَّهه الكاشف وجهة أخرى . بأن أحفظه القرآن وأسلمه للشيخ الحفنى . فتتلمذ له . ونُسب إليه . وأصبح اسمه محمد المهدى الحفنى[1] .

هذه رواية . ورواية أخرى ذكرها الجبرتى أن والده من الأقباط . وأسلم هو صغيراً دون البلوغ على يد الشيخ الحفنى . وحلَّت عليه أنظاره . وأشرقت عليه أنواره . وفارق أهله وتبرأ منهم . وحضَنه الشيخ وأحبه ورباه . واستمر بمنزله مع أولاده . واعتنى بشأنه وأقرأه القرآن .

والروايتان متقاربتان . وتصلان إلى نتيجة واحدة . وإذا أخذنا برواية الجبرتى . فنجد أنه اتصل بالشيخ الحفنى مايقرب من الخمسة عشر عاماً . فقد توفى الشيخ الحفنى سنة ١١٨١هـ . والمهدى من مواليد سنة ١١٥٥ كما سبق ذكره .

ولما مات الشيخ محمد الهلباوى الشهير بالدمنهورى[2] . جلس المهدى مكانه بالأزهر . واشتغل بالقاء الدروس . ونما أمره . وذاع ذكره . وبعُد صيته .

وتزوج المهدى بنت الشيخ محمد الحريرى مفتى الحنفية[3] . ورزق منها بابنه

---

(١) الاسم الأصلى للمهدى من مقال للأستاذ محمد المهياوى بالسياسة الأسبوعية العدد ٩٣ فى ١٩٢٧/١٢/١٧ . ومن كتاب (سيرة السيد عمر مكرم) للأستاذ محمد فريد أبو حديد وتاريخ مولده مما ذكره الجبرتى أنه توفى سنة ١٢٣٠هـ وعن ٧٥ عاماً

ونهيا بمحافظة الجيزة شمال كرداسة. وتقع شمال أهرام الجيزة بحوالى ٨ كيلو متر .

(٢) ترجمه الجبرتى فى وفيات سنة ١١٩٣هـ وقال أنه كان من خلفاء الشيخ الحفنى فى الطريقة الخلوتية . وأنه أتصل بعلى بك الكبير فجعله كاتب إنشائه ومراسلاته

(٣) ترجمه الجبرتى فى وفيات سنة ١٢٢٠هـ وكان خطيباً وإماماً بجامع عثمان كتخدا (الكخيا)

محمد أمين [1] والأخير هو والد الشيخ محمد المهدى العباسي الذى عين مفتياً فى عهد إبراهيم باشا وهو فى الحادية والعشرين من عمره وعين شيخاً للأزهر سنة ١٨٧٠م (١٢٨٧هـ) فى عهد إسماعيل بعد عزل الشيخ مصطفى العروسى.[2] ثم عزله العرابيون لما رفض التوقيع على عزل الخديوى توفيق . ثم أعيد لمشيخة الأزهر بعد الثورة العرابية . ثم عزل لمعارضته الحكومة فى بعض القوانين . وفى عهد الشيخ محمد المهدى العباسى بدأت الخطوات الأولى فى إصلاح الأزهر سنة ١٨٧٢ بتحديد مدة الدراسة وترتيب الامتحانات وتقرير مرتبات ومزايا للعلماء وغير ذلك . . .

وفى زواج محمد المهدى الحفنى بابنة الشيخ محمد الحريرى مفتى الحنفية فى وقته . وفى وصول حفيده الشيخ محمد المهدى العباسى إلى الإفتاء فى مصر ومشيخة الجامع الأزهر مايدل على التسامح الطبيعى فى نفوس المسلمين . وسماحة القاعدة أن الإسلام يجبُّ ماقبله . فلم تمنع سابقة النصرانية بالنسبة للأول من مصاهرة شخص ذى مركز دينى ممتاز . كما لم تعق الثانى عن الوصول إلى أكبر المراكز الدينية .

وتداخل الشيخ محمد المهدى الحفنى مع الأمراء المماليك . وأصبح بذكائه ولباقته ذا مركز مرموق .

ولما خرج حسن باشا القبطان فى مصر سنة ١٢٠١ هـ . وكانت تركيا أرسلته لقمع ما فى مصر من فتن بين أمراء المماليك . ترك كتخداه (أى وكيله) إسماعيل بك [3] لقبض ماقرره على الأمراء . فاتصل المهدى بإسماعيل بك . وتقرب إليه . فلما جاءته ولاية مصر ازداد تقرباً إليه . وأكثر من التردد عليه وزيارته بالقلعة . والمبيت عنده أغلب الليالى . وأنعم عليه الوالى بالكساوى . وعيَّنه فى الضربخانة (سك النقود) والسلخانة والجوالى (الجزية على غير المسلمين) .

---

(١) توفى سنة ١٢٤٦

(٢) . الشيخ مصطفى العروسى أول شيخ يعزل من شيوخ الأزهر وقبله كان من يتولى المشيخة يظل فيها لغاية وفاته (الأزهر جامعا وجامعة للمؤلف)

(٣) جاءته ولاية مصر بعد ذلك . وأصبح إسماعيل باشا التونسى (١٢٠٣ - ١٢٠٥) راجع الجدول السابع عشر

ولما وفد الطاعون فى أواخر ولاية المذكور . وأطاح بمئات الألـوف . ومنهم الكثيرون من ذوى الثراء . فأحلهُ الباشا محل من اختارهم من ذوى الرزق والأقطاعات . فازداد ثراءًا . واتسعت دائرة أطيانه فى الجيزة والبحيرة والمنوفية والغربية . فأخذ فى الاتجار فى كافة المحاصيل . مثل الكتان والقطن والأرز وغيرها .

وابتنى له داراً عظيمة فى الأزبكية بناحية الرويعى .

ولما دخل الفرنسيون مصر تداخل معهم . ولما شكل نابليون الديوان الأول من العلماء . كان المهدى عاشرهم وكان كاتم السر (سكرتير) لهذا الديوان .

وحاز المهدى تقدير نابليون حتى وصفه فى مذكراته أنه أذكى علماء الأزهر وأفصحهم لساناً وأكثرهم علماً وأصغرهم سناً[1] . وكانت أغلب المنشورات التى يذيعها الفرنسيون من إنشائه . فبعد انتصار نابليون فى يافا . أرسل الأعلام التى كسبها فى المعركة لتعلق بمآذن الأزهر . وأرسل معها خطابا يقول فيه : أريد أن تقابلوا المهدى وأعضاء الديوان وتتفقوا معهم على إقامة احتفال صغير لمقابلة الأعلام المرسلة إليكم .

وانتفع المهدى من اتصاله بالفرنسيين . فعظم شأنه وكبر مقامه . وأصبح عندهم محل الوساطة والشفاعة . وقال الجبرتى (وزاد إيراده وجمعه . واحتوى بلاداً وجهات وأرزاقاً . وأقاموه وكيلاً عنهم فى أشياء كثيرة . وبلاد وقرى . يُجبى إليه خراجها . ويصرف منها مايصرفه . ويأتيه الفلاحون منها ومن غيرها بالهدايا والأغنام والسمن والعسل وماجرت به العادة . ويتقدمون إليه بدعاويهم وشكاويهم . ويفعل بهم ما كان يفعله أرباب الالتزامات من الحبس والضرب وأخذ المصالح . وصار له أتباع وخدم من وجهاء الناس ومن دونهم . . . الخ . وقال : وكان هو المشار إليه فيه (أى فى الديوان) . وخدمة الديوان الموظفون تحت أمره . وإذا ركب أو مشى يمشون حوله وأمامه . وبأيديهم العصى . ويوسعون له الطريق)اهـ .

ولما ثارت القاهرة ثورتها الثانية فى مارس ـ أبريل سنة ١٨٠٠ . وبالغ الفرنسيون فى قمعها بشدة وقسوة . وأرسل كليبر يطلب وفداً من المشايخ للتفاهم

---

(١) تاريخ الحركة القومية للمرحوم عبد الرحمن الرافعى ج٢ ص ٣٠١

معهم . فذهب الوفد إليه مكوناً من المشايخ الشرقاوى والسرسى والفيومى والمهدى . فطلب منهم أولاً خروج العثمانيين من القاهرة . فلما رجعوا ثار الناس بهم واعتبروهم خونةوأهانوهم .

وفى أثناء هذه الثورةحُرق بيت المهدى المذكور بالأزبكية - فأعفى المهدى - كما أعفى خليل البكرى - من المساهمة فى الغرامة التى فرضوها على القاهرة . وقال الجبرتى : (وكان المهدى قبل ذلك - أى قبل حريق بيته - نقل جميع مافيه إلى داره بالخرنفش . ولم يترك فيه إلا بعض الحصر . ولم يكن فيه غير بعض الخدم . وكان يستعمل المداهنة وينافق الطرفين) اهـ .

ولكن من الأنصاف للمهدى أن نذكر ماذكره المؤرخ عبد الرحمن الرافعى من رسالة من بوسليج مدير الشؤن المالية إلى نابليون (إن الشيخ المهدى رجل يطمع فى الشهرة والتزلف إلى الجماهير . وأنه يضحى بجميع الفرنسيين فى سبيل ألا يفقد شيئاً من منزلته عند الناس) . .

كذلك من الإنصاف للمهدى . وللجبرتى أيضاً . أن نذكر ما قاله الأخيرعنه بصدد علاقته بالفرنسيين : (وبالجملة فكان بوجوده وتصدره فى تلك الأيام النفع العام . سدَّ بعقله ثقوباً . وداوى برأيه جروحاً وفتوقاً . لا سيما أيام الهيازع والتنازع . وما يكدر طباع الفرنساوية من مخارق الرعية . فيتلافاه بمراهم كلماته ويسكن حدته بملا طفاته .)

ولم يحدّخروج الفرنسيين من نشاطه الإجتماعى . فاتصل بالعثمانيين . وتداخل معهم - وتقرب إلى شريف افندى الدفتردار[1] . فَثَبَّت وظائفه والتزاماته ومسموحاته . وأضاف إليها ماينتقيه من الديوان . وكل ذلك من غير مقابلة أو حلوان[2] .

ولما قتل الدفتردار عقب مقتل طاهر باشا فى ٦ صفر سنة ١٢١٨ (٢٧ مايو سنة ١٨٠٣) وأعقب هذا فتن واضطرابات كانت نهايتها مبايعة الشعب بزعامة السيد

---

(١) الدفتردار أى ممسك الدفتر . وهى أقرب لوظيفة وزير الداخلية

(٢) الحلوان يساوى البقشيش تقريباً . وهو ما يعطيه من استفاد من عملية معينة - كوظيفة أو التزام أو غير ذلك لمن أعطاها له . فكأنها عمولة . وهى رشوة مقنعة . ولكنها كانت عادية ومعمولاً بها

عمر مكرم لمحمد على فى صفر سنة ١٢٢٠هـ (١٥ مايو سنة ١٨٠٥) والياً على مصر . فيبدو أن المهدى فى هذه الفترة كان منصرفاً إلى شؤونه الخاصة وإدارة أملاكه الواسعة . وكان كثير التغيب عن القاهرة[١] .

وتزوج الكثيرات بخلاف بنت الشيخ محمد الحريرى مفتى الحنفية السابق ذكره .

ولما توفى الشيخ سليمان الفيومى سنة ١٨١٠م (١٢٢٤هـ) ترك زوجته المعروفة بالسحراوية . وكانت وافرة الغنى واسعة الثراء . وكانت طاعنة فى السن . فاشترت لزوجها الفيومى جارية بيضاء أعتقتها وزوّجتها له لترضيه . ولكن الفيومى مات قبل أن يدخل بها . وترك زوجتيه المذكورتين . فلما توفيت السحراوية . أمكن للمهدى باتصالاته أن يضع يده على أمورها ودارها وجواريها ومالها من عقار والتزم . وزوّج الجارية المذكورة لابنه عبد الهادى .

واشترى داراً بالكحكيين (بجوار حى الباطنية جنوبى الجامع الأزهر) وجدد عمارتها وأسكن فيها زوجة أخرى أصلها من دمياط . وأسكن معها ضرة لها أصلها من شابور[٢] .

وبنى داراً عظيمة فى جهة الموسكى على الشاطىء الغربى للخليج جنوبى تقاطعه مع شارع الأزهر . وما طل بائعى أرضها فى دفع باقى ثمنها ما يقرب من الخمس سنوات لكثرة تغيبه . ولم يصل البائعون إلى حقهم إلا بالشكوى لكتخدا الباشا . وكانت هذه الدار واسعة . وبها من الجهة الغربية بستان كبير يصل غرباً إلى المناصرة وكوم الشيخ سلامة (بالقرب من سوق الخضار بالعتبة) . وبنى ابنه محمد أمين فى هذا البستان داراً له . وظلت هذه الدار إلى العصر الحديث . فأزيلت . ودخل جزء منها فى توسعة شارع الخليج وتحول الباقى إلى مساكن ودكاكين[٣] .

---

(١) أو ربما وجد من الحصافة عدم الأشتراك فى الأحوال الجارية لغموضها وعدم وضوح الجانب الأقوى فيها

(٢) شابور من محافظة البحيرة على الشاطىء الغربى لفرع رشيد بالقرب من كفر الزيات .

(٣) كانت أمام هذه الدار على الخليج القنطرة السابق ذكرها باسم قنطرة الشيخ المفتى فى الفصل الخامس من القسم الأول .

ومن أولاده الذين رزق بهم : محمد أمين السابق ذكره وكان حنفى المذهب كجده لأمه الشيخ الحريرى . ومحمد تقى الدين توفى شاباً فى حياة أبيه وكان مالكياً . والشيخ عبد الهادى وكان شافعياً وألقى دروساً فى الأزهر بعد وفاة أبيه .

وفى توزيع أولاده على المذاهب المختلفة موضع نظر .

وذكر الأستاذ محمد فريد أبو حديد عن المستشرق الفرنسى مارسل أنه كان لا يمتنع عن مشاركة الفرنسيين تعاطى الخمر فى حفلاتهم[1] .

وفى يولية سنة ١٨٠٩ (جمادى الآخرة سنة ١٢٢٤ هـ) بدأ الجفاء بين محمد على والسيد عمر مكرم . وأساس الجفاء ما فرضه محمد على من ضرائب . ومن الغاء بعض الامتيازات المالية بدون الرجوع إلى العلماء . واعتبر عمر مكرم هذا مناقضاً للعهد الذى بايعوا محمد على عليه . وانضم إليه العلماء . لأن إلغاء هذه الامتيازات كان يمسهم . ولكن محمد على أمكنه . بحصافته أن يكسر وحدة هذا التجمع ويغرى البعض بآمال ووعود . وانتهى الأمر بنفى السيد عمر مكرم إلى دمياط فى أغسطس سنة ١٨٠٩م .

وكان المهدى والسيد محمد الدواخلى أداة طيِّعة فى يد محمد على . أمكنه بهما استمالة باقى العلماء . وكان لكثيرين منهم مأرب خاص فى إبعاد عمر مكرم . سواء بدافع الحقد أو بدافع الطمع .

وكافأ محمد على مؤيديه . فعين السادات نقيباً للأشراف . وأنعم على المهدى بنظر أوقاف ضريح الإمام الشافعى ووقف سنان باشا[2] ببولاق . فضلاً عن مبلغ

---

(١) سيرة السيد عمر مكرم لمحمد فريد ابو حديد ص ١٨٩ . ومارسل marcel المستشرق المذكور (١٧٧٦ - ١٨٥٤) كان عضواً بالمجمع العلمى الذى أنشأه نابليون بالقاهرة . وكان مديراً للمطبعة الأهلية التى انشأها نابليون . واشترك فى وضع كتاب وصف مصر وكتاب التاريخ العلمى والحربى للحملة الفرنسية . وله رسالة عن مستشفى قلاوون . وله أبحاث عن مقياس الروضة والآثار العربية فى مصر نشرت بالجزء الخامس عشر من كتاب وصف مصر (تاريخ الحركة القومية للرافعى.جـ١ ص ١٤٠) .

(٢) سنان باشا من أوائل الولاة العثمانين فى مصر . حكم مصر مرتين (٩٧٥ - ٩٧٦ ، ٩٧٩ - ٩٨٠هـ) راجع الجدول السابع عشر . وتولى بعد ذلك الصدارة العظمى (رئاسة الوزارة بتركيا) له آثار كثيرة بمصر والشام من مساجد ورباطات وتكايا . وجدد حفر خليج الأسكندرية (ترعة المحمودية) - تقويم النيل ج ٢ ص ٢٤ .

كبير من المال . (وذلك نظير اجتهاده فى خيانة السيد عمر مكرم) كتعبير الجبرتى . أما الدواخلى لم يستفد غير إرضاء ما فى نفسه من الحسد . ولكن عندما توفى السادات سنة ١٨١٢ تعين الدواخلى نقيباً للأشراف .

وبعد أن أوقع محمد على بالمماليك فى مارس سنة ١٨١١ خرج ابنه طوسون لمحاربة الوهابيين فى الحجاز . وتقرر أن يخرج معه أربعة من الفقهاء على المذاهب الأربعة . فتعين المهدى عن فقهاء الشافعية فى سبتمبر سنة ١٨١١ . وعاد إلى مصر فى فبراير سنة ١٨١٢ .

ولما توفى الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الأزهر فى أكتوبر سنة ١٨١٢ (شوال سنة ١٢٢٧هـ) طمح المهدى إلى مشيخة الأزهر مكانه . وأمر محمد على القاضى بجمع المشايخ عنده . وأجمع فقهاء الشافعية الحاضرون على تعيين المهدى . وصافحوه . وقرأوا الفاتحة . وانتظروا صدور القرار . ولكن كان لمحمد على رأى آخر . فلم يأخذ برأيهم . وعين الشيخ محمد الشنوانى شيخاً للأزهر(١) .

وكان الشنوانى كما ذكرنا فقير الحال يلقى دروسه فى الجامع الأفخر (الفاكهيين بالعقادين بالقرب من حارة الروم) . وبعد الدرس يغير ثيابه ويكنس المسجد ويغسل القناديل ويعمرها بالزيت والفتايل (جمع فتيلة) حتى أنه كان يكنس المراحيض أيضاً . وكان زاهداً فى الوظيفة . وتغيَّب عن الاجتماع . ولكن هكذا كان .

وتجلد المهدى ولم يظهر الامتعاض . حتى أنه كان عندما قدم عليه الشيخ الشنوانى لزيارته رحَّب به وهنَّأه . وخلع عليه فروة سمور .

ومع واسع ثروته لم يكن المهدى منعماً فى حياته . وكان يتنقل بين أملاكه دواماً . وينام حيثما اتفق ولو على حصير . ويأكل ما يجد من طعام . ولو بطارخ أو فسيخ(٢)

وقد ألهته الدنيا . فبذل ما أعطاه الله من ذكاء وطاقة . فى جمع المال . ولو

---

(١) سبق ذكره فى الكلام على قنطرة الموسكى فى الفصل الخامس من القسم الأول .
(٢) يبدو أن البطارخ والفسيخ كانا بأرخص الأثمان وقتذاك ومن مآكل السوقة

بذلها فى النواحى العلمية والدينية لأفاد كثيراً . واستفاد الذكرى الطيبة الجديرة بالبقاء.

وأخيرا توفى فى داره بالكحكيين فجأة مساء فى فبراير سنة ١٨١٥ (صفر سنة ١٢٣٠هـ) . ونقله أولاده إلى داره بالموسكى . ومن هناك شُيعت جنازته . وصُلى عليه فى الجامع الأزهر . وكان مشهداً عظيماً حافلاً . ودفن بجوار قبر الشيخ الحفنى بقرافة المجاورين .

فسبحان من له الدوام .

وكان منزل المذكور بالأزبكية الذى احترق ونهب فى ثورة القاهرة سنة ١٨٠٠ بجهة الرويعى .

الرويعى

وشارع الرويعى يبدأ من البواكى متجهاً شمالاً خلف محلات سمعان صيدناوى بميدان الخزندار . ثم ينعطف يساراً - غرباً بشمال - باسم شارع الجامع الأحمر حتى يتصل بشارع كلوت بك .

والرويعى نسبة إلى جامع الرويعى الموجود به . والذى أنشأه السيد أحمد الرويعى شاهبندر (رئيس) التجار فى مصر فى القرن التاسع الهجرى .

وقد هدم الفرنسيون هذا الجامع أثناء احتلالهم . وحوّلوه إلى خمارة . ثم جُدِّد[1] .

جامع الشرايبى المعروف باسم جامع على البكرى :

وبشارع الرويعى فضلاً عن جامع الرويعى يوجد جامع الشرايبى المعروف الآن بجامع على البكرى .

---

(١) كان بقرب جامع الرويعى مقر الديوان الذى أنشأه نابليون . وكان فى بيت قائد أغا . الذى كان من رجال مراد بك . وتولى أغا أغات مستحفظان القاهرة (مدير أمن تقريباً) فى سنتى ١١٩٨ - ١١٩٩هـ (١٧٨٤ / ١٧٨٥م) . كما كان بأول شارع الرويعى باب الهواء حيث أقام الفرنسيون ما أسماه الجبرتى (كمرى) للترفيه عن رجالهم . ولعل الكلمة محرفة من كاباريه cabaret

وقد أنشأ هذا الجامع الخواجا قاسم بن الحاج محمد داده الشرايبى . وهو الذى ذكرنا في أول هذا الفصل أن منزهم بالأزبكية آل أخيراً إلى عباس حلمى الأول فبناه وغير إسمه من العتبة الزرقاء إلى العتبة الخضراء . ثم شغلته المحكمة المختلطة حتى هدم لتوسيع ميدان العتبة . وإنتقلت المحكمة المختلطة إلى مكان القضاء العالى بشارع ٢٦ يولية .

وقد توفى قاسم الشرايبى المذكور سنة ١١٤٧هـ (١٧٣٤م) بسبب جهل مزين أجرى له عملية فصد فى خصيته .

ثم عرف الجامع المذكور باسم جامع على البكرى . نسبة إلى مجذوب بهذا الاسم اعتقده الناس . وكان يمشى متجرداً تماماً من ثيابه . وبيده نبوت طويل . ويخلط فى كلامه . فينصت الناس إلى خلطه . ويستخرجون منه ما يشاءون من المعانى والتنبؤات . كل حسب هواه .

وكان له أخ متيسر الحال . فحجر عليه . وكساه . وأفرد له مكاناً فى بيته . وقصد الناس زيارته . وأقبلوا عليه بالهدايا والنذور . ووجد أخوه فى هذا إيراداً سهلاً فحرص عليه . ومنعه من حلق لحيته ليكون مهيب الشكل .

وظل على هذا الحال يقصده الناس . ويخلط فى كلامه . فيعتبرون كلماته كشفاً لحجاب المُغَيَّبات . ويؤولونها كل منهم إجابة لما يضمره من سؤال . وتوفى سنة ١٢٠٧هـ (١٧٩٢م) . ودفن بهذا المسجد فنسب إليه . وأصبح من الأولياء يقيمون له مولداً كل عام .

وهو ليس من آل البكرى السابق ذكرهم .

وقد نقل صورة هذا المجذوب وأخيه - الدكتور رشاد رشدى فى إحدى مسرحياته (اتفرج ياسلام) .

الجامع الأحمر :

فإذا تركت جامع البكرى . فينعطف الشارع يساراً فستجد الجامع الأحمر . وهو جامع قديم غير معروف تاريخ إنشائه . ولكن جدده سليمان أغا السلحدار سنة ١٢٣٦هـ . وهو من أمراء دولة محمد على الكبير وتوفى سنة ١٢٦٠هـ (١٨٤٤) . وكان قاسياً فى أحكامه . ولكن ترك كثيراً من المنشآت والتجديدات .

هذا من الناحيتين الجنوبية والشرقية لبركة الأزبكية . أما الحد البحرى للبركة فقد كان ينتهى إلى موقع شارع وجه البركة (نجيب الريحانى حالياً) .

محمد بك الألفى

أما الجهة الغربية للبركة فقد كان بها قصر محمد بك الألفى الكبير . هذا القصر الذى اتخذه نابليون بونابرت مقراً له عند قدومه لمصر .

وتاريخ حياة محمد بك الألفى تاريخ حافل بالأحداث . وكأنه بطل من أبطال الأساطير . ويحتاج إلى دراسة مطولة . ولكن نجتزىء منه ما يأتى :

جُلب مملوكاً سنة ١٧٧٥م (١١٨٩هـ) . اشتراه أحمد جاويش المجنون . ثم باعه لسليم أغا الغزاوى المعروف بتيمورلنك . الذى أهداه إلى مراد بك ورد مراد بك الهدية بألف أردب من الغلال . ولذلك سُمى بالألفى .

ثم أعتقه مراد بك . وقلده كشوفية الشرقية . ثم قلده الصنجقية (الأمارة) سنة ١٧٧٨م .

وكان صعب المراس قوى الشكيمة شديد العسف فى أحكامه . واشتهر بالفجور . فهابته الناس . وأحبه مراد بك لذلك . ولم يكن يسمع فيه أى شكوى .

واشترى المماليك وأصبح فى قوة من المال والأتباع . وتعددت مساكنه . فعمَّر داراً بجهة الشيخ ظلام . وأنشأ هناك حماماً بتلك الجهة . وعُرفت به[1] . وسكن بمنزل أحمد جاويش أستاذه الأصلى بدرب سعادة . وبنى قصراً على النيل بالفسطاط مقابل مقياس الروضة . وأنشأ قصراً آخر بجهة العباسية بين باب النصر والدمرداش . وكان له داران بالأزبكية . وأراد أن ينشىء هناك قصراً ثالثاً . فاشترى قصر أحمد شويكار فيما بين خط الساكت وقنطرة الدكة . وهدمه . وأنشأ مكانه قصراً ضخماً . وصرف عليه مبالغ طائلة من المال ونقل إليه الأنقاض والأخشاب من عمارات أخرى كان يهدمها لهذا الغرض . وصمم المبانى بدون

---

(١) شارع نور الظلام بالجهة الجنوبية الغربية من حى الحلمية الجديدة . شرقى موقع بركة الفيل . وبهذا الشارع زاوية الشيخ نور الظلام . وبنهايته حارة باسم حارة الألفى .

خارجات بارزة حرصاً على متانة البناء !! وأتقن صناعة نجارته من أبواب ونوافذ . وركب فيها الزجاج . وبعضها ألواح كاملة من البلور يبلغ ثمن الواحد منها خمسمائة درهم . وجعل فيه فسقية عظيمة من الرخام . بنافورات للمياه . ولما تم البناء أثثه بأفخر الأثاث وأجمله من سجاد ومساند وستائر من الحرير المقصب .

واحتفل بسكناه فى رمضان سنة ١٢١٢هـ (فبراير سنة ١٧٩٨م) . ومكث فيه ستة عشر يوماً . وخرج لأعماله بالشرقية . فغاب هناك شهوراً . ودخل الفرنسيون فى المحرم سنة ١٢١٣هـ يولية سنة ١٧٩٨) . فاحتلوا القصر . واتخذه نابليون سكناً له .

اصطنع الألفى لنفسه قصراً من الخشب . يُركَّب بمفصلات وشناكل قوية . ويُحمل على عدة جمال . فإذا وصل فى سفره إلى أى جهة . أقيم له القصر فى الحال .

وأبلى الألفى بلاءاً حسناً فى معركة إنبابة . وبعد الهزيمة لم يستسلم . بل ظل يحارب الفرنسيين فى كل جهة . وكان كالخيال . ما يظهر فى جهة حتى يختفى ليظهر فى جهة أخرى .

ولما خرج الفرنسيون عاد المترجم له مع العثمانيين . وكان الإنجليز فى بر الجيزة .

ولم يطمئن الألفى لمجرى الأمور . فقد أدرك أن العثمانيين قد واتهم الفرصة للقضاء على المماليك واستعادة نفوذ تركيا على مصر بالكامل . فظل ملازماً الحذرَ والتفكير . حتى قال عنه الجبرتى أنه كان لا يستقر له قرار . ولم يدخل الحريم . ولم يبت بداره إلا ليلتين على سجادة فى المخدع السفلى . ولم يكن به حريم .

وكان الألفى لما تقدم به العمر نضج عقله . وهدأت طباعه . واتجه للاطلاع على العلوم الفلكية والرياضية .

وعين يوسف ضيا باشا – الصدر الأعظم الذى كان يرأس الجيش العثمانى فى خروج الفرنسيين – ابراهيم بك شيخاً للبلد كعادته . فلم يغترّ الألفى بذلك . ونصح إخوانه المماليك بعدم الانخداع . وكان رأيه أن ينحاز المماليك بكامل قواتهم إلى ناحية الجيزة . ويجعلوا الإنجليز وسطاء بينهم وبين العثمانيين . ليحصلوا على أفضل الشروط لانسحاب الجيش العثمانى وتأمين مستقبل المماليك .

واستنكف زملاؤه من الاستنجاد بالانجليز وهم كفار . ضد العثمانيين الذين لم تظهر منهم خيانة . فقال لهم إن العثمانيين أنفسهم استنجدوا بالإنجليز فى طرد الفرنسيين . وهذا ليس استنجاداً ولكن وساطة . والمبادرة أولى من الانتظار حتى تظهر الخيانة . فالخيانة لن تظهر إلا إذا شعروا بازدياد تمكنهم من الموقف .

ولم يوافقوه . فانفرد بالتصرف . وأرسل للوزير بطلب ولاية الصعيد . وأطمعه بما سيجبيه من الأموال . ووافق الوزير بدافع حب المال من ناحية . ومن ناحية أخرى لتفريق جمع المماليك . فقد كانت قوات الألفى تعد بنصف قواتهم مجتمعة . فقد كان يملك أكثر من ألف مملوك . فضلاً على مماليك الكشاف أتباعه وهم أربعون كاشفاً . وفضلاً عما عرف به الألفى من الدهاء وحسن التدبير .

وندم الوزير بعد ذلك . وأراد سحب القرار . ولكن الألفى بمجرد الحصول على القرار كان قد سافر وصعُب اللحاق به .

وصح ما توقعه الألفى . فقد أوقع حسين باشا القبطان غدرا ببعض المماليك بجهة (أبو قير) . كما قبض يوسف باشا على الموجودين منهم بالقاهرة وعزم على قتلهم لولا تدخل الإنجليز .

وبدأ الألفى فى محاربة العثمانيين . فأرسل الوالى محمد باشا خسرو حملة لمقاومته . فهزمها الألفى فى البحيرة شر هزيمة . وأطلقت العامة على هذه الحملة اسم تجريدة الحمير . لأنهم جمعوا حمير الحمارة والسقائين وغيرهم . وقرروا على أهل بولاق ألف حمار . وكذلك القاهرة ومصر القديمة . وطفقوا يخطفون حمير الناس . وكان الناس يخفون حميرهم كى لا تصل إليها أيديهم . فيحضر العسكرى عند باب الدور . ويضع فمه فى الباب . ويقول (ذَرّ . . !!) فينهق الحمار . فيأخذونه .

وبعد هذه الحملة تراجع أمر خسرو باشا . فقد رفض صرف مرتبات الجند لهزيمتهم . فثار عليه الجند بقيادة طاهر باشا ومحمد على . مما أدى لهروب خسرو باشا إلى دمياط . وتولية طاهر باشا . ثم قُتل طاهر باشا بعد عشرين يوما من ولايته . وبدأ اسم محمد على فى الظهور[1] .

---

(١) راجع الجدول الثانى عشر بالقسم الثالث .

وكان خسرو يسكن بيت الألفى بالأزبكية . وأنشأ بجواره مبانى كثيرة احترقت جميعها فى هذه الفتنة .

وسافر الألفى إلى إنجلترا بعد هزيمة العثمانيين . ومعه بعض مماليكه . وترك رئاسة المماليك أتباعه لأحد مماليكه المسمى بشتاك بك المعروف بالألفى الصغير .

وتولى إبراهيم بك قائمقام بعد مقتل طاهر باشاوهرب خسرو باشا . واتحد محمد على مع عثمان البرديسى الذى كانت له الزعامة الفعلية على المماليك نظرا لشيخوخة إبراهيم بك[1] .

وكان قصد الألفى من السفر لانجلترا طلب مساعدة الانجليز ضد العثمانيين نظير إعطائهم بعض المزايا فى البلاد . واستقبله الانجليز استقبالا طيبا . ولكن لم يحققوا مطالبه لأن إنجلترا كانت فى ذاك الوقت على اتفاق مع تركيا . وإن كانوا وعدوه بالوساطة لدى تركيا .

وغاب الألفى فى انجلترا سنة وبضعة أيام من ٨ فبراير سنة ١٨٠٣ - ١٢ فبراير سنة ١٨٠٤ . ثم عاد لمصر .

وهكذاانحدر المماليك حرصا على مصالحهم الخاصة . فقد هادن مراد بك الفرنسيين أثناء احتلالهم لمصر . وها نرى الألفى يطلب حماية الانجليز .

وكان البرديسى وزملاؤه يعملون حسابا للألفى . ويغارون منه لقوته وشخصيته . فلما عاد اتفق البرديسى ومحمد على على تدبير كمين له فى طريقه من الإسكندرية إلى مصر لاغتياله . ولكنه نجا من الكمين بأعجوبة . وآواه بعض العربان شرقى بنبيس حيث ظل مختبئا حتى هدأت حملة البحث عنه . ثم ظهر فى ١٩ مارس سنة ١٨٠٤ .

وبعد هذه الوقيعة بين الألفى والبرديسى انقلب محمد على على البرديسى كما ذكرنا فى ترجمته فى الفصل الثالث من هذا القسم الثانى .

---

(١) كان المماليك عند دخول الفرنسيين فرقتين : إبراهيمية نسبة لإبراهيم بك ومرادية بك نسبة لمراد بك (وهما أصلا من مماليك محمد بك أبى الذهب) . ولما توفى مراد بك أبريل سنة ١٨٠١ توزعت رئاسة المرادية بين محمد بك الألفى وعثمان بك البرديسى .

واضطر البرديسى وإبراهيم بك وباقى المماليك إلى الهروب من القاهرة إلى الأقاليم . وتمكن محمد على من الموقف . المدة بين تدبير الكمين وهرب البرديسى اثنان وعشرون يوما . وحضر أحمد باشا خورشيد واليا على مصر . ولم يتمكن خورشيد باشا من السيطرة على الموقف . وثارت العسكر واضطربت المدينة . وتفاقم الأمر .

محمد على والى على مصر :

فاتحد العلماء بزعامة السيد عمر مكرم وقرروا إقامة محمد على واليا . وحضرت الموافقـة على ذلك من استانبول باعتبار محمـد على باشا واليا علـى مصـر ابتـداء من ١٨/٥/١٨٠٥ . وانتهاء ولاية خورشيد باشا .

ومنع محمد على الاتصال بالمماليك . ووضع حرسا حول المدينة يمنع من يصل منهم أو إليهم . وأرسل الألفى يطلب الصلح مع محمد على . وسُرَّ محمـد على . ولكن لم يكن هذا إلا حيلة من الألفى . فقد قصد أن يتمكن رسوله من الحصول على احتياجاته من المدينة من أمتعة وخيام وسروج وغير ذلك .

وأرسل الألفى ثانية يطلب كشوفيه الفيوم والجيزة وبنى سويف والبحيرة وجزء من الغربية والمنوفية والدقهلية . ورفض طبعا محمد على . وتمكن الرسول هذه المرة أيضا من الحصول على احتياجـاته من المـدينة وشحنهـا فى المراكب . ثم عـاد إلى الألفى .

وكان الألفى فى هذه الفترة يناوش بقواته وبمن تجمع حوله من العربان الذين كانت له عليهم سيطرة غريبة . يناوش تارة فى البحيرة . وأخرى فى الفيوم . وأمكنه أن يهزم قوات محمد على أكثر من مرة .

ولكن لمحمد على بالتملق والمداهنة والهدايا والوعـود من استئلاف بعض المماليك متنعين بالصعيد . لما فى نفوسهم من غل وغيره من الألفى . وليأسهم من الموقف .

وكانت مساعى الانجليز قد نجحت فى تركيا . فـأرسلت قبطان بـاشا إلى الإسكندرية للعمل على الصلح مع المماليك . وكان كتخدا الألفى قد وعد قبطان باشا بأن يدفع له ١٥٠٠ كيسة (٧٥٠٠ جنيهاً) نظير تنفيذ الاتفاق وعودة المماليك للحكم .

وذهب الكتخدا ومعه مندوب قبطان باشا إلى الألفى . وأخبره بالاتفاق .
فقال : اذهبا إلى إخواننا قبلى (أى بالصعيد) . ونحن ثلاث طوائف : إبراهيم بك ومماليك مراد بك ويمثلهم عثمان بك البرديسى . والألفى فكل طائفة تدفع ٢٥٠٠(جم) جنيها . فأذا دفعت الطائفتان فالألفى يدفع نصيبه .

ورفض البرديسى . وقال أن الألفى هو الظاهر فيهم وأنهم جميعاً أتباعه بما فيهم إبراهيم بك الكبير . وعلى الألفى دفع المبلغ بتمامه . وأما ابراهيم بك فقد كان مسالماً . وقد تعب من هذا التشتيت الذى أصبحوا فيه . فقبل أن يدفع نصف المبلغ . ويتحمل الألفى بالنصف . ولكن رفض الدفع حتى يوافق الألفى على هذا الأساس ويدفع نصيبه .

وقبل الألفى وقال أنه مستعد لنسيان غدرهم ويعتبر نفسه أخاًلهم . ويرضى بأقليم الجيزة ويترك لهم باقى البلاد ولكن لم يأمنوا لقوله . وكان لمراسلات محمد على ومداهنته لهم ومهاداته لبعضهم أثر كبير فى عدم إتمام أى اتفاق .

ويئس قبطان باشا . واحتقر شأنهم لتفكك رأيهم . وعاد من الأسكندرية .

وطلب الألفى من الانجليز مساعدته عسكرياً . فرفض الإنجليز بادىء الأمر . لعدم تعكير الجو بينهم وبين تركيا . ثم وعدوه بارسال ستة آلاف جندى .

ومكث الألفى فى البحيرة ينتظر هذه النجدة . وكان مع انتصاراته على محمد على أكثر من مرة لم يتمكن من الاستيلاء على دمنهور فقد استعصت عليه .

وجنَّد محمد على جيشاً كبيراً لمحاربته خرج به إلى انبابة . ووصل المترجم له بقواته إلى شبرامنت (محافظة الجيزة) . وكانت شيئاً كثيرا . فنزل هناك . وكانت هواجسه وانفعالاته أكثر مما يطيق . فقد تصور الجبرتى هذه اللحظة فقال أنه جلس على علوة من الأرض . ونظر إلى الفضاء حوله وإلى مصر وقال : (يا مصر : انظرى إلى أولادك مشتتين متباعدين مشردين . واستوطنك أجلاف الأتراك واليهود وأرازل الأرنؤود . يقاتلون أولادك . ويقاومون فرسانك . ويهدمون دورك . ويسكنون قصورك . ويفسقون بولدانك وحورك . ويطمسون بهجتك ونورك) ولم يزل يردد هذا الكلام حتى تقايأ دما . وقال : (قضى الأمر . وخلصت مصر لمحمد على . وما ثم من ينازعه ويغالبه . وجرى حكمه على المماليك المصرية فما أظن أن تقوم لهم راية بعد اليوم) .

ومات فى تلك الليلة ١٨٠٧/١/٢٨ م (١٩ ذى القعدة سنة ١٢٢١هـ) .

وصدق ما حذره . فقد تفرقت بعد وفاته العربان الذين تجمعوا حوله وكانت له عليهم سيطرة غريبة . ومات عثمان البرديسى فى نفس السنة . وتشتت شأن المماليك حتى أوقع بهم محمد على وقضى عليهم نهائيا فى مذبحة المماليك بالقلعة فى ٢ مارس سنة ١٨١١ (٦ صفر سنة ١٢٢٦) .

ووصف الجبرتى الألفى فقال : (وكانت صفة المترجم معتدل القامة . أبيض اللون . مشربا بحمرة . جميل الصورة . مدور اللحية . أشقر الشعر وخطه الشيب . مليح العينين . مقرون الحاجبين . مترفهاً فى زيه وملبسه . كثير الفكر . كتوما لا يبيح بسر ولا لأعز أحبابه . إلا أنه لم يسعفه الدهر . وجنى عليه القهر . وخاب أمله . وانقضى أجله . وخانه الزمان وذهب فى خبر كان . ومات وله من العمر خمسة وخمسون سنة . غفر الله له [1]وخلدت البلدية اسم الألفى بأطلاقه على شارع كبير موازى لشارع ٢٦ يوليه . حيث كان قصره .

تنظيم الأزبكية فى العصر الحديث :

قال على مبارك [2] أن مساحة البركة كانت ٦٠ ستين فدانا . وأنها ظلت إلى مدة نظارته على نظارة الأشغال . فجرى تنظيمها . أما المناخ فقد أصبح مكانه اللوكندة الخديوية (التى سميت فيها بعدفندق شبرد . الذى احترق فى حريق القاهرة فى ١٩٥٢/١/٢٦ وانتقل الفندق إلى مكانه الحالى على النيل بحي جاردن سيتى كما سبق ذكره) . كما هدم جامع أزبك عند تنظيم ميدان العتبة وفتح شارع القلعة (محمد على) فى عهد إسماعيل . وكان مكان الجامع بالقرب من مدخل شارع الأزهر الحالى . [3]

وفى سنة ١٨٦٤ ردمت بركة الأزبكية بعد أكثر من أربعة قرون مضت على حفرها بواسطة الأتابك أزبك بن ططخ . وأنشئت حديقة الأزبكية . ووضعت فيها

---

(١) معنى هذا أنه كان له من العمر حين جُلب مملوكا ٢٣ سنة .
(٢) الخطط التوفيقية جـ٣ ص ٦٧ .
(٣) تخطيط القاهرة للمرحوم حسن عبد الوهاب .

الجبلايات الصناعية . وزرعت فيها الأشجار النادرة . وكان تنسيقها بمعرفة المهندس باريل بك . وهو الذى نظم بساتين الأورمان وسراى الجيزة .

وأنشىء فى حديقة الأزبكية مسرح للكوميدى .

وفى سنة ١٨٦٩ أنشئت دار الأوبرا التى احترقت سنة ١٩٧٢ .

وفى سنة ١٨٧٣ أقيم تمثال ابراهيم باشا . وتكلف عمل التمثال بمعرفة المثال كوردية ١٥٤٣٠ جنيها كما تكلفت قاعدته ٢٨٩٠ جنيها الجملة ١٨٣٢٠ جنيهاً .

وفى سنة ١٨٩٩ أنشىء فندق الكونتننتال .

وكان لجنينة الأزبكية سور ضخم من الحديد . وبكل جانب من السور باب . ولذلك سميت الشوارع المواجهة لهذه الأبواب باسمائها . وبعض هذه الاسماء باقٍ للآن . فشارع الباب الشرقى يواجه موقف الأوتوبيس الحالى بنهاية شارع ٢٦ يولية . وشارع الباب البحرى يصل إلى شارع نجيب الريحانى . وكان به دار التمثيل العربى أحد المسارح القديمة .

وإلى عهد قريب كانت تذهب فرقة موسيقى الشرطة إلى الحديقة يومى الجمعة والأحد . من كل أسبوع . فتعزف أناشيد ومارشات ساعتين بعد العصر للترفيه عن الجمهور . وكان دخول الحديقة وقتذاك برسم معين أكثر قليلا من رسم الأيام الأخرى . وإذا لم تخنى الذاكرة فأنى أتذكر أن رسم الدخول العادى كان قرشاً وفى يومى الجمعة والأحد كان قرشين .

وكانت مساحة الحديقة ٢١ فداناًتقريباً (٣٥٠ متراً × ٢٥٠ متراً) .

وبعد الثورة سنة ١٩٥٢ رفعت الأسوار وأبيحت للجمهور بدون مقابل . وأقيمت فيها مقاهى . كما أقيم فى جانب منها مسرح العرايس . ومسرح ٢٦ يولية . أما مسرح الأزبكية فقد كان موجودا من قبل تديره شركة مصر للتمثيل والسينما إحدى شركات بنك مصر . وكان بالحديقة بجوار المسرح مساحة تستعمل سينما فى الهواء الطلق صيفاً . ومكاناً لزحلقة القباقيب (باتيناج) شتاءاً .

وبعد حريق القاهرة فى ١٩٥٢/١/٢٦ امتد شارع ٢٦ يولية فاخترق الحديقة وقسمها قسمين .

وكان لى شرف تقديم بهذا الاقتراح . وكان من ضمنه أن يمتد شارع ٢٦ يولية حتى يتصل بشارع الجيش (فاروق سابقاً)

وكنت قبل ذلك تقدمت باقتراحات أخرى لتنظيم وتجميل المدينة فى هذا الجزء ونشرتها مجلة المصور (١) بأنها اقتراحات جديرة بالنظر من مدير التنظيم كما كانت تسمى البلدية وقتذاك . قلت : (نشر المصور شيئاً من المشروعات المزمع تنفيذها لتجميل مدينة القاهرة عروس الشرق .وهى مشروعات لا بأس بها من حيث الغرض إذا كان الغرض هو علاج الظاهر فقط . . .

وإنى أرى أن التجميل الصحيح لا يكون إلا عن طريق إزالة الدروب والأزقة التى تملأ وسط المدينة . وتحدّ من اتساع الرقعة التجارية فيها . وهى مناطق واسعة آهلة بالسكان . تزدحم طرقاتها الضيقة بالقاذورات . وتنشع من جدرانها الرطوبة وتنبعث منها الروائح الكريهة . وتجد الرذيلة والمبادىء المتطرفة فى سكانها تربة صالحة للتغلغل والانتشار . . .

وأذكر على سبيل المثال أحياء الرويعى والجبرونى والحارات المتفرعة من شارع كلوت بك ونجيب الريحانى ومن شارعى عبد العزيز ومحمد على وأحياء المناصرة والعشماوى وغيرها . . .

وقلت . . ومن الضرورى أن يتسع شارع كلوت بك اتساعا كبيرا ليكون أحد المداخل الرئيسية للمدينة على أن يخترق المترو والترام المؤدى إلى شرقى المدينة شارع كلوت بك ليخف الضغط عن شارع فؤاد الأول (٢٦ يولية . وكانت المحطةالنهائية للمترو عند تقاطعه مع شارع عماد الدين كما ذكرنا) . .

وبذلك نقسم ميدان المحطة (رمسيس حاليا) إلى قسمين . فالاتجاه إلى شرقى المدينة كالعباسية ومنشية البكرى ومصر الجديدة يكون عن طريق كلوت بك . والاتجاه إلى شبرا والقللى والسبتية يكون عن طريق شارع الملكة نازلى (شارع رمسيس حاليا) . وشارع الترعة البولاقية (الجلاء حاليا) .

وإنى أذكر هذه الاقتراحات القديمة لأن غالبية هذه الدروب والأزقة لا تزال

---

(١) مجلة المصور العدد ١٣٢٧ فى ١٩٥٠/٣/١٧ .

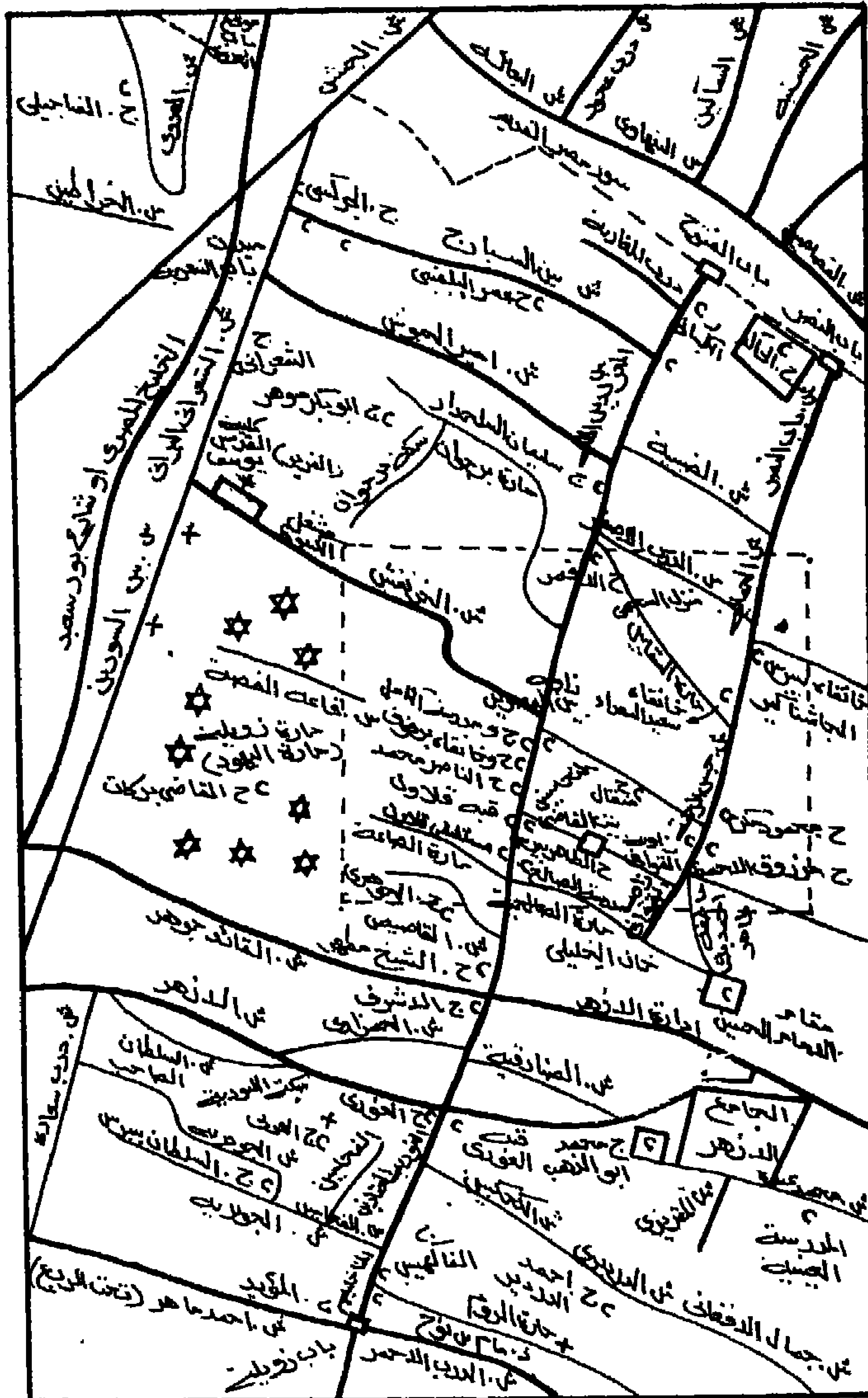
باقية على حالتها . ولو كانت مشاكل القاهرة عولجت من عشرات السنين لما كانت تفاقمت هذه المشاكل حتى وصلت حاليا إلى شبه الاختناق .

وليس من المعقول أن يطلب من قاهرة الثمانية مليون نسمة ومئات الآلاف من السيارات الخاصة والعامة والأوتوبيس وغيرها . أن تعيش على تخطيط الاسماعيلية منذ قرن من الزمان . عندما كانت القاهرة ثلث مليون نسمة وليس بها من وسائل المواصلات غير العربات الحنطور والحمير .

فها قد وصلنا إلى ما يعانيه من إرهاق قلب المدينة النابض بمصالح الحكومة والبنوك والشركات والمحلات التجارية الكبرى وعيادات مشهـورى الأطباء ودور السينما والمسارح وغيرها من مظاهر المدنية والعمران .

رسم كروكي (٣)

عن جزء من شارع المعز لدين الله والقاهرة الفاطميه



الفصل السادس

الشارع الأعظم أو شارع المعز لدين الله

عندما أنشأ القائد جوهر القاهرة المعزية جعل فى السور الشمالى بابين متباعدين . هما بابا النصر والفتوح . وفى السور الجنوبى بابين متجاورين هما بابا زويلة .

وجعل شارعاً رئيسياً من باب الفتوح إلى بابى زويلة .

ثم لما نقل بدر الجمالى مابين سنتى ٤٨٠ ـ ٤٨٤ هـ السورين الشمالى والجنوبى إلى موقعيهما الحاليين . على بعد ١٥٠ متراً تقريباً من موقعيهما السابقين . جعل فى السور الجنوبى بابا واحدا هو باب زويلة الحالى[١] .

وامتد الشارع الرئيسى إلى موقعى باب الفتوح وباب زويلة الحاليين . وعرف

---

(١) يسميه العامة (بوابة المتولى) . ويُرجع البعض هذه التسمية إلى أن والى القاهرة كان يجلس عندها . وهوتعليل لاسنده له من التاريخ . واعتقد أن التسمية ترجع إلى درجات الصوفية . فقد ذكرنا فى الفصل الخامس من القسم الأول فى الكلام على قنطرة الحفنى أن الأقطاب أو العمد أربعة . وأن مقامهم فى زوايا الأرض يتولى كل منهم شؤون جهته . فكان الاعتقاد أن القطب المتولى شؤون مصر يتردد على باب زويلة . ولذلك كانت العامة تعلق خرقة من ملبوس صاحب الحاجة وتدقها بمسمار فى باب زويلة . ليقضى القطب حاجة صاحب (الأثر) . وسميت البوابة بوابة القطب المتولى . ثم اختصرت إلى بوابة المتولى .

المؤرخون هذا الشارع الرئيسى باسم الشارع الأعظم . وشارع القاهرة والقصبة . ونعرفه الآن باسم شارع المعز لدين الله .

وأنشأ جوهر على الجانب الشرقى من الشارع المذكور قصراً للخليفة . عُرف فيما بعد باسم القصر الشرقى الكبير . لأن العزيز بالله بن المعز لدين الله أنشأ مقابل هذا القصر قصراً صغيراً آخر عرف باسم القصر الغربى الصغير وعُرف الشارع الأعظم فى هذا الجزء باسم بين القصرين . ولاتزال التسمية باقية للآن .

وكان مابين القصرين ميدان فسيح يتسع لعشرة آلالف فارس .

ولاننظر لعرض الشارع الحالى .

فقد كان باب الذهب ـ أحد أبواب القصر الشرقى ـ محل محراب مدرسة وجامع الظاهر بيبرس (انظر الرسم الكروكى بأول هذا الفصل) ـ وقد اخترق شارع بيت القاضى هذه المدرسة . ولاتزال منها للآن بقية . وكان موقع هذا المحراب يبعد عن الشارع الحالى بحوالى السبعين متراً . كما ويقدر صاحب الخطط التوفيقية . أن المنصور قلاوون عند انشاء المارستان المنصورى فى مقابل مدرسة الظاهر بيبرس المذكورة . دخل فى الشارع بحوالى الخمسة عشرا متراً .

فإذا أضفنا إلى هاتين المسافتين عرض الشارع الحالى . لكان ما بين القصرين مائة متر تقريباً .[1]

وكان القصر الشرقى كبير المساحة . ذكر له المؤرخون تسعة أبواب . وقد أمكن تحديد مواقع هذه الأبواب . ومن هذا التحديد أمكن معرفة مساحة القصر الشرقى على وجه التقريب . وقد ذكرنا فى الفصل الرابع من القسم الأول أنها كانت ٧٠ فداناً تقريباً .

وهذه الأبواب أولها باب الذهب السابق ذكره . ثم شمالاً منه باب البحر ثم باب الريح . ثم باب الزمرد . ثم باب العيد ومنه كان يخرج الخليفة لمصلى العيد

---

(١) المارستان لفظ معرب معناه دار المرضى . وأول من بنى المارستان فى الإسلام الوليد بن عبد الملك بن مروان سنة ٨٨ هـ . وجعل فيه الأطباء . وأجرى لهم الأرزاق وأمر بحبس المجذومين حتى لا يخرجوا . ورتب لهم وللعميان ما يلزم من مأكل وملبس ودواء .

خارج باب النصر . ثم باب قصر الشوق . ثم باب الديلم وكان يتوصل منه للمشهد الحسينى والجامع الأزهر . ثم باب تربة الزعفران وكان يتوصل منه إلى مقابر القصر محل خان الخليلى الآن . ثم أخيراً باب الزهومة حيث المطابخ بالريح الجنوبى للقصر وكان موقعه بحارة الصالحية عند مدرسة الصالح نجم الدين أيوب جنوبى مدرسة الظاهر السابق ذكرها .

ولم تكن هذه الأبواب جميعها من إنشاء القائد جوهر . بل زيدت فى القصر زيادات متعددة على أيدى الخلفاء الفاطميين طوال حكمهم . وهو فى الحقيقة لم يكن قصراً واحداً . بل عدة قصور أطلق عليها القصور الزاهرة .

ثم بزوال الدولة الفاطمية أنزل صلاح الدين الأيوبى أهله وأمراء دولته هذه القصور . ثم بانتقال مقر الحكم إلى القلعة فى عهد ابن أخيه الكامل بن العادل(١) أهملت هذه الدور وتهدمت . وتحولت إلى أحياء وشوارع بنيت فيها المساجد والمدارس والمساكن المختلفة .

أما القصر الغربى الصغير فقد كان مقابلاً للقصر الشرقى . على يسار المتجه إلى باب الفتوح . أنشأه العزيز بالله بن المعز لدين الله . ثم أمر بهدمه الحاكم بأمر الله بن العزيز سنة ٤٠٢ . ثم جدده الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم .

ويبدو أن هذا الهدم الذى أمر به الحاكم لم يكن شاملاً . بدليل ما ذكره المؤرخون أن ست الملك أخت الحاكم كانت تقيم فيه . وكان الجزء المشغول بسكنها حتى توفيت سنة ٤٢٥هـ . هو محل المارستان المنصورى قلاوون .

ولم يذكر لنا المؤرخون ما دعا الحاكم بأمر الله لهذا القرار بالهدم . ربما لما استقر فى الأذهان أن قرارات الحاكم بأمر الله لتناقضها لا تعلل . ولكن لا نستبعد أن كان هذا ليضايق شقيقته ست الملك . لما برم من تسلطها عليه . وقيل أن لها يدا فى فقده واختفائه سنة ٤١١هـ .

وكان موقع القصر الغربى على وجه التقريب ما بين شارع الخرنفش شمالاً

---

(١) راجع الجدول الثالث عشر من القسم الثالث .

وبين شارع المقاصيص بالصاغة جنوباً . وحده الشرقى الشارع الأعظم . والغربي موقع سور القاهرة الغربي . ومن ضمنه جزء من مساحة البستان الكافورى .

ويبدو أن زَويلة ـ إحدى فرق عساكر الفاطميين ـ عندما اختطفت حارتها المعروفه باسمها غربي موقع القصر الغربي . ومكانها الحى المعروف باسم حارة اليهود . لم تكن حارة زويلة كبيرة بالمساحة الحالية . بل كان حدها الشمالى جنوبي موقع شارع قاعة الفضة بحوالى ٧٥ متراً تقريباً . وما كان شمال ذلك كان من مساحة القصر الغربي .

وقد سبق أن ذكرنا أن البستان الكافورى كان متنزها للفاطميين . وكانوا يتوصلون إليه من سراديب مبنية تحت الأرض ينزلون إليها من القصر الشرقى الكبير . ويسيرون فيها بالدواب إلى البستان الكافورى ومنظرة اللؤلؤة بحيث لاتراهم الأعين .

ثم حُكرّ البستان وبُدى فى البناء فيه بعد الدولة الأيوبية (كما ذكرنا فى الفصل الخامس من القسم الأول فى الكلام على قنطرة باب القنطرة ومنظرة اللؤلؤة) وقال المقريزى : ومازال البستان عامراً إلى أن زالت الدولة (يعنى الدولة الفاطمية) . وبدىء فى البناء فيه سنة ٦٥١ هـ(بعد انتهاء الدولة الأيوبية) . أما الأقباء والسراديب فأنها عملت أسربة للمراحيض . وهى باقية إلى يومنا هذا (يعنى وقته وهو توفى سنة ٨٤٥هـ) تصب فى الخليج

وقال على باشا مبارك أن طول القصر الغربي من الشارع الأعظم إلى موقع السور الغربي للقاهرة هو ٤٢٥ متراً . وعرضه من شارع الخرنفش إلى شارع المقاصيص بالصاغة هو ٢٧٥متراً .

واستنتج رحمه الله من هذه الأطوال أن مساحة القصر الغربي أكثر من ثلثمائة فدان . وهى غلطة حسابية . فهذه الأطوال تنتج مساحة ٢٧ فدانا وكسور الفدان فقط [1] .

---

(١) الخطط التوفيقية ج ٢ ص ١٥ . وإذا قسنا بين شارع المعز لدين الله وشارع بين السورين حاليا وجدناها ٤٧٥ متراً . وهى التى ذكر على مبارك أن طول القصر الغربي ٤٢٥ متراً . وهذا يعنى أن السور الغربي للقاهرة وداخله البستان الكافورى كان دون السور الغربي للبستان الكافورى بحوالى ٥٠ متراً . وفى هذا تأييد للرأى الذى ذكرناه عن تسمية بين السورين فى الفصل الرابع من القسم الأول .

باب الذهب :

وكان باب الذهب أهم أبواب القصر الشرقى الكبير . وقيل فى تسميته أن المعز لدين الله عندما قدم القاهرة سنة ٣٦٢هـ (٩٧٢م) حمل معه الذهب مسبوكاً على شكل أرحية . أى أقراصاً كبيرة كرحى الطواحين . وكانت على خمسمائة جمل يحمل كل جمل ثلاثة أقراص . وأنه عمل عضادتى الباب من تلك الأرحية . واحدة فوق أخرى . فسمى باب الذهب . ولعل فى هذا مبالغة من المؤرخين .

ومن باب الذهب كانت العسكر ورجال الدولة يدخلون إلى قاعة الذهب . أو قصر الذهب . يومى الأثنين والخميس من كل أسبوع . وكان بها سرير الملك حيث يجلس الخليفة فى اليومين المذكورين . وكان يعمل بها سماط شهر رمضان طوال الشهر . وسماط العيدين .

وكان بجوار أبواب القصر الشرقى على الشارع الأعظم ثلاث مناظر اسمها الزاهرة . والفاخرة . والناضرة . يجلس الخليفة فى إحداهما عند استعراض العسكر .

وقد ذكرنا فى أول الفصل السابق فى الكلام عن الأسطول عند الفاطميين ومنظرة المقس . أنه كانت لهم أيضاً منظرة عند باب الفتوح يجلس فيها الخليفة لتحية الجيش فى ذهابه للحرب أو عودته منه .

الشارع الأعظم :

ولم يكتسب الشارع الأعظم هذا للقب لاعتباره الشارع الرئيسى داخل القاهرة الفاطمية فحسب . ولكن ما أن مضى ثلاثون عاماً على إنشاء القاهرة المعزية . حتى اتصلت بباقى أجزاء المدينة من القطائع والعسكر والفسطاط . وامتد الشارع الأعظم جنوباً خارج باب زويلة حتى مقام السيدة نفيسة ومنها إلى الفسطاط . كما امتد شمالاً خارج باب الفتوح بحى الحسينية والبيومى والظاهر حتى أقصى عمران المدنية وقتذاك . وكان الناس يسيرون من القاهرة الفاطمية إلى الفسطاط فى شارع متصل البنيان والعمران .

هذا هو الشارع الأعظم . وقد عبَّر المقريزى بأنه قصبة القاهرة . وقال أنه كان عامراً بالمتاجر والأسواق حتى بلغ عدد الحوانيت من الحسينية خارج باب الفتوح حتى السيدة نفيسة ١٢٠٠٠ حانوت .

هذا الشارع طوله من ميدان الجيش بأول العباسية حتى موقع باب السيدة نفيسة ٤٨٠٠ متراً تقريباً . منها ٩٠٠ متر خارج باب الفتوح ، ١٥٠٠ متر تقريباً داخل المدينة من باب الفتوح إلى باب زويلة ، ٨٠٠ متر تقريباً من باب زويلة حتى تقاطعه مع شارع القلعة (محمد على) عند الحلمية ، ١٦٠٠ متراً تقريباً من هـذا التقاطع حتى السيدة نفيسة[1] .

وعَرف الشارع بأسماء مختلفة تبعاً للأحياء والأسواق التى يمر بها . فقد ذكرنا أسماء البيومى والحسينية خارج باب الفتوح . ونذكر من باب الفتوح إلى باب زويلة داخل القاهرة الفاطمية بين القصرين والنحاسين والصاغة والغورية والعقادين والمناخلية والسكرية .

ونذكر خارج باب زويلة حتى تقاطع شارع القلعة أسماء قصبة رضوان والموازين والخيامية والمغربلين والسروجية . ونذكر بعد ذلك أسماء الحلمية والسيوفية والركبية والخليفة والأشرف[2] .

ثم أطلق اسم شارع المعز لدين الله على الجزء من الشارع الأعـظم داخل القاهرة الفاطمية من باب الفتوح إلى باب زويلة وهذا الجزء هو ماسنتناوله فى هذا الفصل بإذن الله .

عادات وتقاليد :

ظل هذا الجزء من الشارع الأعظم ما بين باب الفتوح شمالاً وباب زويلة جنوباً محترماً له مكانته سواء فى عهد الفاطميين أو الأيوبيين أو السلاطين المماليك . وكانت له تقاليد تراعى .

منها ألا يمر به حمل تبن أو حمل حطب . ولا يسوق به أحد فرسا . ولا يمر به سقاء إلا وراويته مغطاة . وعلى أصحاب الحوانيت أن يعلق كل منهم على حانوته قنديلاً موقداً طول الليل . وأن يعد كل منهم زيراً مملوءاً بالماء مخافة الحريق فى أى مكان فيطفأ بسرعة .

---

(١) من الطول الفعلى للشارع ٤٨٠٠ متراً نعلم أن فى عدد الحوانيت التى ذكرها المقريزى على شارع الأعظم بعض المبالغة إلا إذا كان يعنى أيضاً الحوانيت القريبة من الشارع الأعظم بالشوارع المتفرعة منه .

(٢) راجع الرسم الكروكى بأول القسم الأول . والرسم بأول هذا الفصل . والرسم بأول الفصل التالى بإذن الله .

وكان هناك أشخاص معينون للكنس والرش ورفع ما يرمىٰ من الأوساخ فى الطرقات حتى لا يعلو الشارع . وآخرون خفراء يطوفون بالحوانيت والدور لحراستها . وهذا منذ أيام العزيزبن المعز .

وأمر الحاكم بأمر الله بن العزيز ألا يدخل الشارع أحد راكباً . ومنع المكّارين (أى الحمّارة) من المرور فيه بحميرهم . كما أمر ألا يمشى أحد ملاصقاً للقصر .

وإذا قضيت صلاة العشاء بالقصر وقف على باب الذهب أحد الأمراء المعينين للحراسة . فيأمر بضرب النوبات من الطبل والبوق . وتوابعهما من الآلات الموسيقية فى عدة وافرة بطريقة مستحسنة ونغمات مستحبة . ويظل عزف الموسيقى حتى يخرج من القصر أحد الأستاذين المكلفين بالخدمة . فيقول : أمير المؤمنين يردّ عليكم السلام . فيأمر بوقف الموسيقى وغلق الأبواب . ويضع أمامها الحرس . وتُرمى السلسلة فى المضيق بين القصرين . فيمتنع المرور فى الشارع حتى فجر اليوم التالى .

وكان هذا المضيق بين القصرين فيما بين حارتى الصاغة والصالحية الحاليتين تقريباً .

وكان من التقاليد أيضاً فى زمن الفاطميين ـ (وهو ما نعبر عنه الآن بالبروتوكول) إذا قدم رسول من ملوك الأفرنج ينزل عند باب الفتوح ويقبل الأرض وهو ماشى إلى أن يصل إلى القصر . كذلك من يغضب عليه الخليفة يخرج إلى باب الفتوح ويكشف رأسه ويستغيث بعفو الخليفة . حتى يؤذن له بالوصول إلى القصر .

وأمر الحاكم بأمر الله أن يمتد وقود الشارع إلى جميع المدينة شاملة القاهرة والفسطاط . وكان ينزل ليلاً بمفرده . آمرا الحراس بالابتعاد عنه ليمرّ بالمدينة .

فتبارىٰ الناس أصحاب الحوانيت والقياسر[1] والدور فى الوقود والزينة . وصار الناس طول الليل فى بيع وشراء . وأوقدوا الشموع الضخمة . وأنفقوا الأموال الجمة . وتبسطوا فى المآكل والمشارب وسماع الأغانى . وخرج الناس من

---

(١) القياسر جمع قيسارية . وهى محرفة عن قيصرية . وتعنى المحلات التجارية تعلوها مساكن أيضا للتجارة أو للسكن وبينها شوارع خصوصية مثل الممر التجارى وممر الكونتنتال وغيرها مما هو معروف الآن . وغالباً تكون من شارعين متعاقدين على شكل صليب . ومن هنا جاء الاسم . مثل العملية الجراحية المعروفة بالقيصرية (للوضع فى حالة تعسر الولادة) والأصل فى هذا هو التخطيط الرومانى للمدن.

دورهم ليلاً للفرجة . وغلبت النساء الرجال فى الخروج ليلاً . وعظم الازدحام فى الشوارع والطرقات .

واستمر هذا خمسة أيام فقط فى سنة ٣٩١ هـ . فلما تزايد الأمر أمر الحاكم بأمر الله بمنع النساء من الخروج ليلاً بعد العشاء . ثم منع الناس من الجلوس فى الحوانيت . وفى سنة ٣٩٥ هـ . منع الناس . رجالاً ونساءاً . من الخروج بعد العشاء . وهو ما نسميه الآن بحظر التجول ليلاً .

موكب السلطان وخلعة الخليفة :

وبعد الفاطميين كان من يلى الحكم من سلاطين بنى أيوب يدخل من باب الفتوح بملابس السلطنة . وهى خلعة الخليفة العباسى . راكباً فرسه . ووزيره بين يديه على فرس آخر . ويحمل الوزير فوق رأسه عهد الحكم الصادر من الخليفة للسلطان . وجميع الأمراء والعساكر مشاة بين يديه . حتى يخرج الموكب من باب زويلة . فيركب الجميع إلى القلعة .

وقال المقريزى أن أول من ركب بخلع الخليفة فى القاهرة هو صلاح الدين الأيوبى . والخلعة جبة[1] سوداء وطوق من ذهب .

وكان بعض السلاطين يدخلون من باب النصر بدلاً من باب الفتوح . ثم يعرجون إلى الشارع الأعظم حتى باب زويلة .

واستمر هذا طوال عهد السلاطين المماليك . ولو أن بعضهم كانوا يكتفون بعقد مجلس فى القلعة يحضره الخليفة والقضاة الأربعة . وتتم فيه مراسيم العهد بالحكم .

وعندما دخل السلطان سليم الأول العثمانى مصر . استقر بمعسكره أولاً فى صحراء العباسية . ثم أراد أن ينتقل إلى ساحل النيل فيما بين بولاق وموقع جاردن سيتى . فدخل بموكبه من باب النصر . ثم عرج إلى الشارع الأعظم حتى باب زويلة . ثم انعطف فى شارع تحت الربع (أحمد ماهر حالياً) إلى باب الخلق ومن هناك توجه إلى بولاق .

---

(١) السواد كان شعار العباسين .

وكان الولاة المعينون من إستانبول يحضر أغلبهم عن طريق فرع رشيد إلى بولاق . فيستقبل الأمراء المماليك الوالى الجديد . ويركب فى موكب وعليه خلع السلطنة العثمانية . فيدخل من باب البحر (بالقرب من نهاية شارع كلوت بك عند ميدان رمسيس) ويسير الموكب إلى أن يدخل القاهرة من باب القنطرة . فيشقّ سوق مرجوش (شارع أمير الجيوش) حتى يصل إلى الشارع الأعظم . فيسير فيه حتى يخرج من باب زويلة . ثم ينعطف يساراً فى شارع الدرب الأحمر إلى طريق التبَّانة وباب الوزير والمحجر حتى يصل إلى القلعة .

وعندما انتصر إبراهيم باشا بن محمد على على الوهابيين بالحجاز سنة ١٨١٨م (١٢٣٤هـ) أرسل زعيمهم عبد الله بن سعود اسيرا . فدخل من باب النصر راكبا على هجين . وأمامه طائفة من الدلاة[1] . وخلفه بعض أتباعه . وضربوا عند دخوله المدافع من القلعة وبولاق . وذهبوا به إلى قصر إسماعيل باشا بن محمد على بالجزيرة . واستقبله محمد على فى اليوم التالى بقصر شبرا . وعاتبه على العصيان . ثم أرسله إلى إستانبول . فطافوا به المدينة . ثم قتلوه فى مكان يعرف بباب همايون وقتلوا أتباعه فى نواحى متفرقة من المدينة . فذهبوا مع الشهداء .[2]

وعاد إبراهيم باشا من الحجاز فى أوائل سنة ١٢٣٥ هـ عن طريق القصير . فنودى بزينة المدينة سبعة أيام بلياليها . وبات إبراهيم باشا بقصر شريف بك بجزيرة الروضة . وزيّنوا له فى اليوم التالى موكباً دخل به من باب النصر . وعلى رأسه شعار الوزارة . وشق الموكب المدينة بالشارع الأعظم . وحضر والده إلى الغورية بقصد الفرجة على موكب ابنه . ووصل الموكب إلى القلعة . وطلع إليها . ثم سار إلى جهة مصر القديمة حيث عبر النيل إلى قصره بالروضة . على جسر عملوه من المراكب . رُبطت ببعضها من البر إلى البر ووضعوا عليها ألواحاً من خشب وردموا الأتربة فوق الألواح ليتمكن الموكب من السير عليها .

وتضاءل شأن الشارع الأعظم باتساع المدينة . ونشأة شوارع أعظم منه طولاً

---

(١) الدلاة فرقة من الجيش الغير نظامى . وهى غالباً من أكراد سوريا . واشتهروا بالشجاعة واللفظ دالى أصلاً معناه مجنون .

(٢) الجبرتى حوادث سنة ١٢٣٤ هـ .

وعرضاً . بالتخطيط الجديد للمدينة . وانتقال مركز الحكم إلى القلعة ثم إلى قصر عابدين ثم إلى قصر القبة ثم إلى قصر عابدين أخيراً .

والشارع الأعظم غنى بالآثار المعمارية الإسلامية ففى المسافة من باب الفتوح إلى باب زويلة وطولها ١٥٠٠ متراً تقريباً يوجد أكثر من خمسة عشر مسجداً وجامعاً ومدرسة أثرية تطل على الشارع الأعظم . فضلاً عن أضعاف مضاعفة من هذا العدد فى الحارات والشوارع المتفرعة منه .

ومن هذه الآثار أربعة آثار إسلامية ضخمة متجاورة . بل متلاصقة . تكوّن واجهاتها على الشارع ١٧٥ متراً تقريباً . وهى ١ جامع ومستشفى المنصور قلاوون . ٢ مدرسة وجامع الناصر محمد ٣ جامع وخانقاه الظاهر برقوق ٤ جامع ومدرسة السلطان الكامل الأيوبى .

هذه الآثار الأربعة . بل هى فى الواقع خمسة إذا اعتبرنا مستشفى وجامع قلاوون أثرين . على الشارع الأعظم تصل شمالاً إلى شارع الخرنفش . وجنوباً إلى حارة الصاغة . وهى من محل القصر الغربى الصغير .

ويقابلها فى الشارع من الناحية الأخرى بقايا مدرسة الظاهر بيبرس وبقايا مدرسة الصالح أيوب السابق ذكرهما . محل القصر الشرقى الكبير .

اقتراح :

ومنذ خمس سنوات تقريباً (١٩٧١) قدمت اقتراحاً للمسؤلين بتجديد جزء من القاهرة الفاطمية لتنشيط السياحة الداخلية والخارجية . ولإحياء وتقدم بعض الصناعات الفنية القديمة . والدعاية لمصر والعالم العربى والإسلامى . ولتصحيح الفكرة الخاطئة عند الغربيين أن حضارة مصر كانت حضارة الفراعنة فقط إلى فكرة سليمة . أن الحضارة ظلت بمصر منذ الفراعنة وأن حضارة العرب أطلّت أيضاً من مصر على أوربا فى جاهليتها فأنارت لها طريق العلم والمدنية .

واخترت لمكان تنفيذ الاقتراح جزءاً من المدينة مكان هذه الآثار المتلاصقة المذكورة ومجاورتها . والمساحة المقترحة (٤٢٥ متر × ٣٢٥ متر) عبارة عن ٣٣ فداناً

تقريباً وهى مساحة قرية عادية من قرانا المصرية (١) .

وبينت فى الاقتراح الناحية الموضوعية منه . وهى بوجه عام انشاء حى إسلامى الطابع ـ كأنه معرض كبير ـ أنيق المظهر بما فى الحضارة الإسلامية من مظاهر محببة . حسن التخطيط فى شوارع مستقيمة ذات عرض مناسب . ومتنزهات بما عرف عن العصور الإسلامية من سلامة الذوق وجمال الإبداع وحسن التنسيق فى تخطيط الحدائق . وتزويدها بأنواع الزهور والنباتات . وتجميلها بالنافورات .

ويكون بالحى ما يحتاج إليه الأجنبى ـ سواء كان شرقياً أو غربياً ـ لقضاء ساعات ـ بل أياماً وما يجتذب المصرى أيضاً ليعيش فترات فى ماضيه المجيد . ويحيا لحظات فى جمال الشرق وما يبعثه الدين فى النفس من رضا واطمئنان .

ومما اقترحته ترميم الآثار الهامة فى هذا الجزء ترميماً كاملاً . وتجديد مااندثر منها . وإعادتها زاهية كيوم إنشائها . فهى ليست كالآثار الفرعونية عظمتها فى قدمها وإيغالها فى أغوار التاريخ البعيد . بل عظمة الآثار الإسلامية فى دقة صناعتها وفنها المعمارى الخاص وما فيها من نقوش وزخارف وكتابات جصية . وما فى نجارتها من نوافذ وأبواب ومنابر ومشربيات وغيرها من بديع الخرط والتعشيق والتركيب بالزجاج الملون . والتطعيم بالعاج والصدف . وغير ذلك من الزخارف .

ومنها إنشاء متحف للشمع فى بعض قاعات هذه الآثار تبرز فيه ـ بتماثيل من الشمع ـ مناظر من أمجادنا التاريخية . وأشخاص من العرب المصريين النابهين فى شتى نواحى العلوم والمعرفة .

وضربت أمثالاً لمناظر الأمجاد التاريخية . منها مبايعة الظاهر بيبرس للخليفة العباسى الحاكم بأمر الله سنة ٦٦٠ هـ(١٢٦٢ م) فى انتقال الخلافة من بغداد إلى القاهرة . بعد أن قضى عليها التتار فى بغداد سنة ٦٥٦هـ .

ومنها منظر الحفل الذى تم فيه الاتفاق بين السلطان الكامل الأيوبى وبين الصليبيين على جلائهم عن دمياط سنة ٦١٩هـ (١٢٢٢ م) . وفيه قدم الافرنج عشرين من امرائهم وملوكهم بصفة رهائن لتنفيذ الاتفاق . وقدم الكامل ابنه

---

(١) بالرسم الكروكي بأول هذا الفصل تحديد المكان المقترح

الصالح نجم الدين أيوب بصفة رهينة كذلك .

ومنها تصوير الملك لويس التاسع ملك فرنسا وهو يدفع الفدية ذليلاً ويوقع على الجلاء عن دمياط بعد أسره فى المنصورة سنة ٦٤٨ (١٢٥٠م)

ومنها توديع واستقبال الأسطول عند الفاطميين . ومنها مجالس العلم عند بعض السلاطين كالسلطان الغورى . ومجلس العدل عندهم .

وغيرها كثير من المناظر التى يحفل بها تاريخ مصر الإسلامية .

وضربت أمثالاً للأشخاص النابهين :

الحسن بن الهيثم (٣٥٤ - ٤٣٠ هـ = ٩٦٥ - ١٠٣٩م) وكان فى عهد الفاطميين ويعرفه الغربيون باسم Alhazen الذى تعلمت منه أوربا الكثير عن نظريات الضوء وانكساره والعدسات وقوس قزح وتشريح العين وكيفية تكوين الصور على شبكتها وأسماء أجزائها .

وقالت عنه دائرة المعارف الإسلامية (وكان من أهم علماء العرب فى الرياضيات والطبيعيات . وكانت له فوق ذلك مشاركة فى الطب وعلوم الأوائل خاصة فلسفة ارسطو . . . ثم قالت : وإن لكتاب (المناظر) أثر بالغ فى معارف الغربيين لهذا العلم فى العصور الوسطى . منذ روجر بيكون Bacon (١٢١٤ - ١٢٩٤م) حتى kepler كبلر (١٥٧١ - ١٦٣٠م) .

وقال عنه دائرة المعارف البريطانية أن ابن الهيثم أول مكتشف ظهر بعد بطليموس فى علم البصريات (وبينهما تسعة قرون تقريباً) .

وقال عنه سارتون أنه أكبر عالم طبيعى مسلم . ومن أكبر المشتغلين بعلم المناظر والضوء فى جميع الأزمان .

وعاش ابن الهيثم للعلم . فلم يطمع فى مال أو جاه . وكان يكسب قوته من نسخ الكتب . ومع ذلك ترك ثروة علمية ضخمة تزيد عن المائتين كتاب منها ٤٣ فى الفلسفة والعلوم الطبيعية و٣٥ فى العلوم الرياضية . وكتاب فى الطب فى ثلاثين جزءاً . وغيرها . وعرفت جميعها بالعمق والدقة والإحاطة .

وتوفى ابن الهيثم بالقاهرة ودفن بها .

وهو جدير بأن يعمل له تمثال يمثله عاكفاً على إحدى تجاربه . مع نبذة مختصرة عن تاريخ حياته وقيمته العلمية وأثرها فى الحضارة الغربية .

وأيضا ابن النفيس (علاء الدين بن أبى الحزم ٦٠٧ ـ ٦٨٧هـ = ١٢١٠ ـ ١٢٨٨م) مكتشف الدورة الدموية الصغرى . كان رئيساً للأطباء فى مصر فى عهد المنصور قلاوون . وكان عَلَمًا فى الطب كما كان حجة فى قواعد وعلوم اللغة والمنطق والفقه الشافعى . له كثير من المؤلفات أهمها (الشامل فى الطب) فى ٣٠٠ مجلد (ثلاثمائة) . و (الموجز) اختصر فيه كتاب القانون لابن سينا . واشتهر كتاب الموجز وانتشر . والكثير من كتبه مبعثر ولايزال مخطوطاً فى مكتبات العالم . كما فقد الكثير منها .

وعَرف ابن النفيس بأبحاثه حقيقة الدورة الدموية الصغرى . وهى الدورة الرئوية . وخالف بهذا جالينوس وابن سينا ومَنَ قبله من العلماء . واهتدى إليها قبل أن تعرفها أوربا بثلاثة قرون . وتنسبها الى ميجيل سيرفيتو (Miguel jerveto ت . ١٥٥٦م) ورنيالدو وكولومبو Renaldo Kolombo ت . (١٥٥٩م)

واكتشاف ابن النفيس هذا لم تعرفه أوربا لأن كتابه (شرح تشريح ابن سينا) الذى وصفها فيه فى عدة مواضع لايزال مخطوطا . كما قال الدكتور ماكسى مايرهوف . كاتب المادة فى دائرة المعارف الإسلامية (الدكتور ماكسى مايرهوف توفى ١٩٤٥م)

وسيرفيتو هذا كان من رجال الكهنوت . حاكمته كنيسة روما لأنه خرج عليها واتبع مذهب كالفن واعدمته بإحراقه حيا فوق خازوق .

وقال الدكتور عبد الرحمن زكى فى كتاب (التراث العلمى والفنى للقاهرة) أن من راجع كتاب سير فيتوس لايسعه إلا أن يستنتج أنها ترجمة تكاد تكون حرفية من قول ابن النفيس .

ويفخر العلماء العرب أن أمانتهم العلمية نزَّهتهم عن مثل هذه السرقات . فكانوا ينسبون كل فضل لصاحبه .

وابن النفيس جدير بأن يقام له تمثال يُصَوِّره يلوم سيرفيتو على سرقته وانتحاله لنفسه مالا فضل له فيه .

وأيضاابن يونس الفلكى المصرى . (أبو الحسن على بن عبد الرحمن بن أحمد بن يونس كان فى عهد الفاطميين وعاش (حوالى ٣٩٩هـ = حوالى ١٠٠٩م) . وهو صاحب الزيج الحاكمى . والزيج عبارة عن جداول فلكية .

ويعتبر الزيج الحاكمى أول زيج تركه القدماء . وحقق ابن يونس فيه أبحاث القدماء فى اقتران الكواكب والكسوف والخسوف . ورصدهما بنفسه . وقام ابن يونس بعمل هذا الزيج بتكليف العزيز بالله بن المعز لدين الله . وبنى له مرصدا فوق المقطم فى مكان كان يشرف على ماكان يسمى بركة الحبش شرقى الفسطاط . ولكن لم يتم ابن يونس هذا الزيج إلا فى عهد الحاكم بأمر الله بن العزيز . فنسب له .

والزيج الأيلخانى الذى عمله نصير الدين الطوسى العالم الأسلامى الشهير (٥٩٧ - ٦٧٢هـ = ١٢٠١ - ١٢٧٤م) والمسمى بهذا الاسم لأن الطوسى اهداه إلى ايلخان هولاكو . ماهو إلا زيج ابن يونس مع تعديل بسيط .

واستنبط ابن يونس قانونا فى حساب المثلثات استعان به علماء الفلك قبل معرفة اللوغاريتمات وحل كثيرا من المسائل العويصة فى علم الفلك الكُرِّى .

وابن يونس هو مخترع البندول أو الرقاص الذى استعمل فى الساعات الدقاقة . وفى حساب حركات الكواكب . ونُسب هذا الاختراع إلى جاليل Galilee الفلكى الأيطالى (١٥٦٤ - ١٦٤٢م) بعد ابن يونس بستة قرون .

وابن يونس شخصيه علمية يحق لمصر أن تفاخر بها وتستحق الإعزاز .

وكذلك من الشخصيات المقترحة لمتحف الشمع الإمام الشافعى والمؤرخ المقريزى الذى عاش فى حارة برجوان القريبة من المنطقة المقترحة . وعمر ابن الفارض الذى تلقى علومه بالمدرسة السيوفية بحى الصاغة . وابن خلدون الذى درَّس بالأزهر وتولى قضاء المالكية فى مصر مايقرب من عشرين عاما وتوفى ودفن بالقاهرة . والإمام السيوطى وغيرهم . وكلهم مصريون أو عاشوا بمصر . وغيرهم عشرات بل مئات .

وبينت أن صور الأشخاص يمكن تكوينها بما ورد فى الموسوعات التاريخية سواء قصدا أو عرضا من صفات بارزة فى سحنة وقوام كل منهم .

ومن الاقتراح أيضا إنشاء متحف إسلامى صغير ببعض قاعات هذه الآثار يسّل إليه بعض المكررات من المتحف الأسلامى . أو ما قد يوجد من تحف فى بعض القصور المصادرة . ويُزود المتحف بصور زيتية أو شمسية لبعض الآثار التى ليس من السهل أو المصلحة نقلها .

كذلك إنشاء مكتبة عامةفى بعض قاعات هذه الآثار . وتخصيص قاعة بأبواب عازلة للصوت تحول إليها إذاعة القرآن الكريم .

وإنشاء مسرح وسينما تتخصصان فى تقديم عروض ذات طابع شرقى وإسلامى . ولا نقصد طابعا دينيا . بل تتناول شتى النواحى الاجتماعية والتاريخية - جدية وفكاهية .

كذلك إنشاء فنادق سياحية من الدرجة الاولى والثانية يكون تصميم عمارتها وتأثيثها والخدمة فيها ذات طابع شرقى إسلامى .

وإنشاء عدة مطاعم ومقاهى لها الطابع الشرقى . وتتخصص فيما تقدمه من مأكولات اشتهرت أصنافها عند الشعوب الإسلامية المختلفة فى آسيا وأفريقيا سواء فى العصر القديم أو الحديث .

وترتيب مهرجانات تقام فى المناسبات الدينية والتاريخية الإسلامية يكون لها طابع الترفيه . فمن الأفضل تطوير الاحتفالات بالمناسبات الدينية بعض الشىء حتى تجتذب للمشاركة فيها أكبر عدد من الناس . كما يقام مهرجان سنوى تُعمل له الدعاية اللازمة فى الخارج .

كذلك انشاء عمارات سكنية لسكن موظفى الحى ولسكن الأهالى . ويكون لها الطابع الأسلامى . ويمكن مشاركة القطاع الخاص ببيع مساحات للأهالى . بشرط البناء فيها بطابع معين . وواجهات تحدد مواصفاتها من شبابيك خرط ومناور بزجاج ملون ومشربيات يراعى فيها الذوق الأسلامى . وعلى المهندسين ابتكار طريقة لزيادة تسرب الضوء والهواء منها لداخل المسكن . مماقد تعوقه هذه المشربيات .

وتحت العمارات المذكورة تكون المطاعم والمقاهى . ومحلات تجارية تتخصص فى بيع المصنوعات التى اشتهرت بها مصر فى عهدها الذهبى الأسلامى . مثل تطعيم

الخشب بالصدف أو العاج . وكفت النحاس بالنحاس أو الفضة . والخشب المخروط . وغيرها مما هو معروف فى خان الخليلى . مع التطوير والابتكار فى هذه الصناعات .

وتناولت فى الاقتراح أيضاالمجاورات . وعنيت بها طرق الوصول إلى الحى الجديد . ومايلزم الطرق الحالية من تعديل حتى تسهل حركة المرور .

مثل استعدال شارعى باب النصر وباب الفتوح . وهما متوازيان . وجعل كل منها اتجاها واحدا . وتوسيع شارع أمير الجيوش وامتداده إلى شارع الضببية حتى شارع الجمالية (باب النصر) . وكذلك توسيع واعتدال الشوارع والحارات التى تصل بين شارعى باب النصر وباب الفتوح مثل الدرب الأصفر وحارة السقايين ودرب قرمز (راجع الرسم الكروكى) وغير ذلك من تسهيل طرق المواصلات .

وبينت أن اقتصاديات المشروع لن تكلف الدولة كثيرا . فأغلب المساحة المقترحة أوقاف قديمة تملكها الدولة الآن . وستكسب من بيع مساحات منها للأهالى . كما ستكسب من تأجير الفنادق والمطاعم والمحلات التجارية . فلا يكون الموضوع بالنسبة لها أكثر من استغلال رأس المال فى البناء وأن ماسُينشأ من نواحى ثقافية كا لمتحف والمكتبة وغيرها سيكون غالبا فى بعض قاعات الآثار الموجودة .

والمساحة المقترحة يمكن أن تمتد حتى تتصل بميدانى الحسين والأزهر وما طرأ عليهما أخيرا من تحسينات وعمران .

والاقتراح سيحقق تنفيذه بإذن الله دخلا قوميا كبيرا من العملات الصعبة بتشجيع السياحة الخارجية - والآن الكثيرون من السائحين بمصر شرقيون - وبتنشيط الصناعات التقليدية المعروفه بمنتجات خان الخليلى . فضلا عن الرواج فى حركة السياحة الداخلية .

وفى تحقيقه بإذن الله مال وعمران ودعاية وسياحة وثقافة ووطنية

وختمت الاقتراح بإنه ربما كان حلم حالم . ولا أقول علم عالم . ولكننا لا نستغنى عن الخيال والتصور لنبدأ أى عمل . ولا شىء يرفع معنويات شعب مثل ذكرى أمجاد أجداده تُجسدٌ له وتُصَوَّر . ولا أمل لنا فى مستقبل إذا بعدنا عن ماضينا الإسلامى . نأخذ من الغرب أفضل ماأنتجه لترفيه الحياة المادية ونختزن فى

أعماقنا ماورثناه من قيم ومعانى ونظريات أرسى قواعدها الأسلام غذاءا لحياتنا الروحية والخلقية . ومنهاجا لسلوكنا . وطاقة دافعة فى نضالنا التاريخى فى سبيل حياة أفضل للفرد والمجتمع .

وبعد هذا الاستطراد نعود إلى الشارع الأعظم .

فقد رأينا القيمة السياسية والاجتماعية للشارع الأعظم . والآن نلقى نظرة على تخطيط الشارع المذكور وما كان له من قيمة تجارية .

فنجد أنه جدًت خَطوط عرضية تصل مابين هذا الشارع والخليج . نذكر منها :

شارع بين السيارج (حارة بهاء الدين) :

على يمين الداخل من باب الفتوح . يصل إلى قرب باب القنطرة خلف الجامع الجركسى بشارع الجيش عند ميدان باب الشعرية .

وشارع بين السيارج هو الذى أسماه المقريزى حارة بهاء الدين . وكانت خارج السور الذى بناه القائد جوهر . فلما نقل بدر الجمالى السور إلى موقعة الحالى أصبحت من داخله .

وعُرفت حارة بهاء الدين بهذا الاسم لسكن بهاء الدين قره قوش الأسدى بها . واسم بين السيارج قديم . فقد ذكره الجبرتى فى عدة مواضع . وكان الأولى إعادة اسم بهاء الدين إلى هذا الشارع (١) .

شارع أمير الجيوش (مرجوش) :

ثم نجد على اليمين أيضا . بالنسبة للقادم من باب الفتوح ـ شارع أمير الجيوش موازيا لشارع بين السيارج . وقد حرفته العامة إلى مرجوش . نسبة إلى أمير الجيوش بدر الجمالى .

---

(١) لعل السبب أنه يوجد بالجانب الشرقى من القاهرة الفاطمية على بعد ٣٠٠ مترا تقريبا غربى السور الشرقى وموازى للسور شارع آخر باسم بهاء الدين . وكان من الممكن أحد الشارعين باسم قره قوش اسمه الأكثر شهرة .

وهو شارع لايصل إلى الخليج فحسب بل يمتد غربا حتى باب البحر (بالقرب من أول شارع كلوب بك بميدان رمسيس) باسماء مختلفة على التوالى من الخليج : شارع الخراطين . ثم العروس . ثم باب البحر (١) .

وقبل أن ينتقل النيل غربا إلى موقعه الحالى ببولاق كانت الميناء النهرية للقاهرة بجوار جامع المقسى بالقرب من ميدان رمسيس . ومَن يصل إلى القاهرة بطريق النهر كان طريقه هذا الشارع . وظل هذا الشارع أحد المداخل الرئيسية للمدينة لمن يصل بطريق النهر .

وكانت مراكب الغلال تقف بشاطىء النيل من المقسى حتى منية السيرج (الجزء الشمالى من شبرا) . وكان جنوبى هذا الشارع فيما هو غربى الخليج ميدان الغلة الذى تخزن فيه الغلال . وكان مكان هذا الميدان حزء من بستان المقسى الذى ذكرنا تحوله إلى بركة بطن البقرة . التى عُرف أخيراً جزء منها ببركة الأزبكية .

شارع الخرشتف (الخرنفش) :

وبعد شارع أمير الجيوش نجد من الخطوط العريضة التى تصل إلى الخليج شارع الخرشتف . وقد حرفته العامة إلى الخرنفش . والخرشتف هو مايتحجر من وقود الحمامات ويستعمل مع الجير مادة لاصقة أى مونة للبناء . واستعمله العزيز بالله فى بناء الأسطبلات الخليفية بجوار القصر الغربى . فعرف به . وكان موقع هذا الشارع هو الحد الشمالى للقصر الغربى الفاطمى .

وبهذا الشارع مشغل الكسوة الشريفة (التى تعمل للكعبة وكانت ترسل سنويا مع المحمل كما ذكرنا فى الفصل السابق) . وكان مكان هذا المشغل ورشة خميس العدس التى أنشأها محمد على باشا لعمل بعض الآلاث الأصولية مثل السندانات والمخارط الحديد والقواديم والمناشير وخلافه . وأدوات الأنوال لصناعة غزل ونسيج الحرير والقطن والمقصبات (أى بها خيوط من الذهب أوالفضة أو خيوط مطلية

---

(١) هذه هى الأسماء الحاليه .وقديما لم تكن كذلك فمثلا فى زمن على مبارك كان اسم جزء من شارع الخراطين شارع باب الشعرية . وقد دخل هذا الجزء فى ميدان باب الشعريه وكان جزء من شارع العروسى يسمى شارع أبى بدير نسبه إلى جامع السيد أحمد بدير العريان والجزء الآخر اسمه شارع سوق الخشب وفى زمن الفرنسيين كان لاجزاء هذا الشارع اسماء أخرى واختصرت جميعها للاسماء الحالية .

بأحدهما) . ثم أبطلت الورشة كما أبطل غيرها بعد وفاة محمد على . وجُعل محلها مشغل الكسوة الشريفة .

أما خميس العدس الذى ورد ذكره فهو محرف من خميس العهد أحد أعياد المسحيين . وهو قبل الفصح عندهم بثلاثة أيام [1] . واسم خميس العدس يرجع إلى أن النصارى كانت تطبخ فيه العدس المصفى . ويسميه أهل الشام بخميس الأرز وبخميس البيض . وكان نصارى الأندلس يسمونه خميس أبريل .

وكان الفاطميون . يحتفلون بهذا العيد مشاركة لرعاياهم من الأقباط . ومن رسومهم فيه ضرب نقود تذكارية من الذهب تسمى خراريب (جمع خرُوبة) توزع على رجال الدولة بمقادير معلومة .

وبشارع الخرنفش عند نهايته من جهة شارع الخليج مدرسة القديس يوسف للافرنج الكاتوليك الشهيرة . بمدرسة الفرير .

وبالقرب من موقع مشغل الكسوة كانت الدار الألهامية أو دار الخرنفش . بناها عباس حلمى الأول أثناء ولايته على مصر . وأسماها بهذا الاسم نسبة إلى ابنه إبراهيم الهامى . وبعد موتها أنعم بها الخديوى اسماعيل على السيد على البكرى نقيب الأشراف بدلاً من داره التى كانت بشارع عبد الحق السنباطى بالقرب من ميدان الأوبرا عند تنظيم منطقة الأزبكية كما سبق ذكره .

وكان محل هذه السراى دار تنكزُ الأشرفى (نسبة إلى الأشرف خليل بن قلاوون) . قرَّبه الناصر محمد بن قلاوون . وعينه نائباً بدمشق . فأحسن السيرة . وأمَّن الرعية . وهابته الأمراء . وبنى بدمشق جامعاً . وكان الناصر يستشيره فى كثير من الأمور . حتى بلغه أنه يراسل التتار . فأرسل الناصر إليه الأمير بشتاك . فأحضره مقبوضاً عليه .

---

(١) الترتيب الزمنى لهذه الأعياد : خميس العهد . ثم الجمعة المقدسة أو الجمعة الحزينة . ثم سبت النور . ثم عيد الفصح يوم الأحد . ويتلوه شم النسيم يوم الأثنين . وشم النسيم ليس من الاعياد الدينية عند الأقباط . بل كان الفراعنة يحتفلون به فى فصل الربيع . فلما دخلت المسيحية مصر جعله الأقباط اليوم التالى لعيد الفصح أو عيد القيامة (أى قيامة المسيح عليه السلام بعد صلبه كما يقولون) . لأنهم يصومون قبل هذا العيد ٥٥ يوما والصيام يتعارض مع الاحتفال بعيد الربيع بما فيه من طعام وشراب ولهو . للتفصيل راجع كتاب (الشمس والقمر فى حساب الزمن) للمؤلف .

وأحضـر معه أمـواله . وكـانت شيئاً كثيـراً منهـا ٣٣٦٠٠٠ دينـار ذهب ، ١,٥٠٠,٠٠٠ دراهم من الفضـة ، ٨٠٠ حملاً من الجـواهر والنحـاس واللؤلؤ والزركش .

ولما وصل تنكز إلى القلعة بالقاهرة أرسل إلى سجن الأسكندرية وظل به نحو شهر ثم قتل فى أوائل سنة ٧٤١هـ .(١)

حارة بَرْجوان :

وبين شارعى أمير الجيوش والخرنفش حارة برَجوان . وهى حارة كبيرة من الحارات القديمة تصل ما بين الشارعين فى تعرجات كثيرة .

وهى منسوبة إلى الأستاذ أبى الفتح برَجوان . كان خصياً أبيض تام الخلقة من خدم العزيز بالله بن المعز . وأوصاه العزيز عند وفاته على ابنه الحاكم بأمر الله . واستولى على السلطة . وأحسن التدبير . وبلغ النهاية من العز والنفوذ . فانشغل بلذاته . وأقبل على سماع الغناء والطرب .واجتمع لديه الموسيقيـون والشعراء . وكان يقضى فى الأمور بدون استشارة , فنقم عليه الحاكم بأمر الله . ودبّر له كميناً فى مكان يعرف بدويرة التين من القصر الشرقى . فقُتل فى هذا البستان سنة ٣٩٠هـ .(٢)

وكانت مدة برجوان فى الوساطة أى الوزارة سنتين وثمانية أشهر . ووجد فى تركته من النقد ٣٣٠٠٠ دينار ، ومن خيل الركوب ١٥٠ فرساً و٥٠ بغلة ، ومن بغال النقل ٣٠٠ ، ومن السروج ١٥٠ سرجاً منها عشـرون مذهباً . وكذا ألف سروال ديبقية بـألف تكة حـرير أرمنى . ومن الثيـاب المخيطة والصحـاح والحلى والمصاغ والطيب والمصوغات الذهبية والفضية وغيرها مالا يحصى .

دار الوزارة :

ولما قدم بدر الجمالى فى خلافة المستنصر بالله سكن دار برجوان بعد أن أنشأها شيئاً آخر . وجعلها دار الوزارة . ولم يسكن دار الديباج مقر الوزارة السابق وسيأتى ذكرها بإذن الله .

---

(١) خطط المقريزى ج٢ ص٥٤
(٢) كان عمر الحاكم عندما دبر هذه المؤامرة ١٥ سنة . وذكر أبو الفدا برجوان باسم أرجوان

وبعد وفاة بدر الجمالى أنشأ ابنه الافضل شاهنشاه داراً للوزارة عُرفت بدار القباب برحبة باب العيد مقابل الجزء الشمالى الشرقى من القصر الشرقى الكبير . وترك هذه الدار ـ أى دار برجوان ـ لأخيه المظفر جعفر بن أمير الجيوش فعرفت بدار المظفر .

ثم قتل المظفر . وقبره معروف باسم زاوية جعفر بالقرب من جامع سليمان أغا السلحدار . وتنسب العامة . القبر المذكور إلى الإمام جعفر الصادق سادس الأئمة عند الشيعة . وهو خطأ نبه عليه المقريزى . فجعفر الصادق توفى سنة ١٤٨هـ أى قبل إنشاء القاهرة بأكثر من قرنين .

ثم عملت دار المظفر المذكورة داراً للضيافة لإقامة الرسل الواردين من الملوك . واستمرت كذلك إلى نهاية دولة الفاطميين . فأنزل بها صلاح الدين أولاد العاضد آخر الخلفاء الفاطمين . وآل بيته . فظلوا بها حتى نقلهم الكامل بن العادل الأيوبى إلى القلعة .

ثم بيعت الدار فى زمن المنصور قلاوون وبنى الكثيرون مكانها الدور والمساكن .

سكن المقريزى :

وممن سكن محل الدار المذكورة تقى الدين أحمد بن على المقريزى المؤرخ الكبير والذى تعد كتبه عن خطط القاهرة المرجع الأساسى لكل ما يكتب الآن عن خطط مصر القاهرة .

دار العلم أو دار الحكمة :

وكان بجوار دار الضيافة المذكورة دار العلم أو دار الحكمة . أمر بانشائها الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٥هـ . وحمل إليها الكتب من خزائن القصر . وجلس فيها الفقهاء والقراء والعلماء والأطباء . وفرشها وزخرفها . وعلق على أبوابها وممراتها الستائر . وأقام بها من يقومون بالخدمة والملاحظة والمحافظة . وأباح الاطلاع على الكتب ونسخها لمن أراد . وكان كل حين يحضر جماعة منهم للمناظرة بحضرته . وأجرى عليهم الأرزاق . وأوقف عليها ما يكفى .

وظلت هكذا حتى وزارة الأفضل شاهنشاه . فحدث سنة ٥١٣ أن بلغه أن

بعض من فيها يفسدون العقول بفلسفتهم . وادعى أحدهم . واسمه القصار . الألوهية . وتبعه كثيرون . فقبض على من وجده منهم . وقتلهم . وهرب القصار . وأغلق الأفضل دار الحكمة .

ثم قُتل الأفضل سنة ٥١٥هـ . وأمر الآمر بأحكام الله وزيره المأمون البطائحى بإعادة فتح الدار . ففُتحت . وظهر القصار ثانية . واستفسد العقول . فقُبض عليه وعلى أتباعه وقتلوا جميعاً . وأغلقت الدار .

ولم يكن غلق الدار هذه المرة لأسباب دينية وفقهية فقط . ولكن أيضاً لأسباب سياسية . فقد كان يُخشى من التجمعات . حتى لا يقوى شأن النزارية . وهم الذين كانوا يرون أن نزاراً بن المستنصر بالله ـ وهو عم الآمر بأحكام الله بن المستعلى بالله ـ أحق بالخلافة منها (راجع الجدول الحادى عشر بالقسم الثالث)

ثم فتحت دار الحكمة بعد ذلك فى مكان آخر جنوبى القصر الشرقى الكبير .

القصر الغربى :

وكان جنوبى شارع الخرنفش القصر الغربى الصغير . ويصل جنوباً إلى حارة الصاغة الحالية . وغرباً إلى البستان الكافورى والخليج . أنشأه العزيز بالله . وأسكن فيه ابنته ست الملك أخت الحاكم بأمر الله . وظلت تقيم فيه حتى توفيت سنة ٤٢٥هـ فى خلافة ابن أخيها الظاهر لإعزازدين الله بن الحاكم .

ويبدو أن المستنصر الفاطمى جدده بعد ذلك على أمل أن ينقل إليه الخليفة القائم بأمر الله العباسى وآل العباس من بغداد إلى القاهرة . ويجعله مقراً لهم . وذلك الأمل انبعث فيه عندما خطب للمستنصر بالله بمساجد بغداد سنة ٤٥٠هـ أربعين أسبوعاً .

ولما زالت الدولة الفاطمية وورثت أملاكها الدولة الأيوبية . آل القصر إلى الملك المفضل قطب الدين بن العادل بن أيوب . فعُرفت القاعة سكن ست الملك بالقاعة القطبية نسبة إليه .[1]

---

(١) قاعة الدار ساحتها . ولم تكن القاعة بمفهومنا الحاضر بمعنى الغرفة

ولما آلت السلطنة إلى المنصور قلاوون أخذ القاعة المذكورة من دار إقبال . بنت العادل وأخت المفضل - وهى المعروفة بخاتون القطبية . وبنى محلها المارستان المنصورى .

اسطبل الجميزة . والصبيان الحجرية :

وكان غربى القصر الغربى الاسطبل المعروف باسطبل الجميزة . وموقعه من ضمن حارة زويلة (حارة اليهود) الآن .

وكان للفاطميين إسطبلان آخران . أحدهما وهو الأكبر اسطبل الطارمة [١] بالقرب من الجامع الأزهر . والآخر إسطبل الصبيان الحجرية على يمين الداخل من باب الفتوح . . ويبلغ أحياناً عدد خيول إسطبل الحجرية خمسة آلاف فرس .

والصبيان الحجرية شبان يختارون من ذوى الأجسام السليمة ويدربون تدريباً خاصاً . وتخصص لهم حجرات يقيمون فيها على قدم الاستعداد لكل طلب . وهم كالحرس الخاص . أو هى فكرة نظام المماليك الذى بدأ الإكثار منه فى عهد الصالح نجم الدين أيوب . مع الفارق أن الحجرية أحرار يُختارون والمماليك رقيق يشترون .

ونظام الصبيان الحجرية أو جده الأفضل بن بدر الجمالى .

وللاستطراد نذكر أنه كان بتركيا ما يقرب من هذا النظام وكان يسمى (إيج أوغلان) وهى تعنى خادماً يعمل داخل القصر . فقد اعتاد سلاطين تركيا تربية أطفال من أسرى الحروب فى أوربا . أو ممن يفرضونهم جزية على دول أوربا المنهزمة . فيعلمونهم مبادىء الإسلام والقراءة والكتابة والفنون العسكرية والعزف على الآلات الموسيقية وآداب اللياقة . لمدة أربعة عشر عاماً . ثم يلبسونهم الملابس الحريرية المشجرة الموشاة بالذهب ويعينون فى الوظائف داخل القصور مثل الحجابة ومباشرة ملابس السلطان والحلاق الأول والمزين الأول . وغير ذلك . وتفتح أمامهم وظائف الدولة الكبرى لمن يرى السلطان ترقيتهم . ثم أبطل هذا النظام بالنسبة

---

(١) الطارمة بيت من خشب وهو لفظ أعجمى

للأطفال الأوربيين لما كثر إقبال العائلات التركية على تقديم أولادهم للانضمام فى سلك هذا النظام[1]

وكان للخليفة فى إسطبل الطارمة وإسطبل الجميزة - بخلاف إسطبل الحجرية . ألف رأس لركوبات الخليفة الخاصة أو مايعار لأصحاب الوظائف فى المواسم . ولكل رأس شدّاد يسيرُها . ولكل ثلاثة رؤوس سائس يتولى خدمتها . ولكل عشرين سائساً عريف يكون مؤتمناً على استلام السروج - وهى محلاة بالذهب والفضة - من خزائن السلاح قبل المواكب ثم إعادتها للخزائن بعدها . ولكل إسطبل رائض . وهو ما أصبح يسمى فى الدولة الأيوبية ودولتى السلاطين المماليك بأمير أخور .

فرس الخليفة :

وقبل خروج الخليفة فى الموكب . يروِّض الرائض فرسين أو ثلاثا على كل منها السرج الذى سيستعمله الخليفة . ويضع الرائض بينه وبين السرج حائل احتراماً لمقعد الخليفة !!ويركب أحد الأستاذين بغلة . وهو ممسك بالمظلة . ويسيران فى براح الإسطبل ساعات . والأبواق تُنفخ . والطبول تُدق . وهذا لمدة أيام حتى تتعود الأفراس الحركة والأصوات فلا تجفل ولا تنفر . والفرس والبغلة اللتان تتهيآن هما ما يركبها الخليفة وحامل المظلة فى الموكب .

ويقال أنه ما راثت دابة . أو بالت . والخليفة راكبها . ولا بغلة صاحب المظلة أيضاً . لغاية نزولها عنها[2].

أبواب القصر الغربى :

وكان للقصر الغربى ثلاثة أبواب . باب التبانين ويؤدى إلى دار الضيافة ودار الحكمة المذكورين . وباب الزمرد[3] ويؤدى إلى اسطبل الجميزة والبستان الكافورى . وباب الساباط[4] وموقعه عند المارستان المنصورى .

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية الترجمة العربية المجلد الخامس ص٢٧٥

(٢) خطط المقريزى ج١ ص٤٤٥

(٣) كان بالقصر الشرقى أيضاً باب اسمه باب الزمرد يؤدى إلى قصر الزمرد الذى محله الآن ادارة المصوغات بالجمالية

(٤) الساباط سقيفة بين دارين تحتها طريق

ذبائح عيد الأضحى .

وعند باب الساباط كانت تنحر بعض ذبائح عيد الأضحى . فقد ذكر المقريزى نقلاً عن ابن المأمون أن الآمر بأحكام الله ذبح فى الثلاثة أيام بالمنحر بجوار القصر الشرقى وبباب الساباط من القصر الغربى ١٧٦٤ رأساً (بخلاف ماذبحه وزيره المأمون وأولاد الوزير وإخوته) . وأن ما كان يذبح بباب الساباط كان يحمل إلى من حوتهم قصور الخليفة وإلى الأصحاب والحاشية . وكان فى بعض السنين ١٢ ناقة و١٨ رأس بقر و١٥ رأس جاموس . ومن الأغنام ١٨٠٠ رأساً ويُتصدق كل يوم فى باب الساباط بأسقاط ما يذبح من النوق والبقر . فضلاً عن الصدقات الأخرى من الأموال والحلوى وسائر الأطعمة . مما أفاض المقريزى فى وصفه .(١)

حارة الأمراء أو درب شمس الدولة :

وكان جنوبى القصر الغربى حارة كبيرة عرفت باسم حارة الأمراء . لأنه كان يسكنها الأشراف أقارب الخليفة فى أيام الفاطمين . ثم لما زالت دولتهم سكن الحارة شمس الدولة توران شاه بن أيوب - أخو صلاح الدين . فنُسبت إليه . وعُرفت بدرب شمس الدولة . ولا يزال هذا الاسم باقياً للآن لحارة قطعها شارع القائد جوهر (السكة الجديدة سابقاً) موازية تقريباً للشارع الأعظم .

وشمس الدولة توارن شاه المذكور غزا بلاد النوبة سنة ٥٦٨هـ . وفى سنة ٥٦٩ أرسله أخوه صلاح الدين إلى اليمن فاستولى على زبيد . وأزال ملك بنى مهدى . واستولى على عدن وتعز وصنعاء وظفار وغيرها من مدن اليمن . وتلقب بالملك الأعظم تورانشاه . وعاد من اليمن سنة ٥٧١ فأنعم عليه صلاح الدين بالإسكندرية . فظل بها حتى توفى سنة ٥٧٦ ودفن بها . وكان واسع العطاء . توفى وعليه دين مائتا ألف دينار قضاها عنه صلاح الدين بعد موته .

دار المأمون البطائحى :

وكانت بحارة الأمراء دار المأمون البطائحى وزير الآمر بأحكام الله من سنة

---

(١) خطط المقريزى ج١ ص٤٥٨ . ونلاحظ قوله الثلاثة أيام مما يدل على أن عيد الأضحى كان عند الفاطميين ثلاثة أيام بخلاف الوقفة . وكان الخليفة الفاطمى يذبح بيده بعض الرؤوس

٥١٥ إلى أن قُتل المأمون سنة ٥١٩هـ . ولعل موقعها الآن بجوار جامع الجوهرى خلف الصاغة . (راجع الرسم الكروكى)

جامع الجوهرى :

أصله زاوية للسادة القادرية أى أتباع السيد عبد القادر الجيلانى . ودفن بها الشيخ أحمد الجوهرى وابنه الشيخ أحمد وحفيده السيد محمد هادى (ذكرهم الجبرتى فى وفيات سنوات ١١٨٢ و١١٨٧ و ١٢١٣) وكان الأخير محل الاحترام من أمراء المماليك لأنه كان يتعفف عنهم ولا يقبل هداياهم . وكان له الفضل فى تعيين الشيخ أحمد العروسى شيخاً للأزهر وإيثاره على الشيخ عبد الرحمن العريشى . ثم أنشأ الجامع حفيدهم السيد محمد أبو المعالى الجوهرى سنة ١٢٦٣هـ (١٨٤٧م)

واسم الجوهرى يرجع إلى أن جدهم والد الشيخ أحمد الكبير كان يتجر فى الجوهر

دار عباس والمدرسة السيوفية :

وجنوباً من دار المأمون البطائحى كانت دار عباس بن يحي الصنهاجى الوزير فى عهد الخليفة الفاطمى الظافر . وسيأتى ذكره فيما بعد بإذن الله .

ثم آل جزء من دار عباس إلى المدرسة السيوفية التى أنشأها صلاح الدين الأيوبى وأوقفها على الحنفية . وسميت بالسيوفية لأن سوق السيوفيين - أى صناعة وتجارة السيوف كانت على بابها فى وقت صلاح الدين . وهى أول مدرسة أوقفت على الحنفية بمصر . (١)

---

(١) بعد زوال الدولة الفاطمية وإلغاء مذهب الشيعة جعل صلاح الدين المذهب الشافعى مذهب الدولة . وأمر بإبطال خطبة الجمعة من الجامع الأزهر منطلق الدعاية للمذهب الشيعى . مرتكناً على فتوى بعدم جواز خطبة الجمعة فى جامعين فى مدينة واحدة . وهذا على مذهب الشافعية . والمدينة هى القاهرة الفاطمية . فاكتفى بجامع الحاكم بأمر الله عند باب النصر بحجة أنه كان أكبر . ولذلك كان يسمى جامع الخطبة .

وأكثر الأيوبيون من انشاء المدارس المختلفة لتدريس المذاهب الأربعة المعروفة . الشافعية والحنفية والمالكية والحنبلية . للقضاء على مذهب الشيعة .

وظل القضاء على مذهب الشافعى . وظل الأزهر معطلاً من الخطبة ما يقرب من المائة عام حتى عهد الظاهر بيبرس . فجعل أربعة قضاة للمذاهب الأربعة . والتقدم لقاضى قضاة الشافعية . وأمر بإعادة الخطبة للأزهر معتمداً على فتوى من قاضى قضاة الحنفية . ولذلك قيل فى اختلافهم رحمة .

ولما دخل العثمانيون مصر . وكانوا يتبعون المذهب الحنفى جعلوه مذهب الدولة . وعلى هذا قضاء الأحكام الشرعية بمصر للآن . وإن كنا لجأنا إلى فقه أئمة آخرين غير الأئمة الأربعة مثل فقه ابن تيمية وفقه الإمامية فى تعديل بعض قوانين الأحوال الشخصية

عمر بن الفارض :

وبالمدرسة السيوفية تلقى دروسه العارف بالله شمس الدين عمر بن على الفارض . واشتهر أبوه على الفارض بهذا اللقب لبراعته فى علم الفرائض أى المواريث . ووُلد عمر بن الفارض بالقاهرة ٥٧٦هـ . وتوفى سنة ٦٣٢ . ودفن بسفح المقطم ، وقبره يزار . والجبانة هناك معروفة باسم جبانة عمر بن الفارض جنوبى قرافة المماليك .

وديوانه مشهور بين الصوفية برقيق معانيه ودقيق مراميه فى التغزل ومحبة الذات الالهية . وانبرى لشرحه الكثيرون .[1]

ومحل المدرسة السيوفية الآن الزاوية المعروفة باسم الشيخ مطهر . وقد أخذ منها جانباً شارع السكة الجديدة (القائد جوهر حالياً) عند امتداده .

ماساة تاريخية

وكانت بدار عباس المذكورة مأساة تاريخية لا بأس من ذكرها .

. فقد كان عباس بن يحيى المذكور ربيبا لعلى بن السلار . وزير الظافر . لأن بلاوة أم عباس كانت زوجة على بن السلار . وقد أمكن لابن السلار مستعينا بعباس ـ القضاء على ابن مصال الوزير السابق له . وتولى ابن السلار الوزارة مكانه .

وكان الخليفة الظافر بن الحافظ صغير السن . فقد تولى الخلافة سنة ٥٤٤هـ . وعمره سبعة عشر عاما . فاستوحش من ابن السلار . فاتفق مع عباس على قتله .

وكان لعباس ابن يسمى نصرا . ويلقب بناصر الدين . فأمره أبوه بقتل ابن السلار . ونفَّذ الأمر . وتولى عباس الوزارة .

وكان نصر بن عباس قريباً من الظافر فى العمر . فتصادقا صداقة أكيدة . حتى

---

(١) منهم الشيخ حسن البوريني والشيخ عباس النابلسى . وقد جمع شرحهما وزاد عليه الشيخ رشيد بن غالب (طبع دار الطباعة بمصر سنة ١٢٨٩هـ)

لم يكن الظافر بأمر الله يطيق ابتعادا عن نصر . فإما أن يكون معه فى القصر . وإما أن يذهب الظافر لزيارته بدار عباس .

وغاظت هذه الصداقة بعض الحاسدين . فأوغلوا إلى تأويلها إلى علاقة جنسية . وأن الظافر يحب نصرا كما يحب الرجالُ النساء . ووصل هذا إلى عباس . فكلَّم ابنه نصرا وحرَّضه على قتل الظافر حسما للأقاويل .

وأذعن الابن . فلما حضر الظافر لزيارته قتلوه ودفنوه فى غرفة بالدار سنة ٥٤٩هـ . وأقام عباسُ الفائزَ بن الظافر . وهو ابن ثلاث سنين - خليفة مكان أبيه . وقتل عَمَّيْن له متهما لهما بقتل الظافر . لتعمية الجريمة .

وثارت الجند ومن فى القصر . وأرسلوا إلى الصالح طلائع بن رُزِّيك والى المنيا يستنجدون به ويستقدمونه . وضمن الرسالة شعور بعض سيدات القصر . فحضر الصالح بجيش يرتدى السواد . ويحمل الرايات السوداء . وقد رفع على الرماح الرسالة وشعور السيدات .

وهرب عباس وابنه نصر إلى الشام . ومعهما ما أمكنهما حمله من المال والتحف . فاعترضهما الإفرنج بالطريق . وكانوا مستولين على بيت المقدس وبعض بلاد فلسطين والشام . فقتلوا عباسا ونهبوا ما كان معه . أما نصر فقد أرسلوه للصالح طلائع . مقابل مبلغ من المال . فقتله فى القصر . ثم صلبه على باب زويلة .

وقصد الصالح بلبس السواد إظهار الحداد على الظافر . ولكنه كان فألا عجيبا . فالسواد شعار العباسيين . ولم يمض على هذه الحادثة خمسة عشر عاما حتى قدم أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين بجيشهما وراياته السود . عندما استنجد العاضد لدين الله آخر الخلفاء الفاطميين بالسلطان نور الدين .

وأخرج الصالح طلائع جثة الظافر . ونقلها فى تابوت إلى القصر . وغسَّلها وكفَّنها ودفنها بمقابر القصر المعروفة بتربة الزعفران (محل خان الخليلى) . وبنى مكان دفنه السابق مسجدا ذكره المقريزى باسم المشهد أو مسجد الخلفاء . ونُصبت هناك خشبة علامة على المكان حتى لا يمر أحد من هذا الموضع راكبا . فعرف بخط خُشَيبة (بصيغة التصغير)

وبعد زوال دولة الفاطميين آزال صلاح الدين هـذه الخشبة . وغلب اسم شمس الدولة توران شاه على المكان لسكنه به .

دار السبع قاعات وابن زنبور :

ومن الدور التى ذكرها المقريزى أيضا قريبة من دار المأمون . دار السبع قاعات وهى من ضمن اسطبل الجميزة . أنشأها الوزير الصاحب علم الدين عبدالله بن تاج الدين أحمد بن زنبور . كان أبوه قبطيا وأسلم .

وتولى ابن زنبور الوزارة من ٧٥١ - ٧٥٣ فى السلطنة الأولى للناصر حسن وسلطنة الصالح صالح ابنى الناصر محمد بن قلاوون .

وكان الأمير صرغتمش (صاحب المدرسة والجامع بشارع الصليبة بقرب جامع ابن طولون - انظر الرسم بأول الفصل التالى) يكرهه . فتمكن من عزله والقبض عليه وتعذيبه لاستصفاء أمواله ومصادرتها .

فوجدت له أموال طائلة نذكر منها عدد ٢ أردبين ذهب مصكوك قيمتها ٢٠٤٠٠٠ دينار . وعدد ٣ ثلاثة أرادب دراهم فضية ، عدد ٦٠ رطلا لؤلؤ ، عدد ٦٠ قنطارا أوانى ذهبية وفضية ، عدد ٧٠٠٠ دابة عاملة ، عدد ٦٠٠٠ دابة حلاّبة . ، عدد ١٠٠٠ من الخيل والبغال ، ٣٠٠٠٠٠ من الدنانير قيمته أملاك ، عدد ٧٠٠ مركب ، عدد ٢٥ معصرة سكر ، عدد ٧٠٠ جارية ، عدد ١٠٠ عبد ، عدد ١٤٠٠ ساقية و ، رخام قيمته عشرة آلاف دينار . فضلا عن سبعمائة إقطاع . وغير هذا كثير من الملابس والمفروشات والأوانى النحاسية والسروج المزركشة والحياصات الذهبية (المناطق)

وشكّكوا فى إسلامه . واشتدوا فى تعذيبه حتى أشرف على الهلاك . ثم كفُّوا عن تعذيبه بتدخل بعض الأمراء ونفوه إلى قوص فى أوائل سنة ٧٥٤هـ حيث توفى فى نفس السنة .

وكان بيبرس الجاشناكير قبل توليه السلطنة يسكن بجوار دار السبع قاعات . كما كان بيبرس الحاجب (المنسوب إليه غيط الحاجب ببركة الرطلى بالفجالة) يسكن أيضا بجوار موقع جامع الجوهرى السابق ذكره .

قاعة الفضة :

وقبل أن ننتقل من هذا الجزء أريد أن أشير إلى شارع قاعة الفضة ضمن حارة زويلة (حارة اليهود) . فقد أطلق هذا الاسم على الشارع لوجود ورشة به أنشأها محمد على سنة ١٢٣٥هـ(١٨٢٠م) كانت تعرف بقاعة الفضة لصناعة المخيشات والمطرزات والمقصبات والمناديل وخلافها مما تدخل الفضة فى نسيجها . وهى التى تعرف باسم التُلِّى والقصب . وظلت هذه الورشة تعمل لحساب الحكومة . ثم أعطتها التزاما إلى الكسان ويعقوب قطاوى . فظلت معهما إلى أن أبطلت فى عهد سعيد باشا .

ونكتفى بهذا القدر عن القصر الغربى ومجاوراته .

شارع القائد جوهر وترجمته :

ثم جدّت شوارع عرضية أخرى ما بين الشارع الأعظم والخليج المصرى بخلاف ما ذكرناه من حارة بهاء الدين (بين السيارج) وشارع أمير الجيوشى وشارع الخرنفش .

وقد ذكرنا فى الكلام على قنطرة الموسكى فى الفصل الخامس من القسم الأول شارع الموسكى وامتداده شارع السكة الجديدة وشارع الشنوانى . وأن الأخيرين أصبح اسمهما شارع جوهر القائد .

والقائد جوهر . أو جوهر الصقلى . رومى رباه المعز لدين الله الفاطمى وكناه أبا الحسن . وفى سنة ٣٤٧ هـ رفعه إلى رتبة الوزارة . وأرسله مع الأمير زيرى بن مناد الصنهاجى [(١)] إلى بلاد المغرب فقمع ماكان بها من فتن وثورات وفتح عدة مدن حتى وصل إلى المحيط .

---

(١) زيرى بن مناد الصنهاجى . كما ذكره المقريزى فى الخطط (جـ١ ص٣٧٩) . وذكره القلقشندى فى صبح الأعشى (جـ٥ ص١٢٤) باسم زيرى بن ميّاد البربرى . وذكره أبو الفدا فى المختصر (جـ٢ ص ١١٢) باسم زيرى بن مناذ وكلها صور من التصحيف للاسم . ولكن بن زيرى المذكور هو الذى استخلفه المعز الفاطمى على المغرب عندما خرج للأقامة بمصر سنة ٣٦٢ هـ .

ولما تهيأت الأسباب لفتح مصر جَهزه المعز بما يزيد عن مائة ألف فارس . وأكثر من ألف صندوق مال . وأمر المعز بسبك الذهب فى هيئة أرحية (جمع رحى وهى حجر الطاحون) . وحملها على الجمال ظاهرة . وأمر المعز أولاده وإخوته وسائر أهل الدولة أن يمشوا فى خدمة جوهر وهو راكب . وكتب إلى عماله بالطريق أن يترجلوا إذا قدم عليهم جوهر راكبا . ويمشوا فى ركابه .

وفتح جوهر مصر سنة ٣٥٨ هـ .

وكان من قواد جيش جوهر . جعفر بن فلاح . فأرسله جوهر لفتح الشام . ففتح طبرية ودمشق وأغلب الشام . وكان جعفر يغار من جوهر . فأرسل جعفر إلى المعز مهنئا بما فتح الله على يديه . فغضب المعز . وردَّ إليه رسالته دون أن يفتحها . وأرسل إلى جعفر رسالة تصلح أن تكون من قواعد السلامة فى الحكم والسياسة وقيادة الجند . ففيها ما نعبر عنه الآن بعدم تخطى الرئاسة المباشرة . قال المعز : نحن أنفذناك مع قائدنا . فاكتب له . فما وصل منك إلينا عن يده قرأناه . ولا تتجاوزه . وبعد فلسنا نفعل لك ذلك على الوجه الذى أردته . وإن كنت عندنا أهله . ولكن لا نستفسد جوهرا مع طاعته لنا .

وضايق القرامطة جعفر بن فلاح . واستنكف أن يطلب نجدة جوهر . فانهزم منهم . واستولوا على دمشق . ثم قدم القرامطة مصر . فصدهم جوهر عند عين شمس سنة ٣٦٠ هـ .

وقدم المعز إلى مصر سنة ٣٦٢ هـ .

وعاد القرامطة ثانية إلى مصر سنة ٣٦٣هـ . فصدهم المعز لدين الله . وأرسل خلفهم جيشاً كبير حاربهم بالشام حتى أجلاهم عنه . ورحلوا إلى الأحساء والقطيف .

وتوفى المعز سنة ٣٦٥ . وتولى بعده ابنه العزيز بالله . فانتدب جوهر لاسترداد دمشق من هفتكين الشرابى[1] .

---

(١) ذكره ابو الفدا باسم أفتكين (المختصر جـ ٢ ص ١١٥) . وراجع الجدول الثانى عشر بالقسم الثالث عن بنى بُوَيْه

والأخير أصله من الأتراك من موالى معز الدولة بن بُوَيه بالعراق . فلما مات معز الدولة سنة ٣٥٦ خلف ابنه بختيار . ثم تمكن عضد الدولـة عم بختيار من القضاء عليه والاستيلاء على ملكه سنة ٣٦٧ . فصار هفتكين بجيشه وأولاد مولاه إلى دمشق فاستولى عليها .

وخرج جوهر لقتال هفتكين فحاصره فى دمشق . فأرسل هفتكين يطلب نجدة القرامطة . فاضطر جوهر للانسحاب إلى عسقلان . فحاصره هفتكين بها . وراسله جوهر وعرض عليه الأموال ليطلقه . فقبل هفتكين وفكَّ عنه الحصار . وعاد جوهر إلى مصر مخبرا بالحال . فخرج العزيز بنفسه لقتال هفتكين حتى تمكن من أسره . ثم أطلقه وعاد به إلى مصر معززا . وظل هفتكين مقربا إلى العزيز حتى مات هفتكين .

وكانت هزيمة جوهر هذه سببا لتراجع أمره . فظل حتى توفى سنة ٣٨١ . وهو فى الثمانين من عمره تقريبا .

وقبر جوهر غير معروف . وكان الاعتقاد أنه دفن بالأزهر . حتى نبه المرحوم احمد باشا زكى سنة ١٩٣٣م إلى هذا الخطأ . وأن جوهرا المدفون بالأزهر غير القائد جوهر . وأنه يرجح أنه طواشى حبشى اسمه جوهر القنقبـائى من أعيان القـرن التاسع الهجرى ورد ذكره فى الضوء اللامع للسخاوى (١) .

وظل جوهر حتى مات على خلاصه . ولم تتغير مشاعره لتقديم غيره . وكان يقول : لا علينا إذا فتح الله لموالينا على أيدينا أو يد من كان . وإن لكل زمان دولة ورجال . لقد أعزونا وأعزُّوا بنا غيرنا .

وأكرمه العزيز فى وفاته . فكفن فى سبعين ثوبا ما بين مثقل ومُوَشًّى بالذهب . وصلى عليه العزيز . وخلع على ابنه الحسين . وجعله فى مرتبة أبيه ولقبه القائد بن القائد . ومكنه من جميع ما خلفه أبوه .

---

(٢) أحمد باشا زكى شيخ العروبة بقلم أنور الجندى ص ١٤٩ .

وجوهر القنقبائى كان طواشيا حبشيا تولى الخازندارية فى عهد الأشرف برسباى . وتوفى سنة ٨٤٤ فى سلطنة الظاهر جقمق . وهو منشىء المدرسة الجوهرية بالجانب البحرى الشرقى من الجامع الأزهر .

أدخلها عبد الرحمن كتخذا ضمن الأزهر فى تجديده له . ولها باب يفتح على إيـوان القبلة بالجـامع الأزهر .

وتقدم شأن حسين بن جوهر فى عهد الحاكم بأمر الله بن العزيز . بعد قتل برجوان كما ذكرنا سنة ٣٩٠هـ . ثم أنعم عليه بلقب قائد القواد . وظل فى نعمة حتى عزله سنة ٣٩٨ . وأمره هو وصهره قاضى القضاة عبد العزيز بن محمد بن النعمان[1] أن يلزما دارهما ويمتنعا عن مقابلة أحد . فلزما داريهما . ولبسا الصوف . وجلسا على الحصير احتراما لغضب الخليفة .

ثم عفا عنهما الحاكم فى نفس السنة . وصرح لهما بالحضور إلى القصر . بدون حلق شعر أو تغيير حالة الحزن .

ثم قبض عليهما سنة ٣٩٩ . ثم أفرج عنهما سنة ٤٠٠هـ . وخلع عليهما . وردّ إليهما ما كان لهما من إقطاعات .

ولم يأمن حسين لهذا . فهرب بأولاده والتجأ إلى عرب البحيرة . وطلبه الحاكم بأمر الله فعاد بأمان منه سنة ٤٠١ . ومعه صهره عبد العزيز . فاستقبلهما رجال الدولة بأمر الحاكم استقبالا حافلا . وقابلهما الحاكم وعفا عنهما . وأمر برد لقب قائد القواد إلى حسين .

وفى جمادى الآخرة من نفس السنة . ركبا إلى القصر كالمعتاد . فاحتُجزا بأمر الحاكم حتى انصرف الناس . ثم قبض عليهما . وقُتلا فى وقت واحد . وأحيط بأموالهما وضياعهما .

---

(١) ذكره المقريزى باسم عبد العزيز بن النعمان . وذكره السيوطى باسم عبد العزيز بن محمد بن النعمان .

وصهر المرء كما فى القاموس المحيط زوج ابنته أو زوج أخته . فأذا كان الاسم كما ذكره المقريزى . فالأرجح أنه زوج أخت الحسين . وإن كان كما ذكره السيوطى فالأرجح أنه زوج ابنته .

وأبوه ـ أو جده ـ النعمان أبو حنيفة . وهو غير الأمام المشهور صاحب المذهب . وكان النعمان قاضى المعز لدين الله قدم معه من المغرب . ولكن لم يوله القضاء بمصر وأقر أبا طاهر محمد البغدادى الذى كان قاضيا بها منذ كافور الأخشيدى . ولما استعفى أبو طاهر قبل موته بيسير . عُين للقضاء على بن النعمان سنة ٣٦٦ . ثم أخوه محمد بن النعمان . سنة ٣٧٤ . وتوفى سنة ٣٧٩ . ثم الحسين بن على بن النعمان وصرف سنة ٣٩٤ . ثم عبد العزيز المذكور حتى صرف سنة ٣٩٨ . وجرى عليه ما ذكر بعاليه .

وتولى ابنه القاسم القضاء مرات سنة ٤١٨ وسنة ٤١٩ وسنة ٤٤٩ (حسن المحاضرة للسيوطى جـ٢ ص ٩٢)

وكان حسين بن جوهر يسكن بدرب قائد القواد . وبعد قتله عُرف الدرب باسم درب ملوخْيا . نسبة إلى ملوخْيا الفراش صاحب ركاب الحاكم بأمر الله . وقد قتله الحاكم أيضا . ثم عرف أخيرا بشارع القزازين شمال شرقى مسجد الأمام الحسين بين أم الغلام وقصر الشوق .

وبدرب ملوخيا كانت مدرسة وسكن القاضى الفاضل عبد الرحيم البيسانى كما ذكرنا فى ترجمته فى الفصل الثالث عن حى المنيرة .

شارع الأزهر :

ثم أنشىء شارع الأزهر فى عهد أحمد فؤاد الأول . بادئا من العتبة حتى الجامع الأزهر . حيث كان عرض شارع الموسكى غير كافٍ ولا يتناسب مع تطور المدينة .

ونظرة إلى شارع الأزهر ترينا أن مابه من انحناءات كان لتفادى إزالة كثير من الأماكن الأثرية الحافلة بها المنطقة . وعند تقاطع الخليج معه أمكن إبقاء جامع القاضى زين الدين يحيى المتوفى سنة ٨٤٠ فى وسط التقاطع تقريبا . ولو أنه أصبح عقبة ثقيلة فى الطريق . وكان من الممكن تجميله وإبرازه كأثر جميل ليفهم معنى الاحتفاظ به بدلا من تركه على حالته واستخدامه كمدرسة تفسد معالمه . وما يحيط به فى مجاورات . وما ينبعث من جدرانه من روائح كريهة من بول بعض الناس .

وهذا ينطبق أيضا على جامع الحين الموجود بباب الخلق عند تقاطع الخليج مع شارع القلعة . فقد تفادوه وتركوه على حالته رغم محاولة لتجديده تكلفت الكثير ولم تغير من مظهره شيئا يذكر . وهو منشأ سنة ١٠٣٥ هـ كما سبق ذكره فى الفصل الرابع من القسم الأول .

وجنوبى شارع الأزهر حتى باب زويلة لا توجد شوارع عرضية رئيسية تصل إلى الخليج كالتى ذكرنا . إنما حارات ودروب متشابكة .
ولكن بهذا الجزء من المعالم التاريخية ـ غير الجوامع ـ الكثير مما يستحق الذكر .

حبس المعونة :

فمثلا كان هناك حبس المعونة بالحى المعروف بالتربيعة وبالحمزاوى . وقد قطعه شارع الأزهر . وكان حبسا شنيعاً كريه الرائحة . فهدمه الناصر محمد بن

قلاوون وبنى مكانه قيسارية للعنبر . وظل المكان محتفظا للآن بالصفة التجارية المذكوره . فبالتربيعة تجارة العنبر والزيوت والنباتات الطبية والعطرية .

سجن شمائل :

كما نذكر سجن شمائل . وكان مكانه أهراء الغلال أيام الفاطميين على يسار الداخل من باب زويلة . ثم أنشأ الأمير شمائل والى القاهرة فى عهد الكامل الأيوبى سجنا مكان هذه الأهراء . وكان من أشنع السجون .

وسُجن به المؤيد شيخ . فأحسَّ بقذارة المكان وشناعته . فلما تولى السلطنة أزال السجن . وأنشأ مكانه جامع المؤيد الشهير الباقى للآن على يسار الداخل من باب زويلة

دار الديباج :

وكانت دار الديباج مقرا للوزارة فى عهد الفاطميين حتى قدم بدر الجمال فلم يسكنها ونزل بدار برجوان بحارة برجوان كما ذكرنا .

ثم أنشأ ابنه الأفضل داراً أخرى للوزارة شمال شرقى القصر الشرقى الكبير كما تقدم ذكره .

وكان موقع دار الديباج جنوبى شارع الأزهر الحالى بالجهة المعروفة بسويقة الصاحب . وقد أخذ شارع الأزهر جزءاً من موقعها .

وكانت الجهة تسمى حارة الوزيرية نسبة إلى الوزير يعقوب بن كلس .

يعقوب بن كلس :

وقد كان يهودياً من أهل بغداد . وقدم مصر فى عهد كافور الأخشيدى . ووجد الدين مانعاً من تحقيق طموحه . فأسلم . ولعله أخلص فيما بعد فى إسلامه بدليل مؤلفاته التى سنذكرها بإذن الله . فضلاً عن تاريخ حياته . ونزح من مصر إلى المغرب حيث التحق بخدمة المعز الفاطمى . وعاد معه لمصر سنة ٣٦٢ . وولاه المعز الخراج وجميع وجوه المال من أعشار وجوالى وأحباس[1] . وكذلك الحسبة

---

(١) الجوالى هى الجزية التى كانت تجبى من أهل الذمة بواقع كل نفس منهم . والأحباس هى الأوقاف .

والسواحل . وبعد وفاة المعز استمر فى عهد ابنه العزيز فى رفعة وعلو مقام . حتى لقب بالوزير الأجل . وهو أول وزير للفاطميين . ونصب فى داره الدواوين . وجعل فيها خزائن للكتب والمال والدفاتر والمستغلات . وأقام لكل خزانة ناظرا .

ورتب فى داره الأطباء والكتاب . وجمع فيها العلماء والأدباء والفقهاء والشعراء والمتكلمين وأرباب العلوم . ورتب فى داره مجالس أسبوعية يتناظر فيها الفقهاء والأدباء والعلماء .

ورتب بالجامع الأزهر رواتب لجماعة من الفقهاء . يعملون فيه حلقات للتدريس . وعددهم خمسة وثلاثون فقيها . وبنى لهم دارا بجانب الجامع . وكانت تطلق لهم ـ فضلا عن المرتبات ـ الخلع والصلات فى المواسم من دار الخلافة ودار الوزارة . مما جعل الأزهر أقدم جامعة فى العالم استمرت حتى العصر الحديث .

وألف كتبا فى الفقه والقراءات . منها كتاب فى القراءات . وكتاب فى الأديان . وآخر فى آداب الرسول . وكتاب فى علم الأبدان وإصلاحها . وكتاب فى الفقه مما سمعه من المعز وابنه العزيز .

وكان لا يمنع أحدا من الخاص أو العام من مجلسه عند قراءة هذه الكتب .

وتوفى سنة ٣٨٠ . وزاره العزيز فى مرضه الأخير . وبكى قائلا : وددت لو تُفدى أن أفديك بمالى أو ولدى ! ! .

وأورد حكاية لطيفة عنه تدل على ما كان به من ذكاء ولباقة . وما يكون عند الحاكمين أحيانا من تفاهة .

فقد رغب العزيز فى الذهاب إلى دمشق . فسأله الوزير عن السبب . فقال لأننى اشتهيت القراصيا . وهذا موسمها . فخرج الوزير وأرسل بالحمام الزاجل إلى الوالى هناك . يكلفه بأرسال جانب من القراصيا على أجنحة الحمام . فجعل فى جناح كل حمامة حبة من القراصيا . وكان الحمام مئات . وأطلقها . فلم تمض ثلاثة أيام على حديث العزيز حتى وصل الحمام . فجمع الوزير ما تحمله فى طبق . وذهب إلى العزيز وقدمه إليه فأعجب به . وقال : مثلك من يخدم الملوك .

وكان فى حشرجة الموت يقول : لا يغلب اللهَ غالبٌ .

وأمر العزيز القاضى محمد بن النعمان بغسله . وكفَّنه فى خمسين ثوبا . منها ثلاثون منسوجة بالذهب . وأقام العزيز ثلاثة أيام لا يأكل على مائدته . وأقام المأتم على قبره ثلاثين يوما . يقرأ فيها القراء القرآن . وتندب فيها النائحات . وتحضر يوميا نساء الخاصة والعامة . وتقوم الجوارى بخدمتهن بتقديم المرطبات فى أقداح البلور وملاعق الفضة .

وكان عليه ستة عشر ألف دينار . سددها عنه العزيز للدائنين على قبره .

فما أعظم هذا ! ! يتولى كل شئون المال ما يقرب من العشرين عاما . مع سعة النفوذ وعلو المكانة . ويموت مدينا .

وظلت دار الوزير يعقوب بن كلس سكنا للوزراء الفاطميين حتى بدر الجمالى . فلم يسكنها كما ذكرنا . وجُعلت دارا ينسج فيها الحرير والديباج برسم الخلفاء الفاّطميين . فعُرفت بدار الديباج . وعرف الخط كله بخط الديباج بعد أن كان يعرف بالوزيرية .

الصاحب ابن شكر :

ثم سكن الصاحب صفى الدين عبد الله بن على بن الحسين المعروف بابن شكر فى هذه الحارة فعُرف الخطبخط الصاحب . وعُرفت سوقهابسويقة الصاحب .

والصاحب ابن شكر كان فى خدمة العادل بن أيوب عندما أحال عليه أخوه صلاخ الدين شؤون الأسطول . واستوزه العادل عندما تولى السلطنة . فظل يرقى شأنه ويعلوا أمره حتى توفى سنة ٦٢٢هـ.

وكان صلب المراس شديد الحفيظة جلدا قويا . حل به مرة مرض الدوسنطاريا فعندما اشتد به الألم . أحضر من كان فى حبسه وقال لهم : لا والله . أأتألم وأنتم مرتاحون . وأمر لهم بأدوات التعذيب . وبات الليل هو يصرخ من المرض وهم يصرخون من التعذيب .

وأنشأ الصاحب ابن شكر بجوار داره مدرسة كانت تعرف بالمدرسة الصاحبية . مكانها الآن زاوية معروفة باسمزواية الست بيرم . وضريح الصاحب ابن شكر موجود للآن بجوار الزاوية المذكورة

ويوجد الآن شارع اسمه شارع السلطان الصاحب متفرع من شارع الأزهر بالقرب من شارع درب سعادة . وامتداد شارع الصاحب اسمه سكة اللبودية وهو يتفرع من شارع الأزهر كما ذكرنا ويسير موازيا له تقريبا فى شبه قوس يرتد ثانية إلى شارع الأزهر .

وقد نبهُ المرحوم أحمد باشا زكى إلى خطأ هذه التسمية . فالصاحب ابن شكر لم يكن سلطانا بل وزيرا فى عهد الأيوبيين . ورغم أن هذا التنبيه كان من نصف قرن تقريبا ولكن لا يزال اسم الشارع ثابتا على خطئه .

وأريد أن أسجل خطأ آخر . فقد تبرعت مصلحة المساحة بأن أطلقت اسم السلطان بيبرس الخياط على جامع موجود بهذه الجهة . فلم يكن بيبرس الخياط صاحب الجامع المذكور سلطانا . ولم يحكم مصر سلطان باسم بيبرس غير الظاهر بيبرس البندقدارى (٦٥٨ - ٦٧٦هـ) والمظفر بيبرس الجاشناكير (٧٠٨ - ٧٠٩)

وقد ذكر على باشا مبارك الجامع المذكور (الخطط التوفيقية جـ٤ ص٦٩) وقال إن تاريخ انشائه سنة ٦٦٢هـ . وأنه جدد فى عهد عباس حلمى الأول .

ولكن فى بدائع الزهور لابن إياس فى حوادث سنة ٩٢١هـ أن الأمير بيبرس وهو قريب السلطان الغورى أتم مدرسته بجهة الجودرية وخطب فيها فى رمضان سنة٩٢١ . كما ورد أيضا فى بدائع الزهور أن بيبرس هذا صاحب المدرسة بجهة الجودرية قتل فى معركة مرج دابق سنة ٩٢٢هـ . وهى المعركة الفاصلة بين السلطان الغورى وسليم الأول العثمانى . التى فُقد فيها الغورى وكانت مقدمة لاستيلاء سليم على مصر .

المدرسة الحسامية :

وبالجزء الجنوبى من سويقة الصاحب توجد للآن آثار المدرسة الحسامية بجوار جامع (أبو الفضل) .

وهى نسبة إلى حسام الدين طوران طاى المنصورى . من مماليك المنصور قلاوون . تقدم فى الخدمة حتى عينه نائباً للسلطنة فى مصر سنة ٦٧٨ . فظل فى منزلته ووجاهته حتى توفى المنصور قلاوون . وتولى ابنه الأشرف خليل . فقبض على طوران طاى وقتله سنة٦٨٩ . وصادر أمواله . وكانت شيئاً كثيراً . ودفن أولاً

بالقرافة . ثم نقل إلى القبة بمدرسته المذكورة فى عهد السلطان العادل زين الدين كتبغا سنة ٦٩٤هـ .

المدرسة القطبية :

وكان مكان جامع (أبو الفضل) المذكور المدرسة القطبية . نسبة إلى قطب الدين خسرو بن بلبل بن شجاع الهديانى أحد أمراء دولة صلاح الدين سنة ٥٧٠هـ .

سوق الرقيق :

وكانت سوق الرقيق الجوارى بجوار المدرسة الحسامية فى زمن المقريزى فى القرن التاسع الهجرى .

الجودرية :

وبجوار سويقة الصاحب من الناحيتين الجنوبية والشرقية حى الجودرية يصل شرقاً إلى الفحامين وجنوباً إلى الإشراقية شمال جامع المؤيد .

والجودرية نسبة إلى فرقة من عسكر الفاطميين . وكان بعض اليهود يسكنون أولاً هذه الحارة . فسمع الحاكم بأمر الله الفاطمى أنهم يسخرون من الإسلام والمسلمين بأغانى وأشعار يتناقلونها فى سهراتهم . فأتى إلى أبواب الحارة . وسدَّها عليهم ليلاً . وأحرقها بمن فيها .

سوق الكفتيين :

وبحى الجودرية والفحامين كان سوق الكفتيين . والكَفْت هو تطعيم الأوانى النحاسية بالذهب أو الفضة أو النحاس . وكانت صناعة رائجة لاتكاد تخلو دار من عدة قطع من النحاس المكفَّت .

وكان جهاز العرائس يحوى دكة من النحاس المكفت . والدكة أشبه بسرير من خشب مطعم بالعاج أو الصدف . أو من خشب مدهون . عليها دست (أى طقم) من نحاس أصفر مكفت بالفضة مكون من سبع قطع . كُبراها تسع الأردب . وأيضاً دست أطباق . بعضها داخل بعض . وأكبرها يفتح على قدر الذراعين . وغير

ذلك من المناير والسُّرج (جمع سرجة للإضاءة) وأحقاق الأشنان[١] . والطشت والإبريق والمبخرة . فتبلغ قيمة الدكة مائتى دينار .

وكانت العروس من بنات الأمراء تُجهز بسبع دكك : ١/٧ فضه ٢/٧ كفت ٣/٧ نحاس ٤/٧ خشب مدهون ٥/٧ صينى ٦/٧ بلور ٧/٧ كداهى (من ورق مدهون يرد من الصين) .

ولاتزال لهذه الصناعة بقية بحى خان الخليلى .

وحلّت تجارة الصينى بهذه الجهة محل صناعة الكفت . وأنشأ الحاج حسن مذكور (الذى حرفته العامة إلى مدكور) شيخ طائفة النمارسة داراً كبيرة بجوار المدرسة الحسامية .

والنمارسة نسبة إلى أبى النمرس من محافظة الجيزة . وجميع من كانوا يشتغلون بهذه التجارة كانوا أصلاً منها . فغلب اسم البلدة على اسم المهنة . وأصبح النمرسى هو من يتجر فى الصينى .

ثم انتقلت تجارة الصينى إلى حى الحمزاوى . وهو قريب من هذه الجهة .

ثم لما ضعف تخصص الأمكنة بتجارة أو صناعة معينة . توزعت تجارة الصينى وغيره من الأصناف على المحلات التجارية بالأنحاء المختلفة بالمدينة .

الفحامين :

وحى الفحامين يقع ما بين الشارع الأعظم وحى الجودرية . وكان يسكنه غالباً تجار المغاربة . ويتجرون فى البطاطين والطرابيش والمراكيب والبُلَغ[٢] . وغير هذا من تجارة المغرب . ولابد أنه كانت هناك أيضاً تجارة للفحم بدليل الاسم .

وفى زمن على مبارك كان يعرف حى الفحامين أيضاً بالعطارين لتجارة أصناف العطارة والآن أغلب تجارة هذا الحى فى الأحذية .

---

(١) خطط المقريزى ج٢ ص١٠٥ . والأشنان بعض الزيوت الطيبة والعطرية .

(٢) المركوب أشبه بالحذاء له مقدم مرتفع ومدبب. ولا رباط له . بل وجهه نصف مكشوف وغالبا لونه أحمر . والبُلَغ جمع بُلغة أشبه بالشبشب المقفول له وجه كبير وكانت البلغ الفاسى - نسبة إلى فاس من بلاد المغرب - شهرة لطراوة جلدها ولينه . وعليها إقبال من أولاد البلد . .

المدرسة الشريفية والشريف ابن ثعلب[1]

وذكر المقريزى أيضاً المدرسة الشريفية وقال أنها بدرب كركامة على رأس حارة الجودرية . ومكانها الآن زاوية صغيرة باسم ابن العربى بشارع الشرايبى بالفحامين . وقال على مبارك أن درب كركامة هو حارة حلقوم الجمل . وهذا الاسم باق للآن لحارة ضيقة خلف جامع الغورى تتفرع من شارع الأزهر إلى التربيعة . وعلى بن العربى المذكور عالم دينى توفى سنة ١١٨٣هـ . وضريحه بالزاوية المذكورة . ومدفون بها أيضاً السيد أحمد عبد السلام والسيد أحمد المحروقى الكبير شاهبندر (رئيس) تجار مصر فى عهد الحملة الفرنسية وأوائل حكم محمد على . وكانت داره هناك . وقريب منها دكة الحسبة وسوق الجوارى الرقيق .

وقد اندثرت هذه المدرسة الآن . ولكن أذكرها لما كان فى وقفها من خبر يدل على ما كان يتمتع به العلماء من شجاعة أدبية وحرية رأى . وما كان عند الحاكمين من رهبة لحكم المنطق والشرع .

لما طمعت نفس العادل بن أيوب فى نزع الملك لنفسه من المنصور حفيد أخيه صلاح الدين سنة ٥٩٦[2] أحضر الناس للحلف والبيعة . وكان من جملتهم ضياء الدين بن الوراق الإمام والمدرس بمسجد الرصد . فلما شرع الناس فى الحلف قال ضياء الدين : ما هذا الحلف ؟ بالأمس حلفتم للمنصور . فإن كانت تلك الأيمان صحيحة فهذه باطلة . وإن كانتت باطلة فهذه أيضاً باطلة .

فقال الصاحب ابن شكر للعادل : لقد أفسد هذا الفقيه عليك الأمر

وغضب العادل . وأمر بالحوطة على جميع موجودات ضياء الدين وأملاكه ـ وهو ما نسميه الآن بوضعه تحت الحراسة ـ واعتقاله بالرصد تحت الترسيم (أى تحديد إقامته) .

ومكث ضياء الدين بن الوراق سنين . ثم وجد غِرة من الحراس . فانتهزها وخرج . وذهب إلى دار الوزارة بالقاهرة . ولم تكن قد انتقلت بعد إلى القلعة :

---

(١) ذكرنا فى الفصل الماضى الخاص بالأزبكية بستان ابن ثعلب والشارع باسمه بجوار البنك الأهلى بشارع قصر النيل .

(٢) راجع الجدول الثالث عشر بالقسم الثالث .

وطلب مقابلة العادل . فلما قابله قال له ضياء الدين . اعلم والله أنى ما حاللتك ولاأبرأتك . أنت تتقدمنى إلى الله وأنا بعدك أطالبك بين يديه تعالى . وتركه وعاد إلى معتقله .

وكان الشريف ابن ثعلب من خاصة العادل والمقربين إليه . فدخل على العادل بعد ذلك فوجده متألماً حزيناً . وحكى له ما حصل . فقال الشريف : لاتبتئس . رُدَّ إليه ما وقعت عليه الحوطة من ماله . وريعَه فى تلك المدة .

وصرح العادل بذلك . فأخذ الشريف التصريح وذهب ليبشر ضياء الدين .

وكان ضياء الدين رأى فى تلك الليلة رؤ يا أن خلاصه يكون على يد شريف صحيح النسب . وحدَّث الحاضرين معه بتلك الرؤ يا . فلما قدم الشريف ابن ثعلب حدثوه بالرؤ يا .

فقال الشريف : اشهدوا أن جميع ما أملك وقف وصدقة شكراًلله على هذه الرؤ يا (التى حققت صحة نسبه) وخرج عن جميع أملاكه . ومنها هذه المدرسة وكانت دار سكنه .

وتوفى الشريف ابن ثعلب سنة ٦١٣هـ . وتوفى العادل سنة ٦١٥هـ . ومات بعده ضياء الدين بمدة دون أن يحالله أو يبرأه .

الشارع الأعظم وقاهرة المقريزى وأسواقها :

ذكر المقريزى ما كان عليه الشارع الأعظم فى عهده من النشاط التجارى . وما كان فى أسواقه من التخصص . وتحسَّر على أن ما فى وقته ليس إلاجزءاً يسيراً مما كان قبلاً .

وإذا رجعنا بالخيال إلى عهد المقريزى فى النصف الأول من القرن التاسع الهجرى (= ١٥م) لوجدنا فى الشارع الأعظم من باب الفتوح إلى باب زويلة على التوالى الأسواق الآتية :

سوق[1] باب الفتوح . وكانت عامرة بأصناف المأكولات من اللحوم والخضر

---

(١) السوق تؤنث وتذكر . والتأنيث أفصح (المصباح المنير) .

والبقول وغيرها . وتليها سوق المرحّلين وكانت متخصصة فيما يلزم للراحلين من عدد الجمال وغيرها . ويشتد نشاط هذه السوق فى موسم الحج .

وتليها سوق الروّاسين . عند رأس شارع أمير الجيوش . وكانت متخصصة فى بيع رؤوس الأغنام والبقر بعد تجهيزها .

وتليها سوق حارة برجوان . وكانت عامرة بأصناف المأكولات من اللحم البقرى والضانى . وبها عدد كبير من الزياتين والجبّانين (تجار الزيت والجبنة) والخبازين واللبانين والطباخين والشوايين والبواردية (بائعى المرطبات) والعطارين والخضرية . بل بلغ التخصص ببعض الحوانيت أنها لاتبيع إلا حوائج المائدة من بقل وكرات ونعناع وغيرها .

وتليها سوق الشماعين عند الجامع الأقمر . وكانت متخصصة فى بيع الشموع بأنواعها وأحجامها المختلفة . وهناك كانت تجلس بعض البغايا لتحريض المارة على الفسق . ويشتد رواج الشموع فى هذه السوق فى شهر رمضان . وذكر المقريزى أن بعض الشموع كانت تزن أكثر من قنطار وتحمل على عجل . فضلاً عن الشموع الصغيرة التى يحملها الصبيان فى مواكب رمضان وصلاة التراويح .

ولايزال أولادنا للآن يحتفلون فى رمضان بحمل الفوانيس . وإن كانت تضاء ببطاريات الكهرباء .

وتليه سوق الدجّاجين . وتصل إلى رأس شارع الخرنفش . وكانت فيها فضلاً عن تجارة الدواجن التى تؤكل مثل الدجاج والأوز . تجارة الطيور المسموعة من الحمام القمارى والسمان والحمام الهزارات والببغاوات . وكان الناس يقبلون على شرائها ويدفعون فيها الأثمان الغالية . حتى بيع طائر من السمان بخمسين ديناراً .

وكان هناك محل لبيع العصافير للصبيان ليعتقوها . إذ يُفهم صاحب الحانوت الصبىّ أن هذا العصفور يسبّح الله . فمن أعتقه دخل الجنة . فيشتريه الصبى بفلس ثم يطلقه ليدخل الجنة .

وتليها سوق بين القصرين . وقد كانت أكبر هذه الأسواق . وقد ذكرنا أن ما كان بين القصرين براح يتسع لعشرة آلاف فارس . وذكرنا التقاليد المرعية لهذا الجزء من الشارع الأعظم . وبعد الفاطميين كان المكان عامراً بجميع أصناف المأكولات

نيئه ومطبوخه . وكان الناس يذهبون لقضاء مصالحهم أو للفرجة والنزهة . فيزدحم المكان كأنه مهرجان .

وتليه سوق السلاح وكانت لبيع القسى والنشاب والزرديات وأدوات السلاح . وكان يجلس فيها الصيارف أيضاً لغاية العصر . وبعد العصر يجلس بائعوا المرطبات[1] .

وتليها سوق القُفَيصات (جمع تصغير قفص) . وهى أقفاص صغيرة تُرصُّ فوقها الطرائف من فصوص وحلقان وخواتم وأساور وخلاخيل للنساء . وكان مكانها بجوار المارستان المنصورى . وكان أصحاب الأقفاص يدفعون للدولة أجراً للمكان .

ومكان هذه السوق حالياً سوق النحاسين .

وتليه سوق باب الزهومة عند باب مطابخ القصر الشرقى بحارة الصالحية .

وتقابلها سوق السيوفيين من الناحية الأخرى وقد مرٌّ ذكرها فى الكلام على المدرسة السيوفية .

وكانت بعد ذلك سوق الصنادقية . من صناعة الصناديق . التى كانت تستعمل فى المنازل بدلاً من الدواليب الآن لحفظ الملابس والأمتعة . وكان يعتنى بصناعة بعضها من الخشب الثمين المطعم بالعاج أو الصدف . ولايزال جزء من هذه السوق باقياً باسم شارع الصنادقية متفرعاً من شارع الأزهر .

وكانت بعد ذلك سوق الوراقين . وقد زال موضعها بفتح شارع الأزهر . وكانت لبيع ونسخ الكتب . حيث لم تكن الطباعة معروفة . ولبيع الورق وأدوات الكتابة .

فإذا تركنا تقاطع الشارع الأعظم مع شارع الأزهر لوجدنا لغاية باب زويلة على التوالى الأسواق الآتية :

---

(١) بعد زمن المقريزى جدّت سوق أخرى للسلاح خلف شارع محمد على الحالى بالقرب من جامعى الرفاعى والسلطان حسن ذكرها الجبرتى . ولا يزال هناك شارع للآن يحمل هذاالإسم (راجع الرسم الكروكى بأول الفصل التالى) .

سوق المهامزيين . وتتلوها سوق اللجميين . الأولى نسبة إلى المهماز وهو حديدة توضع بخلف الحذاء على شكل عجلة مستديرة بأسنان مدببة لغمز الجواد وحَثّه على الركض . والثانية نسبة إلى اللجم جمع لجام وهو ما يقاد به الجواد .

وكانت المهاميز واللجم تعمل من الذهب أو الفضة الخالصين . ولا يُترك هذا إلا عن ورع وتدين . فتعمل من حديد مطلى بالذهب أو الفضة .

وكانت تعمل بالسوق بدلات (جمع بدلة) الخيل من الفضة الخالصة . وتصُنع بالسوق السروج العربية وما بها من لجام وركاب ومهماز وغير ذلك . وكان القربوس (وهو القائم بالسرج أمام وخلف الراكب) به عدة أطواق من الفضة المذهبة . ولايتورّع عن ذلك إلا القضاة ورجال الدين .

كما كانت تصنع بها أيضاً الدوى (جمع دواة) والطرف التى فيها الذهب أو الفضة مثل سكاكين الأقلام وغيرها .

وتتلوهما سوق الجوخيين . نسبة إلى الجوخ وهو نوع من الصوف مستورد من بلاد الإفرنج . سوق الشرابشيين :

وقد استجدت بعد الدولة الفاطمية . وتباع فيها الخلع التى يُلبسها السلطان للأمراء والوزراء والقضاة وغيرهم . والشربوش هو من الخلعة التى يُلبسها السلطان . وهو غطاء للرأس يشبه التاج مثلث الشكل . ويلبس على الرأس بدون عمامة .

وقد بطل الشربوش فى دولة المماليك البرجية .

ولم تكن تجارة هذه السوق مقصورة على الشرابيش . بل أيضاً لشراء وبيع التشاريف التى يخلعها السلطان والأمراء[1] .

وأول من خُلع عليه من أهل الدولة فى الأسلام هو جعفر البرمكى . فقد قال

---

(١) التشاريف جمع تشريفة . وهى ما يلبس فى الحفلات الرسمية . ولكل رتبة زى خاص . وفى مصر فى عهد عباس حلمى الأول صدر أمران سنة ١٨٤٩ (١٢٦٥هـ) الأول لديوان الجهادية والثانى لكتخدا مصر بضرورة لبس الكسوة الرسمية للتشرية الاعياد الرسمية . وإلا يرفض قبولهم فى تشريفات العيدين وغيرهما من الأعياد الرسمية .

له هرون الرشيد . عندما انعقدت له الخلافة : ياأخى جعفر . أمرت لك بمقصورة فى دارى . وما يصلح لها من الفرش . وعشر جوارى تكونُنَّ فيها ليله مبيتك عندنا . فقال جعفر : ياأمير المؤمنين . مامن نعمة متواترة . ولاأفضل متظاهر . إلا ورأى أمير المؤمنين أجمل وأتم . ثم انصرف وقد خلع عليه الرشيد . وحمل بين يديه مائة بدرة من دنانير ودراهم . وأمر الناس فركبوا إليه وسلموا عليه . وأعطاه خاتم الملك ليختم به على مايريد . واقتدى بالرشيد من بعده من الخلفاء الحاكمين . فخلعوا على أولياء دولهم وولاة أعمالهم . واستمر ذلك .

وتتلوها سوق الحوائصيين . نسبة إلى الحوائص جمع حيَّاصة . وهى أصلاًسير يشد به حزام السرج . ثم أطلق على المنطقة أو الحزام فى وسط الرجل . وكانوا يتغالون فى صنعها . حتى عملت من الذهب الخالص المرصع بالجواهر . ويفرق السلطان كل سنة على مماليكه من حوائص الذهب والفضة الشىء الكثير . ووُجد فى متروكات الكثيرين من الامراء . ممن توفوا أو صودروا . الآلاف من الحوائص مختلفة القيمة .

وتتلوها سوق الحلاويين . لصناعة الحلاوة والحلويات بأنواعها . وكانت صناعة متقدمة . وكانوا يشكلون الحلوى على هيئة الخيول والسباع والقطط . وعلى هيئة العرائس أو الفرسان أو القصور أو الحصون . وغير ذلك . وكانت تسمى العلاليق . لأنها كانت تشترى وتعلق فى أغلب البيوت وكان موسم صناعتها رجب ورمضان .

ولايزال أثر هذه الصناعة للآن مما نجده فى حلويات المولد النبوى الشريف .

وقد ذكر السيوطى (فى حسن المحاضرة ج ٢ ص٩٣) أن القاضى محمد بن هبة الله بن الميسر القيروانى هو الذى أخرج الفستق الملبس بالحلوى أى من ابتكاراته .

والمذكور تولى القضاء (٥٢١ - ٥٢٦ ، ٥٢٨ - ٥٣١) فى عهد الفاطميين . وتلقب بألقاب لم تسبق لغيره . منهاالقاضى الأمير - سنا الملك - شرف الأحكام - قاضى القضاة - عمدة أمير المؤمنين .

وتتلوها سوق الشوايين أى صناعة الشواء (مثل الحاتى)

وبعدها سوق الخلعيين أى تجارة الملابس الخليعة . أى القديمة . وكان

موقعها أمام جامع المؤيد عند باب زويلة .

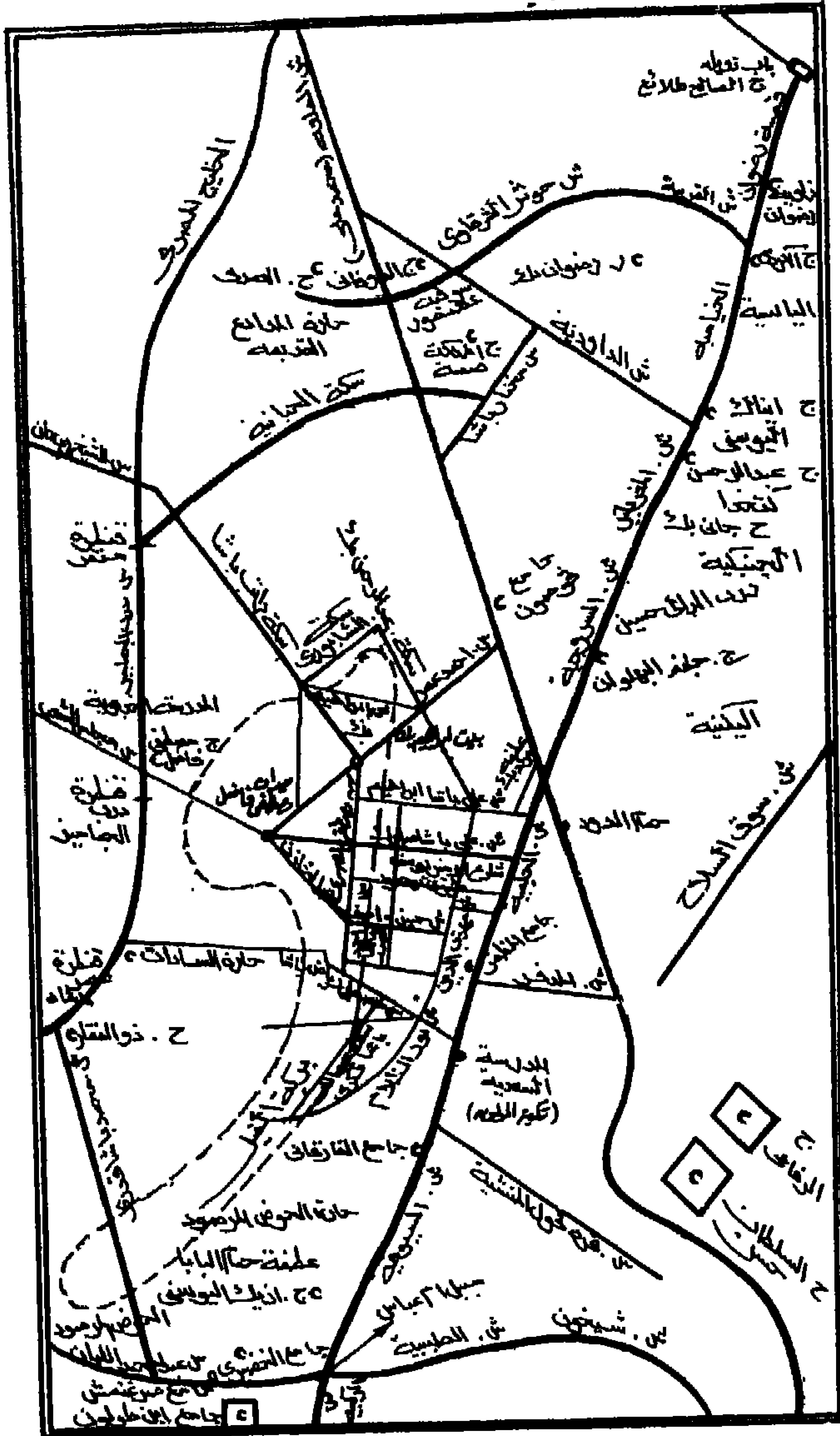
كما ذكر المقريزى أنه كان يجلس هناك باعة الجبن المجلوب من الشام . وكانت تعمل هناك المناخل والغرابيل للدقيق والغلال .

وكانت هناك حوانيت يجلس فيها ناس لعلاج من يتصدع أو يكسر له عظم أو يصيبه جرح . ويسمون بالمجبرين .

وتغيرت أوضاع هذه الأسواق . وتنوَّعت أنواع التجارة فى كل مكان .

رسم كروكى (٤)

عن امتداد الشارع الأعظم (المعز لدين الله) خارج باب زويله والحلمية الجديده وبركة الفيل والحوض المرصود .



الفصل السابع

من باب زويله إلى الصليبة - الحلمية بركة الفيل - الحوض المرصود

ذكرنا أن جوهرا قائد المعز لدين الله الفاطمى أنشأ القاهرة المعزية سنة ٣٥٨هـ (٩٦٩م) على الشاطىء الشرقى للخليج المصرى . وأن أمير الجيوش بدر الجمالى وزير المستنصر بالله زاد فى رقعة المدينة فى المدة من ٤٨٠ - ٤٨٤هـ بأن نقل كلا من أسوارها الشمالية والجنوبية بحوالى ١٥٠ متراً . كما وسّعها من الجانب الشرقى .

ونسمى القاهرة التى أنشأها جوهر بالقاهرة المعزية . ونسمى القاهرة بعد أن وسّعها بدر بالقاهرة الفاطمية .

هذه القاهرة الفاطمية التى كانت مساحتها ٤٠٠ فدان تقريبا وطولها من الشمال إلى الجنوب ١٥٠٠ متر تقريباً . ومن الشرق للغرب ١١٠٠متر تقريباً . يمكن أن نحدد موقعها بالتقريب لذهن القارىء بالنسبة للمسميات الحالية . بأن الحد الجنوبى هو شارع أحمد ماهر (تحت الربع سابقاً) الآخذ من باب الخلق وامتداده شرقاً شارع الدرب الأحمر وبهذا الحد باب زويلة . أو كما تسمية العامة بوابة المتولى . وحدها الغربى شارع بور سعيد الحالى الذى كان الخليج المصرى جزءاً من عرضه الحالى بالجانب الغربى من الشارع المذكور . والحد الشمالى السور الذى به باب النصر وباب الفتوح . ويقع هذا الحد شمال ميدان باب الشعرية بقليل . والحد الشرقى للقاهرة الفاطمية شارع صلاح سالم الحالى تقريباً .

كما ذكرنا الشارع الأعظم - ويسميه المؤرخون أيضاً شارع القاهرة . والقصبة . الذى يخترق القاهرة من باب الفتوح إلى باب زويلة . ونسمى هذا الجزء بشارع المعز لدين الله . وذكرنا أن الشارع الأعظم يمتد شمال باب الفتوح فى حى الحسينية والبيومى والظاهر . وأنه يمتد جنوباً خارج باب زويلة حتى مقام السيدة نفيسة . باسماء مختلفة ذكرنا منها ونذكر من باب زويلة حتى الصليبة الاسماء الآتية على التوالى : قصبة رضوان - الخيامية - المغربلين - السروجية - الحلمية - السيوفية - الركبية .

وبعض هذه الاسماء واضح يدل على تجارة أو صناعة معينة . وسنعرض لذكرها فى هذا الفصل بأذن الله .

والواقع أن التوسعة التى عملها بدر فى جنوبى القاهرة بأن نقل السور القبلى ١٥٠ متراً تقريباً جنوبى السور السابق إنشاؤه بمعرفة جوهر . كانت تقريراً لوضع حاضر .

فلم تمض ثلاثون سنة على القاهرة المعزية التى أنشأها جوهر حتى زحفت الإنشاءات خارجها جنوباً . فجدت حارات . واضطر الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١هـ) بأن يقيم عليها باباً غير باب زويلة سمي بالباب الجديد وبباب القوس .

ولكن بدراً لم يضم هذه الحارات كلها داخل القاهرة الفاطمية . بل كان باب زويلة الجديد شمالا من الباب الجديد الذى أنشأه الحاكم بأمر الله بمسافة .

فى هذه المسافة كانت حارة المنصورية على يمين الخارج من باب زويلة . وحارة اليانسيةعلى يساره مقابل المنصورية

حارة المنصورية أو حارة السودان :

وكانت تسمى أولا المنصورية . ثم سُميت حارة السودان لأنه كان يقطنها العبيد السود فى أيام المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٨٧هـ) . وكان للعبيد فى عهده صولة . لأن أمه كانت جارية سوداء . فأكثرت من شرائهم ومكنتهم من النفوذ والسلطة .

ولم يقتصر سكن العبيد السنود على هذه الحارة . بل كانت لهم حارة أخرى شمال القاهرة هى حارة الحسينية خارج باب الفتوح . وأيضاً حارة ثالثة بالقرب من

ميدان باب الشعرية الحالى اسمها حارة الفرحية . والاسمان نسبة إلى طائفتين من عبيد الشراء يقال لهم الحسينية والفرحية .

ومكان حارة السودان بأسماء الوقت الحاضر أحياء قصبة رضوان والخيامية وتحت الربع والقربية وحوش الشرقاوى على يمين الشارع الخارج من باب زويلة .

واقعة العبيد :

فى أواخر عهد الفاطميين ضاق رجال قصر الخليفة بصلاح الدين الأيوبى وتسلطه فى الحكم أثناء وزارته للعاضد لدين الله آخر الخلفاء الفاطميين . فدبَّروا سنة ٥٦٤هـ مؤامرة لاغتيال صلاح الدين . وكان قوامها العبيد - وكان يرأسها فى التدبير أحد الأستاذين بالقصر ويسمى مؤتمن الخلافة جوهر الذى انضم إليه عدد من الأمراء والأعيان .

وكان تخطيط المؤامرة أن يبعثوا للفرنج ببلاد ساحل فلسطين يستقدمونهم إلى القاهرة . حتى إذا خرج صلاح الدين للقائهم وصدهم . قامت الثورة فى القاهرة .

ووقع الرسول فى أيدى رجال صلاح الدين . فتتبَّع خط الرسالة . حتى عرف كاتبها أنه أحد اليهود . فقبض عليه وقرر إعدامه . فاحتمى اليهودى من القتل بأن أسلم . وأخبره بالمؤامرة .

وخاف مؤتمن الخلافة جوهر فاستقر بالقصر لايغادره . وأغضى عنه صلاح الدين عدة شهور . حتى اطمأن وخرج إلى بستان له خارج القاهرة . فقبض عليه رجال صلاح الدين وقطعوا رأسه . وأتوا به[1] إلى صلاح الدين .

وشاع الخبر فى المدينة . وثارت النفوس . وتجمعت العناصر الحاقدة على صلاح الدين . وهجموا عليه بدار الوزارة بجانب القصر . وناصر صلاح الدين جنوده من الغز يتزعمهم أخوه شمس الدولة توران شاه[2] . وكاد العبيد ينتصرون .

---

(١) فى المصباح المنير أن الرأس مذكر

(٢) ذكرنا فى الفصل السابق درب شمس الدولة بجوار الصاغة وكان اسمه حارة الامراء . وكان هناك سكن توران شاه .

ودارت المعركة تحت القصر . وكان الخليفة العاضد بالمنظرة فوق باب الذهب[1] . وأخذ رجال القصر يرمون على رجال صلاح الدين بالنشاب والحجارة . فأمر شمس الدولة بإحراق المنظرة التى بها الخليفة . وأخذوا فى تجهيز قوارير النفط لإلقائها عليها . فخاف العاضد على نفسه . وفتح باب المنظرة أحد الاستاذين الملقب زعيم الخلافة . وقال بصوت عال : أمير المؤمنين يسلم على شمس الدولة ويقول دونكم والعبيد الكلاب أخرجوهم من بلادكم .

فلما سمع السودان ذلك ضعفت نفوسهم . ودبَّ فيهم الفشل . فانهزموا أمام رجال صلاح الدين . الذين تتبعوهم . وكلما دخلوا داراً أحرقوها عليهم . وأغلقت عليهم أبواب المدينة . وظل القتل فيهم يومين . وبلغ العبيد تخريب حارة السودان . فاستسلموا وطلبوا الأمان . فأمَّنهم . وخرجوا إلى الجيزة . فعدا عليهم شمس الدولة بعساكره . وحكموا فيهم السيف . حتى كادوا أن يفنوا عن آخرهم .

وكانت واقعة العبيد بداية النهاية بالنسبة للعهد الفاطمى . وكما أن تمكين حكم الفاطميين فى مصر بدأ بالقائد جوهر . فقد انتهى بمؤامرة مؤتمن الخلافة جوهر .

فأبطل صلاح الدين ركوب الخليفة . وظل محبوساً فى قصره . واستقدم صلاح الدين أباه وإخوته وأهله من الشام فأنزلهم فى مناظر الخلفاء ودور الأمراء . ووهب إقطاعات الأمراء لأهله وأقاربه وأصحابه .

وفى سنة ٥٦٦هـ عزل قضاة الشيعة . واتخذ المذهب الشافعى أساسا للقضاء فى مصر . ومات العاضد ليلة عاشوراء - ١٠ المحرم سنة ٥٦٧هـ . بعد قطع اسمه من الخطبة والدعاء للمستضىء بالله العباسى[2] بثلاثة أيام .

وانتهت الدولة الفاطمية بعد حكم استمر ٢٦٢ سنة منها ٢٠٢ سنة شمسية تقريباً بمصر . فسبحان من له الدوام[3] .

---

(١) ذكرنا فى الفصل السابق أن باب الذهب أهم أبواب القصر الشرقى الكبير وأن موقعه كان محل محراب مدرسة الظاهر بيبرس التى اخترقها شارع بيت القاضى

(٢) ذكر المقريزى فى الخطط (جـ٢ ص ٣٥٩) أن الدعاء للمستنجد بالله العباسى . والمعروف أن المستنجد توفى فى ربيع الأول سنة ٥٦٦ وبويع بالخلافة بعده ابنه المستضىء بالله . ولعل الأصل المستضىء بالله بن المستنجد بالله . وأسقط الناسخ أو الناشر اسم المستضىء

(٣) بالحساب الهجرى القمرى حكم الدولة الفاطمية ٢٧٠ سنة منها بمصر ٢٠٨ سنة وبضعة شهور .

بستان خطلبا :

وبعد تخريب صلاح الدين لحارة السودان أصبح مكان الحارة بستاناً عرف بستان خطلبا نسبة إلى الأمير صلاح الدين خطلبا . كان واليا على القاهرة سنة ٥٧٢ في عهد صلاح الدين ثم أضيفت إليه ولاية الفيوم سنة ٥٧٧ ..ثم صرف إلى ولاية زبيد باليمن . ثم قدم القاهرة وطال عمره حتى أيام الكامل بن العادل الأيوبي حيث توفى سنة ٦٣٥هـ .

ثم حكرت أراضي بستان خطلبا مباني في عهد الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦) وموقعها الآن الأحياء السابق ذكرها .

جهاركس الأيوبي - وجهاركس الخليلي - وخان الخليلي :

وكان من أصدقاء خطلبا الأمير جهاركس من كبار رجال الدولة في عهد صلاح الدين حتى أخيه العادل .

وجهاركس لفظ أعجمي معناه أربع أنفس .

وجهاركس المذكور غيرجهاركس الخليلي المنسوب له خان الخليلي . فالأخير كان أمير أخور (أي رئيس الاسطبلات وكانت من الوظائف الكبرى) في عهد السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤ - ٨٠١) .

وكان الخط الذي به خان الخليلي اسمه خط الزراكشة العتيق . أي صناعة وتجارة المزركشات من الثياب . وكان محل خان الخليلي مقابر أسرة الخلفاء الفاطميين . المعروفة بتربة الزعفران جنوبي القصر الشرقي .

وعند أنشاء خان الخليلي أهان جهاركس الخليلي حرمة الأموات . وألقى ما كان بالقبور من عظام على تلال البرقية شرقي القاهرة . وقال المقريزي في خططه (جـ٢ ص٩٤) : وقد عاقبه الله على هتك رمم الأئمة وأبنائهم بقتله في معركة بالشام ضد يلبغا الناصري سنة ٧٩١ . وترك على الأرض عاريا . وسوأته مكشوفة . وكان طويلاً عريضاً . فانتفخ جسمه حتى تمزق[1] .

---

(١) كان الوضع الطبيعي الكلام على خان الخليلي في الفصل السابق . ولكن فاتنا ذكره فاستدركناه هنا .

حارة اليانسية :

وكان يقابل حارة السودان على يسار الخارج من باب زويلة حارة عرفت باسم حارة اليانسية .

والاسم نسبة إلى يانس الصقلى خادم العزيز بالله بن المعز . وقد عينه الحاكم بأمر الله بن العزيز واليا على برقة سنة ٣٨٨ . والاسم باقٍ للآن لجزء من الحارة المذكورة .

وقد عارض المقريزى ابن عبد الظاهر فى نسبة هذه الحارة إلى يانس الأرمنى وزير الحافظ لدين الله (٥٢٤ - ٥٤٤هـ) لأن اليانسية كانت موجودة قبل الحافظ بمدة .

ولقب ابن عبد الظاهر يانس الأرمنى المذكور بلقب يانس الفاصد لأنه كما يقول فصد الحسن بن الحافظ وترك فصاده محلولا فنزف حتى مات

مأساة الحافظ لدين الله مع ولده الحسن :

ولم يبن المقريزى اعتراضه على ابن عبد الظاهر على أن الحارة كانت موجودة قبل يانس الفاصد بمدة فقط . بل على سببين آخرين : أولهما أن الحسن مات مسموماً ولم يمت من انحلال فصاده كما ذكر ابن عبد الظاهر[1] . والثانى أن يانسا لم يقتل الحسن . وإنما الذى تولى قتله ، بالسم الحكيم ابن قرفة .

ونلخص هذه المأساة التاريخية فيما يلى :

لما قتل الآمر بأحكام الله فى ذى العقدة سنة ٥٢٤هـ . أقيم ابن عمه الحافظ لدين الله على أن يكون كفيلا لمنتظر فى بطن أمه من أولاد الآمر . والحافظ المذكور هو ابن الأمير أبى القاسم محمد بن المستنصر بالله . وأبوه لم يل الخلافة . وكان يقال له فى أيام الآمر ابن عم مولانا[2] .

---

(١) ابن عبد الظاهر المذكور هو القاضى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر (٦٢٠ - ٦٩٢) تولى ديوان الأنشاء فى عهد الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون وابنه الأشراف خليل . وله من المؤلفات (الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة) و (سيرة السلطان الملك الظاهر بيبرس) وهما مفقودان . وقد اعتمد عليه المقريزى فى خططه . ويشير إلى كتابه (الروضة البهية فى كثير من المواضع .

(٢) انظر الجدول الحادى عشر بالقسم الثالث

وقد قام فى تعيين الحافظ من يدعى هزار الملوك الذى أصبح وزيراً . وثار الجند وأقاموا فى الوزارة أبا على كتيفات بن الأفضل بن أمير الجيوش بدر الجمالى . ونهبت العامة شارع القاهرة . واستبد أبو على بالأمر فقتل هزار الملوك . واستقر فى الوزارة مكانه . وقبض على الحافظ . وألقاه مقيداً فى السجن . وكل ذلك جرى فى يوم واحد .

ولم يطل أمر أبى على كتيفات . فقد قُتل فى ١٦ المحرم سنة ٥٢٦هـ . وأفرج عن الحافظ . فاتخذ الحافظ من هذا اليوم عيدا أسماه عيد النصر . وكان يحتفل به كل عام حتى نهاية حكمه ..

وكان القائم بتدبير قتل كتيفات والأفراج عن الحافظ هو يانس متولى الباب (أى ما يقرب من وظيفة الحاجب) فعينه الحافظ وزيراً مكافأة له . ويانس هذا هو الذى لقبه ابن عبد الظاهر بالفاصد ونسب إليه حارة اليانسية . وقد نبه المقريزى على خطأ ذلك كما ذكر .

وعلا شأن يانس هذا وزاد نفوذه حتى كان يتصرف فى الأمور دون الرجوع إلى الحافظ . فثقل على الحافظ وأراد التخلص منه . فطلب من طبيبه تدبير ذلك . فقيل أنه وضع له السم فى ماء الاستنجاء . فانفتح دبره واتسع حتى عجز الجلوس . فقال الطبيب للحافظ : هذه هى الفرصة التامة فإذا زاره الخليفة اكتسب أمرين : الأول حسن الأحدوثة بين الناس لسؤاله عن أتباعه . والثانى أن المريض سيضطرب لزيارة الخليفة ويتحرك . ويجلس بين يديه . مما يزيد فى مرضه ويؤدى به إلى الهلاك . وفعلا زاره الحافظ . وأطال المكث عنده وهو يحادثه . وماكاد ينصرف حتى سقطت أمعاء يانس . وتوفى فى نفس الليلة فى ١٦ ذى الحجة سنة ٥٣٦ . ولم يستوزر الحافظ بعده أحداً .

أما مأساة الحافظ وولده الحسن . فقد عين الحافظ فى ولاية العهد ابنه حيدرة . فشق ذلك على الحسن . وكان الحسن . واسع الثراء . له كثير من الأتباع والأعوان . فثار على والده وتغلب عليه . وانضم إليه أوباش الناس . فأخذ يقبض على الكبراء ويقتلهم ويصادر أموالهم .

وأختفى الحافظ وابنه حيدرة فى أحد جوانب القصر خوفاً من بطش الحسن .

ولم يجد الحافظ بدا من مداراته فكتب له عهداً بولاية العهد . فما زاده هذا إلا جرأة عليه .

وأرسل الحافظ بعض أتباعه إلى الصعيد يطلب العون والمدد . وحضرت الآلاف . ولكن أيضاً تغلب عليهم الحسن . وقتل من استجلبوهم .

ثم استعمل الحافظ المكيدة : فأرسل للحسن مكتوبا فيه أنهما أب وابنه . ولا يضر أحدهما الآخر . ولكنه علم أن فلانا وفلانا وفلانا من الكبراء قد تآمروا على قتل الحسن . فهو يحذره منهم . فلم يكن من الحسن إلا أن أحضرهم وعاجلهم بالقتل . وكان عجولاً سفاكا للدماء قليل التروى فى الأمور . فكرهته الناس . وانفض عنه خيارهم . ولم يبق معه إلا الأوباش [1] . وأخيراً شعر الحسن بضعف مركزه . فالتجأ إلى أبيه الحافظ فى القصر . فسارع أبوه بالقبض عليه وتقييده

وأرسل الحافظ إلى الأمراء ومن بقى من الكبراء يخبرهم . فطلبوا قتله . وصعب على والد أن يوافق على قتل ابنه . فحاول إقناعهم بأنه سيكون تحت يده مقبوضاً عليه ولا خوف منه . ولكنهم صمموا على ذلك . وهددوا بأن ينفضوا من حول الحافظ ويعملوا ضده . فلم يجد مناصاً من موافقتهم . واستمهلهم ثلاثة أيام . فأناخوا برجالهم بين القصرين منتظرين انقضاء المهلة .

وكان للحافظ طبيبان أحدهما يهودى واسمه أبو منصور . والثانى قبطى واسمه ابن قرفة . فطلب الحافظ من أبى منصور اليهودى عمل سم . فادعى الجهل وأقسم بالتوارة أنه لا يعرف شيئاً من ذلك . أما ابن قرفة فقد أطاع . وعمل السم المطلوب . فبعث الحافظ سقية السم مع عدد من الأتباع إلى الحسن فى السجن . وأكرهوه على شربها . وتوفى فى ٢٠ جمادى الآخر سنة ٥٢٩هـ

ولم يقتنعوا بوفاة الحسن حتى أرسلوا من دخل عليه السجن وكشف عن وجهه . ووخزه فى جسمة بآلة حادة فى عدة مواضع . فعاد وأخبر الباقين فتفرقوا . وسكنت الفتنة .

وكان الطبيب اليهودى أكثر وعيا من النصرانى . فبعد ذلك حقد الحافظ على

---

(١) فى القاموس المحيط الأوباش الأخلاط والسفلة . وواحدها وبش بالتحريك .

ابن قرفة وقتله . وأنعم بجميع ممتلكاتـه على أبي منصـور اليهودى وجعله رئيسـاً للأطباء

جامع الصالح طلائع بن رزيك :

وقبل أن ننتقل من الكلام عن موقع حارة اليانيسة نذكر أن يأولها على يسار الخارج من باب زويلة جامع طلائع بن رزيك ولإنشاء هـذا الجامـع قصة . وفى معماره ملاحظة . وهى أن هذا الجامع منخفض عن أرض الشارع بأكثر من متر . مما جعل مصلحة الآثار تدور حوله بطرقة ودرابزين ليهبط المصلون عدة درجات حتى يستطيعوا الدخول للجامع . ولم يكن هذا فى تصميم الجامع عند إنشائه . ولكن أرضية الشارع ارتفعت من تراكم الأتربة على مر الزمن .

وقد ذكرت فى الفصل السابق درب شمس الدولة والمأساة التاريخية التى أدت إلى قتل الخليفة الفاطمى الظافر بأمر الله بن الحافظ سنة ٥٤٩هـ . بمعرفـة وزيره عباس الصنهاجى وولده نصر . واستنجاد أهل القصر بوالى المنيا طلائع بن رزيك .

وباشر طلائع عمله فى الوزارة أحسن مباشرة . ولم يكن للخليفة الفائز بنصر الله معه أى شىء . فقد كان الفائز يوم توليته طفلا ابن ثلاث سنين .

وتوفى الفائز سنة ٥٥٥هـ بعد ست سنين فى الخلافة لم ير فيها خيراً . فقد اختبل عقله . وكان يصرخ ويصيح فى جنون . منذ رأى مقتل عميه أمامه وسمع الصراخ والعويل فى القصر كما سبق ذكره فى الفصل السابق .

وأقام طلائع بعد الفائز فى الخلافة ابن عمه العاضد لدين الله بن الأمير يوسف بن الحافظ . وهو ابن تسع سنين . وازداد تمكن الصالح طلائع وعظم نفوذه . فثقل على أهل القصر لتضييقه عليهم واستبداده بتصريف الأمور دونهم . فدبروا له كمينا فى أحد دهاليز القصر . وضربوه حتى سقط على الأرض . وحملوه إلى داره وهو فى غيبوبة . حيث توفى فى ١٩ رمضان سنة ٥٥٦هـ .

رأس الإمام الحسين بن على :

أما القصة فى انشاء الصالح لهذا الجامع . أنه لما خيف من استيلاء الفرنج على عسقلان (بفلسطين وهى أول ميناء شمال غزة) وبها مشهد الإمام الحسين بن على بن أبى طالب . أنشأ طلائع هذا الجامع لينقل إليه الرأس الشريف . فلما تم بناء الجامع

رفض رجال القصبر تحقيق رغبته وقالوا لا يدفن الرأس إلا فى تربة الزعفران داخل القصور الزاهرة . وقد كان . حيث هو بالمشهد الحالى المعروف .

ومقتل الأمام الحسين بن على بن أبى طالب كان فى ١٠ المحرم سنة ٦١هـ (٩ أكتوبر ٦٨٠م) فى خلافة يزيد بن معاوية خبر مشهور .

وذُكر أن الرأس الشريف حمل إلى يزيد بدمشق مع من بقوا أحياء ممن كانوا مع الحسين . والكل نساء ليس بينهن غير رجل واحد هو على زين العابدين بن الحسين الذى أعفى من القتل لصغر سنة .[1] أو لمرضه فلم يشترك فى المعركة .

ومكث الرأس مصلوباً بدمشق ثلاثة أيام . ثم أنزل فى خزائن السلاح . حتى خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان (٩٦ - ٩٩هـ) فبعث فى طلبه فجىء به وقد محل وأصبح عظما أبيض . فطيَّبه ووضع عليه ثوباً وجعله فى سفط ودفنه فى مقابر المسلمين . فلما تولى الخلافة بعده عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ) بعث إلى خازن بيت السلاح يطلب رأس الحسين . فأخبره أن سليمان بن عبد الملك أخذه وكفنه وصلى عليه ودفنه . فلما قامت دولة العباسيين سنة ١٣٢هـ سألوا عن موضوع الرأس فنبشوه وأخذوه والله أعلم ما صنع به .[2]

وتحقيق ذلك موضوع آخر . ولكن ننقل ما ذكره على مبارك أنه عند العمارة التى أجراها الخديوى اسماعيل فى المسجد الحسينى والتى انتهت سنة ١٢٩٠هـ (١٨٧٣م)[3] وجدت بالأساسات مقبيات يرجح أنها قبور الفاطميين بتربة الزعفران . وهذا تحقيق لموقع القبور وليس لموضع الرأس الشريف .

وذُكر أن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى سنة ٤٩١هـ (١٠٩٨م) عمَّر فى عسقلان مكاناً دارساً فيه رأس الإمام الحسين . فلما تكامل بناء المشهد هناك حمل الأفضل الرأس الشريف على صدره وبقى ماشياً إلى أن أحلَّه فى

---

(١) ذكر الطبرى فى تاريخ الأمم والملوك جـ٦ ص ٢٦٩ أنه استصُغر أيضاً الحسن وعمرو ولدا الحسن بن على بن أبى طالب فلم يُقتلا .

(٢) خطط المقريزى ج١ ص٤٣٠ .

(٣) الخطط التوفيقية ج٤ ص ٩٨ . أما المئذنة فقد أقيمت سنة١٢٩٥هـ بعد عمارة المشهد بخمس سنوات . اكتفاءً بالمئذنة السابقة الباقية للآن .

قبره . ثم يذكر كثير من المؤرخين أن نقل الرأس الشريف كان فى جمادى الآخر سنة ٥٤٨[1] إلى مقره الحالى .

كما أن صلاح الدين الأيوبى بعد أن قضى على الفاطميين وتملّك . جعل بالمشهد حلقة للتدريس وفقهاء . وكانت الحلقة عند المحراب الذى خلف الضريح . ولو كان هناك شك لما أكرم صلاح الدين المكان . وهو الذى حارب الشيعة وحاول القضاء على ذكر الفاطميين . والإمام الحسين جدهم .

أسـطورتان :

ونذكر أسـطورتين يرتبطان بالموضوع .

الأسطورة الأولى ما قيل أن الصالح طلائع بن رزيك كان فى صباه من غلاة الشيعة . وذهب إلى النجف فى العراق لزيارة مشهد الإمام على بن أبى طالب . وبات هناك مع أصحابه المرافقين له . ورأى إمام المشهد فى تلك الليلة الإمام عليا فى رؤ يا مضمونها أنه قيل له فى الرؤ يا أن من زوار المشهد هذه الليلة رجلاً اسمه طلائع من أكبر محبينا . فبلغه أن يذهب إلى مصر فقد وليناه أمرها . ففى الصباح نادى على من اسمه طلائع . فجاءه فبلغه الرؤ يا . فسار طلائع إلى مصر . وترقى فى الوظائف حتى وصل إلى ولاية المنيا . ثم إلى الوزارة كما سبق ذكره .

والأرجح أن الأسطورة ذكرها طلائع . وروّجها أنصاره . لإظهار أن حكمه مقرر بإرادة عليا .

والأسطورة الثانية أن صلاح الدين الأيوبى لما استولى على القصر الشرقى الفاطمى بلغه أن أحد خدام الفاطميين يعرف مكان خبيئات من الأموال والجواهر . فسأله فأنكر . فأمر بتعذيبه . وكانت طريقة التعذيب بتجريح رأسه جروحاً خفيفة . ثم وضع خنافس داخل طقية من الحديد . ووضع الطقية على رأسه . وقيل أن هذه أشد وسائل التعذيب إيلاما . ولكن الخادم تحملها دون تأوه . فاندهشوا . وكشفوا عن الخنافس فوجدوها ميتة . فأحضره صلاح الدين وسأله عن السرّ فى هذا .

---

(١) منهم المقريزى وابن عبد الظاهر . ونلاحظ أن الصالح طلائع لم يتول الوزارة الا سنة ٥٤٩ بعد مقتل الظافر . فكأن فكرة بناء الجامع لنقل الرأس الشريف كانت قبل ذلك . هذا إذا صح الخبر عن الغرض من انشاء الجامع .

فقال : والله ما سبب هذا إلا أننى حملت رأس الإمام الحسين عندما وصل . فقال صلاح الدين : وأى سر أعظم من هذا !! وعفا عنه .

ولعل السبب إن صحت الرواية أن الخنافس ماتت من انعدام الهواء .

قصـــبة رضـــوان :

وجنوبى مسجد الصالح طلائع على يسار الخارج من باب زويلة زاوية معروفة باسم زاوية رضوان بك . ويقابلها فى الجهة الآخرى من الشارع – ولكن فى الداخل بحى القربية – زاوية أخرى لرضوان بك . وهو الذى نسب إليه اسم قصبة رضوان .

وكان رضوان بك أحد المماليك الفقارية[1] تولى إمارة الحج عدة سنين . وكان خيرًا دينًا عمّر هذه الجهة وأنشأ الزاويتين بالقرب من بيته . وتوفى سنة ١٠٦٥هـ (١٦٥٥م) .

الدار القردمية والمدرسة المحمودية (جامع الكردى) :

وكانت دار رضوان بك المذكورة تقابل المدرسة المحمودية المعروفة الآن باسم جامع الكردى .

والدار المذكورة عُرفت أولاً باسم الدار القردمية . بناها الجائى الناصرى أحد أتباع الناصر محمد بن قلاوون . واعتنى فى إنشائها حتى أنه أنفق على بوّابتها مائه ألف درهم تساوى خمسة آلاف مثقال ذهب ولم يعش فيها إلا قليلاً وتوفى .

فسكنتها بعد وفاته عائشة خاتون ابنة الناصر محمد بن قلاوون المعروفة بالقردمية . فنسبت إليها . وكان يضرب بغناها وثرائها المثل . إلا أنها عمرت طويلاً . وأسرفت فى الإنفاق فى اللهو . حتى ضاعت أموالها . وأصبحت تعد من المساكين . وماتت سنة ٧٧٨هـ . فى فقر وفاقة . حتى أن مخدتها كانت من ليف .

ثم سكن هذه الدار الأستادار محمود بن على بن أصفر عينه . وأنشأ تجاهها

---

(١) ذكرنا فى الفصل الخامس من القسم الأول عند الكلام عن قنطرة الذى كفر انقسام المماليك منذ الفتح العثمانى إلى قسمين فقارية وقاسمية . وأن الفريقين كانا فى منازعات ومعارك مستمرة .

مدرسته المحمودية المعروفة الآن بجامع الكردى . وتوفى محمود سنة ٧٩٩هـ .

ولم تزل الدار تتنقل بعد الأستاذ محمود حتى وصلت إلى رضوان بك .

ثم انتقلت بعد ذلك إلى عبد الرحمن أحد أمراء المماليك (وكان كاشفاً أى مديرا للشرقية) وتصادم عبد الرحمن بك مع الوالى العثمانى . فهجموا على داره فقتلوه ونهبوا الدار بما فيها حتى سبوا الحريم والجوارى سنة ١١١٣هـ .

وقال على مبارك أن الدار باقية لوقته . والخطط التوفيقية طُبعت سنة ١٣٠٥هـ (١٨٨٨م)

جامع إينال اليوسفى :

وجنوبى المدرسة المحمودية أو جامع الكردى يوجد جامع إينال اليوسفى وذكره المقريزى فى المدارس . وقال تمت عمارتها سنة ٧٩٥هـ . ولكن إينال توفى سنة ٧٩٤ قبل إتمامها . فدفن خارج باب النصر حتى تمت . ثم نقل إليها ودفن بها .

وإينال المذكور كان فى عهد الظاهر برقُّوق وكان أتابك العساكر عند وفاته .

حارة المصامدة وحارة الهلالية (الجنبكية) :

كان إنشاء الحارتين ـ السودان واليانسية ـ ضرورياً حيث ضاقت القاهرة المعزية بسكانها كما ذكرنا . وأنشأ الحاكم بأمر الله عند النهاية الجنوبيـة للحارتين المذكورتين على امتداد الشارع الأعظم الباب الجديد السابق ذكره .

ثم اقتضى الأمر إنشاء حى آخر خارج الباب الجديد بعد الحارتين المذكورتين .

فأنشئت حارة المصامدة جنوبى اليانسية . ثم حارة الهلالية جنوبى حارة المصامدة على يسار الخارج من الباب الجديد . ومحلها الآن حى الجنبكية .

والمصامدة اسم لاحدى طوائف عساكر الفاطميين وقائدهم عبد الله أبو بكر المصمودى . فى وزارة المأمون البطائحى وخلافة الآمر بأحكام الله . واختطت لهم الحارة بعد سنة ٥١٥هـ (١١٢١م) . حين وفدوا من المغرب إلى مصر - خارج الباب الجديد لما وجد أن اليانسية قد ازدحمت ولم يبق بها مكان لسكناهم .

أما الهلالية فالأرجح أنها أيضاً إحدى الطوائف التى نزحت من المغرب من قبيلة بنى هلال .

ويرى المقريزى أن حارتى المصامدة والهلالية شىء واحد .

مسجد جانى بك وحى الجنبكيَّة :

وحى الجنبكية الحالى نسبة إلى مسجد جانى بك الموجود بالشارع على يسار الخارج من الباب الجديد .

وجانى بك المذكور كان من أمراء دولة الأشرف برسباى ووصل إلى وظيفة دوادار وتوفى سنة ٨٣١هـ .

حارة الدالى حسين :

وبعد الجنبكية توجد حارة الدالى حسين والاسم نسبة إلى حسين باشا الدالى الوالى على مصر من سنة ١٠٤٧ - سنة ١٠٥٠هـ . ثم تقلب فى مناصب الدولة العثمانية حتى كاد يصل إلى مركز الصدارة العظمى - أى رئاسة الوزارة . ولكن نسبت إليه الخيانة والإهمال وأعدم سنة ١٠٧٢هـ .

وعندما صرح للمصامدة بالحارة المذكورة بعد سنة ٥١٥ صدرت الأوامر بعدم البناء مقابلها ليظل الفراغ بينها وبين بركة الفيل التى تغطى مساحة كبيرة نعرفها بمفهوم أسماء الوقت الحاضر : جنوبى باب الخلق وجنوبى الحبانية وأغلب حى الحلمية . وسنذكرها فيما بعد بإذن الله .

حارة المنتجبية وحارة حلب (الداودية) :

ويظهر أن هذه الأوامر لم تحترم . فقد أنشئت حارة المنتجبية جنوبى حارة السودان . ومقابل حارتى المصامدة والهلالية . ثم أنشئت حارة حلب جنوبى المنتجبية .

أما حارة حلب فموقعها كان جنوبى جامع قوصون (الذى حرفت العامة اسمه إلى قيسون) بشارع القلعة (محمد على) عند مدخل الحلمية الجديدة وقد ضاع جزء كبير من حارة حلب فى شارع محمد على عند فتحه فى عهد الخديوى اسماعيل .

حوض ابن هنس :

ثم استجد حى آخر بالقرب من حارة حلب عرف باسم حوض ابن هنس . لوجود حوض به بهذا الاسم لسقى الدواب . وينقل الماء إليه من بئر .

وقد أنشأ الحوض المذكور الأمير سعد الدين مسعود بن بدر الدين بن هنس . وكان مسعود أحد الحجاب فى عهد الصالح نجم الدين أيوب . وتوفى ودفن بجوار الحوض المذكور سنة ٦٤٧هـ .

وجده هنس كان أمير جاندار[1] للعزيز عثمان بن صلاح الدين توفى سنة ٥٩١هـ .

وتعطل هذا الحوض فأصلحه الأمير ططر سنة ٨٢١ فى سلطنة المؤيد شيخ . وططر هذا هو الذى تولى السلطنة فيما بعد باسم الظاهر ططر سنة ٨٢٤ . ومكث شهوراً فى الحكم ثم توفى مسموماً من زوجته .

ويوجد داخل عطفة مراد بك ـ وهى عطفة تصل بين شارعى القلعة وعلى باشا ابراهيم بحى الحلمية قبر تسميه العامة بالشيخ الأربعين . ويرجح على باشا مبارك أنه قبر ابن هنس المذكور .

وكان بحى الحلمية شارع اسمه شارع ابن هنس ثم عُدِّل اسمه إلى شارع أحمد باشا تيمور (١٨٧١ ـ ١٩٣٠م) تخليداً لذكراه ـ رحمه الله .

مصلى الأموات وجامع جانم وحى اليكنية :

وكان جنوبى حارة الهلالية مصلى الأموات . ثم زحفت عليه المبانى والمساكن . فأنشأ جانم جامعه المذكور على يسار الشارع بالنسبة للخارج من الباب الجديد . سنة ٨٨٣هـ .

وجانم المذكور هو ابن خالة يشبك بن مهدى الدوادار المنسوب إلى قبته اسم حى القبة بالقرب من المطرية . وسنتكلم عن حى القبة فى فصل آخر بإذن الله .

---

(١) ذكرنا فى مقدمة القسم الثانى معنى جاندار وأنه هو الذى يستأذن للامراء وغيرهم فى مجالس السلطان .

والحى خلف جامع جانم يعرف بحى اليكنية . نسبة إلى منزل أحمد باشا يكن كان هناك . وينتهى حى اليكنية إلى عطفة الدود لحمام هناك بهذا الاسم .

حمام الدود :

بشارع القلعة مقابل شارع على باشا ابراهيم بالحلمية تقريباً . نسبة إلى الأمير سيف الدين الدود كان جاشناكير[1] فى دولة المعز أيبك التركمانى (٦٤٨ - ٦٥٥) وخال المنصور بن المعز (٦٥٥ - ٦٥٧) . فلما خلع المظفر قطز المنصور قبض على الدود واعتقله سنة ٦٥٧هـ .

وهذا الحمام باق للآن للرجال والنساء .

الداودية والقربية :

وقد تردد ذكر حى القربية وحى الداودية . وذكرنا أن القربية من حقوق حارة السودان القديمة . وأن الداودية من حقوق حارة المنتجبية التى أنشئت جنوبى حارة السودان .

واسم القربية واضح أنه من صناعة وتجارة القرب وكانت بهذه الجهة المدابغ القديمة قبل نقلها إلى باب اللوق بالقرب من شارع شريف باشا الذى كان اسمه شارع المدابغ . ثم نقلت المدابغ إلى محلها الحالى بجوار حى المذبح والسلخانة .

وكان طبيعياً أن تكون صناعة القرب الجلدية بحى القربية بجوار المدابغ القديمة .

أما الداودية فأرجح أنها نسبة إلى داود باشا الوالى على مصر (٩٤٥ - ٩٥٦هـ)

داود باشا وشيخ الجامع الأزهر :

وداود باشا الوالى المذكور كان خصياً من عبيد السلطان العثمانى سليمان القانونى . وعين والياً على مصر فى المدة المذكورة . وتصدى له مرة الشيخ أحمد بن

---

(١) ذكرنا فى مقدمة القسم الثانى معنى الجاشناكير . وأنه من يتصدى لتذوق طعام وشراب السلطان قبله خوفاً من أن يكون مسموماً .

عبد الحق شيخ الأزهر . وقال له : أنت لا تصلح للحكم وأنت تحت الرق . وما دمت غير معتوق فالأحكام باطلة . فهمّ الوالى باعدامه . ولكن منعه الجند وتعصبوا للشيخ . وبلغ الأمر السلطنة . فأرسلت للوالى ورقة عتقه . مع الشكر لشيخ الإسلام . الذى لم تكن له مرتبات فى دفاتر الحكومة حينذاك والذى لم يقبل أى هبه أو هدية من الوالى . وفى خطاب السلطنة للوالى التشـــديد عليه بحسن السـير مع الرعية والاستعانة . بالعلماء فى الحكم حسب الشريعة الإســـلامية (تقويم النيـــل جـ ٢ ص ١٩)

ومن هذا الخبر يتبين أن منصب شيخ الجامع الأزهر أقدم مما ذكره الجبرتى فى تاريخه الذى بدأ سلسلة شيوخ الأزهر بالشيخ محمد عبد الله الخرشى المتوفى سنة ١١٠١هـ . وتوفى داود باشا بمصر ودفن عند مقام الإمام الليث بن سعد . ومن مآثره أنه عمر مقام السيدة زينب .

هذا وصف مجمل للأحياء من باب زويلة حتى تقاطع الشارع الأعظم مع شارع القلعة عند حى الحلمية . وتوجد بالشارع ومجاوراته زوايا وآثار أخرى ولكن اكتفينا بما ذكر لعدم الإطالة .

وقد ذكرنا أسماء الخيامية والمغربلين والسروجية فى أجزاء الشارع الأعظم وصناعة الخيم لاتزال باقية للآن فى مكانها العتيق . وتصنع بها خيام صواوين الأفراح والمآتم ولجان الأمتحانات العامة وغير ذلك . ولكن لا يوجد بالشارع هناك أثر لصناعة الغرابيل أو السروج .

والآن ننتقل إلى جزء آخر من الشارع الأعظم من تقاطعه مع شارع القلعة حتى تقاطعه مع شارع الصليبية . وما يجاوره من أحياء .

بركة الفيل :

بركة الفيل من أقدم البرك فى مصر منذ الفتح الأسلامى . والاسم ينسب إلى رجل اسمه الفيل أحد أصحاب أحمد بن طولون[1] (٢٥٤ - ٢٦٩هـ) ولا أدرى اسمها قبل ذلك .

---

(١) صبح الأعشى ج٣ ص٣٦٢.

وقال المقريزى[1] : هذه البركة فيا بين مصر (يعنى الفسطاط) والقاهرة وهى كبيرة جداً . ولم يكن فى القديم عليها بنيان . ولما وضع القائد جوهر مدينة القاهرة كانت تجاه القاهرة . ثم حدثت حارة السودان وغيرها خارج باب زويلة وكان ما بين حارة السودان وحارة اليانسية وبين بركة الفيل فضاء . ثم عمر الناس حول بركة الفيل بعد الستمائة . حتى صارت مساكنها أجل مساكن مصر كلها . اهـ .

وكانت بركة الفيل تغطى مساحة كبيرة هى بأسماء الوقت الحاضر من الشمال حتى حى الحبانية جنوبى باب الخلق . وبين الحبانية والبركة طريق لا يزال موجوداً للآن باسم سكة الحبانية . وشرقى البركة أحياء الحلمية الجديدة والسيوفية والحوض المرصود والصليبية . ومن الجنوب تصل قريباً إلى الجسر الأعظم المعروف الآن بشارع عبد المجيد اللبان (مراسينا سابقاً) وشارع الصليبية . الخ حتى الميدان تحت القلعة . ومن الغرب تصل البركة قريباً من مجرى الخليج المصرى أو شارع بورسعيد .

وبالرسم الكروكى بأول هذا الفصل محدد موقع البركة عند دخول الفرنسيين ومن وصف المقريزى للبركة أنها تجاه القاهرة وأن مابين البركة وحارة السودان كان فضاءً لابنيان فيه يعلم أن المبانى طغت على البركة وأن مساحتها تناقصت عن عهد المقريزى . وسنرى مثل هذا أيضاً فى الحد الجنوبى للبركة عند الكلام على قصر بكتمر الساقى .

وكان للنيل جسور تبعاً لنظام رى الحياض . ولا تقاء خطر الفيضان . وأهم هذه الجسور بالنسبة لمصر القاهرة ما كان يعرف بالجسر الأعظم . وكان يمر بموقع الجزء الشمالى من شارع السد البرانى وبموقع ميدان السيدة زينب وشارع عبد المجيد اللبان (مراسينا سابقاً) المبتدىء من شرقى ميدان السيـدة زينب وامتداده المسمى شارع الصليبية . الخ . حتى ميدان القلعة .

وقد أنشئت العسكر . وبعدها القطائع . جنوبى هذا الجسر .

الصليبية :

والصليبية تعبير هندسى قديم يطلق على تقاطع طريقين رئيسيين بشكل صليب

---

(١) خطط المقريزى ج٢ ص١٦١

تقريباً . وهنا يتقاطع الشارع الأعظم مع الجسر الأعظم .

بركة قارون :

وكان يقابل بركة الفيل جنوبي الجسر الأعظم بركة أخرى كبيرة كانت تسمى بركة قارون .

وكان بالطرف الشمالي لبركة قارون الكبش وجبل يشكر حيث أنشأ أحمد بن طولون جامعه والقطائع . ممتدة حتى تحت القلعة . وكان بطرفها الجنوبي العسكر التي أنشأها العباسيون بعد القضاء على بني أمية سنة ١٣٣هـ . وكانت على بركة قارون الدار التي أنشأها كافور الأخشيدي (٣٣٤ - ٣٥٦هـ) وعُرفت بدار الفيل .

وكانت بركة قارون كبيرة المساحة . ثم تضاءلت . وعند دخول الفرنسيين سنة ١٢١٣هـ (١٧٩٨م) كانت قد انقسمت إلى بركتين عرفت إحداهما ببركة طولون عند الجامع وموقع القطائع . وعرفت الأخرى ببركة الملاً . ثم عُرفت الأخيره في العصر الحديث ببركة البغالة جنوبي مسجد السيدة زينب .

وقد زالت آثار البركتين الآن وخطط مكانها شوارع ومساكن ولم تبق منهما غير الذكرى .

جبل يشكر . والقطائع . والعسكر :

وينسب اسم جبل يشكر إلى قبيلة بهذا الاسم من العرب عند الفتح . وقيل أنه مكان مشهور بإجابة الدعاء . ومكان مبارك . وأن موسى عليه السلام ناجى ربه عليه بكلمات . وقد سبق ذكر هذا في الفقرة السادسة من المقدمة الموضوعية .

وعلى جبل يشكر أنشا أحمد بن طولون (٢٥٤ - ٢٦٩هـ) جامعه .

وكان أحمد بن طولون واسع الثراء بالغ المنعة والقوة . فضاقت به العسكر التي أنشأها العباسيون . فأنشأ سنة ٢٥٦هـ القطائع شرقي وشمال العسكر .

والعسكر اسم للمكان الذي نزلت فيه جيوش - أي عسكر - العباسيين في مطاردتهم لمروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين . وأصبحت ضاحية للفسطاط شمالاً منها وامتداداً لها . كما أن القطائع امتداد للعسكر .

والقطائع كما ذكر المقريزى زالت آثارها ولم يبق لها رسم يعرف (يعنى تخطيطها) وكان موضعها من قبة الهواء (التى صار مكانها القلعة) إلى جامع أحمد بن طولون . وهذا أشبه أن يكون طول القطائع . أما عرضها فإنه من أول الرميلة (يعنى المنشية تحت القلعة) إلى الموضع الذى يعرف اليوم (أى وقت المقريزى) بالأرض الصفراء عند مشهد الرأس الذى يقال له زين العابدين . وكانت مساحة القطائع ميلاً فى ميل . اهـ .

فكأن مساحة القطائع كانت أكثر من ٨٠٠ ثمانمائة فدان[١] أى ما يقرب من ضعف مساحة القاهرة الفاطمية .

وكان شرقى جامع ابن طولون الميدان . ثم شرقاً من الميدان يقع القصر سكن الحاكم ومكانه الآن حوالى الميدان تحت القلعة . أما دارا الإمارة بالقطائع فقد كانت جنوبى الجامع .

منظرة الكبش . جبل يشكر :

وبجوار جبل يشكر كان هناك مرتفع آخر أطلق عليه اسم الكبش وقد أنشأ الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧ - ٦٤٧هـ) على هذا المرتفع المنظرة بهذا الاسم .

وكانت المنظرة تشرف على النيل وجزيرة الروضة وليس بينها وبينها بنيان . والمنظرة عبارة عن قصر صغير . وكانت تعد من متنزهات الدنيا .

ونزل بها الحاكم بأمر الله العباسى . عندما نقل الظاهر بيبرس سنة ٦٦٠هـ الخلافة العباسية إلى القاهرة . بعد أن قوضها التتار فى بغداد سنة ٦٥٦هـ . كما نزل بها ابنه المستكفى بالله فترة قبل أن ينتقل إلى القلعة .

واستعملت داراً للضيافة . وكان ينزل بها ملوك حماة عندما يقدمون ضيوفاً على سلاطين مصر . ثم هدمها الناصر محمد بن قلاوون وأنشأها إنشاءاً آخر وتأنق فى إنشائها . حيث كان بها زفاف إحدى بناته . وقد أسهب المقريزى[٢] فى وصف جهاز

---

(١) الميل العربى . المعروف بالميل الهاشمى . يساوى ١٨٤٨ مترا . (راجع بحثاً للمؤلف عنوانه - الذراع وحده قياس من ٥٠٠٠ سنة - نشر بمجلة الأزهر فى ذى الحجة سنة ١٣٩٣ (يناير سنة ١٩٧٤)
(٢) الخطط جـ٢ ص١٣٤

هذه الأميرة . وما صرف فى حفلات زفافها التى استمرت ثلاثة أيام تحييها فرق الأغانى والموسيقى . وخلع فيها الناصر على أمراء وكبراء الدولة وأهدى للجميع الهدايا الثمينة . . الخ

ثم أهمل شأن المنظرة حتى تخربت . وتحولت المنطقة إلى كيمان وتلال . وقد بدأت يد التعمير أخيراً لهذه المنطقة . ولكن لاتزال بها بعض آثار الخراب القديم

بستان الحبانية :

ونعود إلى بركة الفيل فتقول أنه كان شمالاً منها بستان عرف باسم الحبانية يمتد شمالاً إلى درب الفواخير وحى المدابغ القديمة جنوبى باب الخلق .

وذكر المقريزى فى الخطط عند الكلام على حارة العيدانية أنها كانت تعرف أولاً بحارة البديعيين . ثم قيل لها الحبانية . وقال فى موضوع آخر أن الحبانية نسبة لاحدى قبائل العرب . وهى بطن من درما . ودرما فخذمن طيىء[1] وقال فى الخطط عند الكلام على حارة الحمزيين أنها كانت تعرف أولاً بالحبانية .

وذكر أن الحمزيين إما نسبة إلى حمزة بن أدركة الذى خرج بخراسان ثائراً على هارون الرشيد . وعاث فساداً ثم غرق فى نهر كرمان . وعُرفت جماعته بالحمزيين . وإما نسبة إلى حمزى إحدى قرى أفريقية حيث بها جماعة منها . ولم يذكر أصلى اسم البديعيين أو العيدانية .

ويفهم من هذا أن البديعيين ثم العيدانية ثم الحبانية ثم الحمزيين . جميعاً أسماء لمسمى واحد . هو هذا الحى المحدود جنوباً بالطريق بينه وبين بركة الفيل والمعروف للآن بسكة الحبانية . وغرباً بالخليج المصرى (شارع بورسعيد) وشمالاً حى المدابغ القديمة . وشرقاً حارة حلب القديمة .

وقد قطع حى الحبانية شارع القلعة (محمد على سابقاً) عند انشائه .

وبعض هذه الأسماء لايزال موجود اللآن . فالحبانية اسم يطلق على الجزء الواقع غربى شارع القلعة وبه حارة البديعيين . أما الحمزيين فاسم حارة فى الجانب الشرقى من شارع القلعة مقابل حى الحبانية .

---

(١) الإعراب عما فى أرض مصر من الأعراب للمقريزى .

بستان سيف الأسلام وخط ابن البابا :

وكان شرقى وجنوب شرقى بركة الفيل البستان الذى عرف أولاً ببستان الطائى . ثم عرف ببستان تامش . ثم عرف ببستان سيف الأسلام .

وسيف الأسلام هو هفتكين بن نجم الدين أيوب بن شادى . أى أخو صلاح الدين . أرسله أخوه إلى اليمن سنة ٥٧٧ فتملكها وأنشأ بها مدينة المنصورة . وتوفى بها سنة ٥٩٣هـ .

وكان البستان يصل شرقاً إلى قريب من الشارع الأعظم المعروف فى هذا الجزء بشارع السيوفية . وجنوباً إلى الجسر الأعظم المعروف فى هذا الجزء بشارع الصلبية .

ثم حكّر أرض البستان الأمير علم الدين سنجر الغتمى فى عهد الناصر محمد بن قلاوون . وقد كان نائباً بالرحبة سنة ٧٠٢هـ . والغتمة فى اللغة العجمة . والغتمى من لا يفصح شيئاً .

ثم عرف المكان بخط ابن البابا . نسبة إلى الأمير جنكل بن محمد بن البابا العجلى وقد كان رأس الميمنة وكبير الأمراء فى دولة الناصر محمد بن قلاوون . قدم مصر سنة ٧٠٤هـ وكان الناصر يجله ويحترمه . وتزوج إبراهيم بن الناصر ابنة جنكل . ومازال جنكل معظماً فى كل دولة حتى أن الصالح عماد الدين اسماعيل (٧٤٣ - ٧٤٦) كتب له : الأتابكى الوالدى البدرى[1] . وزادت وجاهته إلى أن توفى فى ١٧ ذى الحجة سنة ٧٤٦هـ .

وكان ابن البابا مليح الشكل . حليم الطبع . عفيفاً لا يستخدم مملوكاً أمرد البتة . واقتصر من النساء على زوجته التى قدمت معه . ومنها أولاده . وكان يحب العلم وأهله . ويطارح بمسائل علمية كثيرة . مع كثرة الأحسان بماله وجاهه . وقال المقريزى : وهو من محاسن الدولة التركية .

ومحل خط ابن البابا الجزء الشرقى من بركة الفيل بحى الصليبة والحوض

---

(١) الوالدى يعنى أنه بمقام الوالد . والبدرى نسبة إلى لقبه بدر الدين . والأتابكى نسبة إلى وظيفة الأتابك أى كبير الأمراء . وقد ذكره المقريزى أيضاً باسم جنغل (بالغين) . كما أن أبا الفدا ذكره فى المختصر باسم حسنكل .

المرصود . وبالأخير للآن اسم عطفة حمام البابا .

درب الخازن :

وكان جنوبي بركة الفيل إسطبل لخيول المماليك السلطانية . فلما تولى السلطنة العادل كتبغا (٦٩٤ - ٦٩٦ هـ) . خاف على نفسه الخروج إلى الميدان الظاهرى (بموقع ميدان التحرير والجزء الشمالى من جاردن سيتى) . أخرج الخيول . وأنشأ هناك ميداناً للعب الأكرة وألعاب الرماية والفروسية . ويشرف على بركة الفيل . ليكون قريباً من القلعة فى خروجه وعودته .

ثم أهمل الميدان في أيام خلفه السلطان لاجين (٦٩٦ - ٦٩٨) . ثم عمر هناك الأمير علم الدين سنجر الخازن والى القاهرة بيتاً . وتبعه الناس فى البناء فعرف بحكر الخازن . وأنشئت فيه الدور الجليلة فصار من أجل الأخطاط وأعمرها . وأكثر من يسكنه الأمراء والمماليك . وقال المقريزى أن حكر الخازن فيما بين بركة الفيل وخط الجامع الطولونى . ويفهم من هذا أنه جنوبي بركة الفيل بالقرب من الجسر الأعظم .

وعلم الدين سنجر كان من مماليك المنصور قلاوون . وصار خازنا في أيام ابنه الأشرف خليل . ثم ولى شد الدواوين . ثم ولاية القاهرة وشد الجهات . فباشر ذلك بعقل وسياسة وحسن خلق وقلة ظلم . ثم صرفه الناصر محمد بن قلاوون بالأمير قدادار[١] . وتوفى سنجر سنة ٧٣٥ عن تسعين سنة . وعن أموال كثيرة .

وله من الآثار مسجد بناه فوق درب الخازن . وخانقاه بالقرافة[٢] . ولم يذكر المقريزى ولا على مبارك المسجد المذكور . والأرجح أنه قد اندثر .

والآن بحى الحلمية الجديدة شارع كان اسمه شارع سنجر الخازن . ثم عدل إلى اسم شارع السيد البيلاوى نقيب الأشراف سابقاً لسكنه فى تلك الجهة .

---

(١) قدادار تنسب إليه القنطرة على الخليج الناصرى بجهة قصر النيل . ويوجد الآن شارع هناك باسم قدادار بالقرب من الجامعة الأميريكية . خلف محل استرا . وكانت القنطرة المذكورة فى تلك الجهة . وكان قدادار ظالماً غشوماً وجد الناس اثناء ولايته شدة وعسفا .

(٢) الخانقاه أو الخانكاه والجمع خوانك أو خوانق حدثت في الأسلام فى حدود الأربعمائة من سنى الهجرة . وجعلت لخلوة الصوفية فيها للعبادة وهى التى عرفت أخيراً باسم التكايا جمع تكية .

والشارع المذكور بين شارع مصطفى سرى وميدان مصطفى فاضل عند امتداد شارع مجلس الشعب .

ونلاحظ أن موقع هذا الشارع بعيد عن الموقع الذى حدده المقريزى لحكر الخازن .

قصر بكتمر الساقى :

وتكلم المقريزى عن الميدان الذى أنشأه العادل كتبغا فقال : وما برح هذا الميدان باقياً حتى انشأ الناصر بن قلاوون قصراً للأمير بكتمر الساقى على بركة الفيل . فأدخل فيه جميع أرض هذا الميدان . وهو باقى إلى وقتنا هذا (المقريزى توفى سنه ٨٤٥هـ) كما أدخل فيه جزءاً من بركة الفيل . وصرف عليه أموالاً ضخمة . وأسكن فيه بكتمر الساقى المذكور .

وتزوج أنوك بن الناصر بابنة بكتمر سنة ٧٣٢هـ . فجهزها بكتمر بجهاز يفوق الوصف . قيل قد حمله ثماثمائة حمال للفضيات والنحاس المكفت والصينى والزجاج المذهب وغير ذلك فضلاً عن ٩٩ تسعة وتسعين بغلاً حملت تتمة العدة من الفرش والألحفة والأبسطة وصناديق المصاغ الذى بلغ ثمانين قنطاراً من الذهب !! .

وقال ابن إياس فى بدائع الزهور أنه كان بقصر بكتمر المذكور مائة سائس . كل سائس على ستة خيول . بخلاف ما كان له بالحارات الأخرى .

وكان بكتمر متزوجاً بأخت الناصر . ورزق منها ولداً اسمه أحمد . ثم حجَّ بكتمر وابنه المذكور مع الناصر . وتوفيا فى طريق العودة من الحج سنة ٧٣٣هـ . قبل أن الناصر سمهما عندما شعر بأن بكتمر يتآمر على خلعه ليحل مكانه[1] .

وظل هذا القصر من أعظم مساكن القاهرة وأجلها قدراً وأحسنها بنياناً . ولا ينزله إلا الأمراء حتى سنة ٨١٧ . وكان السلطان المؤيد مشغولاً بفتنة الأمير نوروز فى الشام . فأخذ حفيد بكتمر الرخام والشبابيك وباعها . وعمل بلاطا بدل الرخام وشبابيك من الخشب بدلاً من الحديد . وهكذا كان فى عهد المقريزى .

---

(١) هذا الخبر نقلا عن ابن إياس وفيه بعض الاضطراب .

وقال على مبارك : وبقى كذلك إلى أن تخرب وبنى محله الأمير صالح بك القاسمى مملوك مصطفى بك القرد داره المواجهة للكبش سنة ١١٧٢ . وسكنها حتى قتل سنة ١١٨٢هـ .

ثم صارت الدار تتقلب مع الزمان إلى أن جعلت فى عهد محمد على ورشة للأسلحة وغيرها مثل الكلل والكبسون المصنوع من المواد الكيماوية ذات الرائحة الكريهة المضرة بالسكان حولها . وطالب على مبارك الحكومة بمنع هذا من داخل البلد .

وقد تحقق هذا وتعطلت هذه الورشة كما تعطل غيرها بعد محمد على فى عهد عباس حلمى الأول . وإن كان هذا التعطل لأسباب أخرى . ويبدو أن هذه الورشة أعيدت لعملها ثانية . حتى تعطلت بعد زمن على باشا مبارك .

ويغلب أن هذه الورشة كانت محل مستشفى الأمراض التناسلية الآن . وفى هذه المستشفى كان يكشف أسبوعياً على البغايا عندما كُنَّ يزاولن مهنة الدعارة بتصريح من الحكومة . وذلك وقاية لمن يغشاهن . وكان التصريح الرسمى بالدعارة سبة فى جبين أى بلد إسلامى . ونحمد الله أن ألغى الآن هذا التصريح . وانتهت الدعارة من الوجهة الرسمية على الأقل .

دار أرغون الكاملى :

وكانت هناك أيضا دار أنشأها الأمير أرغون الكاملى سنة ٧٤٧ . وأدخل فيها من بركة الفيل عشرين ذراعا .

وهو الأمير سيف الدين أرغون تبناًه الصالح اسماعيل بن الناصر محمد وزوجه أخته لأمه بنت الأمير أرغون العلانى سنة ٧٤٥ هـ .

وكان يلقب بالصغير تميزا له عن حميه أرغون العلائى . فنهى الكامل شعبان ابن الناصر أن يدعى بالصغير .

ثم عينه الناصر حسن بن الناصر محمد بن قلاوون فى سلطنته الأولى نائبا لحلب . ثم نائبا لدمشق سنة ٧٥٢ فى عهد الصالح صالح بن الناصر محمد .

وفى سلطنة الناصر حسن الثانية استدعاه لمصر واعتقله فى الأسكندرية . ثم

نفاه إلى القدس حيث بقى هناك إلى أن توفى سنة ٧٥٨ هـ[١] .

وقال على مبارك أن هذه الدار مقابل جامع سنجر الجاولى ومحلها الحوش المعروف بحوش ابراهيم جركس وما جاوره حتى الحوض المرصود .

الحوض المرصود :

والحوض المرصود الذى عرف الحى به كان حوضا من الصوان الأسود فى فجوة على قدره . وكان معدا للشرب . فلما دخل الفرنسيون مصر (١٢١٣ ـ ١٢١٦ هـ = ١٧٩٨ ـ ١٨٠١ م) أخرجوه من موضعه وأرسلوه إلى باريس واستولى عليه الأنجليز فى الطريق وهو الآن فى متحف لندن .

ومن وصف الفرنسيين له أن طوله ٢٧٠ سم وعرضه الأمامى ١٣٨سمتر والخلفى ١٧٨سمتر وارتفاعه ١٩٢سمتر . وعلى أسطحه كتابة من الداخل والخارج . وكان موقعه بشارع محمد باشا قدرى مقابل مستشفى الأمراض التناسلية .

وذكر الجبرتى فى حوادث سنة ١٢٠١هـ أن الباشا (حسن باشا القبطان)[٢] طلب حوضا لعمله حنفية . فأخبره الحاضرون . وعرفوه بالحوض تحت الكبش المعروف بالحوض المرصود . فأمر بإحضاره . فأرسلوا إليه الرجال والحمالين وأرادوا رفعه من مكانه . فازدحمت عليه الناس من الرجال والنساء لما تسامعوا بذلك . لينظروا ما شاع وثبت فى أذهانهم أن تحته كنزا . وهو مرصود على شىء من العجائب . ونحو ذلك . وأن الباشا يريد الكشف عن أمره . فلما حصل ذلك الازدحام ووجده الحمالون ثقيلا جداً . وهم لا يعرفون صناعة جر الأثقال . وحركوه من مكانه يسيرا . وبلغ الباشا من ازدحام العامة . أمر بتركه فتركوه ومضوا . فذهب العامة فى أكاذيبهم كل مذهب فمنهم من يقول أنهم لما حركوه وأرادوا جزه رجع بنفسه ثانيا . ومنهم من يقول بغير ذلك من السخافات . اهـ .

---

(١) راجع الجدول الرابع عشر بالقسم الثالث .

(٢) لم يكن واليا على مصر بل كان موفدا من تركيا لقمع ما كان فى مصر من فتن وخلافات بين المماليك . ومر ذكره فى الفصل الخاص بالقصر العينى .

شارع محمد باشا قدرى :

يصل ما بين شارعى الصليبية وبور سعيد (الخليج المصرى) . وهو شارع فُتح حديثا . ولو أن التفكير فيه قديم . فقد أوحى على باشا مبارك فى خططه بفكرة قريبة من تخطيطه لتحسين المواصلات والمناخ الصحى بالمنطقة .

ومحمد باشا قدرى الذى تسمى الشارع به تخليدا لاسمه . كان من أعلام مصر الحديثة ورواد نهضتها . ومن رجال القانون البارزين . ولد بملوى حوالى سنة ١٨٢١م من أم مصرية وأب أناضولى اسمه قدرى أغا . وتخرج من مدرسة الألسن . ثم عين مترجما مساعدا بها . ثم مترجما بنظارة المالية . ثم ذهب مع شريف باشا إلى الشام حين عين واليا هناك . ثم اختاره الخديوى اسماعيل مربيا لولى عهده . ثم عين بالمعية . فالمعارف . فمجلس التجار بالأسكندرية . فرئيسا لقلم الترجمة بنظارة الخارجية .

ثم عين مستشارا بمحكمة الاستئناف المختلطة . ثم ناظرا للحقانية (العدل) فى أول عهد الخديوى توفيق . ثم ناظرا للمعارف (التربية والتعليم والتعليم العالى) . ثم ثانية ناظرا للحقانية .

وفى عهده صدرت لائحة ترتيب المحاكم الأهلية . كما أنه شارك فى وضع القوانين للمحاكم الأهلية التى أريد إنشاؤ ها . بعد أن سبقتها حركة تعريب للقوانين الفرنسية .

ثم أحيل للمعاش . وصدرت القوانين التى شارك فى وضعها (القانون المدنى والقانون التجارى وقانون تحقيق الجنايات)

وتوفى فى ٢٠/١١/١٨٨٦ . وكان قد كف بصره .

وله عدة مؤلفات فى قواعد اللغتين العربية والفرنسية والجغرافيا وغيرها . ولكن أهم مؤلفاته التى خلدت اسمه هى الكتب الثلاثة الآتية :

١ ـ مرشد الحيران إلى معرفة أحوال الأنسان فى المعاملات الشرعية على مذهب الأمام الأعظم أبى حنيفة النعمان .

٢ ـ الأحكام الشرعية فى الأحوال الشخصية

٣ ـ قانون العدل والأنصاف للقضاء على مشكلات الأوقاف

وجميعها طبعت بعد وفاته . وكانت مراجع هامة لكافة رجال القانون (١)

درب الجماميز . وجامع بشتاك (جامع مصطفى فاضل) :

أما الجانب الغربي من بركة الفيل فقد كان ما بين البركة والشارع الذى استجد شرقى الخليج المصرى قليل عرض . وهذا الشارع فى هذا الجزء كان اسمه شارع درب الجماميز وشارع اللبودية .وقد أصبحا ضمن عرض شارع بور سعيد الحالي(٢)؟

وكانت أولا هناك البساتين ثم أنشئت المبانى فأنشأ الأمير بشتاك جامعا . وخانقاه مقابله سنة ٧٣٦ هـ . أما الجامع فهو المعروف الآن بجامع مصطفى فاضل . وهو أخو الخديوى إسماعيل . وكان الجامع تخرب فجددته والدته سنة ١٢٧٩هـ وجعلت مكان الخانقاه سبيلا ومكتبا لتعليم الأولاد .

وكان الأمير بشتاك والأمير قوصون من أمراء الدولة فى عهد الناصر محمد بن قلاوون . وكان بينهما تنافس . وبنى بشتاك قصرا عظيما بالشارع الأعظم . واشترى قوصون قصر بيسرى المقابل له . بالجزء المعروف ببين القصرين . واعتقد الناس أن اسم بين القصرين راجع إلى قصرى بشتاك وقوصون . ولكن الاسم أقدم من هذا . فهو يرجع إلى القصر الشرقى الكبير والغربى الصغير من قصور الفاطميين . ولكن المصادفة هى التى جعلت قصرين محل قصرين مع الفارق بينهما .

وكان هذا الحى الذى به جامع بشتاك ـ أو جامع مصطفى فاضل الآن ـ يسكنه جماعة من الافرنج والنصارى ويرتكبون فيه مالا يليق بالمسلمين . فلما أنشىء هذا الجامع . وأعلن فيه بالآذان وإقامة الصلوات . تحولوا عنه إلى الجانب الغربى من الخليج . ويوجد الآن فى الجانب الغربى للخليج شارعان متوازيان تقريباً مع الخليج اسمهما . شارع الخمارة وشارع النصارى

---

(١) مختصر ترجمة مطولة له من تراجم مصرية وعربية للمرحوم الدكتور محمد حسين هيكل باشا ص ١٠١ وما بعدها . ولو أننا نلاحظ بعض التناقض بين تاريخ ميلاده وولاية شريف باشا للشام . فقد نشر الأمر بتعيين شريف (بك) لولاية الشام بالوقائع الرسمية فى العدد ٥٥٥ فى ٢٥ جمادى الآخر سنة ١٢٤٨هـ (١٨٣٢م) . وانسحب الجيش المصرى من الشام فى أواخر سنة ١٨٤٠ م

(٢) لا تزال بقية من شارع اللبودية بالقرب من ميدان السيدة زينب .

والحى محل الجامع كان يعرف بخط الكرماني وهو الأمير طقزدمر الحلبى الكرمانى نائب السلطنة بمصر وتوفى سنة ٧٤٦ . وهو بانى القنطرة على الخليج التى غلب عليها اسم قنطرة درب الجماميز لوجود أشجار عظيمة من الجميز كانت هناك وعرفت بجماميز السعدية[١] .

سراى درب الجماميز :

ويجوار جامع بشتاك المذكور أنشأ يوسف بك الجزار أحد أمراء المماليك القاسمية دارا لسكناه . وتوفى يوسف بك سنة ١١٣٤هـ . فسكن هذه الدار إسماعيل بك إيواظ بعد أن جددها وظل بها حتى قتل سنة ١١٣٦هـ . ثم تخربت الدار وتحولت إلى حيشان ومساكن للفقراء فاشتراها سامى باشا الميرلى وأنشأ فيها دارا كبيرة . وبعد وفاته اشتراها مصطفى فاضل وبناها بناءً جديدا . . الخ ما سبق ذكره عن هذه الدار بالفصل الرابع من القسم الاول .

حارة السادات :

وهى من الحارات القديمة جنوبى سراى درب الجماميز وتصل ما بين شارع درب الجماميز وحى الحلمية الجديدة . وكانت برسمها الحاضر تقريبا عند دخول الفرنسيين .

وتنسب إلى السادات الوفائية وقد تولى الكثيرون منهم نقابة الأشراف . ومنهم الشيخ أبو الأنوار شمس الدين محمد السادات . الخليفة العشرون منهم . الذى كان عند دخول الفرنسيين . وكان له دور بارز فى مقاومتهم . وقد اعتقله الفرنسيون وأهانوه . وقال نابليون فى مذكراته أنه يرى أن من أسباب قتل كليبر إثارته للنفوس بإهانة هذا الشيخ المبجل من الشعب .

وتوفى الشيخ شمس الدين محمد السادات سنة ١٢٢٨هـ سنة (١٨١٣م) فى عهد محمد على .

---

(١) سبق ذكر قنطرة درب الجماميز وحارق الخمارة والنصارى وقصرى بشتاك وقوصون فى الفصل الرابع من القسم الأول . ورأينا تلخيص ما سبق ذكره للتذكير وترابط الموضوع

والمذكور ليس من أسرة السادات عصبا . بل هو سبط السادات . حيث كانت قد انقطعت الذرية الذكور من بنى السادات . فعُين فى مشيخة الطريقة من أولاد الأناث . فعين السبط شهاب الدين أبو الأمداد أحمد بن إسماعيل المتوفى سنة ١١٨٢هـ . وأمه السيدة أم المفاخر بنت السادات . وتعين بعده الشيخ شمس الدين أبو الأنوار محمد المذكور بن الخواجة عبد الرحمن الشهير بعارفين وأمه السيدة صفية بنت السادات . وقد أخذ الطريق عن خاله أبى الإشراق محمد المتوفى سنة ١١٧١ هـ .

ومحل جنينة دار السادات الآن المدرسة الحلمية الثانوية للبنات . والشارع أمامها اسمه شارع الوفائية .

وللسادات الوفائية مسجد بجبل المقطم شرقى مقام الإمام الشافعى بحوالى كيلو متر ونصف . وكانت بجواره تكية . والجبانة هناك اسمها جبانة سيدى على بن وفا

والسيد على المذكور ولد سنة ٧٦١ هـ وتوفى سنة ٨٠٧ . وهو ابن محمد بن محمد النجم الإسكندرى . الذى يقال أن أصل أبيه من صفاقس بالمغرب . وقد ولد فى الإسكندرية سنة ٧٠٢ هـ . وكان يلقب بوفا . وهو أصل الوفائية . وينتهى نسبه إلى الإمام الحسن بن على بن أبى طالب .

قنطرة آق سنقر :

قد مر ذكرها فى الفصل الخامس من القسم الأول بين القناطر والمناظر على الخليج وكذا ترجمة آق سنقر .

الحلمية الجديدة :

وفى الجانب الشمالى الشرقى من بركة الفيل حى الحلمية الجديدة .

وكان نتيجة لانتقال مركز الحكم من القاهرة الفاطمية إلى القلعة فى عهد الكامل الأيوبى (ابن أخى صلاح الدين) بعد الستمائة من سنى الهجرة أن عمرت شواطىء بركة الفيل بدور الأمراء والعظماء كما نلاحظ مما سبق فى هذا الفصل .

وكان شرقى بركة الفيل بيوت كثير من امراء المماليك البكوات عند دخول الفرنسيين .

وكسنة الحياة يرث اللاحقون السابقين . فورثت أسرة محمد على أملاك هؤلاء الأمراء . وبنى هناك عباس حلمى الأول بن طوسون بن محمد على قصراً عرف بقصر الحلمية . وعرفت الجهة هناك باسم الحلمية .

وآل القصر وحديقته الواسعة إلى حفيدته السيدة أمينة إلهامى بنت إلهامى باشا بن عباس حلمى الأول . وهى زوجة الخديوى توفيق ووالدة الخديوى عباس حلمى الثانى . والتى عرفت بأم المحسنين .

وفى الحلمية شارع كان اسمه شارع الهامى باشا . وكانت به المدرسة الإلهامية . وأصبح اسم الشارع الآن شارع جامع ألماس المقابل له .

وفى أوائل القرن الحالى هدم القصر . وخططت حدائقه إلى شوارع وقطع بيعت للمبانى . وعرفت هذا التخطيط الجديد باسم الحلمية الجديدة .

وأطلقت البلدية على كثير من هذه الشوارع الاسماء التاريخية لأصحاب الدور القديمة وللآثار الهامة . حسب مواقعها بقدر الإمكان قبل إنشاء سراى الحلمية .

ونحن نمر سريعا على بعض هذه الاسماء مجملين نبذا من تاريخها . مع ملاحظة أن كثيرا من الأمراء المماليك كانت للواحد منهم أكثر من دار فى أنحاء المدينة نظرا لتعدد الزوجات والمحظيات وغير هذا من الأسباب .

شارع ابراهيم بك الكبير . وبيته :

وهو شارع متفرع من سكة عبد الرحمن بك عند التقائها بشارع احمد عمر

وابراهيم بك كان أصلا من مماليك محمد بك أبى الذهب . تولى السلطة مع خشداشه [1] مراد بك بعد وفاة أستاذهما سنة ١١٨٩ هـ (١٧٧٥)

وطالت أيامه . وتولى قائمقامية ولاية مصر نحو العشر مرات . وطلع أميرا للحج وكان يلقب بشيخ البلد . وهو أكبر المناصب بعد الوالى العثمانى . وكان موصوفا بالشجاعة والفروسية ساكن الجأش صبورا ذا تؤدة وحلم .

---

(١) خشداشه أى زميله فى الرق وتربيا معا عندما كان مملوكين لأستاذ أى مالك واحد

وقاوم الفرنسيين فى دخولهم سنة ١٢١٣هـ (١٧٠٨م) . ولما تولى محمد على الحكم وقضى على المماليك انتقل مع جانب من زملائه المماليك إلى السودان يزرعون الدخن ويتقوتون به . وملابسهم القمصان التى تلبسها الجلابة فى بلادهم . وبقى كذلك إلى أن وردت الأخبار بوفاته فى ربيع الأول سنة ١٢٣١هـ (١٨١٦م) .

وكان بيته كما هو موضح بخريطة الفرنسيين للقاهرة . قبل تقاطع شارع احمد عمر (المدارس سابقا) مع سكة عبد الرحمن بك التى تبدأ من شارع على باشا ابراهيم .

وكان بيت بنته المسماه هانم فى حارة السادات السابق ذكرها .

وكان بجوار بيت هانم المذكورة بيت الست سلن محظية رضوان كتخدا الألفى السابق ذكره فى الظلام عن الأزبكية . وبعد وفاة رضوان كتخدا . تزوجت سلن على بك الغزاوى . ثم أخاه إسماعيل بك . الذى كان متزوجا أيضا بفاطمة بنت رضوان كتخدا

بيت مرزوق بك بن ابراهيم بك :

وكان بجوار بيت ابراهيم بك بيت ابنه مرزوق بك . وأصله بيت عبد الرحمن بك الآتى ذكره . وقد قتل مرزوق بك فى القلعة فى موقعة المماليك سنة ١٢٢٦هـ (١٨١١م) .

وبالحلمية حارة باسم مرزوق بك مقابل شارع الأمير يوسف . متجهة شرقا نحو شارع القلعة ولكنها مسدودة لا تصل إليه . وهى بعيدة عن موقع بيته المذكور .

بيت مراد بك :

وعند تقاطع شارع على باشا ابراهيم مع شارع مهذب الدين الحكيم كان بيت مراد بك .

وهو من مماليك محمد بك أبى الذهب . وخشداش ابراهيم بك الكبير السابق ذكره . ترقى حتى أصبح هو وابراهيم بك بيدهما الحل والعقد عند دخول الفرنسيين . وانهزم أمامهم فى موقعة إنبابة المشهورة . وانحاز إلى الصعيد . ثم هادنهم . ومات بالطاعون فى سوهاج سنة ١٢١٥هـ . ودفن بها . وبنت له زوجته الست نفيسة المرادية المشهورة قبرا بالقرافة بقرب ضريح الأمام الشافعى ولكن لم تنقله إليه .

وقد ذكرنا فى أوائل هذا الفصل حارة مراد بك تصل بين شارعى القلعة وعلى باشا ابراهيم وأن بها قبرا ابن هنس . الذى كان على اسمه شارع ابن هنس وأصبح الآن اسمه شارع أحمد باشا تيمور .

بيت عبد الرحمن بك :

وكان بالقرب من بيت ابراهيم بك بيت عبد الرحمن بك عثمان مملوك عثمان بك الجرجاوى الذى قتل فى واقعة قرا ميدان فى ولاية حمزة باشا (١١٧٨ - ١١٨١هـ) وكان قد تقلد الصنجقية[1] بعد أستاذه عثمان بك . وكان محمد بك أبو الذهب يجله ويحترمه . كان يميل بطبيعته للعلوم والمعارف . ويجيد لعب الشطرنج . ومن مآثرة تعمير جامع أبي هريرة بالجيزة . وبنى بجانبه قصرا سنة ١١٨٨هـ . وتوفى بمنزله ودفن عند أستاذه سنة ١٢٠٥هـ (١٧٩٠م) بالقرافة .

ومات على أثره ولده حسن بك .

وبعد وفاة عبد الرحمن بك وابنه حسن سكن فى بيتهما مرزوق بك بن ابراهيم بك كما ذُكر .

وسكة عبد الرحمن بك الآن بالحلمية تبدأ من شارع على باشا ابراهيم وتتجه للشمال الغربى قاطعة شارع احمد بك عمر حتى بعد آخر موقع بركة الفيل السابق . وتتفرع منها سكة الشابورى بالحد الشمالى لبركة الفيل .

بيت سليمان بك الشابورى :

أصله من مماليك سليمان جاويش القازدوغلى . تقلد الأمارة أى الصنجقية سنة ١١٦٩ (١٧٥٥م) . وقلده على بك الكبير إمارة العسكر إمدادا للدولة العلية (تركيا) سنة ١١٨٣هـ . ورجع بعد مدة . وانضم إلى مراد بك . وكان رجلا سليم الطوية لا بأس به توفى بالطاعون سنة ١٢٠٥هـ (١٧٩٠م)

وقد أدخلت جميع البيوت المذكورة فى سراى الحلمية .

---

(١) الصنجقية الإمارة . والصنجق أمير من أمراء المماليك . ويحمل رتبة البكوية . وكان عدد الصناجق عادة ٢٤ صنجقا . وذلك منذ الفتح العثمانى . وكان هذا العدد أيضا للأمراء امراء المائة مقدم ألف فى دولتى السلاطين المماليك . وقد أبقى السلطان سليم هذا الامتياز للمماليك

جامع الماس الحاجب

بشارع الحلمية . وعلى حارة ألماس أنشأه الأمير سيف الدين ألماس الحاجب أحد مماليك الناصر محمد بن قلاوون . وتمّ الجامع سنة ٧٣٠هـ .

وكان ألماس محل ثقة الناصر . فعند خروج الناصر للحج سنة ٧٣٢ أبقاه مع ثلاثة من الامراء فقط بالقاهرة (هم أقبغا عبد الواحد وجمال الدين أقوش وطشتمر حمص أخضر) . أما باقى الامراء فقد أخذ بعضهم معه إلى الحج . وأمر الباقين بالاستقرار فى اقطاعاتهم لا يدخلون القاهرة حتى يحضر من الحجاز .

وكثر مال ألماس . وساءت سيرته . حتى أنه هوى شابا فى حى الحسينية يعرف بعمير . فتغير عليه السلطان بسبب ذلك . ويقال أنه وجد منه مكاتبة إلى بكتمر الساقى : إننى حافظ القلعة إلى أن يرد منك ما أعتمده .

وقد ذكرنا وفاة بكتمر وابنه أحمد مسمومين فى عودتهما من الحج مع الناصر .

فأمر السلطان بالقبض على ألماس . والحوطة على أمواله . وقد وُجد منها الشىء الكثير . وأقام ألماس عند أقبغا عبد الواحد . ثم قتل خنقا سنة ٧٣٤هـ . وحمل إلى جامعه فدفن به .

وكان أسمر طوالا غتميا لا يفهم شيئا بالعربى . وأُخذ جميع ما فى داره حتى الرخام . وكان من أفخر الأنواع . وكانت داره بجوار جامعه المذكور .

وكان يقابل جامع ألماس ميدان وباب سراى الحلمية .

جامع الغرُيِّب :

وقُبض مع ألماس على أخيه مغلطاى الفخرى . وقُتل معه . وهو منشىء الجامع الذى ذكره المقريزى باسم جامع البرقية بجوار جنوب شرقى كلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية . ثم عُرف بجامع الغُريِّب لوجود قبر شيخ معتقد بهذا الاسم . ثم عرف أخيرا بمسجد عبد الرحمن كتخدا عندما جدده مع عمارته للأزهر

شارع مهذب الدين الحكيم . والمدرسة المهذبية :

وكانت المدرسة المهذبية بحارة حلب عند حمام قمارى . وحمام قمارى كان يقابل بيت ابراهيم بك . وحارة حلب ضاع جزء منها عند فتح شارع القلعة (محمد على)[1] .

وأنشأ المدرسة الحكيم مهذب الدين محمد بن أبي الوحش المعروف بابن أبي حُليقة (تصغير حلقة) وكان مدرسا للطب بالمارستان المنصورى[2] .

وكانت بحارة مراد بك ألسابق ذكرها تكية تعرف بتكية القوصونية أو الخلوتية . وذكر على باشا مبارك أن بابها على هيئة أبواب المدارس القديمة ويرجح أنها هى المدرسة المهذبية .

وشارع مهذب الدين الحكيم قريب من هذا الموقع .

الأمير يوسف :

وبالحلمية شارع اسمه شارع الأمير يوسف جنوبى شارع على باشا مبارك . وكانت الجهة هناك تعرف بدرب الحمام . . وهى من ضمن ما دخل فى سراى الحلمية .

ويوسف بك كان من مماليك محمد بك أبى الذهب سنة ١١٨٦ الذى زوجه أخته .

وشرع فى بناء داره على بركة الفيل بالقرب من جامع ألماس . وأخذ يعمر فى هذه الدار خمس سنوات . وصرف فى ذلك أموالا عظيمة . وكان يبنى الجهة منها حتى يتمها تبليطا وترخيما بالرخام الخردة المحكم الصنعة . وتركيبا للسقوف والرواشن والأبواب والنوافذ . ثم يوسوس له شيطانه فيهدمها إلى آخرها . ويبنيها ثانية على وضع آخر . وهكذا كان دأبه .

وكان فيه حدة زائدة وتخليط فى الأمور والحركات . ولا يستقر فى المجلس .

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ٢ ص ٤٠

(٢) خطط المقريزى جـ٢ ص ٣٦٩ و ص ٣٩٧

بـل يقوم ويقعـد ويصرخ . ويـروق حالـه فى بعض الأوقات فتـظهـر فيـه بعض الأنسانية . ثم يتغير ويتعكر من أى شيء .

ولما مات سيده محمد بك أبو الذهب ازداد عتوا وعسفاً وانحرافاً . خصوصاً مع طائفة الفقهاء والمتعممين لأمور نقمها عليهم .

منها قصة الشيخ أحمد صادومة أحد الدجالين الذى تعرض لمحظية يوسف بك . وكتب لها على مكان حساس من جسمها كتابة لتمكين محبته لها . وذكر الجبرتى الخبر تفصيلاً .

ومات يوسف بك مقتولاً سنة ١١٩١هـ .

حدرة البقر :

فإذا سرنا فى الشارع الأعظم المسمى فى هذاالجزء بشارع الحلمية . نصل إلى المكان الذى كان يسمى حدرة البقر . وموقعه حالياً شارع المظفر . أو المدفر كـما حرفته العامة . وهو اسم لهذه الخطة . ذكرها المقريزى فى الكلام عن دار البقر وقال أنها خارج القاهرة (يعنى القاهرة الفاطمية) فيما بين قلعة الجبل وبركة الفيل . بالخط الذى يقال له (اليوم) أى وقته حدرة البقر . وأنها كانت دارا لـلأبقار التى بـرسم السواقى السلطانية . ثم أن الناصر محمد بن قلاوون أنشأها داراً واسطبلاً . وغرس بها عدة أشجار . ثم عرفت بدار الأمير طشتمر حمص أخضر .

على باشا مبارك . وبيته . والشارع باسمه :

وقال على مبارك أن منزله بجهة الحلمية ربما كان من دار البقر المذكورة . وعلى باشا مبارك (١٢٣٩ - ١٣١١هـ = ١٨٢٣ - ١٨٩٣م) هو العالم المؤرخ المهندس . فضله معروف فى نهضة التعليم والإكثار من المدارس .

التحق على مبارك بأحد كتاتيب قريته برنبال (محافـظة الدقهليـة) . فحفظ القرآن . ثم دخل مدرسة أبى زعبل . ثم مدرسة القصر العينى فـدرس الريـاضة والهندسة . وذهب إلى أوربا فى بعثة سنة ١٨٤٤ لدراسة الهندسة وفنون الحرب . وعاد بعد أربع سنوات . وعينه عباس حلمى الأول رئيساً لديوان المدارس . لأنه - مجاراة لرغبة عباس - نفذ ما أراد من إلغاء المدارس وإدمـاجها جميعـاً فى مدرسـة

واحدة . وبذلك بلغت نفقات التعليم فى عهد عباس الأول ٥٠٠٠ جنيهاً بعد أن كانت ٨٨٠٠٠ جنيهاً فى عهد محمد على .

وبعد عباس لم يكن على مبارك مرضياً عنه فى عهد سعيد . فأرسله مع الجيش فى حرب تركيا مع روسيا . ولاقى هناك كثيراً من المشقة والأهوال . وفى سنة ١٨٦٤ فى عهد إسماعيل عين وكيلاً لديوان المدارس . ثم تقلب فى عدة وظائف . منها مدير السكة الحديدية . وناظر للمعارف . وللأشغال . وللأوقاف . وللقناطر الخيرية .

وعندما قامت الثورة العرابية كان على مبارك من (المعتدلين) الذين لم ينضموا للثورة . فعينه توفيق ناظراً للمعارف . وظل فى وظيفته إلى قبيل وفاته . فاعتزل العمل . وتوفى سنة ١٨٩٣م .

ومن آثاره الباقية انشاء دار الكتب سنة١٨٧١ . و(مدرسة) دار العلوم سنة ١٨٧١ .وأهم ما يذكر به على مبارك كتابه الخالد (الخطط التوفيقية) فى عشرين جزءاً .

وخلدت البلدية اسمه بإطلاقه على شارع بالحلمية الجديدة جنوبى شارع جامع الماس (إلهامى باشا سابقاً) .

تكية المولوية . والمدرسة السعدية . والمدرسة البشيرية :

ومن ضمن حدرة البقر أيضاً كانت تكية المولوية من وقف سنان باشا .

وكان مكان هذه التكية المدرسة التى ذكرها المقريزى باسم المدرسة السعدية وقد بناها الأمير شمس الدين سنقر السعدى سنة ٧١٥ . وكان شديد الرغبة فى العمائر محباً للزراعة كثير المال . ظاهر الغنى . وهو الذى عمر القرية التى تعرف بالنحرارية بالقرب من كفر الزيات (على مبارك جـ ١٧ ص ٥) بمديرية الغربية وكانت إقطاعه . وخرج من مصرفى نزاع بينه وبين قوصون فسار إلى طرابلس الشام ومات هناك سنة ٧٢١هـ .

وكانت هذه المدرسة التى حلت محلها تكية المولوية بشارع الحلمية بالقرب من شارع المظفر .

وبنى شمس الدين السعدى أيضاً رباطاً للنساء . كما بنى مسجداً بحكر

الخازن كان يعرف بمسجد سنقر السعدى .

ثم هدم هذا المسجد الأمير الطواشى سعد الدين بشير الجمدار[1] الناصرى وبنى مكانه سنة ٧٦١ مدرسة وجعل بها خزانة للكتب . وذكرها المقريـزى باسم المدرسة البشيرية .

وبالحلمية الجديدة شارع الأمير بشير متفرع من شارع نور الظلام شمال موقع المحكمة الشرعية العليا سابقاً .

زاوية المظفر :

ثم نجد على يمـين السالـك فى شارع الحلميـة متجهاً إلى الصليبـة – زاوية المظفر . وهى تقابل شارع المدفـر المتجه لجهـة جامعى السلطان والرفاعى قبـل القلعة .

والزاوية نسبة للسلطان سيف الدين المظفر قطز الذى تولى السلطنة سنة ٦٥٧ والذى صد كتبغا نائب هولاكو بالشام وجيشه من التتار فى عين جالوت سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠م) بعد ما ملكوا بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم بالله العباسى وأزالوا دولة بنى العباس . وملكوا إيران والعراق وأغلب الشام . ولم يقف فى سبيل تقدمهم حائل حتى صدهم المصريون بقيادة السلطان المظفر قطز . ثم قتل قطز أثناء عودته إلى مصر بعد موقعة عين جالوت . قتله الأمراء المماليك بقيادة الظاهر بيبرس البندقـدارى الذى تولى السلطنة بعده .

وكانت هناك مدرسة انشأها الأمير حرمان الأبوبكرى المؤيدى كما ذكر على مبارك نقلاً عن السخاوى . وقال أنه كان خلفها حوش كبير بجوار دار حرم محمد على الصغير ابن محمد على الكبير . وقال على مبارك أنه يظهر أن الأيدى تسلطت على هذه المدرسة مع الزمن . ولم يبق منها إلا الزاوية الموجودة الآن .

وكان خلف الحوش والدار المذكورين دار متخربة كانت من الدور الشهيرة . وكانت فى ملك السلطان طومان باى آخر السلاطين المماليـك بمصر . ثم سكنتهـا

---

(١) سبق ذكر هذه الوظيفة فى مقدمة هذا القسم وأنها وظيفة من يباشر إلباس السلطان ملابسه .

السلطان سليم الأول العثمانى بعد فتح مصر وعودته من الأسكندرية . وبقى بها إلى أن خرج من مصر سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م) .

جامع الفرقانى ومنزل عبد الله باشا فكرى :

فإذا سرنا فى الشارع الأعظم بعد ذلك فى جزئه هناك المسمى الآن شارع السيوفية . نجد على يمين المتجه لجهة الصليبة جامعاً أسمته مصلحة المساحة جامع على نور الفرقانى وأسماه المقريزى باسم ركن الدين بيبرس الفارقانى (الخطط جـ٢ ص ٣٩٩) .

وكان خلف هذا الجامع دار المرحوم عبد الله باشا فكرى (١٨٣٤ - ١٨٨٩) .

وهو الأديب الشاعر الناثر المعلم . تعلم بالأزهر . واتقن اللغة التركية . علاوة على العلوم الأزهرية . فعين مترجماً فى عهد سعيد . ثم اتصل بعده بإسماعيل فعينه مدرساً لأولاده . ومنهم الخديوى توفيق . وتقلب فى عدة وظائف حتى وصل أخيراً إلى نظارة المعارف سنة ١٨٨٢ (١٢٩٩هـ) .

وبقى بها حتى قامت الثورة العرابية فى نفس السنة . واتهم بالاشتراك فيها . ثم عفا عنه الخديوى توفيق لما تقدم له بقصيدة طويلة يذكر فيها براءته . وأنه برغم أنه كان ناظراً ولكنه كان بعيداً عن الاشتراك فى أحداث الثورة . ورد إليه توفيق معاشه وتوفى سنة ١٨٨٩ (١٣٠٧هـ) .

ويعد عبد الله فكرى من واضعى الاصطلاحات والألفاظ الديوانية الحديثة باللغة العربية وبعضها مقتبس من اصطلاحات دولة المماليك . وله شعر متوسط الجودة .

وتوجد الآن سكة عبد الله باشا فكرى بآخر حى الحلمية من جهة الجنوب . وموقعها موضح بالرسم الكروكى بأول هذا الفصل .

سبيل أم عباس :

فإذا سرنا فى شارع السيوفية نجد فيه عند تقاطعه مع شارع الصليبة سبيل أم عباس . وقد أنشأته السيدة أم عباس حلمى الأول بن طوسون بن محمد على الكبير سنة ١٨٦٧م(١٢٨٤هـ) .

وهو من الآثار الإسلامية الجميلة .

وهكذا نكون قد أتممنا دورة حول بركة الفيل . وذكرنا الكثير من الأسماء والآثار التاريخية حول البركة ومن باب زويلة إلى الصليبة . وتركنا الأكثر لعدم الإطالة . فهى منطقة حافلة بالذكريات التاريخية وكانت قلباً نابضاً للمدينة أكثر من سبعة قرون .

الفصل الثامن

حى القبة ومجاوراته

من آلاف السنين كانت دلتا نهر النيل مكونة من سبعة أفرع . ذكرناها فى الفصل الأول من القسم الأول . وكان الفرع الشرقى لهذه الدلتا اسمه الفرَع البلوزى أو بحر الطينة . وكان يبدأ من النيل جنوبى موقع القناطر الخيرية ببضعة كيلو مترات . ويتجه إلى الشمال الشرقى حتى يصب فى البحر الأبيض عند المدينة القديمة الفرما ـ أو باسمها القبطى فرومى – أو باسمها الرومانى بلوزيوم . ومنه جاء اسم الفرع البلوزى . ولا يزال السهل شرقى قناة السويس وبور فؤاد عند البحر الأبيض اسمه للآن سهل الطينة . وقرية بلوظة المحرفة من بلوزيوم موجودة للآن .

وكان على بحر الطينة هذا مدينة أون أو عين شمس أو هليوبوليس . هذه الأسماء الثلاثه للمدينة الفرعونية القديمة مقر عبادة رع (الشمس) عند المصريين القدماء . والتى كانت بها أقدم جامعة عرفها العالم منذ أكثر من ٧٧ قرناً . وقد درس بها أغلب فلاسفة الإغريق . منذ بدأ يكون للأغريق وجود وتاريخ . فى الألف الأولى قبل الميلاد . فقد نهل علماء الأغريق من جامعة عين شمس الفرعونية . ومن جامعة الإسكندرية فى عهد البطالسة . علومهم ومعارفهم . وترجم العرب علوم الإغريق . وأضافوا عليها . ونقلتها أوربا عنهم . ولولا هذه الترجمات لجهلت علوم الإغريق واندثرت .

وقد أهدى علماء عين شمس للعالم منذ ٧٧ قرنا حساب التقويم الشمسى . الذى نقله بوليوس قيصر إلى روما سنه ٤٦ ق .م ويسير عليه العالم فى شتى أنحاء المعمورة للآن . والتقويم القبطى الحالى امتداد للتقويم المصرى القديم بتقسيمه وشهوره المتساوية واسمائها الفرعونية مع تحريف لفظى يسير(١) .

ومن بحر الطينة كان يبدأ الخليج المصرى الذى حفره سنوسرت الثالث من ملوك الأسرة الثانية عشر (حكم من ١٨٨٧ - ١٨٤٩ ق .م) ليصل النيل بالبحر الأحمر . وقد ذكرنا فى الفصل الأول من القسم الأول تطور هذا الخليج حتى ردمته أخيرا شركة الترام سنه ١٨٩٧ م . داخل القاهرة ليصير شارعا يسير فيه الترام . ثم أصبح موضع الخليج جزءا من عرض شارع بورسعيد الحالى .

ترعة الجبل :

وذكرنا أنه كان يتفرع من الخليج المصرى خمسة فروع داخل حدود عوايد أملاك العاصمة . وأن من ضمن هذه الفروع فرعا كان اسمه ترعة الجبل .

ولايزال للآن الشارع شرقى قصر القبة يحمل هذا الاسم . ويبدأ هذا الشارع عند محطة الدمرداش أو الجامعة لخط مترو مصر الجديدة . ويسير شمالا بشرق حتى آخر قصر القبة ثم يخترق حى الزيتون . . الخ والتعرجات والالتواءات الموجودة بأول الشارع تدل على مسار الترعة القديمة .

المسلات بعين شمس :

وعند الفتح العربى كانت مدينة عين شمس قد اندثرت تقريباً . وقد وصف عدة من المؤرخين العرب ما كان باقيابها من آثار وأسوار وتماثيل (والمسلتين العظيمتين بها .

وكانت عين شمس فى عصورها الزاهية المختلفة تزخر بالمسلات . منها المسلة المعروفة بفلامينا . التى توجد الآن بمدينة روما . وأقام بها تحتمس الثالث (١٥٠١ - ١٤٤٧ق .م) مسلتين نقلهما الحاكم الرومانى سنة٢٣ق .م . إلى

---

(١) الشمس والقمر فى حساب الزمن للمؤلف

الأسكندرية . وإحداهما الآن على شاطىءنهر التيمس بلندن . والثانية بحديقة سنترال بارك بنيويورك .

أما المسلتان اللتان ذكرهما المؤرخون العرب . فقد سقطت إحدهما فى ١٢٥٨/٩/٣(٤ رمضان سنة٦٥٦هـ) . ويبدو أنه سقط جزء من هذه المسلة قبل هذا التاريخ . فقد ذكر العالم عبد اللطيف البغدادى فى كتابه (الأفادة والأعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر) المعروف (بمختصر أخبار مصر) أنه وجد إحدى المسلتين ساقطة ومكسورة . والمذكور أقام بمصر (٥٨٣ - ٦٠٢هـ = ١١٨٧ - ١٢٠٥)وكان يلقى دروسا بالأزهر فى هذه المدة كما ذكر فى كتابه المذكور .

والمسلة الوحيدة الباقية الآن بعين شمس هى التى أقامها سنوسرت الأول (٢١٩٢ - ٢١٤٧ ق .م) من فراعنة الأسرة الثانية عشر . ويبلغ ارتفاعها ٦٧ قدماً تقريباً . ولا تزال قائمة تطل على المكان الذى أقيمت فيه منذ أكثر من ٤٠٠٠ سنة

وبين موقع هذه المسلة والسور الشمالى لقصر القبة ثلاثة كيلو مترات تقريباً

المطرية وصحراء الريدانية :

وعرفت الجهة هناك بعد الفتح العربى بمنية مطر أو المطرية[1] . وهذا الاسم كان يشمل القبة والزيتون والمطرية وعين شمس حالياً .

والمطرية على مشارف صحراء الريدانية . التى تمتد من العباسية إلى موقع مدينة نصر ومنشية البكرى ومصر الجديدة . ولا يزال الشارع غربى قصر القبة يحمل اسم المطرية

واسم الريدانية يرجع إلى أنها كانت بستانا لريدان الصقلى أحد خدام العزيز بالله الفاطمى . وقد قتله الحاكم بأمر الله بن العزيز سنة ٣٩٣هـ (١٠٠٢م) . وفى

---

(١) ذكر الطبرى (جـ ٩ ص٢٨٩) أن أبا جعفر المنصور عين مولاه (مطر) سنة١٥٧هـ عاملا على مصر . وفى سنة١٥٩هـ عزله المهدى (ص٣٢٩) . وهذا مخالف لما ذكرهالمقريزى وابن تغرى بردى عن اسماء الولاة كما أثبتناهم فى الجدول التاسع من القسم الثالث . ولعل هذا الخلاف يرجع إلى تعدد أنواع الولاية كما ذكرت بهامش الجدول المذكور . كما وربما أن اسم المطرية يرجع إلى مطر المذكور .

هذا ما يدل على أن هذه الجهة كانت مزارع وبساتين .

سطورة دينية :

وكان للمطرية شأن يذكر فى التاريخ . فتروى الأساطير الدينيـة أن السيدة مريم العذراء وطفلها السيد المسيح عليه السلام . فى هربهما من بيت لحم من الملك هيرود . قد نزلا بالمطرية من ضمن ما نزلا به من البلاد المصرية . وأن السيدة مريم قد غسلت ثياب طفلها من عين هناك . وألقت ماء الغسيل فى الأرض . فنبت بعدها نبات البلسان . وكان يؤخذ منه دهن البلسان . وتقول الأساطير أن البلسان لا ينبت فى مكان فى الأرض غير هذا المكان . وأنه كان ينبت قبل هذه الواقعة بالأردن .

والمسيحيون يتبركون به . ويعتقدون أنه شافٍ لكثير من الأمراض . ويخلطون قليلا منه على مياه التعميد . وكان حاكم مصر يستخرجه لنفسه ويهادى بـه ملوك الإفرنج . وتقول الأسطورة أيضا أن كهنة عين شمس خروا سجدا أمام العذراء والطفل المسيح عليه السلام .

ولايزال للآن موقع شجرة السيدة مريم وحديقة البلسم (لعل أصلها البلسان) على بعد أقل من كيلو مترين شمال قصر القبة .

وقد ناقش عالم المصريات جيمس بيكى هذه الأسطورة وقال أنها ترجع إلى بعد أكثر قدماً فى التاريخ . وقال أنه فى الأساطير الفرعونية أن آله الشمس غسل وجهه من نبع هناك عندماظهر على الأرض لأول مرة .

وقال العالم أن الأسطورتين خاليتان من الحقيقة(١) .

ولكن هكذا كان اعتقاد المسيحين . والمسلمين أيضا . فقد ذكر ابن إياس فى بدائع الزهور أن السلطان سليم الأول العثمانى ذهب إلى بئر البلسان التى بالمطرية فى جمادى الآخرة سنة٩٢٣هـ (١٥١٧م) وغسل وجهه من مائها وأقام هنـاك إلى بعد العصر .

كما كانت المطرية محلا لبعض المواقع العسكرية الحاسمة فى تاريخ مصر . فقد صد هناك القائد جوهر القرامطة سنة٣٦١هـ (٩٧٢م) عندما حاولوا غزو مصر فى

---

(١) الاثار المصرية فى وادى النيل لجيمس بيكى ترجمة لبيب حبشى وشفيق فريد ص١٥٣

أوائل حكم الفاطميين وردهم على أعقابهم .

سليم الأول وطومان باى :

وكانت عند المطرية الموقعة بين السلطان سليم الأول العثمانى . والسلطان الأشرف طومان باى آخر السلاطين المماليك وانهزم فيها طومان بـاى فى ٢٩ ذى الحجة سنة٩٢٢هـ (٢٢ يناير سنة١٥١٧م)

فبعد أن هزم سليم السلطان الغورى فى معركة مرج دابق (شمال حلب) فى ٢١ رجب سنة٩٢٢هـ (١٥١٦/٨/١٩م) . وانهزم فيها الغورى وفقد جثمانه . تسلطن الأشرف طومان باى . وقيل أنه ابن أخ أو ابن أخت الغورى . وقيل أنه مجرد قرابته . وقدم سليم إلى مصر لاستكمال انتصاره .

وبعد موقعة المطرية حاول طومان باى أن يقاوم بما يشبه حرب العصابات . وانتصر على العثمانين فى بعض المواقع . ولكنها كانت انتصارات غير حـاسمة . وتفرق عنه زملاؤه المماليك . وأخيرا اختفى طومان باى عند أحد مشايخ عربان البحيرة . بعد أنْ عاهده على المصحف أن يكتم أمره . ولكنه خانه وسلمه إلى سليم الأول . فمكث عنده بضعة عشر يوماً . ثم أمر بشنقه على باب زويلة . ونفذ الحكم فى ٢١ ربيع الأول سنة٩٢٣هـ (١٥١٧/٤/١٢) . وانتقلت مصر من سلطنة قوية تسود العالم العربى وتسوس العالم الأسلامى إلى ولاية تابعة للحكم العثمانى . مما أخر ركب الحضارة العربية عدة قرون[1] .

وهناك شارعان . أحدهما شارع سليم الأول يبدأ من الميدان الذى به محطة سراى القبة لخط سكة حديد المطرية وعين شمس . ويسير غربى قصر الطاهرة متجها شمالا بشرق مخترقا حى القبة والزيتون . وهو امتداد لشارع ابن سندر .

والثانى شارع طومان باى . ويبدأ من ميدان ابن سندر ويسير شمالا بشرق

---

(١) قد حكم مصر سلطان آخر باسم طومان باى . وهو العادل طومان باى . (راجع الجدول الخامس عشر بالقسم الثالث) . ولم يستمر حكمه غير ثلاثة شهور تقريبا سنة٩٠٦هـ (١٥٠٠م) . ثم هرب ليلة عيد الفطر . وأمسك وقتل بعد ذلك . وتولى بعده السلطان الغورى .
والعادل طومان باى هذا هو صاحب القبة بجوار موقع مستشفى الأمراض العقلية خلف كلية الشرطة بالعباسية .

شرقى قصر الطاهرة . موازيا تقريبا لشارع سليم الأول

وهذا التوازى بين الشارعين كأنه تخليد للربط التاريخى بين الاسمين سليم الأول وطومان باى .

ابن سندر :

وشارع ابن سندر المذكور يبدأ من محطة كوبرى القبة على الجانب الأيسر من خط المترو بالنسبة للمتجه إلى مصر الجديدة (وعلى الجانب الأيمن من خط المترو شارع المقريزى) . ويستمر شارع ابن سندر شمالا بشرق حتى غربى قصر الطاهرة . وإمتداد شارع ابن سندر هو شارع سليم الأول .

وابن سندر المنسوب له هذا الشارع . هو مسروح ابن سندر . ويقال له أحياناً سندر فقط . كان عبدا لأحد أعيان العرب فى صدر الإسلام اسمه زنباع بن روح الجذامى .

وفى تاريخ حياة ابن سندر عظة ودليل على ما اتصف بـه الإسلام من روح العدل والمساواة بين العبيد والأحرار فى الحقوق الأنسانية .

فقد ضبطه مولاه زنباع المذكور يقبل جارية له . فجبَّه وجدع أنفه وأذنه . فأتى ابن سندر للرسول عليه الصلاة والسلام وشكاله . فأرسل إلى زنباع يقول ما معناه (لا تحملوهم من العمل فوق ما يطيقون . وأطعموهم مما تأكلون . وألبسوهم مما تلبسون . فإن رضيتم فأمسكوا . وإن كرهتم فبيعوا . ولا تعذبوا خلق الله . ومن مُثِّل به أو أحرق بالنار فهو حر . وهو مولى الله ورسوله) .

فأصبح ابن سندر حرا . فقال : أوصِ بى يا رسول الله . فقال : أوصى بك كل مسلم .

وحفظ أبو بكر الصديق وصية الرسول فى ابن سندر . فلما تولى عمر بن الخطاب . خيَّره أن يجرى عليه ما كان يجريه أبو بكر . أو أن يقطعه أرضا حيث شاء مما فتح الله على المسلمين . فاختار مصر[1] . فكتب عمر إلى عمرو بن العاص .

---

(١) يبدو أن هذا الاختيار كان فى أواخر عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقد ذكر المقريزى جـ٢ ص١٣٧ أن ابن سندر قدم مصر سنة٢٢هـ(وعمر توفى فى ذى الحجة سنة٢٣هـ) .

فأقطعه هذه الأرض التى عرفت بعده بمنية الأصبغ .

وكان هناك الخندق الذى حفره القائد لصد القرامطة كما سبق ذكره .

وقيل أن ابن سندر كان يسير مع آخرين فى ركب عمرو بن العاص فأثار بعضهم الغبار . فجعل عمرو طرف عمامته على أنفه وقال : اتقوا الغبار فأنه أوشك شىء دخولا وأبعده خروجا . فقال بعضهم لهؤلاء : تنحوا . ففعلوا إلا ابن سندر . فقال عمرو : دعوه فإن غبار الخصى لايضر . فسمعها ابن سندر فقال لعمرو : أما والله لو كنت من المؤمنين ما آذيتنى . فقال عمرو : يغفر الله لك فأنا بحمد الله من المؤمنين . فقال ابن سندر : قد علمت أن الرسول - ص - أوصى بى كل مؤمن .

وكانت مساحة هذا الإقطاع ألف فدان . فلما مات ابن سندر . اشتراها الأصبغ بن عبد العزيز بن مروان فعرف به . ووالده عبد العزيز بن مروان كان واليا على مصر من قبل أخيه عبد الملك بن مروان (٦٥ - ٨٥هـ) . وتوفى عبد العزيز بمصر سنة٨٥هـ . وتوفى ابنه الأصبغ قبله فى نفس السنة . وكان الأصبغ قد عقد على السيدة سكينة بنت الأمام الحسين بن على بن أبى طالب . ولكنه توفى قبل أن يدخل بها .

بركة الحج :

وكان شمال عين شمس بركة عرفت ببركة الحج . لأن الحجاج كانوا يجتمعون عندها فى خروجهم للحج مع المحمل . وقد ردمت أخيرا هذه البركة وتحولت إلى مزارع بعد أن أصبح الحج بالسكة الحديدية حتى السويس ومنها بالبواخر . ثم أخيرا أصبح بالطائرات .

وقد سبق ذكر بركة الحج والمحمل فى فصول سابقة .

وكانت المطرية تعتبر كمدخل للعاصمة . فيستقبل عندها عظماء الوافدين من الخارج رسلا أو ضيوفاً على حاكم البلاد . وتسير المواكب من هناك . كما كانت جهة المطرية متنزها للسلاطين المماليك .

ثم اختصت الجهة التى بها قصر القبة باسم القبة .

اسم القبة :

حوالى سنة ١٤٧٠م (٨٧٥هـ) أنشأ بجهة المطرية الدوادار[1] . يشبك بن مهدى قبة . كان يقصدها السلطان قايتباى ومن بعده من السلاطين حتى السلطان الغورى . فيمضون بها سحابة اليوم على سبيل التنزه .

وكان السلاطين قبل إنشاء هذه القبة إذا رغبوا التنزه هناك يذهبون إلى منطقة خليج الزعفران . وموقعها الآن ما حول سراى الزعفران مقر إدارة جامعة عين شمس وبعض كلياتها .

الدوادار يشبك بن مهدى :

وكان يشبك المذكور فى عهد السلطان قايتباى (حكم من ٨٧٢ - ٩٠١هـ =١٤٩٥م) وتولى يشبك الدوادارية من سنة ٨٧٢ - ٨٨٦هـ حيث قتل فى حصار مدينة الرها .

وهناك شارع باسم شارع الدوادار يقطع شارع مصر والسودان . قبل ميدان سراى القبة بقليل . ويسير شمالاً موازياً لشارع المطرية السابق ذكره غربى السراى .

ومنذ إنشاء يشبك بن مهدى قبته المذكورة غلب اسم القبة على هذا الجزء من أرض المطرية .

جامع القبة أو جامع الغورى :

وأضاف السلطان الغورى سنة ١٥١٣م (٩١٩هـ) إلى قبة يشبك بن مهدى إضافات من مساطب وفساقى . فغلب اسمه على اسم يشبك بن مهدى وقيل قبة الغورى .

وبالميدان جنوب غربى قصر القبة جامع معروف باسم جامع القبة أو جامع الغورى . وبه ضريح تقول العامة أنه ضريح (سيدى عمر الأنصارى) . ويقولون أنه من أنصار الرسول عليه الصلاة والسلام . ولا يعرفون عنه غير الاسم .

---

(١) سبق ذكر وظيفة الدوادار ومعناها فى مقدمة القسم الثانى .

والجامع المذكور مكون من جزأين . أحدهما فيما يبدو جامع قديم مئذنته تدل على الطراز التركى . وهو بسيط لايدل على أنه من إنشاء أحد السلاطين . أما الجزء الثانى فهو فى مقدمة الجامع . وبه الباب الرئيسى والقبلة والمنبر . وهذا الجزء الجديد أنيق فى الداخل والخارج . وليست به مئذنة اكتفاءا بالمئذنة الأصلية المذكورة . ولكن به قبة حوت نقوشاً عربية . وآيات قرآنية . وزخارف آية فى الفن وحسن الذوق ويأسفل القبة نوافذ من الخشب المخروط بها الزجاج الملون . لتعكس ألواناً وصوراً غاية فى الجمال .

وهذا الجزء الجديد من انشاء الخديوى عباس حلمى الثانى سنة ١٣١٠هـ (١٨٩٢م) كما هو ثابت بالكتابة داخل القبة .

ويبدو أن هذا الجزء الجديد بالجامع من باكورة أعمال عباس حلمى الثانى بعد توليته الخديوية بعد والده محمد توفيق الذى توفى فى يناير سنة ١٨٩٢م .

وكان قصر القبة المسكن الخاص لتوفيق وأسرته منذ كان ولياً للعهد فى عهد والده إسماعيل كما سنذكر بأذن الله .

ويذهب بعض شيوخ الحى أنه كانت هناك أربع سواقى . أصبحت مواقعها الآن من داخل سور القصر المطل على الميدان على يسار الداخل . وأن إحدى هذه السواقى من خمسة وجوه . أى يخرج الماء منها من خمس فتحات . وأخرى من أربعة وجوه . وربما يتفق هذا مع رواية ابن إياس فى بدائع الزهور عن إنشاء الغورى المساطب والفساقى هناك .

قصر القبة :

يقع قصر القبة على مساحة من الأرض على شكل مستطيل تقريباً . طول ضلعه الشمالى ٤٥٠ متراً تقريباً والجنوبى ٤٠٠ متراً تقريباً . وطول كل من ضلعيه الشرقى والغربى ١٨٠٠ متر تقريباً . فكأن مساحة القصر بالحدائق ١٨٠ فداناً تقريباً .

ويميل المستطيل المذكور فى مجموعه إلى الشمال الشرقى . ولكن للتسهيل فى التعبير نعتبر الضلع المطل على الميدان هو الضلع الجنوبى وطوله ٤٠٠ متراً تقريباً . وأن شارع ترعة الجبل السابق ذكره هو الضلع الشرقى وطوله ١٨٠٠ متر تقريباً .

وأن شارع المطرية السابق هو الضلع الغربي وطوله ١٨٠٠ متر تقريباً . والضلع الشمالى هو شارع الأمير عبدالقادر وطوله ٤٥٠ متراً تقريباً .

ويدور حول القصر وحدائقه بهذه المساحة المذكورة سور ضخم فخم يبلغ ارتفاعه أكثر من ستة أمتار . وبه البوابات العظيمة . وطوله بدائر القصر ما يقرب من ٤٤٥٠ متراً وقد نشرت مجلة المصور فى العدد ٣٩٣ فى ١٩٣٠/١٢/١٩ (أى فى عهد فؤاد الأول) صورة البوابة العظيمة القبلية المطلة على الميدان وقالت أنه تم بناؤها أخيراً بإشراف فرج بك أمين مفتش المبانى بالسرايات الملكية وتنفيذ المقاول محمد حمودة .

ويقع القصر فى الثلث الشمالى من المساحة المذكورة . وشمالاً وجنوباً منه الحدائق .

مسجد تبر :

وفى الثلث الجنوبى من هذه المساحة على يمين الداخل من الباب المطل على الميدان توجد زاوية صغيرة لها تاريخ .

هذه الزاوية معروفة باسم مسجد ومقام (سيدى محمد التبرى)

والاسم يوحى أنه أحد الأولياء . والحقيقة أنه تبر من أعيان الدولة الإخشيدية . عند قدوم جوهر قائد المعز لدين الله الفاطمى سنة ٣٥٨هـ (٩٦٩م) .

وقد قاوم تبر المذكور جوهراً . فسيَّر إليه جوهر عسكراً هزموه فهرب . ثم قبض عليه . وأدخل القاهرة على فيل . فسجن وضرب بالسياط . وظل محبوساً حتى توفى سنة ٣٦٠هـ (٩٧١م) . وقيل أنه انتحر . فسلخ بعد موته . وصلب . وحُشى جلده تبناً . ولعل ذلك سبباً فى أن العامة كانت تسمى هذا المسجد مسجد التبن .

وقيل أن تبراً أقام هذا المسجد على رأس إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب . الذى قتل بالبصرة سنة ١٤٥هـ (٧٦٢م) كما قتل بالمدينة أخوه محمد المعروف بالنفس الزكية[1] فى ثورتها على أبى جعفر المنصور الخليفة

---

(١) راجع الجدول العاشر من القسم الثالث .

العباسى . وقد أرسل المنصور رأس إبراهيم المذكور لمصر ليطاف به . فأخفاه أهل مصر ودفنوه فى هذا المكان .

ثم أنشأت السيدة شفق نور والدة الخديوى توفيق المسجد الحالى بعد أن أزالت ماكان به من الآثار القديمة . وخلدت تاريخ هذه العمارة سنة ١٨٧٧م (١٢٩٤هـ) فى لوح من رخام فوق باب المسجد بأبيات من الشعر الشطر الأخير من البيت الأخير به التاريخ بحساب الجمل[٢]

زها طالع الأنوار فى مسجد التبر　　　به البطل التبرى فى قبة السر
لقد أنشأته شفق نور وحبذا　　　بها حرم المولى الخديوى ذى القدر
بوالدة التوفيق أنعم مؤرخاً　　　أمِد أساس النِور فى مسجد التبرى

٤٥ +١٢٢ +٢٨٧ +٩٠ +١٠٧ +٦٤٣
=١٢٩٤هـ

ويلاحظ أن تاريخ هذا العمارة لاحق لمنح اسماعيل ابنه توفيق تفتيش القبة كما سنذكر بإذن الله .

تاريخ بناء قصر القبة :

وهناك اعتقاد سائد أن قصر القبة من انشاء الخديوى إسماعيل . ولكن الحقيقة أنه من انشاء والده إبراهيم باشا . وقد ذكر هذا على باشا مبارك [٢] وفعلاً نجد بعض تشابه فى بعض اللمسات الفنية والمعمارية بين قصر القبة وقصر رأس التين الذى أنشأه محمد على فى الأسكندرية سنة ١٨١٩ .ثم أعيد بناؤه سنة ١٨٣٤م .

وقد ذكر الصاغ أركان حرب محمود محمد الجوهرى فى كتابه (قصور وتحف) تاريخاً عن انشاء قصر القبة فقال أنه أنشىء سنة ١٨٦٣م بدليل خطاب فى ٦ أبريل وقال أنه أول عام سنة ١٨٢٥ هـ .

ولكن هذا التاريخ مضطرب . فأما عن التاريخ الميلادى . فقد تولى إسماعيل فى ٢٧ رجب سنة ١٢٧٩هـ (١٧/١/١٨٦٣م) . فغير معقول أن يكون قصر القبة

---

(١) سبق ذكر حساب الجمل وطريقته .
(٢) الخطط التوفيقية ج١ ص٨٣ .

من بواكير أعماله ولم يمض على ولايته غير شهرين ونصف تقريباً . وإلا كان فى هذا ما يلفت نظر المؤ رخين خصوصا وإن اسماعيل كان مشغولاً بالاستعداد لزيارة السلطان عبدالعزيز سلطان تركيا الذى حضر لمصر فى أواخر مارس سنة ١٨٦٣ ومكث بها عشرة أيام . كما سبق ذكره فى الكلام عن شارع عبدالعزيز فى الفصل الخاص بالأزبكية .

وأما عن التاريخ الهجرى سنة ١٨٢٥هـ . فلا يزال أمامنا أربعة قرون وأكثر حتى نصل إليه .

وإذا كانت هناك غلطة مطبعية فى تركيب الرقم . أى ١٢٨٥ هـ بدلا من ١٨٢٥ . فهذه السنة الهجرية توافق سنة ١٨٦٨م . وهى لاتتفق مع التاريخ الميلادى سنة ١٨٦٣ السابق ذكره . ولو اعتبرنا سنة ١٨٢٥هـ . تاريخاً ميلادياً لكان هذا فى عصر محمد على .

وأخيراً نجد فى تقويم النيل [1] إخطاراً صادراً من إسماعيل للدائرة السنية فى آخر رجب سنة ١٢٨٣هـ (١٨٦٦/١٢/٧م) به صورة عقد شراء إسماعيل لجميع أملاك وأطيان أخيه مصطفى فاضل ومايتبعها من ملحقات وإنشاءات نظير مبلغ قدره ٢,٨٠٠,٠٠٠ مليونان وثمانمائة ألف جنيهاً استرلينياً مقسطاً على خمسة عشر عاماً .

وهو فى الواقع عقد تخارج شامل لكل ما ذكر فى العقد أم لم يذكر وسواء أكانت الأملاك أو الأطيان مكلفة باسم مصطفى فاضل شخصياً أو باسم إحدى زوجاته أو أحد أولاده أو أتباعه . ويتعهد بنقل تكليفها كلها إلى اسم الخديوى إسماعيل .

واستثنى فى البند التاسع من العقد المذكور البيت الكائن بباب الحديد والموبليات الموجودة بسرايات درب الجماميز والقبة والرملة فهى غير داخلة من ضمن المبايعة .

ومن هذا نصل إلى أن سراى القبة من انشاء إبراهيم باشا بن محمد على . ثم

---

(١) تقويم النيل لأمين باشا سامى المجلد الثانى من الجزء الثالث ص٦٨٢ .

انتقلت بالميراث إلى ابنه مصطفى فاضل . ثم آلت إلى الخديوى إسماعيل بالمشترى من مصطفى فاضل سنة ١٨٦٦ .

ولم تكن العلاقات ودية بين إسماعيل وأخيه مصطفى فاضل . وقد تأزمت هذه العلاقات بعد أن حصل إسماعيل على حصر وراثة حكم مصر فى ذرية إسماعيل . بالفرمان (المرسوم) الصادر من سلطان تركيا فى ١٨٦٦/٥/٢٧[١] .

وكانت وراثة الحكم قبل ذلك فى أكبر أفراد أسرة محمد على . وعليه فمن كان يلى اسماعيل فى الحكم هو أخوه مصطفى فاضل . ثم عمهما عبدالحليم بن محمد على . فقضى هذا الفرمان على آمال الأثنين .

وكان إسماعيل قد اشترى فى السنة السابقة لشرائه من مصطفى فاضل أى سنة ١٨٦٥ أطيان وممتلكات عمه عبدالحليم .

وبهذا الفرمان أصبح محمد توفيق أكبر أولاد اسماعيل ولى العهد والمرشح بعد أبيه للأريكة الخديوية وحكم مصر .

وفى ٥ ربيع الأول سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢/٥/١٢) منح إسماعيل ابنه توفيق ١٠٢٠٠ فدان كالآتى : ٦١٩٣ فدان تفتيش دسونس بالبحيرة و٣٨٥١ فدان تفتيش القبة و١٥٦ بناحية إشمنت محافظة بنى سويف .

وبذلك أصبح تفتيش القبة بما فيه قصر القبة فى ملكية توفيق . فأقام فيه وأسرته فى حياة والده .

وفى ١٦ ذى القعدة سنة ١٢٨٩ (١٨٧٣/١/١٤) كان زفاف توفيق على أمينة بنت الهامى بن عباس حلمى الأول بن طوسون بن محمد على . وهى والدة عباس حلمى الثانى (توفيت سنة ١٩٣١) واشتهرت باسم أم المحسنين . وهى وتوفيق ممن أقيمت لهم الأفراح المعروفة بأفراح الأنجال التى سبق ذكرها فى الفصل الخاص بالمنيرة والانشاء .

ولم يكن توفيق محبوباً من أفراد الأسرة الحاكمة . فلم تكن أمه من الأميرات . بل إحدى الجوارى - اسمها شفق نور كما ذكرنا - حملت به فى لحظة غرام من إسماعيل . ثم أهملها بعد ذلك .

ولم يلفت مولد توفيق سنة ١٨٥٢ النظر أو يثير الاهتمام . فوقتذاك لم يكن إسماعيل وارثاً للحكم لوجود أخيه أحمد . فلما توفى أحمد أصبح إسمـاعيل ولياً للعهد . ثم تولى الحكم بعد وفاة عمه سعيد باشا . وحصل إسماعيل على فرمان حصر وراثة الحكم فى ذريته . فأصبح توفيق ولياً للعهد .

فانقلبت زراية الأسرة بتوفيق وأمه إلى حقد وغيرة . ولذلك ظل توفيق عازفاً عن الأسرة الحاكمة . حتى أنه لما تولى الحكم أنشأ لنفسه وأسرته مقبرة خاصة موقعها الآن شرقى طريق صلاح سالم مقابل الدراسة تقريباً بالمقابر المعروفة بمقابر العفيفى . حين أن مقابر أفراد اسرة محمد على بجوار ضريح الإمام الشافعى . ومقبرة اسماعيل واسرته بجامع الرفاعى المقابل لجامع السلطان حسن تحت القلعة .

ولما ارتبكت الأحوال المالية والسياسية للبلاد فى آخر عهد إسماعيل تواترت الإشاعات أن السلطان فى استانبول قرر خلع إسماعيل وتولية توفيق مكانه . وفى حالة رفض إسماعيل يلغى السلطان الفرمان الـذى يحصر وراثـة الحكم فى ذرية إسماعيل ويعود للنظام السابق بتولية أكبر أفراد أسرة محمد على . فانتقل توفيق إلى سراى الإسماعيلية (مكانها الآن المجمع بميدان التحرير وما حوله) ليكون قريباً من مجرى الأحداث . فقصده كثير من رجال الدولة وأعيان البلاد .

فأمر إسماعيل بعودته إلى قصر القبة . فنقلوه مع نسائه وأولاده . وأحاطت بقصر القبة طوائف الجند . فامتنع الناس عنه . وبقى محجوراً عليه حتى تأكدت الإشاعات . وصدر الفرمان بخلع إسماعيل . ووصلت برقية بتولية توفيق .

فأرسل إسماعيل فى طلبه فأقبلوا به من القبة إلى سراى الإسماعيلية . وأوقفوا الحرس عليها يمنعون من أراد الوصول إليه . ثم سار محمد شريف باشا إلى توفيق وهنأه بالولاية . وركب معه إلى قصر عابدين حيث تمت المقابلة التاريخية بين الأب وابنه . أى بين الخديوى المخلوع والخديوى الجديد .

وتولى توفيق فى ٦ رجب سنة ١٢٩٦ (٢٦/٦/١٨٧٩)

وشهد عهد توفيق الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى . وكان توفيق باهت الشخصية . ففرض الانجليزى سيطرتهم ونفوذهم . وفى الوقت نفسه أخذ الشعب يفيق من أثر صدمة الهزيمة العرابية . فبدأت تتجمع العناصر المناهضة للاحتـلال وتطالب بالجلاء .

وتوفى توفيق فى الأربعين من عمره بسراى حلوان فى ٧ جمادى الآخر سنة ١٣٠٩هـ ٧/١/١٨٩٢م) وتولى ابنه عباس حلمى الثانى .

وكانت الأوضاع المالية للبلاد قد استقرت بعد تسوية ديون الحكومة وتصفية الدائرة السنية وإنشاء صندوق الدين . وتم الفصل بين مالية الدولة وثروة الحاكم الخاصة .

وتحددت للحاكم أربعة قصور ترعاها الدولة . منها اثنان رسميان للحفلات الرسمية من اجتماعات واستقبالات وضيافات وغيرها . أحدهما قصر عابدين بالقاهرة . والثانى قصر رأس التين بالأسكندرية . وقصران خاصان لأقامة الحاكم وأسرته هما قصر القبة بالقاهرة وقصر المنتزه بالإسكندرية .

فمثلا فى يناير سنة ١٨٩٥ عندما تزوجت خديجة بنت توفيق شقيقة عباس حلمى الثانى من عباس حليم أعدت سراى القبة للزفاف . ثم انتقل العروسان إلى سراى حلوان من باب اللوق لقضاء بضعة أسابيع قبل سفرهما لاستانبول . وقد سبق ذكر هذا الخبر فى الفصل الرابع من القسم الثانى فى الكلام عن سكة حديد حلوان .

وإذا قارنا بين مساحة قصر عابدين (٢٤ فدانا) وقصر القبة (١٨٠ فدانا) تقريباً . فلا يعنى هذا أن قصر القبة أكبر من قصر عابدين . بل العكس . فمساحة المبانى بقصر القبة أقل من سُدس مبانى عابدين . كما أن عدد غُرف قصر القبة يقل أيضا عن هذه النسبة .

ولا تقف المقارنة عند حد مساحة المبانى فقط بل ننظر أيضاً إلى الفخامة والبهاء . فلا يوجد فى قصر القبة مثل قاعة العرش أو القاعة البيزنطية أو الجناح البلجيكى فى قصر عابدين بما فى أثاثاتها وجدرانها وسقوفها وأرضياتها من فن وزخرفة مما يجعل قصر عابدين من القصور العالمية .

ولكن باعتبار قصر القبة قصرا خاصاً للحاكم وأسرته أو كما جرى التعبير أنه قصر عائلى فقد روعيت فيه البساطة فى زخرفة جدرانه وسقوفه وهذه البساطة نسبية فقط بالمقارنة مع عابدين ولكن يفوق بهاؤه فى الزخارف والأثاث أى مكان آخر .

وبحكم أن قصر القبة كان من القصور الخاصة . فقد كان فاروق يضع فيه كل مجموعاته الخاصة من النقود . أو طوابع البريد . أو العصى . أو المباسم . أو

الساعات . وغيرها . وقد عرضت هذه المجموعات ومافى القصر من تحف مختلفة وسجاد نادر للجمهور بعد قيام الثورة سنة ١٩٥٢ . فترة من الزمن .

وسبحان من له الدوام .

الفصل التاسع

جزيرة الروضة

ذكر المقريزى فى خططه أن جزيرة الروضة أقدم الجزر فى نهر النيل . ولعله يعنى فى مواجهة العاصمة . فجزيرة الروضة كانت موجودة عند دخول العرب سنة ٢٠هـ (٦٤١م) . أما غيرها من الجزر مثل الزمالك وجزيرة الذهب وغيرهما فقد حدثت فى الأسلام .

وهى على شكل بيضاوى تقريباً . أو كما ذكر على باشا مبارك أنها على شكل مركب مستطيلة الشكل من الشمال إلى الجنوب .

والمسافة بين طرفها الشمالى عند فندق الميريديان وبين طرفها الجنوبى عند المقياس ٣٢٠٠ متر تقريباً . وهو طول الجزيرة . كما أن عرضها فى وسط هذه المسافة من فرع النيل الشرقى إلى فرعه الغربى ٦٠٠متر تقريبا . وهذه المسافة قريبة مما ذكره على باشا مبارك . وهى تعطينا مساحة ٣٠٠ فدان تقريباً .

ولم يكن هذا عرض الجزيرة قديماً . فعند الفتح العربى كان الفرع الشرقى للنيل أقوى وأكبر الفرعين . وكان جامع عمرو بالفسطاط . وقصر الشمع (حصن بابليون) . يطلان على النيل . والأن يبعد جامع عمرو ٥٢٥ متراً تقريباً . ويبعد حصن بابليون ٤٥٠ متراً تقريباً . عن مجرى النيل الحالى بهذا الفرع الشرقى .

ثم تحول هذا الفرع غرباً على دفعات حتى القرن السادس الهجرى (١٢م) . ومن هذا التاريخ ثبت على حاله فى مجراه الحاضر . وخلف أراضى نعرفها الآن بجاردن سيتى وميدان التحرير وباب اللوق والمنيرة والقصر العينى وفم الخليج . وغيرها . وقد سبق ذكر هذا .

وكان الفرع الغربى للنيل بجوار جزيرة الروضة . فى المسافة بين كوبرى الجيزة (كوبرى عباس) وبين كوبرى الجامعة غرباً عن مجراه الحالى بمسافة من ٣٥٠ - ٥٠٠ متر . حيث كان مجراه السابق فى موقع حدائق الحيوان وحدائق الأورمان شرقى كليتى الزراعة والهندسة بجامعة القاهرة .

أما الجزء الجنوبى من هذا الفرع غربى جزيرة الروضة المواجه لبندر الجيزة جنوبى كوبرى الجيزة فلم يغير مجراه منذ الفتح العربى .

وظل هكذا مجرى الفرع الغربى شمال كوبرى الجيزة حتى عهد الخديوى إسماعيل . فأمر بتحويل مجرى النيل شرقاً إلى مجراه الحالى . وتم هذا فى المدة من سنة ١٨٦٣ - سنة ١٨٦٥م . وردمت شركة فرنسية الجزء المتخلف من هذا التحول . وأنشأ إسماعيل فى هذا الجزء سراى الجيزة . وشمالاً منها حدائق الأورمان (أى الغابة)[١] .

ومنذ القرن السابع الهجرى (١٣م) بدأ النيل يقوى مجراه فى الفرع الغربى . كما يضعف فى الفرع الشرقى المواجه للفسطاط . حتى كان هذا الفرع يجف فى أيام التحريق . ويخاض بين الفسطاط والجزيرة سيراً على الأقدام .

ولاقى الناس فى ذلك مشقة كبيرة . فقد بعُد مأخذ الماء عنهم . فكانوا يستقون من الفرع الغربى . فارتفع أجر السقائين . وتضاعف ثمن راوية الماء ثمانية أضعاف .

فاهتم الناصر محمد بن قلاوون . ومن تلاه من السلاطين . بعلاج ذلك . بالحفر فى الفرع الشرقى أيام التحريق . وإلقاء مراكب عديدة من الأحجار وغيرها فى

---

(١) من بحث للمؤرخ محمد بك رمزى نشر بمجلة العلوم سنة ١٩٤٢ . ونشره الدكتور عبد الرحمن زكى فى كتاب القاهرة) سنة ١٩٤٣ .

المجرى الغربى . ليضعف سير الماء فيه . ويتحول بعضه إلى الفرع الشرقى . وقد تحقق هذا إلى حد ما .

ولكن ظل هكذا حال الفرع الشرقى لاتتصل فيه المياه أيام التحريق على الدوام . بل تجف فى بعض السنين . واستمر هذا حتى العصر الحديث .

وقد ذكرنا فى الفصل الثانى من القسم الثانى الخبر سنة ١٨٧٥ فى عهد إسماعيل عن تكاليف القناة التى عملت لتوصيل مياه البحر بجهة القصر العالى والقصر العينى ومنه يفهم حال الفرع الشرقى للنيل بجوار جزيرة الروضة .

كما ذكرنا أيضاً فى نفس الفصل - للاستطراد - جفاف المياه فى بعض السنين فى الفرع الغربى للنيل أمام جزيرة الزمالك - الذى كان معروفاً باسم البحر الأعمى . وأن جزيرة الزمالك لم تصبح جزيرة بالمعنى الصحيح إلا بعد سنة ١٨٧٥ .

ومنذ ذلك التاريخ أمكن ما يسمى بتهذيب النهر . فثبت نهر النيل على أوضاعه الحالية مقابل العاصمة بدون تغيير .

أسماء جزيرة الروضة وعهد عمرو بن العاص :

وكانت جزيرة الروضة معروفة عند الفتح باسم الجزيرة . وباسم جزيرة مصر . وأما اسم جزيرة الروضة . فلم يرد إلا بعد الفتح بما يقرب من الخمسة قرون كما سنذكر بإذن الله .

وكان لجزيرة الروضة دور بارز منذ الفتح الإسلامى . فعندما اشتد ضغط المسلمين على حصن بابليون (قصر الشمع) انتقل المقوقس زعيم القبط ومن معه من جموع الروم والقبط إلى الجزيرة . وسقط الحصن بأيدى المسلمين فى أول المحرم سنة ٢٠ هـ (٢١/١٢/٦٤٠م) . ثم تم الصلح كما هو معروف . وأعطاهم عمرو بن العاص عهداً قال فيه :

(بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم . وملتهم . وأموالهم . وكنائسهم . وصلبهم . وبرهم . وبحرهم . لايدخل عليهم شىء من ذلك . ولا ينتقض . ولاتساكنهم النوبة . وعلى أهل مصر أن يعطوا الجزية . إذا اجتمعوا على هذا الصلح . وانتهت زيادة

نهرهم خمسين ألف ألف . وعليهم ماجنى لصوتهم (لصوصهم) . فأن أبى أحد منهم أن يجيب . رفع عنهم من الجزية بقدرهم . وذمتنا ممن أبى بريئة . وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رفع عنهم بقدر ذلك . ومن دخل فى صلحهم من الروم والنوبة . فله مثل مالهم وعليه مثل ما عليهم . ومن أبى منهم واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه . أو يخرج من سلطاتنا . عليهم ماعليهم أثلاثا . فى كل ثلث جباية ثلث ماعليهم على مافى هذا الكتاب . عهد الله وذمة الخليفة أمير المؤمنين . وذمم المؤمنين . وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأساً . وكذا وكذا فرساً . على ألا يمنعوا من تجارة صادرة أوواردة) وشهد عليه الزبير بن العوام وابناه عبد الله ومحمد . وكتبه وردان مولى عمرو بن العاص .[1]

والمعروف أنهم اجتمعوا على عهد بينهم . واصطلحوا على أن يُفرض على جميع من بمصر . أعلاها وأسفلها . ديناران ديناران عن كل نفس . شريفهم ووضيعهم . ليس على الشيخ الفانى . أوعلى الصغير الذى لم يبلغ الحلم . ولا على النساء شىء . وعلى أن للمسلمين حق النزل بجماعتهم حيث نزلوا . ومن نزل عليه ضيف أو أكثر من المسلمين كانت لهم ضيافتهم ثلاثة أيام مفترضة عليهم . وأن لهم أرضهم وأموالهم لا يتعرض لهم فى شىء منها .

ويبدو أن هذه الجزية غير الخراج الذى كان يفرض على القرى لواقع حالتها . ويتغير من سنة لأخرى تبعاً لأنواع ومساحة زراعاتها . ولا نتعرض هنا لتفصيل هذا . ولا للخلاف بين المؤرخين هل فتحت مصر عنوة أو صلحاً . وأثر هذا فى فرض الضرائب . فهذا موضوع آخر .

ولكن يهمنا هنا ماورد فى عهد عمرو بن العاص من ربط استحقاق الجزية أو الخراج بوفاء النيل . وهذا مادعا للاهتمام بإثبات وفاء النيل فى كل العصور الإسلامية وكان مقياس النيل بجزيرة الروضة هو الحكم فى هذا الوفاء .

دار الصناعة والحصن :

ثم أنشئت فى الجزيرة سنه ٥٤هـ دار الصناعة فى ولاية مسلمة بن مخلد الأنصارى .

---

(١) النجوم الزهراء لابن تغرى بردى جـ١ صـ٢٤ .

والمقصود بدار الصناعة صناعة السفن البحرية بنوعيها الحربية والتجارية . ولكن اهتمام الدولة كان لانشاء السفن الحربية .

وقد حرف العامة لفظ دار الصناعة إلى ترسانة . كما نقل اللفظ إلى اللغات الأوربية . فكلمة arsenal معناها مخزن للأدوات الحربية .

وفى سنه ٢٦٣ هـ (٨٧٦ م) . فى خلافة المعتمد بالله بن المتوكل العباسى (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ) حصلت جفوة بين الموفق طلحة أخى المعتمد وبين أحمد بن طولون الوالى على مصر .

وموجز خبر هذه الجفوة أن المعتمد بالله جعل ولاية العهد بعده لابنه المفوض وبعد المفوض لأخيه الموفق وقسم بينهما أعمال الدولة فلابنه المفوض الأقطار الغربية بما فيها مصر . ولأخيه الموفق الأقطار الشرقية . وعلى كل منهما نفقات جهاته . وحرر بينهما عقداً بذلك علقه بالكعبة .

وكان المعتمد سادراً فى شهواته غير ملتفت لشؤون الحكم . فتسلط أخوه الموفق على الدولة . وكانت كل أمورها فى يديه . وقامت فى هذه الأثناء ثورة الزنج بالبصرة يقودها شخص يدعى الانتساب إلى العلويين واستفحل أمره . واشتد بأسه . وهزم جيوش الدولة مرات . وشغل الموفق بمحاربته مايقرب من العشرين عاماً (٢٥٥ - ٢٧٦ هـ) حتى تغلب عليه .

واحتاج الموفق للمال لما استلزمته هذه الحروب من نفقات . فأرسل إلى أحمد ابن طولون يستمده . فأرسل إليه ١٫٢٠٠٫٠٠٠ مليوناًومائتى ألف دينار . فاستقلها الموفق . وأرسل يوبخه بعبارات شديدة لم يتحملها ابن طولون . فرد عليه بعبارات أشد أنه لايقع فى دائرة نفوذه . وليس عليه أى التزام له بل التزامه لصاحب الأقطار الغربية وهو المفوض بن المعتمد .

وكان المعتمد أرسل فى نفس الوقت لابن طولون يطلب الخراج وماا عتاد إرساله معه من هدايا وألطاف . وكتب إليه سرا يحذره من رسول الموفق أنه عين عليه . وأن الموفق أرسله بكتب لبعض القواد والأعيان .

وتحقق لابن طولون هذا . وعاقب هؤلاء القواد والأعيان . وساءما بينه وبين

الموفق . فكلف موسى بن بغا وهو أكبر قواد الدولة قوة وجاها ومركزاً بمحاربة ابن طولون وتولية آخر خلفاًله .

وأكرب أحمد بن طرلون هذا الأمر . لاعجزاً عن مقاومة ابن بغا . ولكن لما تظهره هذه المقاومة بمظهر العاصى .

وكان رجلاً بعيد النظر . فرأى ان يحمى نفسه وأمواله . فأنشأ فى الجانب الشرقى من الجزيرة حصناً نقل إليه حريمه وأمواله وذخائره . كما أرسل سفناً تسد مدخل النيل عند دمياط خوفاً من أن يؤ تى من جهة البحر الأبيض . ومنع السفن من نقل المؤ ن والغلال من الصعيد حتى لاتكون ميرة للجيش المهاجم .

واهتم ابن طولون بهذا الحصن حتى تم فى أقصر وقت . وأراد الله له الخلاص من هذا المأزق . فقد تلكأ ابن بغا فى الشام فى قصد ابن طولون لما عرف عنه من القوة والمنعة وشدة المراس . ثم مرض ابن بغا وتوفى قبل أن يتوجه إلى مصر .

وقيل أن من الأسباب التى دفعت ابن طولون إلى تحصين نفسه بإنشاء هذا الحصن . أن الموفق أراد أن يشغل باله . فكلف من سرق نعل ابن طولون من مكان كان يبيت فيه مع إحدى محظياته . وأرسل إليه النعل قائلاً : قد كلفنى الحصول على هذا النعل خمسين ألف درهم . ولوأردت قتلك لفعلت . فقد تمكنت منك .

وكان بالحصن المذكور دار الصناعة .

وعرفت الجزيـرة من ذلك التـاريخ عـلاوة على اسمـائها السـابقة بجـزيرة الحصن .

بستان المختار واسم حزيرة الروضة :

وظل الحصن حتى عهد محمد بن طغج الإخشيد فى ولايته الثانية (٣٢٣ - ٣٣٤ هـ) .

فقد رأى الإخشيد أن موقع دار الصناعة فى جزيزة الروضة ليس استراتيجياً . مادام الماء يحول بينها وبين البلاد . فأنشأ دارا للصناعة بالفسطاط سنة ٣٢٥ هـ مقابل جزيرة الروضة .

فأهمل شأن الحصن . وأنشأ الإخشيد بجواره بستاناً كان ينتقل إليه للنزهة . وسماه البستان المختار .

وبالروضة الآن شارع باسم المختار يصل بين فرعى النيل الشرقى والغربى . وهو جنوبى كوبرى الملك الصالح وكوبرى الجيزة بحوالى ٤٠٠ متر تقريباً . وفى نهايته الشرقية شجرة المندورة وسيأتى ذكرها بإذن الله .

وقال المقريزى : ولم يزل هذا الحصن على الجزيرة حتى أخذه النيل شيئاً بعد شىء . وقد بقيت منه بقايا متقطعة للآن[1] . اهـ . (المقريزى توفى سنه ٨٤٥ هـ = ١٤٤١م) .

وفى هذا مايتفق مع ماذكرناه فى أول هذا الفصل عن تحول الفرع الشرقى للنيل غرباً . أى أن جزءاً من هذا الحصن ودار الصناعة كان فى مجرى الفرع الشرقى الحالى المعروف بسيالة الروضة وفى موقع شارع كورنيش النيل المؤدى إلى المعادى وحلوان .

وظل بستان المختار متنزهاً للأخشيد ومن بعده من أسرته . حتى استولى الفاطميون على الحكم فى مصر (٣٥٨ - ٥٦٧هـ) فكان أيضاًمتنزها للمعز الفاطمى وابنه العزيز ومن بعدهما من الخلفاء حتى عهد الآمر بأحكام الله الفاطمى (٤٩٥ - ٥٢٤) . وكان المستولى على الحكم فى صدر دولته وزيره الملك الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى . فأنشأ فى شمال الجزيرة بستاناً سماه بستان الروضة . فعرفت الجزيرة باسم جزيرة الروضة . وغلب هذا الاسم على غيره من الاسماء .

الأسطول المصرى :

ذكرنا فى الفصل الخامس من القسم الثانى - وهو الفصل الخاص بالأزبكية - اهتمام الفاطميين بالأسطول . وقد بلغت عدد قطعه فى عهد المعز ٦٠٠ قطعة . وأنه كانت لهم ثلاث دور للصناعة . واحدة بالمقس عند جامع أولاد عنان[2] بشارع الجمهورية حيث كانت لهم منظرة هناك يجلس فيها الخليفة لتوديع واستقبال الأسطول لأن النيل يجرى هناك . وثانية بالفسطاط . وثالثة بجزيرة الروضة .

---

(١) خطط المقريزى جـ ٢ صـ ١٧٨ .

(٢) ذكرنا هذا الجامع فى الفصل الرابع من القسم الأول .

الهودج :

وكان الآمر بأحكام الله صغيراً عندما تولى الحكم سنة ٤٩٥هـ . فقد كان طفلاً ابن خمس سنين . فلما كبر ضاق بتسلط الأفضل عليه وعلى شؤون الدولة . فدبر مؤامرة قتل فيها الأفضل فى عيد الفطر سنة ٥١٥هـ . واستوزر بعده المأمون البطائحى . ثم قتل المأمون سنة ٥١٩هـ . فلم يعين الآمر وزيرا بعده . واستبد بالحكم .

وأعاد الآمر كثيرا من أبهة الحكم وبهجته . وجدد رسوم الدولة وعاداتها بعد أن كانت قد تضاءلت فى عهد الأفضل . ولكن فى عهد الآمر استولى الصليبيون على كثير من أراضى فلسطين مثل عكا وغزة وطرابلس وغيرها وقال المقريزى فى ترجمته [1] أن أيامه كلها كانت لهواً ومعيشة راضية . لكثرة عطائه وعطاء حواشيه بحيث لم يوجد بمصر والقاهرة إذ ذاك من يشكو زمانه البتة !!

وكان به إقدام وفتوة وفروسية . وكان أسمر شديد السمرة يحفظ القرآن . ويكتب خط ضعيفاً . وله شعر متوسط فى الجودة . ولكن يتفق مع روحه الوثابة . فقد كان يحلم أن يغزو بغداد . فمن شعره :

دع اللوم عنى لست بموثق فلابد لى من صدمة المتحقق
وأسقى جيادى من فرات ودجلة وأجمع شمل الدين بعد تفرق

وكان بالآمر غرام بالنساء البدويات . فكان يرسل العيون إلى البوادى والنجوع للبحث عنهن . فإذا نقل إليه مايروق له عن إحداهن . سعى للحصول عليها من أهلها . فسمع أن بالصعيد بدوية كاملة الحُسن ظريفة شاعرة . فيقال أنه تزيا بزى الأعراب إلى أن انتهى إلى حَيِّها . ونزل ضيفاً على أهلها . وتحايل حتى رآها . فعشقها . ورجع إلى العاصمة . فأرسل يخطبها من أهلها . ووافقوه فتزوجها . وحظيت عنده بأسمى منزلة . وكانت هذه البدوية قد ألفت طلق الهواء وتسريح النظر فى الفضاء والسماء . فضاقت نفسها أن تكون حبيسة جدران

---

(١) الخطط جـ ٢ صـ ٢٩١ .

القصور . فشكت للآمر . فأنشألها بجوار البستان المختار مكاناً يتفق مع مشربها أسماه الهودج .

وكانت تحن إلى ابن عم لها ذكروا أن اسمه ابن مياح . فكتبت إليه وهى عند الآمر :

يـابن ميـاح إليـك المشتكى   مـالـك من بعـدكم مـا ملكـا
كـنت فى حبى مـرءا مـطلقـا   نـائلا مـا شئت منكم مـدركـا
فـأنـا الآن بـقـصـر مـوصـد   لا أرى إلا حـبيـبـا ممـسـكـا
كـم تـأنينـا بـأغصـان اللوا   حيث لا نـخشى علينـا دركـا
وتـلاعـبنـا بـرمـلات الحمى   حيثـما شـاء طـليق سـلكـا

وأجابها ابن مياح :

بـنـت عـمـى الـتى غـذيتـهـا   بـالهـوى حتى عـلا واحتـنكـا
بحت بـالشكوى وعندى ضعفها   لـوغـدا ينفـع منهـا المشتكى
مـالـك الأمـر إلـيـه يشـتكى   هـالـك وهـو الـذى هـلكـا
شـأن داود غـدا فى عـصـرنـا   مبـديا بـالتيـه مـاقـد ملكـا

وبلغت الآمر الأبيات فقال : لولا أنه أساء الأدب فى البيت الرابع لرددتها لأهلها وزوجتها له . وغضب الآمر على ابن مياح . فهرب واختفى . وطلبه الآمر فلم يصل إليه .

وكان هناك شاعر من بنى طىء اسمه طراد تحمس لابن مياح وبنت عمه فقال أبياتاً :

ألا أبـلغـوا الآمـر المصـطفى   مـقـال طـراد ونـعـم المقـال
قـطعـت الأليـفـين عـن ألـفـة   بهـا سمـر الحى بـين الـرجـال
كـذا كـان آبـاؤك الأقـدمـون   سـألتُ فقـل لى جـواب السؤال

فلما بلغ الآمر شعره قال جواب السؤال قطع لسانه على فضوله . فاختفى أيضاً طراد . وطلبه الآمر فلم يصل إليه وقال الناس ماأخسر صفقة طراد باع أبيات الحى بثلاثة أبيات من الشعر وتناقل الناس الأشعار وأخبار البدوية . وهذا الخبر

يصلح أن يكون قصة درامية كاملة للمسرح وللسينما[1] .

ولم يزل الأمير يتردد على الهودج للنزهة . حتى وثب عليه قوم من النزارية . كانوا يكمنون له تحت رأس الجسر (أى الكوبرى وسيأتى ذكره) بين الفسطاط والروضة وضربوه بالسكاكين حتى أثخنوه . ونقل إلى منظرة اللؤلؤة بشاطىء الخليج فتوفى هناك فى ذى القعدة سنة ٥٢٤ هـ (اكتوبر سنة ١١٣٠م)[2] .

منظرة المشتهى :

وكان للفاطميين منظرة أخرى بجزيرة الروضة غير الهودج . عُرفت بالمشتهى . والمنظرة عبارة عن قصر صغير كامل المشتملات والمرافق :

وقد ذكرها المقريزى ضمن المناظر[3]. واكتفى بذكر الاسم فلم يحدد موقعها فى الجزيرة . ولا تاريخ إنشائها . كما ذكر رباط المشتهى وقال أنه يطل على النيل . وكذلك لم يحدد أيضاً موقعه ولا تاريخ إنشائه [4].

ولكن على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية [5] يذكر زاوية المشتهى ويقول أنها المعروفة الآن بزاوية الكازرونى .

---

(١) تذكرنا هذه القصة بقصة ميسون بنت بجدل الكلبية زوجة معاويه بن أبى سفيان . ووالدة ابنه يزيد فقد برمت بحياة الترف وسكنى القصور وحنت إلى حياة البادية التى نشأت فيها فقالت الأبيات المشهورة . منها :

لبيت تخفق الأرياح فيه	أحب إلى من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عينى	أحب إلى من لبس الشفوف
وأكل كسيرة فى عقر بيتى	أحب إلى من أكل الرغيف
وكلب ينبح الطراق دونى	أحب إلى من قط ألوف
وخرق من بنى عمى نحيف	أحب إلى من علج عنوف

وسمعها معاوية تقول هذه الأبيات . أو نقلت إليه . فقال : مارضيت بنت بجدل حتى جعلتنى علجاً عنوفاً . هى طالق ثلاثاً . دعوها تأخذ مافى القصر فهو لها . ثم سيرُها إلى أهلها بنجد . وكانت حاملا بيزيد . فولدته وأرضعته سنتين . ثم أخذه معاوية .

وميسون فى اللغة معناها الغلام الحسن القد .

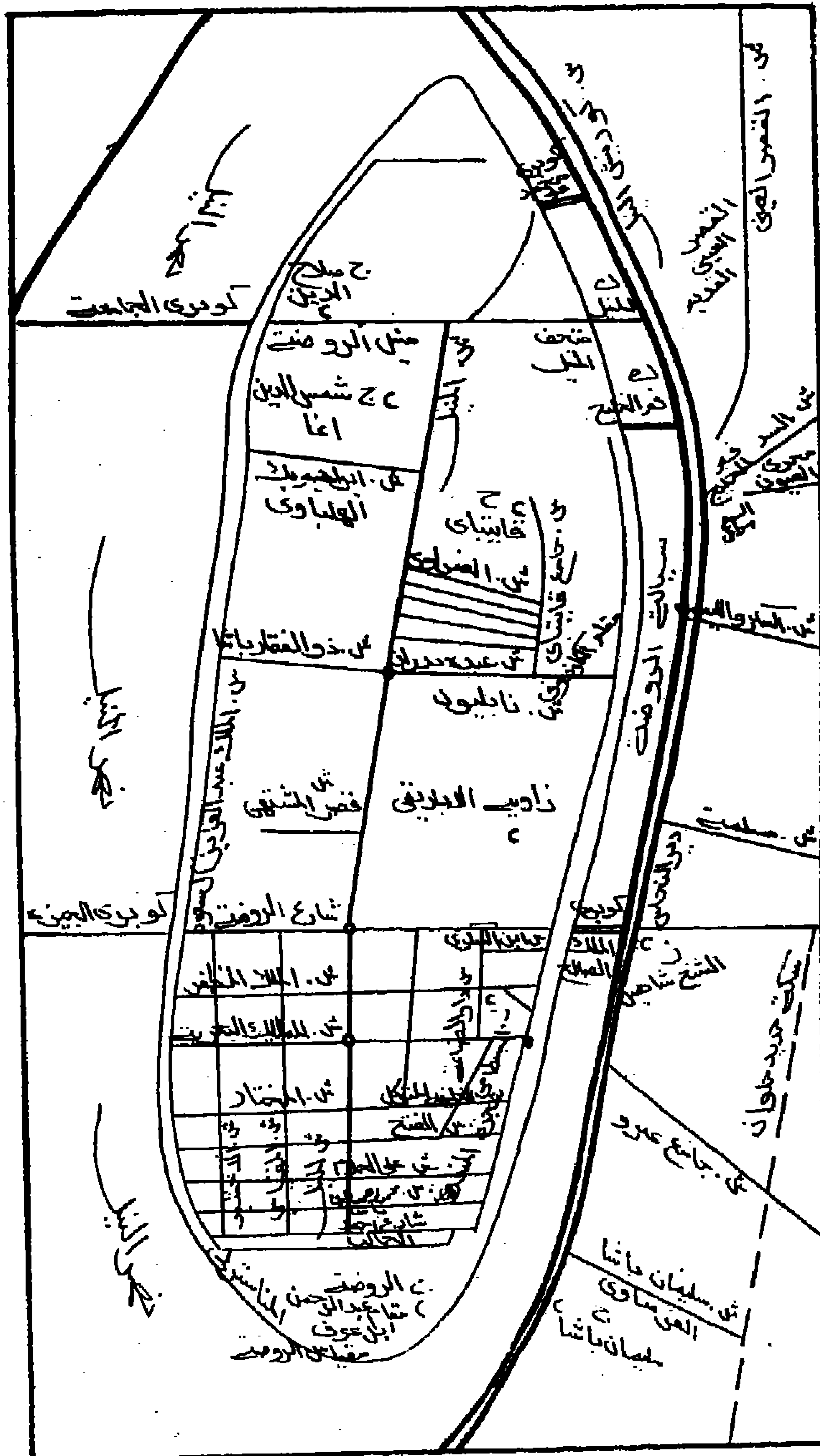
(٢) لما توفى المستنصر بالله سنة ٤٨٧ تولى بعده ابنه المستعلى بالله . وتعصب فريق لنزار بن المستنصر وظلوا يقاومون المستعلى وابنه الآمر . وعرفوا بالنزارية . واللؤلؤة كانت أشهر مناظر الفاطميين وكان موقعها خلف مسجد الشعرانى بباب الشعرية . وقد مر ذكرها .

(٣) خطط المقريزى جـ ١ ص٤٩٠ (٤) خطط المقريزى جـ ١ ص٤٢٨

(٥) الخطط التوفيقية جـ١٨ ص١٤ . وهذه الخطط طبعت من سنه ١٣٠٤ - سنه ١٣٠٦هـ = سنه ١٨٨٦ - سنه ١٨٨٨م

رسم كروكي (٥)

لجزيرة الروضـــــــه



وزاوية الكازرونى منسوبة إلى الشيخ المعتقد بهاء الدين محمد بن عبد الله الكازرونى أحد أعلام الصوفية . أخذ الطريق عن الشيخ أحمد الحريرى خادم ياقوت العرشى خادم أبى العباس المرسى عن أبى الحسن الشاذلى . وتوفى سنة ٧٧٤هـ (١٣٧٢م .)

وكانت هذه الزاوية موجودة لغاية الأربعينات من هذا القرن وكان موقعها عند نهاية شارع عبده بدران المتفرع من شارع المنيل بالقرب من محطة الأتوبيس المعروفة بمحطة الباشا . والمتجه شرقاً عند التقائه بشارع قايتباى . وكانت الزاوية غربى سراى للخديوى اسماعيل . وقد جددتها والدته فى أواخر القرن الماضى .

وقد أزيلت الزاوية المذكورة لإنفاذ امتداد شارع جامع قايتباى .

فكأن الجهة هناك كانت معروفة بالمشتهى نسبة لمنظرة المشتهى .

ويوجد بالروضة الآن شارع متفرع من شارع المنيل يتجه غرباً . وعلى ناصيته سينما جرين . واسمه شارع قصر المشتهى .

وهذا الموقع بعيد عن موقع زاوية الكازرونى .

شجرة المندورة :

وقد ذكرت أن شجرة المندورة تقع على الفرع الشرقى للنيل مقابل نهاية شارع المختار السابق ذكره . والحى هناك يعرف بحى المندورة .

والأصل فى الاسم شجرة نبق كبيرة كانت ببستان هناك وقف للسادات الوفائية . تعتقدها النساء وكثير من الرجال . وينسبون لها كرامات فى شفاء كثير من الأمراض . وينذرون لها النذور . ولذلك سميت بالمندورة .

وفى حوالى الثلاثينات من هذا القرن استبدلت أرض البستان المذكور وقسمت أراضى للبناء . واحتاج الأمر لقطع هذه الشجرة . ولكن تمسك من لهم مصلحة بالقيمة الاعتقادية للشجرة . فزرعوا هناك على شاطىء النيل شجرة أخرى بدلاً منها . أو لعلها كانت موجودة من ضمن أشجار البستان واعتبروها بدلاً من تلك . ويقيم تحتها فى عشة رجل طاعن فى السن يجمع النذور والصدقات . وإن كان اعتقاد الناس فى الشجرة يتضاءل شيئاً بعد شىء لتقدم الوعى .

وقد ذكر على مبارك[1] أنها شجرة نبق . والشجرة الحالية شجرةجميز .

قلعة الروضة :

وكما أن الظروف السياسية دفعت أحمد بن طولون لانشاء حصن بجزيرة الروضة . فقد دفعت أيضاً الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٧ - ٦٤٧هـ) إلى إنشاء قلعة الروضة .

فقد كان الهم الأكبر للدولة الأيوبية طول عمرها القصير الذى استمر ٨١ عاماً (٥٦٧ - ٦٤٨هـ) هو مكافحة من كانوا يسمون بالصليبيين الذين اشتد ضغطهم للاستيلاء على الشام وفلسطين . وانتصارات صلاح الدين الأيوبى عليهم فى كثير من المواقع أشهرها موقعة حطين سنة ٥٨٢هـ (١١٨٦م) واسترداد بيت المقدس وغيره من المدن والمواقع خبر معروف وليس هنا مكانه .

وقصد الصليبيون الاستيلاء على مصر ثلاث مرات . وكانت المرة الأولى فى أواخر عهد الفاطميين .

فلما اشتد التنافس بين شلور وضرغام على وزارة العاضد لدين الله آخر الخلفاء الفاطميين . وتغلب ضرغام . واستنجد شاور بالسلطان نو، الدين بن زنكى وكان يملك دمشق وأغلب الشام . فأرسل معه أسد الدين شيركوه - عم صلاح الدين بن أيوب - وأمكن لشيركوه هزيمة ضرغام وقتله .

ثم اختلف شاور مع شيركوه . فراسل شاور الأفرنج ليعينوه على أسد الدين شيركوه . وأطمعهم فى تملك مصر . وعاد شيركوه إلى الشام لاحتياج نور الدين له . واشتد طمع الإفرنج فى مصر حتى أنهم تسلموا أسوار القاهرة الفاطمية . وأعدوا فيها شحنة (أى قوة عسكرية) للمقاسمة فيما يتحصل من العوايد والرسوم .

وساء أمر شاور واشتد عسفه . وزادت إهانة الإفرنج للمسلمين . وأحرق شاور الفسطاط بحجة الخوف من استيلاء الإفرنج عليها . واستمر الحريق بها ٥٤ يوماً حتى أتى على ما فيها وتركها خرابا .

---

(١) الخطط التوفيقية جـ١٨ ص١١

وكاتب العاضد الفاطمى السلطان نور الدين سنة ٥٦٤هـ (١١٦٨م) يستنجد به . فأرسل أسد الدين شيركوه مرة ثانية . ومعه ابن أخيه صلاح الدين . على رأس قوة هزمت الإفرنج وطردتهم . وقتل شاور .

وتقلد شيركوه وزارة العاضد . ولكنه توفى بعد شهرين . فأقام العاضد مكانه صلاح الدين . الذى استبد بالحكم . وانتهى به الأمر أن قطع خطبة العاضد . وخطب للخليفة العباسى المستضىء بالله بن المستنجد بالله . وتوفى العاضد فى عاشوراء سنة ٥٦٧هـ (١٢/٩/١١٧١م) بعد قطع اسمه من الخطبة بثلاثة أيام . وانتهى حكم الفاطميين والمذهب الشيعى بمصر . وبدأ عهد الأيوبيين .

والمرة الثانية من قصد الإفرنج لمصر كانت فى عهد الكامل الأيوبى (٦١٥ - ٦٣٥هـ) . وهو ابن أخى صلاح الدين والخامس من سلاطين بنى أيوب[١] .

فقد استولى الإفرنج على دمياط سنة ٦١٦هـ (١٢١٩م) بعد حصار سبعة عشر شهراً تقريباً . وأنشأ الكامل وقتها مدينة المنصورة لتكون مركزاً له ولقواته فى صد العدو . وتقدم العدو نحو المنصورة . وأخيراً أمكن للمسلمين التغلب عليهم . وتم الاتفاق فى رجب سنة ٦١٨هـ (١٢٢١م) على جلائهم عن دمياط بعد أن مكثت فى أيديهم ما يقرب من السنتين . وأعطى الإفرنج عشرين ملكاً وأميراً بصفة رهائن لتنفيذ الاتفاق . كما قدم الكامل ابنه الصالح نجم الدين أيوب بصفة رهينة .

والمرة الثالثة كانت بعد الثانية بثلاثين عاماً . فقد عاد الإفرنج فى عهد الصالح نجم الدين أيوب فى صفر سنة ٦٤٧هـ واستولوا على دمياط ثانية لمدة سنة تقريباً . ثم أمكن للمسلمين فى أواخر سنة ٦٤٧هـ (١٢٤٩م) التغلب عليهم وأسر لويس التاسع ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية . واستمر فى الأسر ٣٢ يوماً . حتى افتدى نفسه بمبلغ كبير من المال . مع الجلاء عن دمياط . وكان الإفرنج قد حصنوها تحصيناً يجعلها تصد أى هجوم[٢] .

---

(١) راجع الجدول الثالث عشر بالقسم الثالث .

(٢) توفى لويس التاسع فى حملة صليبية أخرى على تونس سنه ٦٦٩هـ . واستمرت الحروب الصليبية حتى عهد الأشرف خليل بن قلاوون (٦٨٩ - سنه ٦٩٣) حيث تمكن من استرداد عكا وصيدا وصور وبيروت وانطرسوس . وبذلك طهر الشام وسواحله منهم نهائياً بعد أن لوثوه باحتلالهم ما يقرب من القرنين .

وكان الصالح ولى عهد أبيه الكامل . ثم غضب عليه وجعل ولاية العهد للعادل الثانى بن الكامل . الذى تولى بعد أبيه ما يقرب من السنتين . ثم تغلب الصالح على أخيه العادل وخلعه وتولى الحكم من ٦٣٧ - ٦٤٧هـ .

وكان الصالح مشاركاً لأبيه فى شؤون الحكم . فاستشعر الخطر على مصر وطمع الإفرنج فيها . فلما تولى الحكم شرع فى تحصين نفسه سنة ٦٣٨ - كما فعل ابن طولون - بإنشاء قلعة بجزيرة الروضة لجعلها مركزا للدفاع عن البلاد إذا تقدم الإفرنج للداخل ولم يمكن صدهم .

وكانت جزيرة الروضة ملكاً للملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب . وهو ابن أخى صلاح الدين . وجد الملوك الذين حكموا ولاية حماه بصفتهم نوابا عن سلاطين مصر لمدة أقل قليلاً من القرنين من الزمان . وآخرهم أبو الفداء المؤرخ المعروف . وكان تقى الدين عمر ينوب عن عمه صلاح الدين فى مصر .

وكان صلاح الدين بالشام . فأرسل ابنه العزيز عثمان لينوب عنه فى حكم مصر . واستدعى تقى الدين عمر إليه بالشام .

وتحقق للمظفر تقى الدين عمر أنه لن يعود إلى مصر . وكانت من أملاكه الدار المعروفة بمنازل العز . وهى أصلاً قصر يطل على النيل بالفسطاط من قصور السيدة تغريد زوجة المعز لدين الله الفاطمى ووالدة ابنه العزيز . وكان صلاح الدين وهبها له فاتخذها سكنا . فلما تقرر انتقاله جعل هذه الدار مدرسة عرفت بالمدرسة التقوية . وأوقف عليها جزيرة الروضة بأكلمها .

فاستأجر الصالح نجم الدين الجزيرة سنة ٦٣٨ من القاضى المعروف بابن السكرى . مدرس المدرسة المذكورة وله مباشرة أوقافها . لمدة ستين سنة فى دفعتين كل دفعة قطعة . والقطعة الأولى من البحر للبحر شمال جامع غين المعروف موضعه الآن بزاوية الأباريقى بالقرب من مكتب بريد الملك الصالح . وسيأتى ذكره بإذن الله . والقطعة الثانية باقى الجزيرة .

وتسلمت القطعة الأولى للوقف سنة ٦٩٨هـ بعد انتهاء مدة الأيجارة وتنوسيت

هذه الأيجارة مع تقادم الزمن بالنسبة لباقى الأراضى واعتبرت من أملاك الدولة بوضع اليد (١) .

فوقع الهدم فى المساجد والدور والقصور التى كانت بالجزء الجنوبى من الجزيرة بجانب المقياس . وأنشأ القلعة . وجعل بها ستين برجاً دائراً حولها . وملأها بالغلال والمؤن والأقوات . ونقل إليها العمد الصوان والرخام من المعابد المصرية القديمة . وشحنها بالأسحلة وأدوات الحرب . وبالغ فى الاجتهاد فيها والإنفاق عليها حتى قيل أن كل حجر منها تكلف ديناراً .

ولعل الصالح كان يرى أن موقع القلعة بالجزيرة يحيط بها الماء من كل جهة أفضل استراتيجياً من قلعة الجبل التى أنشأها صلاح الدين . واتخذها الكامل مقراً للحكم . أو لعله أراد . - فضلاً عن التحصين - أن يتخذ متنزهاً وسكناً خاصاً يحوى أمواله وحريمه ومماليكه الذين أكثر من شرائهم . وعرفوا باسم المماليك البحرية نسبة لنشأتهم بالجزيرة . والذين وصل بهم الأمر أخيراً أن أزالوا دولة الأيوبيين وحلوا محلهم فى الحكم .

وبلغت عدة الجوامع التى هدمها ٣٣ جامعاً كما قيل . وأظن فى هذا الرقم بعض المبالغة . وهدم البستان المختار والهودج . وقطع ألف نخلة مثمرة فائقة الثمار . كان يتهادى ثمارها الملوك .

وفى هدم أحد هذه المساجد خبر يُذكر للعظة والعبرة . فقد أمر بهدم مسجد بعينه ليقيم مكانه قاعة من قاعات القصر بالقلعة . وتلكأ من كُلف بذلك كراهة فى هدم المسجد . وأحسَّ الصالح بهذا التلكؤ . فكلف آخر بهدم المسجد ليلاً . ونفذ الأمر . وبُنيت القاعة . ولكن لم يدخلها الصالح . فقد قدم الإفرنج . وخرج الصالح بعساكره إليهم . وتوفى الصالح أثناء المعركة . وأخفت زوجته شجرة الدر خبر وفاته عن الجيش . حتى لا تتزعزع أحوالهم . وكانت تصدر الأوامر كأنها منه . وأرسلت سراً إلى ابنه توران شاه وكان غائباً بالشام فقدم . وأمكن هزيمة الإفرنج وأسر لويس التاسع كما سبق ذكره .

---

(١) الخطط التوفيقية جـ ١ ص١٨ نقلا عن كوكب الروضة للسيوطى

ثم أساء توران شاه التصرف مع المماليك البحرية فقتلوه فى المحرم سنة ٦٤٨هـ (أبريل سنة ١٢٥٠م) وأقاموا شجرة الدر فى الحكم . ولعلها المرأة الوحيدة التى حكمت فى الاسلام بصفة رسمية .

وحمل جثمان الملك الصالح فى مركب . وأُتى به إلى الروضة . وحفظ فى تلك القاعة التى أنشئت محل المسجد . حتى بُنيت له تربته بجوار مدرسته الصالحية بجهة خان الخليلى فنقل إليها جثمانه .

وكانت ولاية سيدة لشؤون الحكم حدثا قوبل بالاستهجان من جميع الطبقات . وأخصها الخليفة العباسى فى بغداد . وكانت له السيادة الروحية . والحاكم فى مصر يسترد شرعية حكمه منه . فلبثت شجرة الدر فى الحكم أقل من ثلاثة شهور (من ١٠ صفر - آخر ربيع الآخر سنة ٦٤٨) . ثم تنازلت وتزوجت المعز عز الدين أيبك التركمانى أحد مماليك الملك الصالح البحرية . والذى تولى الحكم باللقب المذكور .

واختلف المعز أيبك مع زملائه المماليك البحرية . وعلى رأسهم بيبرس وقلاوون اللذان توليا الحكم فيما بعد . فحصرهم فى القاهرة الفاطمية بقصد إبادتهم . فاتجهوا إلى باب كان معروفاً بباب القراطين بالسور الشرقى للمدينة . فوجدوه مغلقاً . فأحرقوه . ونفذوا منه هاربين إلى الشام . وعرف الباب المذكور من ذلك التاريخ بالباب المحروق .

وأمر المعز أيبك بهدم قلعة الروضة . وأخذ من أنقاضها ما بنى به مدرسة أنشأها بالفسطاط كان اسمها المدرسة المعزية . وأخذ بعض أعيان الدولة من أخشاب القلعة وشبابيكها ورخامها جانباً . وباع البعض جانباً آخر . وظلت تمتد إليها الأيدى حتى تولى الحكم الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦هـ) .

وهو الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى الصالحى . تركى الجنس من القفجاق (شمال كردستان بين بحر الخزر والبحر الأسود ومن الاتحاد السوفيتى الآن) . وقع أسيراً فى زحف التتار . فاشتراه أحد تجار الرقيق وباعه فى حماه إلى علاء الدين أيدكين البندقدار . والبندقدار هو من يحمل غرارة البندق خلف السلطان أو الأمير . والبندق كرات صغيرة من الحجر أو الرصاص تستعمل فى صيد الطيور . ولما

صادر الصالح نجم الدين أيوب أستاذه أيدكين المذكور . آل بيبرس إلى الملك الصالح . ومن هنا كانت نسبته البندقدارى الصالحى .

وكان للمماليك البحرية فضل فى هزيمة الإفرنج سنة ٦٤٧ فى المعركة التى أسر فيها لويس التاسع وتوفى الملك الصالح أثناءها . وأظهر بيبرس شجاعة فائقة فى تلك المعركة مما قدمه على زملائه . ثم هربوا من المعز أيبك إلى الشام كما سبق ذكره .

وقُتل المعز أيبك سنة ٦٥٥هـ - قتلته زوجته شجرة الدر . وتولى بعده ابنه المنصور على من ٦٥٥ - ٦٥٧هـ . ثم انتزع منه الحكم المظفر قطز .

وفى هذه الأثناء كان زحف التتار المخرب حتى قضوا على الخلافة العباسية فى بغداد سنة ٦٥٦هـ وتقدموا نحو الشام فسقطت أغلب مدنه فى أيديهم . فحرقوا ونهبوا وسبوا وخربوا . وكان الموقف فى حاجة لتناسى الأحقاد وتضافر الجهود . فانضم بيبرس وزملاؤه إلى المظفر قطز .

وكان لبيبرس كبير الأثر فى الهزيمة التى أنزلها الجيش المصرى بالتتار فى عين جالوت سنة ٦٥٨هـ (١٢٦٠م) . وهى أول هزيمة لحقت بالتتار . فقد كان بيبرس يقود طلائع الجيش المصرى - وهى طلائع فدائية جُعلت صغيرة لتستدرج جيش التتار بينما اختفى أغلب الجيش . حتى إذا تقدم التتار نحو الطلائع ظهر الجيش وأحاط بهم . وتحقق النصر .

وشمخت أنوف البحرية بما كان لهم من فضل الانتصار وفكر قطز فى القضاء عليهم . فقد انتهت الحاجة إليهم . وشعروا بذلك . فبادروا إلى قتله فى طريق عودته إلى القاهرة وأقاموا بيبرس سلطاناً . ودخل بيبرس القاهرة وقد زُيِّنت لقطز . وجلس فى سرير الحكم بالقلعة . وتلقب بالقاهر . ثم غَيَّر لقبه إلى الظاهر .

وإذا كان بيبرس هو الخامس من سلاطين المماليك البحرية فى ترتيب الحكم (باعتبار شجرة الدر منهم) ولكنه فى الواقع يعتبر المنشىء الحقيقى لدولة المماليك . فهو الذى مكنَّ لها بفتوحاته الخارجية . ووطد مركزها بنقل الخلافة العباسية إلى القاهرة . يستمد الظاهر ومن تلاه منهم من سيادتها الروحية مسوغاً شرعياً لحكم

المماليك بعد أن كان غير مستساغ حكم مملوك مشترى[1] .

واستمرت الخلافة العباسية فى مصر من سنه ٦٥٩ حتى انتقلت إلى سلاطين تركيا بإستانبول سنه ٩٢٣ (١٥١٧م) بعد الفتح العثمانى [2]

ولانريد أن نسترسل فى سرد تاريخى يخرجنا عن الموضوع .

فنذكر أن الظاهر بيبرس . بالحنين الطبيعى لمكان نشأة المماليك البحرية . وللاعتبارت الاستراتيجية التى أدت إلى إنشاء قلعة الروضة . قد اهتم بإعادة عمارتها وتجديد أبراجها . ووزع هذه الأبراج على أمراء البحرية لصيانتها وحمايتها . فأعيدت للقلعة حرمتها ومكانتها .

وكان بالجزيرة عدد كبير من أشجار الجميز على النيل . كان يقصده الناس للنزهة والترويح تحت ظله . فقطعه بيبرس لاستعمال أخشابه فى تجديد أسطوله الذى دُمِّر فى حملة فاشلة على قبرص .

وبعد وفاة الظاهر بيبرس سنة ٦٧٦هـ. تولى بعده إثنان من أولاده (السعيد بركة خان والعادل سلامش) فترة قصيرة . ثم انتزع الحكم المنصور قلاوون (٦٧٨ - ٦٨٩) . فامتدت يده إلى القلعة . فأخذ من عمدها ورخامها وأعتابها شيئاً كثيراً أدخله فى بناء الجامع والمارستان بجهة بين القصرين من القاهرة الفاطمية .

ولما تولى الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣ - ٧٤١ هـ)[3] أخذ أيضاً من أنقاضها ليبنى الإيوان الذى عرف بدار العدل فى قلعة الجبل . وللجامع الجديد الناصرى الذى اندثر . وأرجح إن موضعه كان قريباً من فم الخليج .

وقال المقريزى[4] : وتأخر منها - يعنى قلعة الروضة - عقد جليل تسميه

---

(١) الظاهر بيبرس للدكتور سيد عبد الفتاح عاشور

(٢) أعلنت الجمهورية التركية سنه ١٩٢٢م . وألغيت الخلافة الاسلامية من تركيا سنه ١٩٢٤م . وراجع الجدول السادس والسادس عشر .

(٣) يتخلل هذه الفترة خمس سنوات تقريباً فى أوائلها استبعد فيها الناصر من الحكم وتولى فيها ثلاثة سلاطين غيره . ثم استقام له الحكم من سنة ٧٠٩ - سنة ٧٤١ بدون انقطاع .

(٤) خطط المقريزى جـ٢ ص ١٨٤ .

العامة القوس . كان مما يلي جانبها الغربي . أدركناه باقياً إلى نحو سنة ٨٢٠هـ . (١٤١٧م) وبقي من أبراجها عدة قد انقلب أكثرها وبنى الناس فوقها دورهم المطلة على النيل .

وبالروضة الآن شارع اسمه شارع قلعة الروضة يتفرع من شارع الروضة ويتجه جنوباً حتى يصب فى شارع المختار السابق ذكره .

كما أن هناك شارع المماليك البحرية شمال شارع المختار السابق ذكره وموازى له ويصل بين فرعى النيل الشرقى والغربى . وبوسطه ميدان المماليك البحرية به المحطة النهائية لبعض خطوط الأوتوبيس .

وشمال شارع المماليك البحرية شارع المظفر وموازى له ويصل أيضاً بين فرعى النيل .

ولا ندرى هل قصدت البلدية بهذا الاسم المظفر قطز الذى هزم التتار وكان أصلاً أحد المماليك البحرية . أو الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه ابن أيوب الذى كان يملك جزيرة الروضة واستأجرها الصالح نجم الدين أيوب لينشىء قلعة الروضة كما سبق ذكره . والثانية أرجح لما سنذكره فى الفقرة التالية بإذن الله .

وشمال النهاية الشرقية لشارع الملك المظفر شارع صغير يتفرع من شارع الملك الصالح (سيالة الروضة) اسمه شارع ابن السكرى . وهو اسم القاضى الذى كان ناظراً على وقف المظفر تقى الدين عمر واستأجر منه الصالح نجم الدين جزيرة الروضة .

زاوية البسطامى أو جامع الريس :

وجنوبى قرب النهاية الشرقية لشارع المظفر شارع البسطامى نسبة لزاوية هناك معروفة بزاوية البسطامى . ذكرها على باشا مبارك نقلاً عن السيوطى فى كوكب الروضة باسم جامع الريس . وقال أنه رابع جامع أنشىء بجزيرة الروضة .

وأرى أن هذا التحديد ينقصه الدقة إذا رجعنا إلى مابسطه السيوطى من تاريخ هذه الزاوية . وإلى ماذكر عن عدد الجوامع التى هدمها الصالح أيوب لإنشاء قلعة الروضة .

فقد ذكر السيوطى أن أول الانشاء كان زاوية أنشأها سنة ٦٩٦هـ محمد بن أصيل بن مهدى من ذرية أبي يزيد البسطامى[1] . بتصريح من السلطان حسام الدين لاجين . ثم تأكد هذا التصريح سنة ٧٠٨ بتوقيع من المظفر بيبرس الجاشناكير .

ثم حوالى سنة ٧٧٠ هـ جُعلت هذه الزواية جامعاً عرف بجامع الريس نسبة إلى رئيس الخلافة فتح الدين صدقة بن ناصر الدين بن زين الدين فى سلطنة الأشرف شعبان بن الأمير حسين بن محمد بن قلاوون .

والزاوية المذكورة موجودة للآن وبها ضريح مكتوب على كسوته اسم أبي يزيد البسطامى .

ويهمنا من ذكر هذه الزاوية أنها كانت ملاصقة للسور الشمالى لقلعة الروضة .

شارع الملك الصالح وشارع متحف المنيل :

وكان كثير من المبانى لغاية الأربعينات من هذا القرن يطل على الفرع الشرقى للنيل دون فاصل . وهو المعروف بسيالة الروضة . فنفذ شارع بجوار النيل بينه وبين المبانى . من جنوبى الجزيرة حتى سراى الأمير محمد على توفيق تقريباً . واسم هذا الشارع من جنوبى الجزيرة حتى كوبرى الملك الصالح شارع الملك الصالح . ومن الكوبرى المذكور حتى سراى محمد على توفيق كان اسمه شارع قصر المنيل . وبعد الثورة سنة ١٩٥٢ أصبح اسمه شارع متحف المنيل .

شارع الملك عبد العزيز آل سعود :

كذلك عند فرع الغربى للنيل نفذ شارع من منطقة المقياس بأقصى الجنوب إلى فندق الميريديان بأقصى الشمال للجزيرة . يفصل بين النيل والمبانى المطلة عليه . واسمه شارع الملك عبد العزيز آل سعود . تخليداً لذكرى العاهل السعودى . وكان هذا الشارع أول الأمر من المقياس حتى شمال كوبرى الجيزة (عباس) بقليل . ثم بعد الثورة سنة ١٩٥٢ نفذ إلى النهاية الشمالية للجزيرة .

---

(١) هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامى من أئمة التصوف توفى سنة ٢٦١هـ .

وفى فترة حصلت جفوة بين مصر والمملكة السعودية . فغير اسم هذا الشارع إلى شارع جدة ثم إلى شارع الجزيرة العربية . ولكن ظل الاسم الأصلى على ألسنة الناس حتى عاد الصفاء السياسى فأعيد الاسم الأصلى رسمياً . ولم يكن من اللائق التفكير فى تغيير الاسم . ويبدو أن من فكرٌ فى التغيير كان يشعر أيضاً بالحرج . فاختيار الاسمين - جدة والجزيرة العربية فى كل منهما الحرص على الأخوة العربية .

وبكل أسف أقيمت عملية مياه بجنوبى الجزيرة فى السنوات الأخيرة . فقطعت هذا الشارع لتطل على النيل مباشرة . وكان من الممكن توصيل مياه المأخذ بمواسير تحت أرض الشارع. ولكنها بذلك عطلت دوران الكورنيش حول الجزيرة . وأصبحت هذه العملية عقبة فى سيولة الاتصال بمنطقة المقياس والمناسترلى . وهى منطقة أثرية وسياحية . ويمكن إنشاء فندق عالمى هناك فريد فى موقعه يحيط به الماء من ثلاث جهات . فيكون فندق الميريديان فى شمال الجزيرة . والفندق الجديد فى جنوبها .

الجسور والكبارى حول جزيرة الروضة :

ذكرنا أنه عند الفتح العربى اشتد حصار العرب لحصن بابليون (قصر الشمع) . ولما أوشك على السقوط فى أيديهم ترك المقوقس فيه بعضاً من القوات . وانحاز بمن معه من جموع القبط والروم إلى الجزيرة . وقطعوا الجسر بين الجزيرة والحصن. الذى خُططت فيما بعد مدينة الفسطاط بجواره .

هذا الجسر كان من مراكب يربط بعضها ببعض . وتوضع عليها ألواح خشبية . ثم تكسى الألوح بالتراب فيمكن السير عليها والماء يمر من تحتها .

واستمرت هذه الطريقة فى عمل الجسور على النيل . فبعد الفتح أعيد هذا الجسر . وكان يقابله جسر آخر بين الجزيرة والجيزة. وقد جدد الخليفة المأمون عندما قدم مصر سنة ٢١٧ هـ (٨٣٢م) عمل هذين الجسرين . وعبر عليهما جوهر القائد إلى الفسطاط عندماقدم من الغرب سنة ٣٥٨هـ (٩٦٩م) لفتح مصر . واعتنى كثيرون من الحكام بدوام الاتصال بالجزيرة بهذه الطريقة .

وقد ذكرنا مقتل الخليفة الفاطمى الآمر بأحكام الله سنة ٥٢٤هـ عند رأس هذا

الجسر بالقرب من الهودج . وقال المؤرخون أن رأس هذا الجسر كان يقابل جنوبي دار النحاس بالفسطاط . وبذلك كان موقعه هو مقابل موقع كوبرى الملك الصالح الحالى . أو شمالاً منه بقليل . بالنسبة لموقع مجرى النيل وقتذاك .

ولما أنشأ الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٣٨هـ (١٢٤٠م) قلعة الروضة أقام جسراً بين الفسطاط عرضه ثلاث قصبات (١١,٥٥ م لأن القصبة كانت ٣,٨٥م)[1] وكان لا يمر عليه أحد راكباً غير السلطان . أما غيره فيترجلون عند عبوره . وكان هذا الجسر مكان الجسر القديم .

واستمرت هذه الطريقة فى عمل الكبارى على النيل حتى العصر الحديث .

فقد ذكر الجبرتى أنه عندماقدم إبراهيم باشا بن محمد على من الحجاز فى صفر سنة ١٢٣٥ هـ (ديسمبر سنة ١٨١٩) بعد تغلبه على الوهابيين حضر عن طريق القصير . فنودى بزينة المدينة (يعنى العاصمة) سبعة أيام بلياليها . وبات إبراهيم باشا بقصر شريف بك المطل على النيل بجزيرة الروضة تجاه الجيزة وكانوا قد هيأوه له . وزينوا له فى اليوم التالى موكباً دخل به من باب النصر وعلى رأسه شعار الوزارة . وشق الموكب بالمدينة بالشارع الأعظم (شارع المعز لدين الله حالياً) وحضر والده إلى الغورية بقصد الفرجة على موكب ابنه . ووصل الموكب إلى القلعة (يعنى قلعة الجبل) ثم اتجه إلى مصر القديمة حيث عبر النيل إلى الروضة على جسر عملوه من المراكب ربطت ببضعها من البر إلى البر . وردموا فوق المراكب الأتربة ليمكن الموكب فى السير عليها .

ومن هذا الخبر نفهم أنه لم يكن هناك جسر وقتذاك . وأن طريقة عمل الجسور من المراكب كما كان متبعاً أهملت فى عهد الاحتلال العثمانى كما شمل الركود كثيراً من نواحى العمران غير ذلك .

وقد ذكرنا فى الفصل الثانى من القسم الثانى إنشاء كوبرى قصر النيل سنة ١٨٧٢ وإنشاء كوبرى البحر الأعمى المسمى حالياً كوبرى الجلاء فى عهد

---

(١) بحث للمؤلف عن الذراع وحدة قياس فى ٥٥٠٠ سنة نشر بمجلة الأزهر ذى الحجة سنة ١٣٩٣ (يناير سنة ١٩٧٤) .

إسماعيل . وكانا أول وثانى الكبارى الثابتة على النيل مقابل العاصمة[1] . ونذكر هناالكبارى المحيطة بجزيرة الروضة :

كوبرى الجيزة - أو كوبرى عباس سابقاً - على الفرع الغربى للنيل :

افتتح للمرور فى ٦/٢/١٩٠٨ وكان طوله ٥٣٥ متراً وعرضه ٢٠ متراً منها ٥أمتار للأفريزين . وكان اسمه كوبرى عباس لأنه تم فى عهد عباس حلمى الثانى . وبعد الثورة سنة ١٩٥٢ أطلق عليه اسم كوبرى الجيزة .

وظهر به الخلل وعدم كفايته لمقتضيات العصر الحديث من حيث قوة التحمل فرمم مراراً . ثم تقرر إنشاء كوبرى آخر مكانه فأوقف المرور عليه فى ٩/٢/١٩٦٧ . وشرع فى إزالة الكوبرى القديم وإنشاء الكوبرى الجديد الحالى . وكان المفروض أن يتم فى ثلاث سنوات . ولكن نظراً لظروف العدوان الاسرائيلى فى يونية سنة ١٩٦٧ تأخر ذلك بعض الوقت ولم يتم إلا فى ١٩٧١ . وهو أكثر عرضاً من الكوبرى السابق .

وكانت طريقة عمل الكبارى السابقة جعل جزء من الكوبرى يتحرك على صينية لامكان فتح الكوبرى للمراكب الشراعية . وكان هذا يعطل المرور فوق الكبارى . فلجأوا إلى عمل كبارى ثابتة وبها إنحناء أعلاه فى الوسط لمرور المراكب . على أن تكون قلوع المراكب الشراعية بمفصلات ليمكن أن تنطبق عند مرورها تحت الكوبرى . والكبارى التى عملت بعد الثورة سنة ١٩٥٢ عملت بهذه الطريقة .

---

(١) أقدم الكبارى بمصر - إذا استثنينا القناطر الخيرية - هى التى أنشئت لخدمة السكة الحديدية بين القاهرة والأسكندرية . فقد بُدىء بانشاء هذا الخط سنة ١٨٥٢ فى عهد عباس حلمى الأول بالاتفاق مع جورج ستفينسون مخترع القاطرة البخارية . وتم هذا الخط سنة ١٨٥٦ . وكان أول خط سكة حديدية فى الشرق كله .

فأنشىء كوبرى بنها سنة ١٨٥٦ لمرور خط مفرد من السكك الحديدية . وأنشىء كوبرى كفر الزيات فى سنة ١٨٥٧ - سنة ١٨٥٩ لمرور خط مفرد أيضاً ثم تقوّى الكوبريان فيما بعد لمرور خط مزدوج والمقصود إنشاء الكبارى القديمة فقد أنشىء بدلها أخيراً .

أما كوبرى إنبابة فقد أنشىء سنة ١٨٩٠ ليسير عليه خط مفرد أيضاً . وتقوى بعد ذلك . ثم أنشىء شمالاً منه الكوبرى الحالى وانتهى العمل فيه سنة ١٩٢٥ . وقبل إنشاء كوبرى إنبابة كانت نهاية خط السكة الحديد إنبابة . ثم يعبرون بالمراكب الشراعية شرقاً أو غرباً لاستكمال الرحلة من أو إلى الصعيد (ملحق تقويم النيل لأمين باشا سامى)

كوبرى الملك الصالح على الفرع الشرقى للنيل :

وهو مقابل لكوبرى الجيزة - عباس - السابق ذكره . وافتتح للمرور أيضاً سنة ١٩٠٨ مع الكوبرى السابق . وكان طوله ٨٣ متراً وعرضه ١٥ متراً منها ٣ أمتار للأفريزين . ثم أزيل وأقيم آخر مكانه أكثر عرضاً وافتتح رسمياً للمرور فى ١٩٦٦/٧/٢٤ . والاسم تخليد لذكرى الملك الصالح نجم الدين أيوب وأثره فى جزيرة الروضة .

كوبرى محمد على - على الفرع الشرقى للنيل :

قريباً من سراى الأمير السابق محمد على توفيق . وهو يبعد عن السراى بحوالى المائتى متر شمالاً منها . وهو غير كوبرى المنيل المجاور للسور الشمالى للسراى مباشرة وآتى ذكره .

وقد افتتح رسمياً كوبرى محمد على للمرور سنة ١٩٠٨ وطوله ٦٧ متراً وعرضه ١٥ متراً منها ٣ أمتار للأفريزين .

وبعد الثورة سنة ١٩٥٢ أنشئت ثلاثة كبارى أخرى بجزيرة الروضة .

كوبرى المنيل : بجوار سراى المنيل مباشرة كما سبق ذكره . وهو يقابل كوبرى الجامعة الآتى ذكره .

كوبرى فم الخليج : على الفرع الشرقى للنيل أيضاً شمال ميدان فم الخليج بقليل .

كوبرى الجامعة : على الفرع الغربى للنيل بجزيرة الروضة يصل إلى الجيزة بالميدان الذى نقل إليه تمثال نهضة مصر من مكانه السابق بميدان رمسيس . ونقل إلى ميدان رمسيس تمثال رمسيس الثانى بعد أن ظل ملقى فى ميت رهينة على الأرض ٣٥٠٠ سنة .

ويؤدى امتداد كوبرى الجامعة إلى جامعة القاهرة بالجيزة .

وطوله ٤٨٤ متراً وعرضه ٣٠ متراً . وبلغت تكاليفه ١,٤٠٠,٠٠٠ جنيهاً . واستمر العمل فيه من سنة ١٩٥٥ - ١٩٥٧

ولاستكمال الصورة نذكر أن كوبرى بولاق المعروف بكوبرى (أبو العلا) على

الفرع الشرقى للنيل بجزيرة الزمالك . وكوبرى الزمالك على الفرع الغربى للنيل هناك قد فتحا للمرور سنة ١٩١٢ فى عهد عباس حلمى الثانى .

الترام بجزيرة الروضة :

وكان الترام يسير بجزيرة الروضة مخترقاً شارع الروضة بين كوبرى الملك الصالح وكوبرى الجيزة (عباس) . ولم يكن هكذا عند بدء سير الترام بالقاهرة .

فقد تأسست شركة الترام سنة ١٨٩٤م . وكان امتيازها أولاً لثمانية خطوط . منها ستة تبدأ من العتبة الخضراء إلى بولاق والعباسية والقلعة ومصر القديمة وغيرها .

وكان الذاهب إلى الجيزة يركب الترام إلى فم الخليج عن طريق شارع القصر العينى . ثم يركب زورقاً بخارياً إلى الشاطىء الغربى للفرع الغربى للنيل حيث ينتظره هناك ترام آخر للجيزة .

وقد احتفل فى ١٨٩٦/٨/١ بسير أول مركبة كهربائية فى شوارع العاصمة . وركب الترام وقتذاك ناظر (وزير) الأشغال وكبار موظفى النظارة من بولاق إلى العتبة ثم إلى القلعة . وغص ميدان العتبة بالمدعوين من الأمراء والنظار والعظماء وكبار الموظفين والأعيان ومحافظ العاصمة وقناصل الدول ورجال القضاء . وغيرهم من ذوى المكانة . وكان مدير الشركة يرحب بالمدعوين .

وسارت المركبات بهم إلى القلعة بين جماهير المتفرجين . ثم عادت إلى مقر الشركة ببولاق حيث قدمت للمدعوين المرطبات .

وكان تعليق الجرائد على الترام أنه سريع يسابق الريح .

وكان أجر الركوب ستة مليمات للدرجة الأولى وأربعة مليمات للدرجة الثانية . ولم يكن للحكومة نصيب فى أرباح الشركة . ثم تداركت الأمر سنة ١٩٠٨ فتقرر لها نسبة ٥٪ من إيراد الشركة تدفع شهرياً .

وقبل الترام كانت وسائل الانتقال فى العاصمة هى العربات الحنطور أو الحمير أو السير على الأقدام .

ومن الفكاهات التى قيلت وقتذاك عن تسيير الترام . أنه سئل أحدهم كيف يسير الترام فأجاب : لازم مركبين فيه حمير من تحت ! !

وفى سنة ١٩٠٨ سيرت الشركة الترام من العتبة الخضراء إلى الجيزة رأساً عن طريق الروضة بعد إنشاء كوبرى الملك الصالح وكوبرى عباس .

كما أنها سيرت الترام سنة ١٩١٢ إلى الجيزة رأساً عن طريق جزيرة الزمالك بعد إنشاء كوبرى ابو العلا وكوبرى الزمالك .[١]

وبعد سنه ١٩٥٤ بدأ ابطال سير الترام من شارع القصر العينى كما أبطل من شارع ٢٦ يوليو (فؤاد سابقا) ورمسيس وغيرها من الشوارع الهامة لاعتباره معوقاً لحركة المرور السريعة الحديثة . فأصبح لايوجد ترام إلى فم الخليج ومصر القديمة .

وبالتالى لا يوجد ترام بالروضة .

المقياس ووفاء النيل وجبر الخليج :

ذكرت فى الفصل الثالث من القسم الأول تاريخ مقياس الروضة والاحتفال بوفاء النيل منذ الفراعنة حتى العصر الحديث وجبر الخليج حتى ردم سنة ١٧٩٨ ولعدم الأطالة لا أضيف شيئاً على ما سبق ذكره .

جزيرة الروضة فى العصر الحديث :

ذكر لنا على باشا مبارك فى الخطط التوفيقية (ج ١٨) بعض أسماء من أعيان عصره كانت تمتلك جزيرة الروضة . واكتفى بذكر الأسماء ولم يذكر تراجمهم باعتبارهم معروفين للقارىء وقتذاك . فنذكر فيما يلى بعض التوضيح لبعض هذه الأسماء وما كانوا يملكون من الجزيرة .

قال على مبارك أن بالجزء الجنوبى من الجزيرة كان المقياس وسراى حسن باشا المناسترلى . ومن الناحية الشرقية على سيالة الروضة يوجد من الجنوب سراى وبستان سليم باشا الجزائرى . وشمالاً منه بستان السادات الوفائية الذى عرف أخيراً جزء منه بالمندورة وقد سبق ذكرها . ثم أرض الست البارودية وبها زواية أبى يزيد البسطامى وقد سبق أيضاً ذكرها . ثم أرض حسن باشا يجن . وبستان

---

(١) الترام للأستاذ محمد سيد كيلانى .

شاكربك . ثم بستان وقصر على باشا شريف . ثم بستان وقصر على باشا ذى الفقار . ثم بستان وسراى للخديوى اسماعيل . ويفصل هذه السراى عن سراى والدة عباس باشا الأول الطريق الموصل لجامع قايتباى الكائن بوسط الجزيرة .

وفى شمال الجزيرة البستان الكبير الذى أعده إبراهيم باشا بن محمد على للنزهة . وقال على مبارك : وكان الناس يترددون على اختلاف طبقاتهم على البستان المذكور فى أيام شم النسيم . وهو من أعظم البساتين لاحتوائه على الأشجار المتنوعة المجلوبة إليه من البلاد البعيدة . واحتوائه أيضاً على أصناف الحيوانات والطيور . وبه خلجان من البناء تجرى فيها المياه . ومنارة معمولة من الودع . وجبلاية مصنوعة مفروشة بالأشجار والحشائش والأزهار . ويحيط بالبستان المذكور رصيف من الثلاث جهات .

ومن هذه الفقرة الأخيرة يكون موقع البستان المذكور هو محل القصر العينى الجديد وفندق الميريديان فى شمال الجزيرة .

أما الجانب الغربى من الجزيرة على فرع النيل بينها وبين الجيزة . فذكر على مبارك أنه كان يوجد من الجنوب سراى أمين باشا ثم أرض حسين باشا يجن . ثم أرض على باشا شريف . ثم أرض تعلق الخديوى اسماعيل . ثم أرض احمد باشا المنكلى . ومنزل وبستان تعلق ورثة خليل بك . ثم القرية المعروفة بالمنيل . ثم ثانية أرض ورثة المرحوم أحمد باشا المنكلى . ثم قصر وبستان قاسم باشا . ويتوصل منه إلى الفرع الشرقى بطريق مظلل بالأشجار

حسن باشا المناسترلى :

هو حسن فؤاد باشا المناسترلى كتخذا مصر فى عهد عباس حلمى الأول من ١٨٥٠/٢/١ - ١٨٥٤/٣/٢٩ [1] وأضيفت إليه رئاسة مجلس الأحكام من سنة ١٨٥٢ - سنة ١٨٥٤ . ثم عين محافظاً للقاهرة من ١٨٥٤/١١/٢١ - ١٨٥٥/١١/٢٤ . ثم وكيلاً للداخلية فى ١٩٥٧/٢/٢٤ . ثم ناظراً للداخلية من ١٨٥٧/٤/٢٥ - ١٨٥٨/٢/١٠ .

---

(١) قتل عباس حلمى الأول فى ١٨٥٤/٧/١٤

ولا تزال آثار سراى حسن باشا المناسترلى باقية للآن جنوبى الجزيرة غربى المقياس . وتستعملها وزارة الثقافة والإعلام فى بعض أوجه نشاطها . ففيها مركز الفن والحياة ويرأسه الدكتور حامد سعيد . ويلقى فيه اسبوعياً محاضرات . وفيها معرض لبعض القطع الفنية من الخزف والباتيك والنحت والتصوير وغير ذلك . كما تعقد به إحدى الجمعيات الموسيقية حفلة كل أسبوع .

وبالجانب البحرى الشرقى للسراى جامع صغير أنشأه حسن باشا المناسترلى سنة ١٨٥١ - بدلاً من جامع المقياس الذى هدمه - ودفن فيه مع الشيخ عبد الرحمن ! ! . وقد ذكرت مصلحة المساحة فى خرائطها أنه عبد الرحمن بن عوف الصحابى الشهير . وهذا غير صحيح . فالمذكور توفى سنة ٣٢هـ (٦٥٢م) فى المدينة ولم يدخل مصر . وأرجح أن القبر المذكور لابنه سُهتيل بن عبد الرحمن بن عوف . فقد تزوج سهيل الثريا التى جد أبيها أُمية الأصغر بن عبد شمس بن عبد مناف . وحملها معه إلى مصر .

وكان سهيل ضئيلاً دمياً . وكانت الثريا من أجمل النساء . وهى واختها عائشة من اَلعَبْلات . لأن أمية الأصغر (وهو غير أخيه أمية الأكبر الجد الأعلى لمعاوية بن أبى سفيان) وأخويه نوفل وعبد أمية يُعرفون بالعبلات . نسبة لأمهم عبلة التميمية .

وكانت بين الثريا وعمر بن أبى ربيعة الشاعر المعروف علاقة حب . فلما علم بزواجها حزن . وقال البيتين من الشعر الآتيين .

يا أيها المنكح الثريا سُهَيلا لعمرك الله كيف يلتقيان
هى شامية إذا ما استقلّت وسهيل إذا استقل يمَان

وقد اشتهر البيتان لما فيهما من تورية لطيفة بين اسمى الزوجين وبين اسمى النجمين المعروفين . وكانت والدة سهيل من قبيلة حِمْيَر اليمنية .

وكان بالجزء الجنوبى من الجزيرة سراى ذكرها الفرنسيون باسم سراى نجم الدين - ولعله الصالح نجم الدين أيوب - وكانت عند دخولهم قد تهدم أغلبها . وبقيت منها قاعة كبيرة مساحتها ١٢,٧٠ × ١٤,٦٠م . وذكر على مبارك أن الباقى

منها كشك مطل على النيل وبه شبابيك من جميع الجهات . والكشك باق للآن .

وقد نزل السلطان سليم الأول العثمانى بسراى نجم الـدين هذه فترة من الوقت بعد فتحه مصر سنة ١٥١٧ . وقد حاول بعض امراء المماليك اغتياله فى هذه السراى انتقاماً لشنق الأشرف طومان باى آخر السلاطين المماليك . ولكن لم تنجح المحاولة .

ابن النحاس وابن محمد الهروى :

ونذكر بمناسبة هذا الموقع من المقياس ما ورد فى بعض كتب التراث أن احمد بن محمد النحاس كان من علماء اللغة فى دولة بنى الإخشيد وله مؤلفات عديدة تقرب من العشرين . وكان لئيم الطبع بخيلاً شديد التقتير على نفسه . فجلس يوماً على درج المقياس بجزيرة الروضة سنة ٩٤٨م (٣٣٧هـ) . والنيل فى أيام زيادته . وهو يقطع بالعروض شيئاً من الشعر . فرآه بعض العوام . فاعتقد أنه يسحر النيل حتى لا يزيد . فتغلو الأسعار ويسوء الحال . فدفعه برجله فى النيل فلم يوقف له على خبر .

ويشبه هذا ما ذكر عن الحاكم بأمر الله الفاطمى ما بلغه عن جنادة بن محمد الهروى اللغوى والنحوى . وكان يقرأ بجامع المقياس . إذ توقف النيل عن الزيادة فى بعض السنين . فقيل للحـاكم أن جنادة رجـل مشؤوم يقعد بـالمقياس ويلقى النحو . ويعزّم على النيل . فلذلك لم يزد . فأمر الحاكم بقتله فى ذى الحجة سنة ٣٩٩هـ(١٠٠٩م) (١)

سليم باشا الجزائرى :

وأرضه كانت شرقى المقياس على الفرع الشرقى للنيل وتصل شمالاً إلى أرض السادات الوفائية المعروفة بالمندورة .

وقـد تولى المـذكـور عـدة وظـائف منهـا حكمـدار الأقـطار السـودانيـة فى ١٨٥٣/٤/٢٣ إلى ١٨٥٤/٧/٢١ . ونـاظر للمـرور والسكك الحـديـديـة من ١٨٦٠/١٠/٢ - ١٨٦١/١/١٠ . ثم رئيس القومسيون المخصوص بمحافـظة

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموى ج ٤ ص ٢٢٥ وج ٧ ص ٢٥٩

مصر فى ١٨٦٦/٢/٢٠ . ثم مدير أسيوط من ١٨٦٦/٣/٩ - ١٨٦٧/٤/٢٠ .

وقد أنعم عليه إسماعيل ب٦٠٠ فدان فى ١٨٦٣/٧/١٤ .

وشمالاً من أرض سليم باشا الجزائرى كانت أرض السادات الوفائية والمعروف مكان جزء منها الآن بالمندورة . وشمالاً منها أرض الست البارودية التى بها زاوية أبى يزيد البسطامى . وقد سبق ذكرهما .

على باشا شريف

ثم شمالاً منها أرض وسراى على باشا شريف . وكانت بعرض الجزيرة من الفرع الشرقى إلى الفرع الغربى للنيل . وهى مساحة واسعة لعلها بمفهوم الوقت الحاضر من شارع الروضة جنوباً حتى قرب محطة الأوتوبيس المعروفة بمحطة الباشا . وبها من المعالم الحاضرة سينما جرين وسينما روضة ومكتب بريد الملك الصالح وزاوية الأباريقى التى أصلها جامع غين . وسيأتى ذكره بإذن الله .

وعلى باشا شريف كان رئيساً لمجلس تجار مصر سنة ١٨٧١م (١٢٨٨هـ) . وأنعم عليه برتبة اللواء فى مارس سنة ١٨٦٣ (١٢ رمضان سنة ١٢٧٩هـ)

وهو ابن السيد محمد باشا شريف والى ألوية الشام فى أثناء حروب ابراهيم باشا بن محمد على . وقد ذكرنا فى الفصل الرابع من القسم الثانى أنه غير محمد باشا شريف الذى كان ناظراً للنظار وعاصر الثورة العرابية وتوفى سنة ١٨٨٤م .

كما ذكرنا فى هذا الفصل عند الكلام على الكبارى حول جزيرة الروضة ما رواه الجبرتى عن الاحتفال بعودة إبراهيم باشا بن محمد على فى ديسمبر سنة ١٨١٩ من الحجاز بعد تغلبه على الوهابيين وأنه نزل بقصر شريف (بك) بالروضة .

وقد قسمت أرض شريف باشا إلى شوارع وقطع للمبانى . وبيعت للأهالى بمعرفة شركة أراضى الجيزة والروضة . وكانت منها بقية لغاية الأربعينات من هذا القرن . فمثلاً كان حوالى موقع سينما روضة مشتل للمرحوم المهندس الزراعى ابراهيم الجزار . وقد اشتريت منه سنة ١٩٤٧ بعض أشجار الفواكه .

علی باشا ذو الفقار :

وشمالاً من أرض شريف باشا كان بستان وقصر على باشا ذى الفقار .

وقد تقلب المذكور فى الوظائف فكان رئيساً لمجلس الأحكام من ٢٥/٤/١٨٥٧ (٢ رمضان سنة ١٢٧٣هـ)[1] - ١٣/٤/١٨٦٠م .

ثم ناظرا للخارجية من ١٠/١/١٨٦١ - ١/٨/١٨٦٣ .

وأنعم عليه بألف فدان فى يونية سنة ١٨٦٣ فى عهد إسماعيل .

ثم محافظاً للإسكندرية من ١٠/١/١٨٦٦ - ١٦/٩/١٨٦٧ . ثم عضوا بالمجلس المخصوص فى مايو سنة ١٨٦٨ . ثم محافظاً لمصر من ٢/٢/١٨٧٠ - ٨/٩/١٨٧٠ . ثم محافظاً للإسكندرية من ٢٧/١١/١٨٧٠ - ٢٥/٦/١٨٧١ . ثم ثانية محافظاً للإسكندرية من ٥/٨/١٨٧٢ - ٢٨/٨/١٨٧٣ . ثم محافظاً لمصر من ٢٨/١٢/١٨٧٣ - ١٤/٦/١٨٧٥ . ثم ثالثة محافظاً لمصر من ١٥/٦/١٨٧٧ - ١٩/٤/١٨٧٨ . ثم رئيساً لمجلس شورى النواب . ثم ناظراً للخارجية من ٢٦/٣/١٨٧٩ - ٦ أبريل من نفس السنة وهذا فى الوزارة التى كان يرأسها توفيق بن الخديوى إسماعيل[2] . ثم ناظراً للحقانية (العدل) من ٩/٨/١٨٧٩ - ٩/٩/١٨٧٩ . ثم ثالثة محافظاً للإسكندرية من ٢٦/٩/١٨٧٩ لغاية ١٢/٧/١٨٨٠ .

وبفهم من وصف على مبارك لزاوية الكازرونى السابق ذكرها . والتى كانت معروفة بزاوية المشتهى . أن شرقى الزاوية المذكورة سراى وبستان لاسماعيل باشا . ومعنى هذا أن أرض على باشا ذى الفقار لم تكن واصلة شرقاً للفرع الشرقى للنيل . ولعلها كانت من محطة الأتوبيس بشارع المنيل المعروفة بمحطة الباشا جنوباً حتى الحى المعروف بالفمراوى شمالاً .

---

(١) كان مجلس الأحكام قد ألغى فى آخر سنة ١٢٧١هـ ثم أعيد ربيع الأول سنة ١٢٧٣ برئاسة إسماعيل باشا فى عهد سعيد باشا . واستقال إسماعيل باشا من رئاسته فى غرة رمضان سنة ١٢٧٣هـ.

(٢) فى أواخر عهد إسماعيل سقطت وزارة نوبار باشا وتشكلت أخرى برئاسة ابنه محمد توفيق فى فبراير سنة ١٨٧٩ . ولم تمكث طويلاً فقد سقطت وتولى محمد باشا شريف رئاسة الوزارة فى ٢٩/٣/١٨٧٩

وكان هناك شارع اسمه شارع نابليون يبدأ من محطة الباشا ويتجه شرقاً . وقد تغير اسمه إلى شارع على باشا ذى الفقار . وامتداده أيضاً بالجانب الغربى من شارع المنيل اسمه ايضاً شارع ذى الفقار . وشمالاً من الأخير بقليل من شارع باسم سعيد باشا ذى الفقار . الذى كان كبير الأمناء فى عهد الملكية الملغاة .

واطلاق اسم نابليون هناك لمناسبة سنذكرها عند الكلام على جامع قايتباى بإذن الله .

ونعتقد أن سراى وبستان إسماعيل باشا المذكورين كانا ممتدين شمالاً حتى موقع قصر محمد على توفيق الـذى أصبح الآن متحف المنيـل . وشمالاً منـه كان البستان الذى أنشأه إبراهيم باشا وسبق ذكره .

حى الغمراوى

هذا الحى منسوب لعائلة الغمراوى من محافظة بنى سويف . وكان لأحدهم فيلا على شارع المنيل مكانها الآن العمارة التى تحتها مطعم فولى جود للساند ونيشات وهى رقم ٨٥ بشارع المنيل .

ومن أفراد أسرة الغمراوى المرحوم مصطفى بك الغمراوى الذى تبرع بمبلغ ٥٠٠ جنيهاً لأنشاء الجامعة المصرية سنـة ١٩٠٦ . وكان اسمـه بالقـائمة الأولى للتبرعات . (١)

هذا عن الجانب الشرقى للجزيرة .

أما الجانب الغربى فقد ذكر على بـاشا مبـارك أن شمال قصـر حسن باشـا المناسترلى كانت سراى وبستان أمين باشا .

محمد أمين باشا :

وما وصلت إليه من ترجمته أنه كان مـديراً للجهـادية من ١/٢/١٨٥٠ - ٢٠/١٠/١٨٥٤ ثم عضواً بمجلس الأحكام من ١٥/١٠/١٨٥٥ . ثم محافظاً لمصر من ٤/٥/١٨٥٩ - ١٦/١٢/١٨٦٠ . ثم رئيس مجلس الأسكندريـة فى

---

(١) جامعة القاهرة للدكتور خليل صابات . دائرة معارف الشعب المجلد الرابع ص ٦٥٠ وما بعدها

١٨٦٣/١/٢٠ بأمر اسماعيل (اسماعيل باشا تولى فى ١٨٦٣/١/١٧) ثم أمين بيت المـال من ١٨٦٤/١/١١ - ١٨٦٤/٤/٨ . ثم رئيس مجلس إستئناف الإسكندرية سنة ١٨٦٤ . ثم محافظاً لمصر من ١٨٦٨/٤/١٤ - ١٨٦٩/٤/٢٩ .

ويبدو أن أرض أمين باشا كانت ممتدة شرقاً حتى جامع الريس المعروف الآن بزاوية الكازرونى . فقد ذكر على مبارك أن بيته كان شمال هذه الزاوية بحوالى ٢٥٠ متراً .

وشمال أرض أمين باشا كانت أرض حسين باشا يكن . أو يجن كما يذكره على مبارك . ثم أرض على باشا شريف السابق ذكرها . ثم أرض للخديوى اسماعيل . ثم أرض أحمد باشا المنكلى .

أحمد باشا المنكلى :

حضر لمصر سنة ١٨٣٠م فى عهد محمـد على . وعينـه وكيلاً للجهـادية فى ١٨٣٧/٢/٢ . ثم حكمدار على جبال الذهب بـالسودان ١٨٤٣ . ثم مـأموراً لاستكشاف المعادن بالسودان سنـة ١٨٤٤ . ثم رئيساً للمجلس العسكـرى سنة ١٨٤٩ . ثم عضواً بالمجلس المخصوصى فى عهد عباس الأول وأيضاً فى عهد سعيد سنة ١٨٥٤ عند سفر سعيد لاستانبول .

وبعد أرض أحمد باشا المنكلى شمالا منها كان بستان ومنزل ورثة خليل بك .

خليل بك :

كان محافظاً لدمياط فى عهد محمد على . ثم عضـواً بمجلس الشورى سنـة ١٨٢٩م .

ونذكر عنه أنه لما أراد محمد على أن ينظم جيشاً من المصريين ليكون عدته فى مقاومة الحامية العثمانية ويعزز طموحه للتوسع . فقد كلف مديرى المديريات القبلية بـانتخاب بضعـة آلاف من أولاد الفلاحـين الأقويـاء . وكلف الكولـونيل سيف (سليمان باشا الفرنساوى) بتدريبهم على الأعمال العسكرية . فقام بهذه المأمورية فى أسوان . ولما تم تدريبهم حضر بهم إلى مصر . وأمر محمد على بأن يطوف الجيش الجديد بالأقاليم فى احتفالات مناسبة .

وذهب أحد الآلايات (الفرق) إلى دمياط . ففى محفل العرض العسكرى تفوّه ناظر السلخانة هناك بعبارات غير لائقة وقال : (صاروا الفلاحين العمى عساكر ! ! مهما كانوا لا يكونون مثل عساكرنا الترك) . وبلغ محمد على ذلك فأرسل إلى خليل بك فى ١٨٢٩/٧/١٣ يأمره بضرب ناظر السلخانة ١٠٠ نبوت على إليته . ويُنفى . وإن عاد يُصلب[1] .

قرية المنيل وحى الهلباوى :

وشمال أرض ورثة خليل بك كانت القرية المعروفة بالمنيل . وموقعها الآن تقريباً الحى المعروف بالهلباوى نسبة إلى ابراهيم بك الهلباوى المحامى الشهير فى أوائل هذا القرن . فقد كان بيته هناك . ويوجد الآن شارع باسمه فى الحى المذكور . وكانت ابنته تقيم هناك لغاية أواخر الأربعينات . فقد زرتها سنة ١٩٥٠ فى أثناء بحثى عن شقة للسكن . وأخبرتنى أن الأمير محمد على توفيق كان يتردد كثيراً على والدها بحكم الجوار .

وشمالاً من قرية المنيل كانت أرضاً أخرى لأحمد باشا المنكلى . وكان بيته بجوار مسجد الدرينى الآتى ذكره بإذن الله .

وبعد ذلك فى شمال الجزيرة كانت أرض وقصر قاسم باشا .

قاسم باشا :

كان مديراً لمديرية روضة البحرين [2](المنوفية والغربية تقريباً) من ١٨٦٠/١٢/١٨ - ١٨٦٢/١٠/٢٦ . ثم أحيل لمجلس الأحكام للتحقيق معه . ثم عين مديراً للغربية فى ١٨٦٣/٢/٢ ثم ناظراً لدائرة اسماعيل الخاصة فى ١٨٦٣/٣/١١ حيث أنعم عليه برتبة الفريق فى ١٤ منه . ثم مفتشاً للوجه القبلى فى ١٨٦٥/٥/١٩ - ٢٢ منه . ثم عاد لنظارة الخاصة . ثم ناظراً للجهادية من ١٨٧٠/١١/٢٩ - ١٨٧٣/٩/٣٠ . ثم محافظ مصر من ١٨٧٤/٦/١٢ - ١٨٧٥/٦/١٤ . ثم مفتش عموم الأقاليم القبلية من ١٨٧٥/١١/٢ -

---

(١) تقويم النيل جـ ٢ ص ٣٤٥ .

(٢) ألغيت هذه المديرية فى ١٨٦٣/٢/٢ بعد وفاة سعيد باشا .

١٨٧٧/١/١٤ . ثم محافظ مصر من ١٨٧٧/٦/١٥ - ١٨٧٩/٤/١٩ .

وكان شمال أرض قاسم باشا طريق يصل إلى الفرع الشرقى للنيل . وكان مظللا بالأشجار . وهذا قريب من موقع الطريق الحالى بين كوبرى الجامعة وكوبرى محمد على .

وشمال هذا بستان إبراهيم باشا السابق ذكره .

جوامع الروضة :

بجزيرة الروضة عدد كبير من الجوامع والمساجد والزوايا بعضها قديم وبعضها حديث . وقد يبلغ عددها ما يقرب من الثلاثين . ولا يتسع المقام هنا لذكرها جميعاً . فنذكر منها أهمها من الناحية التاريخية .

وقد ذكرنا جامع الريس الذى أصبح مكانه زاوية أبى يزيد البسطامى . كما ذكرنا زاوية المشتهى التى أصبح مكانها زاوية الكازرونى وأزيلت عند امتداد شارع جامع قايتباى . وذكرنا جامع المقياس الذى هدمه حسن باشا المناسترلى وانشأ مكانه جامعاً صغيراً دفن فيه .

وأقدم الجوامع الباقية للآن بجزيرة الروضة جامع غين ومحله الآن زاوية الأباريقى بأرض شريف باشا بالقرب من مكتب بريد الملك الصالح .

جامع غين أو زاوية الأباريقى :

وغين المنسوب له هذا الجامع كان أحد خدام الحاكم بأمر الله الفاطمى (٣٨٦ - ٤١١هـ - ٩٩٦ - ١٠٢٠م) .

وظلت الخطبة بهذا الجامع إلى أن عمر جامع المقياس فبطلت منه .

وكان الناس فى صدر الإسلام يفضلون الصلاة بجامع عمرو بالفسطاط . لأن الوالى كان يؤم المصلين بنفسه وازداد عمران جزيرة الروضة فى عهد بنى طولون وبنى الإخشيد . فوجد الناس مشقة فى عبور النيل إلى الفسطاط . فأنشأ غين المذكور هذا الجامع فى صدر الدولة الفاطمية . ثم انقطعت الخطبة منه بإنشاء جامع المقياس .

ولما أنشأ الصاحب بهاء الدين بن حِنّا[1] منظرته بالكوم الأحمر بالقرب من فم الخليج تجاه جزيرة الروضة فى عهد الظاهر بيبرس (٦٥٨ - ٦٧٦هـ = ١٢٦٠ - ١٢٧٧م) حسَّن للظاهر إعادة الخطبة لهذا الجامع . وصادف هذا الطلب هوى فى نفس الظاهر بيبرس . فقد ذكرنا اهتمامه بتجديد قلعة الروضة . فأمر سنة ٦٦٠هـ بإعادة الخطبة إليه مع استمرارها أيضاً بجامع المقياس .

ثم تهدم الجامع المذكور وظلت منه بقية تعرف الآن بزاوية الأباريقى وبها ضريحه .

ترجمة غين :

وغين المذكور ارتفع شأنه فى عهد الحاكم بأمر الله . فوصله بالخلع والهدايا وكثير من المال . ولقبه سنة ٤٠٢ بقائد القواد . وقلده الحسبة والشرطتين بمصر والقاهرة والجيزة . وكلفه بالتشديد فى مراقبة المحظورات التى قررها الحاكم بأمر الله من عمل الفقاع . وأكل الملوخية والسمك الذى لا قشر له . والملاهى بأنواعها . وحضور النساء فى الجنائز . وبيع العسل إلا إذا كان أقل من ثلاثة أرطال ولمن لا يظن أنه يتخذه مسكراً . وغيرها من المحظورات .

واستمر غين فى منزلته العالية حتى سنة ٤٠٤هـ فصرفه الحاكم عن الحسبة والشرطتين .

وكان لغين كاتب إسمه على الجرجانى . كان أصلا بخدمة ست الملك أخت الحاكم . فانتقل إلى خدمة غين فغضبت عليه . فكتب إليها يستعطفها . وذكر فى رسالته شيئاً من الأسرار التى وقف عليها أثناء خدمتها . فشكت فى أمره . وخافت أن يكون دسيسة عليها . فأرسلت كتابه إلى الحاكم بأمر الله . فغضب عليه وأمر بقطع يديه .

وقيل سبب آخر لقطع يدى الجرجانى المذكور . أنه كانت ترد الرقاع من أنحاء الدولة من صاحب الخبر للحاكم . فيستلمها غين من صاحب الخبر . ويسلمها إلى كاتبه الجرجانى ليتحين فرصة فيسلمها للحاكم بأمر الله . وكان الجرجانى يفض هذه

---

(١) سبق ذكره فى أول الفصل الثالث من القسم الثانى .

الرسائل ويطلع على ما فيها . ثم يعيد ختمها . فاطلع فى إحداها على خبر يمس سيده بسوء . فقطع من الرسالة ذلك الخبر وأصلح موضعه . وعلم بذلك صاحب الخبر . فطلب مقابلة الحاكم وأطلعه على ذلك . فأمر بقطع يدى الجرجانى .

وبعد ذلك بخمسة عشر يوماً أمر الحاكم بقطع يد غين الأخرى . وكان قبل ذلك بثلاث سنين أمر بقطع يده الأولى . فأصبح غين مقطوع اليدين .

ولما قطعت يد غين حملوها إلى الحاكم فى طبق . فأرسل اليه الأطباء ووصله بمبلغ كبير من الذهب وبعدد من أسفاط الثياب . وأمر رجال الدولة أن يعودوه .

وبعد ذلك بعشرة أيام أمر بقطع لسانه . فقطع وحمل إلى الحاكم . فأمر أيضاً الأطباء بعلاجه . ولكنه مات[1]

جامع قايتباى :

ذكر على باشا مبارك[2] نقلاً عن السيوطى أنه ثالث جامع أقيم بالروضة . ويعنى أنه بعد جامع غين وجامع المقياس .

وهذا الجامع كان اسمه عند إنشائه جامع الفخر نسبة إلى منشئه فخر الدين محمد بن فضل الله ناظر الجيش فى عهد الناصر محمد بن قلاوون حوالى سنة ٧٣٠هـ (١٣٢٩م) . وكان فخر الدين أصلا نصرانياً وأسلم وحسن إسلامه . وولاه الناصر شؤون المال فتسلط على الدولة بعفة وأمانة . وظل وراء الناصر حتى أقنعه بإلغاء منصبى نيابة السلطنة والوزارة . وأصبح الأمر كله بيد الفخر ناظر الجيش . ولما مات الفخر سنة٧٣٢هـ وله من العمر ما يزيد عن السبعين سنة ترك موجوداً عظيماً للغاية . أوصى منه بأربعمائة ألف درهم للناصر . ولكن طمع الناصر واستولى على مليون درهم من تركته . وقال الناصر عندما بلغه موته : لعنه الله ! ! خمسة عشر عاماً ما يدعنى أعمل ما أريد . وبعد وفاة الفخر استبد الناصر وكثر تسلطه على أموال الناس .

---

(١) خطط المقريزى جـ ٢ ص ٢٩٧ ، الخطط التوفيقية جـ ١٨ ص ١٢ .
(٢) ذكر على مبارك جامع قايتباى فى ثلاثة مواضع جـ ٥ ص ٦٧ ، ص ٦٩ ، جـ ١٨ ص ١٣

وصادره الناصر مرة فى مبلغ أربعمائة ألف درهم . ثم رضى عنه فأمر بردها إليه . فقال إنى خرجت عنها للسلطان . فليبنِ بها جامعاً . فبنى بها الناصر جامعه الذى عرف بالجامع الناصرى الجديد بالقرب من فم الخليج . وقد اندثر هذا الجامع .

وقال المقريزى : وأدركت ولد الفخر يتكفف الناس بعد مال لا يعد[1] كثرة

ثم جدد هذا الجامع الصاحب شمس الدين المقسى الذى سبق أن ذكرنا أنه جدد جامع الحاكم بأمر الله الذى عرف فيما بعد باسم جامع أولاد عنان[2] . فأصبح اسم جامع الفخر جامع المقسى . ونسى اسم الفخر .

ثم جدد هذا الجامع السلطان قايتباى (٨٧٢ - ٩٠١ هـ = ١٤٦٧ - ١٤٩٥ م.) فى سنة ٨٨٠هـ . فوسعه وعمله على شكل مدرسة . ثم فى سنة ٨٩١ زاده اتساعاً . وبالغ فى الإنفاق عليه فعرف بجامع قايتباى وجامع السلطان . ونسى اسماً الفخر والمقسى .

ومما نقله على مبارك عن السيوطى أن قايتباى عمل فيه ناعورة (ساقية) على وضع غريب بحيث تدور بحمار ينقل قدميه وهو واقف من غير أن يمشى ولا يدور . وركب عليها طاحونا يدور بدورانها .

وكان هذا الجامع يعرف أيضاً بجامع السيوطى لإقامة الشيخ جلال الدين السيوطى فيه أيام نزوله بالروضة .

وذكر الجبرتى فى حوادث سنة ١٢١٦هـ.(١٨٠١م) أن هذا الجامع احترق بسبب أن الفرنسيين كانوا يستعملون فى جنينة بجواره مكانا لصناعة وتخزين البارود . فصادف دخول رجل من الفلاحين ومعه غلام إلى الجنينة المذكورة . ومعه قصبة يشرب بها الدخان . ففتح ظرفا من ظروف البارود والقصبة مشتعلة فى يده . فلحقت النار البارود فانفجر المكان . واحترق الجامع والرجل والغلام . وظلت النار بالجامع طول النهار .

---

(١) خطط المقريزى جـ ٢ ص ٣١١ .

(٢) بشارع الجمهورية بالقرب من ميدان رمسيس وهدم أخيراً وأنشىء مكانه مسجد الفتح .

ثم جُدد الجامع . ولا يزال باقياً للآن . وهو من العمائر الاسلامية الجيدة الجديرة بالعناية بها ونظافة مجاوراتها وتسهيل الوصول إليها .

شارع نابليون :

ولعل مصنع البارود هذا فى زمن الفرنسيين هو مادعا البلدية إلى اطلاق اسم شارع نابليون على الشارع الذى أصبح اسمه الآن شارع على باشا ذو الفقار كما سبق ذكره .

مسجد الدرينى :

وبالجهة البحرية من الجزيرة غربى بستان إبراهيم باشا السابق ذكره يوجد مسجد الدرينى . وهو مسجد قديم غير معروف تاريخ إنشائه . وقد جددته زوجة إلهامى باشا بن عباس حلمى الأول (وهى والدة السيدة أمينة زوجة الخديوى توفيق التى عرفت بأم المحسنين . وكانت ممن أقيمت لهم أفراح الأنجال كما سبق ذكره عند الكلام على حى المنيرة .) .

وبالمسجد المذكور ضريح الأستاذ الشيخ عبد العزيز الدرينى ! ! وذكره على مبارك (جـ١١ ص ٧٢ و جـ ١٨ ص ١٤) وذكره الشعرانى فى طبقاته (جـ١ ص ٢٢٤) وقال عنه : الشيخ العابد الزاهد القدوة ذو الحالات الفاخرة والأحوال الشريفة والكرامات المشهورة والمصنفات الكثيرة فى التفسير والفقه واللغة والتصوف وغير ذلك . وله نظم كثير شائع . وكان العلماء يقصدونه لعلمه والناس يتجهون إليه للتبرك . اهـ . وذكر عنه بعض الكرامات التى تخرج عن حد المعقول . وقال أنه توفى سنة ٦٩٧هـ (١٢٩٧م)وقبره بقرية ديرين يزوره الناس[1] ! !

والجامع موجود للآن بالجزء الجنوبى الغربى من القصر العينى الجديد .

جامع صلاح الدين :

وغربى مسجد الدرينى يوجد جامع صلاح الدين أنشىء فى الخمسينات فى

(١) ذكر على مبارك فى الخطط التوفيقية جـ ١١ ص ٧٢ أن قبره بديرين . ولكنه عند ذكر المسجد جـ ١٨ ص ١٤ قال أن به ضريحه . والخبر الأول يتفق مع قول الشعرانى . وديرين من قرى محافظة الغربية .

عهد الثورة . ويطل على ميدان كوبرى الجامعة . وهو جامع فخم أنيق له مئذنتان . ويعتبر من تحف العمارة الاسلامية .

ونكتفى بهذا القدر عن الجوامع . ونحمد الله أن وفقنا فى كتابه ما ذكر عن جزيرة الروضة .

الفصل العاشر

القاهرة تختنق - عالجوها
والعلاج قريب - مدينة النور

كانت مساحة القاهرة فى زمن الفرنسيين (١٧٩٨ - ١٨٠١م) ١٩٤٨ فداناً . وكان عدد سكانها ٢٦٠٠٠٠ نسمة . فكأن الفرد يخصه ٣١,٥ مترا مربعا تقريبا .

وكانت مساحتها سنة ١٨٨٨ م - كما ذكر على باشا مبارك فى خططه - ٢٩٠٠ فداناً . وكان عدد سكانها ٣٧٥٠٠٠ نسمة . فكأن الفرد يخصه ٣٢,٥ م . م تقريباً .

والآن مساحة القاهرة ٦٠٠٠٠ فدان تقريباً . وعدد سكانها حسب الأحصاء التقديرى لسنة ١٩٧٦ بالبيان الذى أعلنه الجهاز المركزى للتعبئة والأحصاء ٦١١٥٠٠٠ نسمة . فكأن الفرد يخصه ٤١,٢ م . م تقريباً .

وهذا عن القاهرة فقط . أما القاهرة الكبرى التى تشمل - فضلا عن القاهرة - الجيزة وقرى مركز الجيزة وانبابة وشبرى الخيمة والخانكة وأبو زعبل . . الخ فعدد سكانها ٨٧٧٠٠٠٠ نسمة .

فالقاهرة تضاعفت مساحتها فى التسعين سنة الأخيرة منذ عهد على مبارك أكثر من عشرين مرة . حين أن كثافة سكانها لم تتضاعف غير ست عشرة مرة .

فهناك تناسب طردى بين ازدياد المساحة وكثافة السكان بل تزيد نسبة ازدياد

المساحة نتيجة للشوارع الحديثة الفسيحة والزيادة الكبرى فى دور الحكومة والشركات والسفارات الأجنبية والمتاجر الكبيرة ودور اللهو وغير ذلك من مظاهر العهد الحديث .

إذن ماهى العلة أو العلل فى هذا الازدحام فى طرقاتها . والاختناق فى مواصلاتها والصعوبات فى خدماتها ومرافقها . إلى آخر ما نحس به من الضيق ونحن نتنقل فى جوانبها لقضاء المصالح المختلفة ؟ هذا ما سنحاول بإذن الله شرح بعضه فى هذه الكلمة المختصرة .

وكانت القاهرة فى أوائل القرن الماضى - أى فى عهد محمد على - حدها الشرقى موقع شارع صلاح سالم تقريباً - والجنوبى القلعة ومجاوراتها . والشمالى حى الحسينية وجزء من حى الظاهر والغربى السور الذى شرع صلاح الدين الأيوبى فى عمله ليشمل من داخله القاهرة الفاطمية وما استجد عليها والقلعة والفسطاط . ولم تتم أسوار صلاح الدين ولاتزال منها للآن بقية . أما السور الغربى فقد اندثر تماماً وتداخل فى الشوارع والمبانى . وموقعه تقريباً الآن ما بين شارعى خيرت ونوبار بجهة الناصرية . وامتداد ذلك شمالاً حتى باب البحر عند ميدان رمسيس وجنوباً حتى فم الخليج . وفى عهد محمد على كان حى بولاق ومصر القديمة يعتبران من الضواحى .

وغربى هذا السور الغربى المذكور كانت البرك والمستنقعات وقليل من المبانى المتناثرة هنا وهناك مثل القصر العينى وغيره .

وكانت هذه الجهة عامرة بالقصور والمساكن فى عهد الناصر محمد بن قلاوون ومن بعده فى القرن الثامن الهجرى (١٤م) عندما حفر الخليج الناصرى الذى كان يبدأ من النيل جنوبى موقع القصر العينى ثم يسير شمالاً بشرق تقريباً حتى موقع ميدان رمسيس ثم ينعطف شرقاً فى حي الفجالة والظاهر حتى يلتقى عند غمرة بالخليج المصرى الذى أصبح الآن جزءاً من عرض شارع بور سعيد الحالى . وكان على جانبى الخليج الناصرى المذكور الدور والقصور . وكانت هناك متنزهات المدينة . ثم أدركها الخراب والتدهور بعد ذلك فى عهد العثمانيين . فزالت الدور . واندثرت القصور . وتحولت الجهة إلى كيمان وتلال وبرك ومستنقعات .

وفى عهد محمد على بُدىء فى تعمير هذه الجهة . فأنشىء فى الجزء الجنوبى من

حى جاردن سيتى قصر لابنه إبراهيم باشا يفصله عن القصر العينى طريق . والحد الشمالى للقصر المذكور كان تقريباً الشارع الذى كان إسمه شارع الوالدة باشا واسمه الحالى شارع عائشة التيمورية . وعُرف هذا القصر باسم القصر العالى . واسم الوالدة باشا المقصود به والدة الخديوى إسماعيل بن إبراهيم باشا لأنها كانت تقيم فى القصر المذكور فى عهد إسماعيل .

وكان شمال القصر العالى قصر أحمد باشا أخى إسماعيل . وشمالا منه سراى الإسماعيلية التى أنشأها إسماعيل . وكانت بالجزء الشمالى من جاردن سيتى حتى ميدان التحرير . وهذه القصور الثلاثة كانت تطل غربا على النيل . وتصل شرقاً إلى موقع شارع القصر العينى تقريبا فكأنها كانت تغطى حى جاردن سيتى .

ولمواجهة حى المنيرة للقصر العالى فقد شُرع فى عهد محمد على فى إزالة الكيمان والتلال التى كانت هناك . وكانت الجهة معروفة بتل العقارب . وكان مسطح ماتمت إزالته كما ورد فى الوقائع الرسمية سنة ١٨٣٠م (العدد ١١٤ فى ٢ رمضان سنة ١٢٤٥) ما يقرب من ٣٩ فداناً . وسُوِّيت أرضها وزرعت بأشجار الزيتون وغيرها .

منطقة الإسماعيلية :

وأراد إسماعيل تجديد مدينة القاهرة فخطط فى هذه البرك والمستنقعات غربى السور الغربى السابق ذكره المنطقة التى عرفت بالإسماعيلية .

ومنطقة الإسماعيلية كان تقريبا حدها الجنوبى فم الخليج المصرى . والشرقى السور المذكور والشمالى شارع ٢٦ يولية (فؤاد سابقاً) . والغربى بعضه النيل وبعضه ترعة الإسماعيلية التى كان مأخذها من النيل شمالى القصر المعروف بقصر النيل . وموقعه الآن جامعة الدول العربية وفندق هيلتون وغيرهما .

وكانت مساحة منطقة الإسماعيلية ٣٥٩ فداناً تقريباً . وكان ميدان التحرير لغاية قيام ثورة سنة ١٩٥٢ م اسمه ميدان الإسماعيلية

وتشمل هذه المنطقة بمفهومنا الحاضر منطقة القصر العينى وجاردن سيتى والمنيرة والإنشاء وميدان التحرير وباب اللوق وميدان الأزهار وشوارع سليمان باشا

(طلعت حرب حالياً) وقصر النيل وعدلى وثروت ورشدى والأزبكية وميدان الأوبرا وغيرها فى مجاوراتها .

فرُدمت البرك والمستنقعات . مثل بركة الأزبكية . وبركة قرموط (وكانت فى الجانب الغربى من شارع عدلى حتى شارع سليمان باشا) . وبركة الفوّالة (وكانت تغطى أغلب المساحة بين شارعى عدلى وقصر النيل) . وبركة الشقاف (وكانت بموقع ميدان الجمهورية - عابدين - الحالى تقريباً وذكرها الفرنسيون باسم بركة الفرّابين) . وغيرها من البرك والمستنقعات . ورفُعت التلال والكيمان منها . وخُططت فى شوارع مستقيمة على زوايا قائمة فى أغلب الأحيان . وجُعلت بها الميادين . وعلى جانبى الشوارع استطراقان للمارة . وجعل الوسط للعربات والحيوان . ومُدَّت فيها مواسير المياه لرى أرضها وسقى بساتينها . ونُصبت فيها فنارات الغاز لإنارتها . فسكنها الأمراء والعظماء والأعيان . وأصبحت - ولا تزال - سُرَّة المدينة وبها أهم مرافقها من دور الحكومة والشركات والبنوك وكبرى المحلات التجارية وغيرها .

وكانت هذه الشوارع فسيحة تتناسب مع عدد سكان القاهرة وقتذاك . ولم تكن هناك وسائل للمواصلات غير عربات الحنطور والدواب من الحمير والخيل والجمال . فشركة الترام لم تنشأ إلا سنة ١٨٩٤م .

ونحن نطلب الآن من هذه السُرَّة للمدينة . التى مساحتها ٣٥٩ فدانا . وكانت تخدم عند إنشائها ½ مليون نسمة . أن تخدم الآن العدد الحالى القريب من السبعة ملايين نسمة . ويتزايد سنوياً فضلا عن الوافدين من الأقاليم والبلاد العربية والأفريقية وغيرها من الدول الأجنبية للسياحة أو قضاء المصالح المختلفة . يُضاف إلى هذا ما وصلت إليه وسائل النقل الحديثة من عشرات الآلاف من السيارات بأنواعها المختلفة !

وهذه إحدى العلل .

والحكومة تشغل جزءا كبيرا من هذه المساحة . يقل قليلا عن النصف . فمثلا المساحة التى حدها الغربى شارع القصر العينى . والشرقى شارع الفلكى . والشمالى شارع الشيخ ريحان . والجنوبى شارع اسماعيل باشا سرى بالمنيره . طولها ١١٠٠ مترا وعرضها ٣٧٥ مترا . وهذا عبارة عن ١٠٠ فدان تقريبا . كلها مصالح

ووزارات حكومية . فيما عدا القليل النادر . هذا فضلا عما تملكه الحكومة أو تستأجره أو تشغله الهيئات والنقابات والمؤسسات والشركات التابعه للحكومة بجهات القصر العيني وميدان التحرير وجاردن سيتي وشوارع قصر النيل وعدلي وثروت ورمسيس والأزبكية وغيرها مما قد يصل إلى قريب من نصف المساحة المذكورة .

وهذه علة أخرى .

فمئات الآلاف من الموظفين والأهالي المترددين على هذه الجهات المختلفة لقضاء مصالحهم يتحركون فى هذه المساحة ويخنقونها بالازدحام .

وعلة ثالثة . أن كثيرا من الشركات والهيئات والمحلات التجارية يستمر عملها إلى المساء . كما أن دور السينما الكبرى والمسارح المختلفة . وكثيرا من دور اللهو موجودة فى هذه المساحة من المدينة مما يجعل الازدحام ليلا ونهارا .

وكانت هناك نظرة قصيرة لم تمتد إلى حالة المدينة ومستقبلها . فمن أمثلة هذه النظرة القصيرة إنشاء مجمع التحرير وتصميمه . فتجمع آلاف الموظفين فى الوصول لعملهم والانصراف منه فى وقت واحد كفيل بخنق المواصلات هناك . فضلا عن آلاف الموظفين فى الوزارات القريبة . والأهالي المترددين عليها .

وغالب الصف الشرقي من شارع القصر العيني فى المسافة بين ميدان التحرير والقصر العيني . أى على يسار المتجه من التحرير إلى القصر العيني . كله مصالح ووزارات حكومية أنشئت أو تجددت فى السنوات الأخيرة . ولم ترتد عن مكانها الأصلي غير أربعة أو خمسة أمتار . مع أن الواجب أنها كانت ترتد عشرين متراً على الأقل لتزيد فى عرض شارع يعتبر الآن كشريان رئيسي فى المواصلات بين جنوبي وغربي القاهرة - بما فيها الفسطاط والمعادى وحلوان والجيزة والروضة - وبين وسط المدينة .

ومن أمثال النظرة القصيرة أيضاً كوبرى الملك الصالح . الذى تجدد منذ سنوات قليلة (سنة ١٩٦٦م) . فقد أصبح الآن يشكو الاختناق . وكان الواجب التفكير عند تجديده فى زيادة عرضه . أو عمل كوبرى آخر بجواره . أو عمل أنفاق أو

كبارى علوية . أو غير ذلك من أنواع العلاج بالنظرة المطويلة الممتدة إلى المستقبل القريب على الأقل . [1] .

ومن الأمثال أيضاً . وإن كان هذا المثل بعيداً عن وسط المدينة . إنشاء شارع صلاح سالم فى السنوات الأخيرة ليكون طريقاً خارجياً للمدينة يسهل الوصول إلى أحيائها المختلفة دون أختراقها . هذا الشارع أصبح الآن مزدحماً بالسيارات كأنه شارع رمسيس . وكان الواجب أن يكون عرضه ضعف ما صمم عليه . خصوصاً وعلى جانبيه التلال والرمال والمقابر . مما كان يسمح بزيادة الاتساع .

وما يقال عن كبارى علوية . أو أنفاق سفلية . أو جعل بعض الشوارع اتجاهاً واحداً . كلهامسكنات وقتية وليست علاجاً . وماذا نعمل عندما يصل سكان القاهرة إلى ١٣ مليونا سنة ١٩٩٠ بإذن الله كما يقدر بعض الخبراء ؟؟ وليس هذا التاريخ ببعيد .

ودبٌ اليأس من العلاج فى نفوس البعض . فنادى بفكرة انتحارية . هى أن ننشىء للدولة عاصمة جديدة اختاروا لها مكانا عند مديرية التحرير أو وادى النطرون . أو القناطر الخيرية إلى غير ذلك مما صوره لهم الخيال .

وإنشاء عاصمة ليست بالأمر اليسير الذى يتم فى يوم وليلة . أو يصدر بقرار . وترك القاهرة تموت بتاريخها العريق وآثارها الإسلامية والمسيحية الرائعة . ومساجدها التى جعلتها بحق مدينة الألف مئذنة . ودورها وقصورها ومتاحفها وحدائقها ونواديها ومنشآتها التى تبلغ ملايين الملايين من الجنيهات . ليس من السهل على النفس أن تتقبله .

فموقع القاهرة موقع مختار من عهد الفراعنة . وكانت منف تقابل حلوان والمعادى من ضواحيها . واتخذ الرومان حصن بابليون فى مدينة بابليون – موقع الفسطاط – قاعدة تتحكم فى الوجهين البحرى والقبلى . ولم تكن الإسكندرية عاصمة إلا فى عهد البطالسة بأصلهم الأغريقى . وفى عهد الرومان لتكون قريبة من

---

(١) عمل أخيراً كوبرى علوى بشارع كورنيش النيل أمام كوبرى الملك الصالح خفف ضغط المرور بعض التخفيف .

روما . وتأكيد عمرو بن العاص لهذا الموقع . بإنشاء مدينة الفسطاط فيه تعزيز لسلامة ما ذهب إليه القدماء من اختيار الموقع .

والعلة التى نشكو منها ليست فى مدينة القاهرة التى ذكرنا أن هناك تناسباً طردياً بين مساحتها وكثافة سكانها . بل إن المساحة تزيد نسبتها . إنما العلة فى وسط المدينة الذى اعتبر قلبها النابض . فزاد عليه الضغط فأصبح يشكو من التضخم . كالقلب المريض لا يكاد يلتقط أنفاسه .

والعلاج أن ينسحب أغلب النشاط من وسط المدينة إلى مكان اخر . ليخف هذا الضغط . ولدينا فى الصحراء الشرقية - مدينة ناصر - متسع كبير يصلح لا متداد المدينة شرقاً إلى ما يشاء الله من الامتداد . ولو إلى البحر الأحمر !!

فأذا خَصَّصنا شرقى مدينة ناصر ٦٠٠٠ ستة آلاف فدان مثلا (٥كليو متر × ٥ كم تقريباً) لإنشاء منطقة حكومية تنتقل إليها الوزارات والمصالح الحكومية المختلفة والمؤسسات والشركات المرتبطة بها . فهذا يخفف كثيراً من العبء عن وسط المدينة .

ولا يكون الأمر مقصوراً على إنشاء هذه الوزارات والمصالح المختلفة . فهذا يزيد المشكلة حدة وتفاقما فى الوصول إليها والعودة منها . ولكن الواجب أن تكون هناك مناطق سكنية للموظفين . بمعنى أن كل وزارة أو مصلحة أو هيأة تُنشأ يجب أن ينشأ بجوارها أو بالقرب منها مساكن لموظفيها . ولكل موظف الحق فى شقة من هذه المساكن بالإيجار إذا كان أعزب . فإذا كان متزوجاً له هذا الحق بشرط أن يتنازل للدولة عن شقته التى يشغلها حالياً بالمدينة .

ولا يكون الأمر مقصوراً على إنشاء المساكن . بل لابد أن يشمل ما يحتاجه الأهالى من أسواق وخدمات حرفية ومهنية ومدارس ومعابد ومستشفيات ونوادى ومتنزهات ولهو . وغير ذلك من النواحى المعيشية حتى لا يتكلف أهل المنطقة الانتقال منها إلا فى أحوال قليلة .

ويجب أن يخطط لهذه المنطقة تخطيطاً جيداً فيه بُعد نظر . وتدرس فيه مواصلاتها الداخلية وتقارب الجهات الحكومية . وأن يكون لها عدة مداخل بشوارع فسيحة - لا مدخلاً واحداً . لسهولة الوصول إليها من النواحى المختلفة للمدينة .

وتمويل المشروع ليس عقبة فالدولة تملك مالا يقل عن ٣/٤ مليون متر مربع فى وسط المدينة ثمنها بضع مئات من ملايين الجنيهات . وإذا قدرنا أن ثمن المتر من الأرض وسط المدينة ثمنه الآن ٥٠٠ خمسمائة جنيه مثلا . فثمن هذا المتر يكفى لبناء عدة أمتار فى المنطقة الجديدة من عدة أدوار[١] .

ويمكن أن تستعمل بعض الدور الحكومية - التى أنشئت حديثاً ويصير الاستغناء عنها - كفنادق . أو تؤجر لشركات تستغلها كشقق أو غرف مفروشة . مع بعض التعديل فى هندستها وتقسيمها . على أن يُمنع تأجير الشقق المفروشة فى غيرها من الأحياء . فهذه الشقق المفروشة من الأسباب الجوهرية فى أزمة المساكن فى العاصمة . فضلاً عما وجد بكثير منها الانحرافات الخلقية . وما ثبت من اتجار الكثيرين بها وإثرائهم من هذه التجارة ثراءاً فاحشاً . ويمكن أن نضيف أن تمليك الشقق - أى بيع العمارة بالقطاعى - من أسباب أزمة المساكن وقد أعطى المقاولين الفرصة للاستغلال والإثراء .

ويمكن أن يكون تنفيذ المشروع تدريجياً على مراحل . إنما بعد التخطيط الكامل لكل المشروع ليكون التنفيذ مرتبطاً مع بعضه .

التعمير وسعر الأرض :

وللتعمير فى المنطقة الجديدة . أو قريباً منها . يجب أن تنظر الدولة لنفسها أنها ليست تاجراً يستغل حاجة الناس . بل من واجبات الدولة توفير المسكن للمواطن . لتقضى على طائفة المستغلين لهذه الحاجة الرئيسية . الذين رفعوا إيجار المساكن إلى أرقام خيالية . وعقّدوه بما يطلبون من خلو ومقدم وغير ذلك مما جعل حصول الشباب الناشىء على مسكن بإيجار مناسب فى حكم المستحيل .

ولا معنى إطلاقاً أن تبالغ الحكومة فى رفع أسعار المتر المربع فى أرض رملية صحراوية لم تكن تغل شيئاً . بل يجب ألا يزيد ثمن المتر المربع عما تكلفه تخطيط الشوارع ورصفها وتوصيل المرافق إليها .

---

(١) ارتفعت أسعار الأراضى بعد تحرير هذا بسنوات كما ارتفعت تكاليف البناء مما يجعل النسبة فى ذلك أيضاً مقبولة .

ويذكر لنا التاريخ أنه لما اكتشفت المياه الكبريتيه بحلوان . وكانت حلوان قد تدهورت إلى درجة قريبة من الخراب . وأراد الخديوى إسماعيل تعمير المنطقة . أنشأ هناك الحمامات وصيدلية وفندقاً متعدد الدرجات لاقامة من يقصدون الاستشفاء بهذه المياه . وأباح لمن أراد من الأهالى أن يمتلك أى مساحة برسم رمزى قدره جنيه واحد لكل . . ٥م.م. بشرط أن يبنى خُمس هذه المساحة فى مدة معينة . وبعد البناء يحرر له سند التمليك من مديرية الجيزة التى كانت حلوان تابعة لها .

كما نعلم أن شركة مصر الجديدة عندما أرادت تعمير الصحراء هناك . خططت ثم بدأت فى بناء عدة عمارات على حسابها لاتزال باقية للآن فى مدخل مصر الجديدة بطابعها المعمارى المميز بالبواكى المحمولة على أعمدة من الجرانيت الفاخر المجلوب من محاجر أسوان . وأباحت لمن أراد من الأهالى أن يشترى الأرض بسعر المتر المربع ٤٠ أربعين قرشاً . وتبنى له الشركة طبقاً لرسم يتفق عليه . وتقسط عليه ثمن الأرض و المبانى على ١٥ سنة بفائدة قليلة . ومقدم الثمن لا يتجاوز بضعة جنيهات . وجذبت الأهالى للتعمير هناك بإنشاء المترو . وخط ترام آخر كان يعرف بالوزيزى وبالترام الأبيض (الوزيزى من oasis بمعنى واحة) وكان يبدأ من نهاية العباسية ويمر فى شارع الخليفة المأمون . كما أنشأت فى مدخل المنطقة لونابارك (أى حديقة القمر) بموقع سينما روكسى حالياً . وبها عدة ألعاب . وكان هذا جديداً . فجذب الناس من القاهرة ومن أقصى المديريات للفرجة والنزهة .

ومن هذين المثلين يجب أن نأخذ درساً فى التعمير . فيمكن للحكومة أن تبيع هناك بسعر معقول يتناسب فقط مع التكاليف . بشرط البناء فى مدة محدودة لمنع الاتجار فى الأراضى . وعلى أن يكون البناء طبقاً لمواصفات يضعها المهندسون لعدم إفساد جمال المنطقة المستجدة . فإذا لم ينفذ المشترى البناء فى المدة المحددة . أو خالف المواصفات . يلغى البيع . وتقدير ذلك يكون خاضعاً للقضاء .

ولاحق لغير المصريين فى التملك والبناء . ولا ننصح بالتحايل على هذه القاعدة بتحديد مساحة معينة أو تقييد حق الانتفاع بمدة معينة أو غير ذلك من الثغرات التى تبيح لغير المصريين التملك أو الانتفاع بأى صورة من الصور . بل يكون منعاً باتاً . فأرض مصر يجب أن تظل للمصريين .

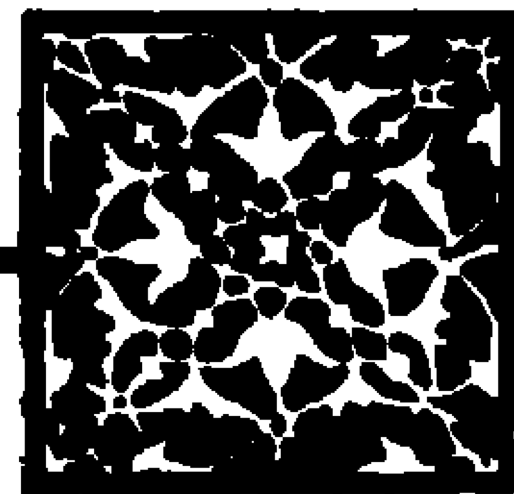
تحسين جو المنطقة :

ولتحسين جو المنطقة وزيادة اقتصادياتها يمكن أن نعيد دراسة مشروع قديم ورد فى بعض كتب التراث .

فقد ذكر المقريزى فى خططه (جـ٢ ص٢٣٠) أن الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧٢٧هـ(١٣٢٧م) عزم على حفر خليج من ناحية حلوان إلى الجبل الأحمر المطل على القاهرة . ليسوق الماء إلى الميدان الذى عمله بالقلعة . ويكون حفر الخليج فى الجبل فنزل إلى كشف ذلك ومعه المهندسون فجاء قياس الخليج طولاً ٤٢٠٠٠ قصبة فيمر الماء من حلوان حتى يحاذي القلعة . فإذا حاذاها بنى هناك خبايا تحمل الماء إلى القلعة ليصير الماء بها غزيراً دائماً صيفاً وشتاء لا ينقطع . ولا يُتكلف لحمله ونقله . ثم يمر من محاذاة القلعة حتى ينتهى إلى الجبل الأحمر فيصب من أعلاه إلى تلك الأرض حتى تزرع . ١هـ.

ولم ينفذ الناصر هذا المشروع لما أبداه له مستشاروه من كثرة نفقاته وطول ما يلزمه من الوقت . وكان لهم غرض فى صرفه عنه . فعدل عنه .

والفكرة جديرة بأن نعيد دراستها الآن . لا لتوصيل المياه إلى القلعة . ولكن لا ستزراع منطقة الجبل الأحمر حول الجهة التى نقترح امتداد العمران إليها مع ملاحظة أن تقدير المقريزى لطول الخليج فيه خطأ . فالطول الذى ذكره معناه (١٦١) كيلو متر . باعتبار القصبة ٨٥س,٣ متر كما كانت وقتذاك . حين أن المسافة بين حلوان والجبل الأحمر أقل من ٢٥ كم . ولعل المقريزى قصد ٤٢٠٠٠ ذراع . ونسأله تعالى التوفيق .



القسم الثالث

الجداول التاريخية بأسماء الحاكمين والولاة بمصر منذ الفتح العربي

الجدول الأول

الخلفاء الراشدون

توفى الرسول عليه الصلاة والسلام فى يوم الإثنين ١٣ ربيع الأول سنة ١١ هـ . الموافق (٦٣/٦/٨)[1] .

١- أبو بكر الصديق فى ربيع الأول سنة ١١ ــ ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣ هـ .

٢- عمر بن الخطاب من ٢٢ جمادى الآخرة سنة ١٣ ــ ٣٠ من ذى الحجة سنة ٢٣ هـ . (اعتدى عليه فى ٢٤ وتوفى ٣٠ من ذى الحجة) .

٣- عثمان بن عفان من ٣٠ من ذى الحجة سنة ٢٣ ــ ١٨ من ذى الحجة سنة ٣٥ هـ (قتل) .

٤ - على بن أبى طالب من ذى الحجة سنة ٣٥ ــ ١٧ رمضان سنة ٤٠ هـ (قتل) .

ملحوظة : تنازل الحسن بن على بن أبى طالب لمعاوية بن أبى سفيان عن الخلافة مدى حياته على أن تعود للحسن بعد وفاة معاوية . وكان هذا الاتفاق فى ربيع الآخر سنة ٤١ هـ . ويعتبر هذا التاريخ ابتداء الدولة الأموية . ثم توفى الحسن فى ربيع الأول سنة ٤٩. وقيل أنه مات مسموماً .

ملحوظة ثانية : ذكر الطبرى فى تاريخه جـ٥ ص ٤٣ أن ابتداء خلافة عثمان بن عفان فى التاريخ المذكور أعلاه . أو فى المحرم . أو فى ١٠ من المحرم سنة ٢٤ هـ .

١ - التقويم العربى قبل الإسلام صـ٥٩ لمحمود حمدى الفلكى .

الجدول الثانى

قرابة بنى هاشم وبنى أمية

قرابة العلويين والعباسيين

١ - يلتقى الجميع فى جدهم عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن النضر بن كنانة ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

وينتهي نسب عدنان إلى إسماعيل بن أبراهيم عليهما السلام .

٢ - من أولاد عبد مناف ولدان : هاشم وعبد شمس وهما توأمان .

٣ - رزق هاشم عبد المطلب . ومن أولاد عبد المطلب ثلاثة هم :
(أ) عبد الله والد محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام .
(ب) أبو طالب والد على بن أبى طالب جد العلويين .
(جـ) العباس جد العباسيين .

٤ - رزق عبد شمس أمية . ومن أولاد أمية اثنان :
(أ) حرب والد صخر أبى سفيان والد معاوية بن أبى سفيان .
(ب) أبو العاص . ومن أولاده عفّان والد الخليفة عثمان بن عفان ، الحكم والد الخليفة الأموى مروان بن الحكم .

الجدول الثالث

الأسرة الأموية

من ربيع الآخر سنة ٤١ هـ ـ ذى الحجة سنة ١٣٢ هـ

= من أغسطس سنة ٦٦١ ـ يولية سنة ٧٥٠ م .

١ - معاوية بن أبى سفيان إلى رجب سنة ٦٠ هـ .

٢ - ابنه يزيد بن معاوية إلى ربيع الآخر سنة ٦٤ هـ .

٣ - ابنه معاوية بن يزيد خلع نفسه بعد ثلاثة شهور .

٤ - مروان بن الحكم بن أبى العاص خنقته امرأته فى ٣ رمضان سنة ٦٥ هـ .

٥ - ابنه عبد الملك بن مروان توفى شوال سنة ٨٦ هـ .

٦ - ابنه الوليد بن عبد الملك توفى سنة ٩٦ هـ .

٧ - أخوه سليمان بن عبد الملك توفى سنة ٩٩ هـ .

٨ - ابن عمه عمر بن عبد العزيز بن مروان توفى سنة ١٠١ هـ .

٩ - ابن عمه يزيد بن عبد الله بن مروان توفى سنة ١٠٥ هـ .

١٠ - أخوه هشام بن عبد الملك توفى سنة ١٢٥ هـ .

١١ - ابن أخيه الوليد بن يزيد بن عبد الملك قتل سنة ١٢٦ هـ .

١٢ - ابن عمه يزيد الناقص بن الوليد بن عبد الملك توفى سنة١٢٦ هـ .

١٣ - أخوه إبراهيم بن الوليد خلع ربيع الآخر سنة ١٢٧ هـ .

١٤ - ابن عم أبيه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم قتل بمصر فى ذى الحجة سنة ١٣٢ هـ .

ملحوظة : عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك هرب إلى الأندلس وأنشأ الدولة الأموية هناك . وهو المعروف فى التاريخ بعبد الرحمن الداخل وبصقر قريش .

الجدول الرابع

ولاة مصر

منذ الفتح العربى سنة ٢٠ هـ إلى نهاية الحكم الأموى سنة ١٣٢ هـ

١ - عمرو بن العاص (أول مرة) من سنة ٢٠ ـ سنة ٢٥ هـ

٢ - عبد الله بن سعد بن أبى سرح من ٢٥ ـ ٣٥ هـ

٣ - محمد بن أبى حذيفة من ٣٥ ـ ٣٦ هـ

٤ - قيس بن سعد بن عبادة ٣٧ هـ

٥ - الأشتر مالك بن الحارث ٣٧ هـ

٦ - محمد بن أبى بكر الصديق من ٣٧ ـ ٣٨ هـ

٧ - عمرو بن العاص (ثانية) من ٣٨ ـ ٤٣ هـ

٨ - عتبة بن أبى سفيان من ٤٣ ـ ٤٤ هـ

٩ - عقبة بن عامر من ٤٥ ـ ٤٧ هـ

١٠ - مسْلَمة بن خالد الأنصارى من ٤٧ ــ ٦٢ هـ

١١ - سعيد بن يزيد الأسدى من ٦٢ ــ ٦٤ هـ

١٢ - عبد الرحمن بن عقبة بن جحدم من ٦٤ ــ ٦٥.هـ

١٣ - عبد العزيز بن مروان بن الحكم من ٦٥ ــ ٨٥ هـ

١٤ - عبد الله بن عبد الملك بن مروان من ٨٥ ــ ٩٠ هـ

١٥ - قُرَّة بن شَرِيك العبسى من ٩٠ ــ ٩٦ هـ

١٦ - عبد الملك بن رفاعة (أول مرة) ٩٦ ــ ٩٩ هـ

١٧ - أيوب بن شُرَحْبِيل من سنة ٩٩ ــ سنة ١٠١ هـ

١٨ - بشر بن صفوان الكنبى من ١٠١ ــ ١٠٢ هـ

١٩ - حنظلة بن صفوان (أول مرة) من ١٠٢ ــ ١٠٥ هـ

٢٠ - محمد بن عبد الملك بن مروان من ١٠٥

٢١ - الحر بن يوسف من ١٠٥ ــ ١٠٨ هـ

٢٢ - حفص بن الوليد الحضرى (أول مرة) ١٠٨

٢٣ - م عبد الملك بن رفاعة (ثانية) من ١٠٨ ــ ١٠٩ هـ

٢٤ - الوليد بن رفاعة من ١٠٩ ــ ١١٧ هـ

٢٥ - عبد الرحمن بن خالد الفهمى من ١١٧ ــ ١١٨ هـ

٢٦ - م حنظلة بن صفوان (ثانية) من ١١٨ ــ ١٢٤ هـ

٢٧ - م حص بن الوليد (ثانية) من ١٢٤ ــ ١٢٧ هـ

٢٨ - حسان بن عتاهية ١٢٧

٢٩ - م . م حفص بن الوليد (ثالثة) من ١٢٧ ــ ١٢٨ هـ

٣٠ - الحوثرة بن سهيل الباهلى من ١٢٨ ـ ١٣١ هـ

٣١ - المغيرة بن عبد الملك الغزاوى من ١٣١ ـ ١٣٢ هـ

٣٢ - عبد الملك بن مروان بن موسى بن نصير ١٣٢ هـ

ملحوظة : يوجد أربعة ولاة تكررت لهم الولاية مرتين ومرموز لهم بحرف م وأحدهم تولاها ثلاث مرات ومرموز له بحرف م . م . فيكون عدد الولاة ٢٧ واليا

الجدول الخامس

الخلفاء العباسيون فى بغداد

من ١٣٢ ـ ٦٥٦ هـ = من ٧٥٠ ـ ١٢٥٨ م

١ - السفاح عبد الله أبو العباس بن محمد بن على بن عبد الله ابن العباس بن عبد المطلب . توفى سنة ١٣٦ هـ

٢ - أخوة المنصور عبد الله أبو جعفر ت . سنة ١٥٨ هـ .

٣ - ابنه المهدى محمد أبو عبد الله ت . سنة ١٦٩ هـ .

٤ - ابنه الهادى محمد أبو موسى ت . ـ ١٧٠

٥ - أخوه الرشيد هارون ت . ـ ١٩٣

٦ - ابنه الأمين محمد أبو عبد الله قتل ١٩٨

٧ - أخوه المأمون عبد الله أبو العباس ت . ـ ٢١٨

٨ - المعتصم بالله محمد أبو إسحق ت . ـ ٢٢٧

٩ - ابنه الواثق بالله هارون أبو جعفر ت . ـ ٢٣٢

١٠ - أخوه المتوكل على الله جعفر أبو الفضل قتل ٢٤٧

١١ - ابنه المنتصر بالله محمد أبو جعفر ت . ـ ٢٤٨

١٢ - المستعين بالله أحمد بن محمد بن المعتصم خلع ٢٥١

١٣ - المعتز بالله محمد بن المتوكل خلع ٢٥٥

١٤ - المهتدى بالله محمد بن الواثق بالله ت .ـ ٢٥٦

١٥ - المعتمد على الله أحمد بن المتوكل ت .ـ ٢٧٩

١٦ - المعتضد بالله أبو العباس بن الموفق بن المتوكل ت . ـ ٢٨٩

١٧ - المكتفى بالله على بن المعتضد بالله ت . ـ سنة ٢٩٥ هـ

١٨ - المعتضد بالله جعفر بن المعتضد بالله قتل ٣٢٠

١٩ - القاهر بالله محمد بن المعتضد بالله خلع ٣٢٢

٢٠ - الراضى بالله أحمد بن المقتدر بالله ت . ـ ٣٢٩

٢١ - المتقى بالله إبراهيم بن المقتدر بالله خلع ٣٣٣

٢٢ - المكتفى بالله عبد الله بن المكتفى بالله خلع ٣٣٤

٢٣ - المطيع بالله أبو الفضل بن المقتدر بالله خلع ٣٦٣

٢٤ - الطائع لله عبد الكريم بن المطيع خلع ٣٨١

٢٥ - القادر بالله أحمد بن الأمير إسحق بن المقتدر ت . ـ ٤٢٢

٢٦ - القائم بالله عبد الله بن القادر ت . ـ ٤٦٧

٢٧ - المقتدى بالله عبد الله بن الأمير ذخيرة الدين بن القائم ت ـ ٤٨٧

٢٨ - المستظهر بالله أحمد أبو العباس بن المقتدى ت . ـ ٥١٢

٢٩ - المسترشد بالله أبو الفضل بن المستظهر بالله قتل ٥٢٩

٣٠ - الراشد بالله المنصور بن المسترشد خلع ٥٣٠

٣١ - المقتفى بالله محمد أبو عبد الله بن المستظهر ت . ـ ٥٥٥

٣٢ - ابنه المستنجد بالله يوسف أبو الظفر ت . ـ ٥٦٦.

٣٣ - ابنه المستضيء بالله الحسن أبو محمد ت . ـ ٥٧٥

٣٤ - ابنه الناصر لدين الله أحمد أبو العباس س ت . ـ ٦٢٢

٣٥ - ابنه الظاهر بأمر الله محمد أبو نصر ت . ـ ٦٢٣

٣٦ - ابنه المستنصر بالله المنصور أبو جعفر ت . ـ ٦٤٠

٣٧ - ابنه المستعصم بالله عبد الله أحمد قتله التتار سنة ٦٥٦

الجدول السادس

الخلفاء العباسيون فى مصر

من ٦٦٠ ـ ٩٣٠هـ = ١٢٦١ ـ ١٥٢٣م

١ - المستنصر بالله عم المستعصم بالله آخر خلفاء بغداد
جَهَّزُه الظاهر بيبرس لحرب التتار سنة ٦٥٩ . ولكنه هُزم وفُقد .

٢ - الحاكم بأمر الله أحمد بن حسن بن أبى بكر على القّبى بن حسين بن الخليفة الراشد بالله استقدمه الظاهر سنة ٦٦٠ وبايعه بالخلافة . وتوفى سنة ٧٠١ ودفن بجوار مشهد السيدة نفيسة (مما أعطى لهذا الحى اسم قسم الخليفة)

٣ - ابنه المستكفى بالله أبو الربيع سليمان . نفاه الناصر محمد بن قلاوون بعد سنة ٧٣٦ إلى قوص حيث توفى سنة ٧٤٠ هـ

٤ - الواثق بالله ابراهيم بن المستمسك بالله بن المستكفى خُلع سنة ٧٤١ هـ

٥ - الحاكم بأمر الله الثانى أحمد بن المستكفى بالله توفى سنة ٧٥٣هـ

٦ - أخوه المعتضد بالله أبو بكر بن المستكفى بالله توفى سنة ٧٦٣هـ

٧ - ابنه المتوكل على الله محمد . غُزِلَ سنة ٧٨٥ ثم أُعيد ٧٩١ ـ ٨٠٨

٨ - الواثق بالله الثانى عمر بن الواثق بالله ابراهيم ٧٨٥ ـ ٧٨٨

٩ - أخوه المعتصم بالله زكريا ٧٨٨ ــ ٧٩١ وخُلِعَ

١٠ - المستعين بالله عباس بن المتوكل ٨٠٨ ــ ٨١٥ . ثم استقل بالحكم . ثم عزل من الملك سنة ٨١٥ .ومن الخلافة سنة ٨١٦ واعتقل ونفى للأسكندرية حيث توفى ودفن بها سنة ٨٣٣

١١ - أخوه المعتضد بالله داود الثانى من ٨١٦ ــ ٨٤٥

١٢ - أخوه المستكفى بالله سليمان الثانى من ٨٤٥ ــ ٨٥٥

١٣ - أخوه القائم بأمر الله حمزة (عزل نفسه واعتقل ونفى بالاسكندرية) ٨٥٥ ــ ٨٥٩

١٤ - أخوه المستنجد بالله يوسف من ٨٥٩ ــ ٨٨٤

١٥ - ابن أخيه المتوكل على الله عبد العزيز الثانى بن يوسف بن المتوكل إلى ٩٠٣

١٦ - ابنه المستمسك بالله يعقوب (استقال) من ٩٠٣ ــ ٩١٤

١٧ - ابنه المتوكل على الله الثالث من ٩١٤ . ودخل العثمانيون مصر سنة ٩٢٣ واعتقل ونفى للآستانة وعاد إلى مصر . وفى سنة ٩٣٠ هـ أعلن تجريده وجميع ذريته وخلفاءه من صفتهم لما نسب إليه من التآمر ضد تركيا .

ملحوظة : اعتمدت فى هذا الجدول على أرجح الأقوال فى التواريخ والاسماء فى المراجع التاريخية المختلفة ثم صبح الأعشى وحسن المحاضرة والمختصر لأبى الفدا وبدائع الزهور لابن إياس والخطط التوفيقية وغيرها

ملحوظة ثانية : من طريف ما يروى أن القائم بأمر الله (١٣) لما ضاق بالسلطان إينال قال له فى اجتماع عام : عزلت نفسى وعزلتك . فتمسك قاضى القضاة علم الدين البلقينى وقال : عزلك لنفسك صحيح . ولكن عزلك للسلطان باطل لأنه لم تكن لك ولاية بعد عزلك لنفسك . ولو بدأت بعزل السلطان لصح الأمران . وكان للقاضى هوى فى نقل الخلافة ــ للمستنجد لأنه كان زوج ابنته

الجدول السابع

بنوطولون

من ٢٥٤ ــ ٢٩٢ هـ = من ٨٦٨ ــ ٩٠٥ م .

١ - أحمد بن طولون من ٢٥٤ ــ ٢٦٩ هـ

٢ - ابنه خُمارويه ٢٦٩ ــ ٢٨٢

٣ - جيش بن خمارويه (سته شهور) ٢٨٢ ــ ٢٨٣

٤ - هارون بن خمارويه ٢٨٣ ــ ٢٩٢ .

٥ - عمه شيبان بن أحمد طولون ٢٩٢ -

الجدول الثامن

بنو الأخشيد

من ٣٢٣ ــ ٣٥٨ هـ = من ٩٣٥ ــ ٩٦٩ م

١ - الأخشيد محمد بن طغج بن جف ــ ٣٢٣ ــ ٣٣٤ هـ

٢ - ابنه أنوجور (تفسيره محمود) ــ ٣٣٤ ــ ٣٤٩

٣ - أخوه على بن الأخشيد ٣٤٩ ــ ٣٥٥

٤ - كافور الخصى عبد الأخشيد ٣٥٥ ــ ٣٥٦
والواقع أنه كان متحكما وبيده الزمام من ٣٣٤

٥ - أحمد أبو الفوارس بن على بن الأخشيد ٣٥٦ ــ ٣٥٨ ثم ، دخل جوهر قائد المعز لدين الله الفاطمى فى ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ

الجدول التاسع

الولاة على مصر من قبل العباسيين لغاية دخول الفاطميين

من ١٣٣ - ٣٥٨هـ = ٧٥٠ - ٩٦٩ م .

١ - صالح بن على بن عبد الله العباسى	١٣٣هـ
٢ - أبو عون عبد الملك بن يزيد	١٣٣ - ١٣٦ هـ
٣ - م صالح بن على (ثانية)	١٣٦ - ١٣٧

٤ - م أبو عون عبد الملك (ثانية) ١٣٧ - ١٤١
٥ - موسى بن كعب أبو عُيَيْنَة ١٤١
٦ - محمد بن الأشعث بن عقبة ١٤١ - ١٤٣
٧ - حُميد بن قَحطبة بن شبيب ١٤٣ - ١٤٤
٨ - يزيد بن حاتم بن قَبيصة ١٤٤ - ١٥٢
٩ - عبدالله بن عبدالرحمن بن معاوية بن حُدَيج ١٥٢ - ١٥٥
١٠ - محمد بن عبدالرحمن بن معاوية بن حُدَيج ١٥٥
١١ - موسى بن عُلَىّ بن رَبَاح ١٥٥ - ١٦١
١٢ - عيسى بن لقمان الجُمَحِىّ ١٦١ - ١٦٢
١٣ - واضح بن عبدالله الخصى المنصورى ١٦٢
١٤ - منصور بن يزيد الزِّنجانى ١٦٢
١٥ - يحيى بن داود الشهير بابن ممدود ١٦٢ - ١٦٤
١٦ - سالم بن سوادة التميمى ١٦٤ - ١٦٥
١٧ - ابراهيم بن صالح العباسى (أول مرة) ١٦٥ - ١٦٧
١٨ - موسى بن مُصعب بن الربيع ١٦٧
١٩ - عَسَّامة بن عمرو أبو داجن ١٦٨
٢٠ - الفضل بن صالح العباسى ١٦٩
٢٠ - على بن سليمان بن على العباسى ١٦٩ - ١٧١ هـ
٢٢ - موسى بن عيسى بن موسى (أول مرة) ١٧١ - ١٧٢
٢٣ - مَسْلَمة بن يحيى بن قُرَّة ١٧٢ - ١٧٣
٢٤ - محمد بن زَهِير الأزدى ١٧٣
٢٥ - داود بن يزيد بن حاتم ١٧٤ - ١٧٥
٢٦ - م موسى بن عيسى (ثانية) ١٧٥ - ١٧٦
٢٧ - م إبراهيم بن صالح (ثانية) ١٧٦
٢٧ - عبد الله بن المُسَيَّب بن زُهَيْر ١٧٦ - ١٧٧
٢٩ - إسحق بن سليمان بن على العباسى ١٧٧ - ١٧٨
٣٠ - هَرْثَمة بن أعْيَنْ ١٧٨
٣١ - عبد الملك بن صالح العباسى ١٧٨ - ١٧٩
٣٢ - عُبَيد الله بن المهدى العباسى (أول مرة) ١٧٩
٣٣ - م م موسى بن عيسى (ثالث مرة) ١٧٩ - ١٨٠
٣٤ - م عُبَيد الله بن المهدى (ثانية) ١٨٠ - ١٨١
٣٥ - إسماعيل بن صالح العباسى ١٨٢

٣٦ - إسماعيل بن عيسى العباسى	١٨٣
٣٧ - الليث بن الفضل الأبيوردى	١٨٣ - ١٨٧
٣٨ - أحمد بن إسماعيل بن على العباسى	١٨٧ - ١٨٩
٣٩ - عُبَيدالله بن محمد بن إبراهيم العباسى	١٨٩ - ١٩٠
٤٠ - الحسين بن جُميل	١٩٠ - ١٩٢ هـ
٤١ - مالك بن دَلْهم الكلبى	١٩٢ - ١٩٣
٤٢ - الحسن بن البَخْبَاح (أو التختاخ)	١٩٣ - ١٩٤
٤٣ - حاتم بن هَرْثَمة بن أعْيَن	١٩٤ - ١٩٥
٤٤ - جابر بن الأشعث الطائى	١٩٥ - ١٩٦
٤٥ - عَبَّاد بن محمد بن حَيَّان	١٩٦ - ١٩٨
٤٦ - المطلب بن عبدالله (أول مرة)	١٩٨
٤٧ - العباس بن موسى العباسى	١٩٨ - ١٩٩
٤٨ - م المطلب بن عبدالله (ثانية)	١٩٩ - ٢٠٠
٤٩ - السَّرى بن الحكَم (أول مرة)	٢٠٠ - ٢٠١
٥٠ - سليمان بن غالب	٢٠١
٥١ - م السَّرِى بن الحكم (ثانية)	٢٠١ - ٢٠٥
٥٢ - محمد بن السرى بن الحكم	٢٠٥ - ٢٠٦
٥٣ - عبيد الله بن السرى بن الحكم	٢٠٦ - ٢١١
٥٤ - عبد الله بن طاهر	٢١١ - ٢١٢
٥٥ - عيسى بن يزيد الجُلُودِىّ (أول مرة)	٢١٢ - ٢١٣
٥٦ - عُمَير بن الوليد الطائى	٢١٤
٥٧ - م عيسى بن يزيد الجلودى (ثانية)	٢١٤ - ٢١٥
٥٨ - عيسى بن يزيد الجلودى (ثانية)	٢١٤ - ٢١٥
٥٨ - عَبْدَوَيْه بن جَبَلَة	٢١٥ - ٢١٦
٥٩ - عيسى بن منصور الرافقى (أول مرة)	
٦٠ - كَيْدَر بن عبد الله	٢١٧ - ٢١٩
٦١ - المظفر بن كيدر	٢١٩
٦٢ - موسى بن أبى العباس ثابت	٢١٩ - ٢٢٤
٦٣ - مالك بن كيدر	٢٢٤ - ٢٢٦ هـ
٦٤ - على بن يحيى الأرمنى (أول مرة)	٢٢٦ - ٢٢٨
٦٥ - م عيسى بن منصور (ثانية)	٢٢٩ - ٢٣٣
٦٦ - هَرثَمة بن نصر الجَبَلى	٢٣٣ - ٢٣٤

٦٧ - حاتم بن هرثمة بن نصر	٢٣٤
٦٨ - م على بن يحيى (ثانية)	٢٣٤ - ٢٣٥
٦٩ - إسحق بن يحيى بن مُعاذ	٢٣٥ - ٢٣٦
٧٠ - عبدالواحد بن يحيى بن منصور	٢٣٦ - ٢٣٨
٧١ - عَنْبَسَة بن إسحق بن شِمر	٢٣٨ - ٢٤٢
٧٢ - يزيد بن عبد الله بن دينار	٢٤٢ - ٢٥٣
٧٣ - مُزَاحم بن خاقان	٢٥٣ - ٢٥٤
٧٤ - أحمد بن مزاحم بن خاقان	٢٥٤
٧٥ - أرغوز بن أولوغ طرخان	٢٥٤
٧٦ - ٨٠ بنوطولون (راجع الجدول السابع)	٢٥٤ - ٢٩٢
٨١ - محمد بن سليمان الكاتب	٢٩٢
٨٢ - عيسى بن محمد النوشرى	٢٩٢ - ٢٩٧
٨٣ - تكين الخزرى (أول مرة)	٢٩٧ - ٣٠٢
٨٤ - ذكا الرومى	٣٠٢ - ٣٠٧
٨٥ - م تكينى الخزرى (ثانية)	٣٠٧ - ٣٠٩
٨٦ - محمود بن حمل (أبوقابوس)	٣٠٩
٨٧ - هلال بن بدر	٣٠٩ - ٣١١
٨٨ - أحمد بن كيغلغ (أول مرة)	٣١١
٨٩ - م . م . تكين الخزرى (ثالثة)	٣١١ - ٣٢١ هـ
٩٠ - محمد بن طغج الأخشيد (أول مرة)	٣٢١
٩١ - م أحمد بن كيغلغ (ثانية)	٣٢٢ - ٣٢٣
٩٢ - م محمد بن طُغج الأخشيد (ثانية)	٣٢٣ - ٣٣٤
٩٣ - ٩٦ باقى أسرة الأخشيد (الجدول الثامن)	٣٣٤ - ٣٥٨ هـ

ثم دخل القائد جوهر فى ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ .

ملحوظة : ثلاثة عشر أميراً تولوا الولاية مرتين . ومرموز لهم بحرف (م) . ومنهم اثنان تولياها ثلاث مرات ومرموزلهما بحرفى (م . م .) فتكون اسماء الولاة ٨١ أميراً .

ملحوظة ثانية : كان بعض الولاة فى عهد العباسيين يعينون للصلاة فقط ومن اختصاصه الشرطة والمظالم فيبين فيها من يختاره . ويعين الخليفة آخر للخراج . كما أن الولاة قد يكونون معينين أصلاً من الخليفة أو بالنيابة عن ولاة أصليين مقيمين فى بغداد .

والجدول هنا خاص بالولاة على الصلاة الذين باشروا الحكم فعلاً بمصر

الجدول العاشر

أئمةُ الشيعة العلويه وثوراتهم ـ الأئمة الأثنى عشرية ـ الإسماعيلية ـ نسب الفاطميين .

مقدمة لهذا الجدول

لم يكن انقسام المسلمين إلى سنية وشيعه بادىء الأمر انقساما دينيا ـ ولا انقساما مذهبيا . ولكنه كان انقساما سياسيا تحركه تلك النعرة العصبية فى الجاهلية وفى أعماقه التنافس القديم قبل الأسلام بين بنى هاشم وبنى أميه . وظهر بوضوح فى مقاومة أبى سفيان للدعوة المحمدية . ثم فى الحرب بين ابنه معاوية والإمام على بن أبى طالب بحجة الثأر لمقتل الخليفة عثمان بن عفان ؟[1]

وإستقر الحكم لمعاوية وبنى أمية . ولم يكفّ بنو هاشم عن المطالبة بما يرونه حقهم فى الخلافة والحكم . وقاموا بثورات ضد بنى أمية . انتهت بقتل من قاموا بها . ووهن شأن العلويين فقام بنو عمهم العباسيون يطالبون بالخلافة حتى وصلوا لها سنة ١٣٢ هـ (٧٥٠م)[2] . وبعد ذلك تحولت ثورات العلويين ضد العباسيين ، وقوبلت بالقمع والشدة .

ولا نريد أن نسترسل فى سرد حجج كل فريق فالجدول موضوع للاسماء وقرابتها وتاريخها فقط .

وكان هذا الجدول ـ وغيره من الجداول فى هذا القسم ـ موضوعا على شكل تسلسل أنساب للجميع فى صحيفة واحدة . بحيث يمكن بنظرة واحدة معرفة الصلة بين السلف والخلف ومستوى الأجيال وطبقاتها فى كل فريق . ولكن لصعوبات فنية فى الطباعة منها ضيق مساحة الصحيفة طلبوا منى تغييرها إلى طريقة الشرح . كما هو الآن . ولعله يفى ببعض المطلوب .

أئمة الشيعة والأئمة الاثنى عشرية .

يرى العلويون أن الإمامة والخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم على الترتيب الآتى :

١ - الأمام على بن أبى طالب قتل فى رمضان سنة ٤١ هـ
٢ - ابنه الأمام الحسن بن على وُلد سنة ٣ وتوفى سنة ٤٩ هـ
٣ - أخوه الأمام الحسين بن على[3] وُلد سنة ٤ وقتل سنة ٦١ هـ
٤ - ابنه على زين العابدين بن الحسين توفى سنة ٩٥ هـ وإليه ينسب المشهد الموجود

بالقاهرة بجهة المذبح والمدابغ . والحقيقة أن صاحب هذا المشهد هو ابنه زيد الشهيد . أما على زين العابدين فقد دفن فى البقيع مقبرة المدينة

٥ - ابنه محمد الباقر توفى سنة ١١٤ هـ

٦ - ابنه الأمام جعفر الصادق ولد ٨٠ وتوفى ١٤٨ وبعد جعفر الصادق تنقسم الشيعة العلوية إلى

قسمين رئيسين : الأئمة الإثنى عشرية والإسماعيلية فالاثنى عشرية يرون أن الأمامة بعض الصادق انتقلت إلى :

٧ - ابنه موسى الكاظم توفى ١٨٣ هـ

٨ - ابنه على الرضا توفى ٢٠٣

٩ - ابنه محمد الجواد توفى ٢٢٠

١٠ - ابنه على الهادى توفى ٢٥٤

١١ - ابنه الحسن العسكرى توفى ٢٥٨

١٢ - ابنه المهدى المنتظر دخل سردابا فى منزله بسامرا واختفى وينتظرون ظهوره (اختفى ٢٦٥ هـ) متى آن الأوان (٤)

أما لإسماعيلية فيرون أن الأمامة بعد جعفر الصادق انتقلت إلى حفيده محمد المكتوم بن إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق . وتوفى إسماعيل فى حياة والده . فينتقل الحق فيها إلى ابنه محمد . فالأمامة تتقرر للولد البكر للإمام متى ولد . ولا يملك الإمام تغييرها . ولُقب محمد هذا بالمكتوم لأنه كان يتستر بالاختفاء خوفا من بطش العباسيين .

وهكذا افترقت الطائفتان . ثم انقسمت الشيعة إلى مذاهب عديدة غالت بعضها فى تقديس الأئمة وفى تفسيرات مفتعله للقرآن والحديث الشريف مما أبعدها كثيرا عن الأسلام .

نسب الفاطميين

الفاطميون نسبة إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول عليه الصلاة والسلام ووالدة الإمام الحسين بن على .

واختلف المؤرخون فى نسبهم . فأنكرها العباسيون ومن الاهم ونفوا نسبتهم أصلا إلى آل البيت . وذهبوا فى هذا مذاهب شتى فيها كثيرا من التجريح . خصوصا بعد أن استقر حكمهم فى المغرب ومصر وبعض الشام .

كما اختلف المؤيدون فى تسلسل نسب عبيد الله المهدى مؤسس دولتهم إلى محمد

المكتوم بن إسماعيل بن جعفر الصادق . وقيلت فى ذلك أقوال مختلفة . نذكر أربعة منها :

١ - عبيد الله بن محمد الحبيب بن جعفر الشاعر بن محمد المكتوم بن إسماعيل .
٢ - عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد المكتوم بن إسماعيل .
٣ - عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن إسماعيل الثانى فى محمد المكتوم .
٤ - عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل الثانى بن محمد المكتوم بن إسماعيل وليس الخلاف بين المؤرخين مقصورا على نسب الفاطميين بل توجد خلافات كثيرة فى أنساب آل البيت ومدافنهم وقد اعتمدت فى هذا الجدول على أرجح الأقوال .

شىء من ثورات العلويين .

١ - أولى هذه الثورات كانت عندما رفض الأمام الحسين بن على مبايعة يزيد بن معاوية بعد وفاة أبيه . وأستدعاه أهل الكوفة مؤيدين له . ولما ذهب حيل بينه وبين الوصول للكوفة . وكانت مذبحة كربلاء فى يوم عاشوراء العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ استشهد فيها .

٢ - وفى سنة ١٢٢ فى خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان ثار زيد الشهيد بن على زين العابدين بالكوفة واستشهد هناك وقطع رأسه وأرسل إلى مصر ليطوفوا به للعبرة والأرهاب فأخفاها بعض المصريين ودفنوها فى المشهد المنسوب لوالده على زين العابدين .

٣ - وفى سنة ١٢٥ هـ ثار ابنه يحيى بن زيد وقتل .

٤ - وفى سنة ١٤٥ هـ فى خلافة أبى جعفر المنصور العباسى ثار بالحجاز محمد بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب ولقب بالمهدى لحديث مشهور (المهدى اسمه كاسمى واسم أبيه اسم أبى) وهزم وقتل فى مكان يدعى بأحجار الزيت بالقرب من المدينة . فلقبه الشيعة بالنفس الزكية لحديث منسوب للرسول عليه الصلاة والسلام (يقتل من ولدى بأحجار الزيت نفس زكية . وقتل أخوه إبراهيم بالبصرة فى نفس السنة .

٥ - وهرب أخوهما إدريس إلى المغرب بعد أن ثار مع الحسين بن على الآتى ذكره سنة ١٦٩ . ودسّ عليه الهادى وقيل الرشيد من سمّه .

٦ - كما توفى أخوهم سنة الرابع يحيى بن عبد الله فى حبس هارون الرشيد بعد أن اشتدت شوكته فى الديلم وقصدته الشيعة فى كل مكان . ثم جنح للصلح فأمنه

الرشيد ثم غدر به وحبسه إلى أن مات .

٧ - وفى سنة ١٦٩ ثار الحسين بن على بن الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ـ وقُتل وهو المعروف بقتيل فَخ اسم وادى بقرب مكة .

٨ - وفى سنة ١٩٩ ثار محمد بن إبراهيم بن طَبَاطَبا بن إسماعيل ابن الحسن المثنى وكان يدبر أموره أبو السرايا وفشلت ثورته ومات فجأة .

٩ - وفى سنة ٢٥٠ ثار يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد الشهيد بن على زين العابدين وقُتل .

١٠ - وفى نفس السنة قام من ادعى أنه على بن محمد بن احمد بن على ابن عيسى بن زيد الشهيد . وعرفت هذه الثورة بثورة الزنج . وأجهدت الدولة العباسية وشغلتها مقاومتها حتى أمكن إخمادها سنة ٢٧٦ هـ .

١١ - وفى سنة ٢٥٠ أيضا ظهر بطبرستان الحسن الداعى بالحق بن زيد ابن محمد بن إسماعيل بن زيد بن الحسن المثنى بن الحسن السبط وأستولى عليها . وتوفى سنة ٢٧٦ . واستمر حكم العلويين فى طبرستان حتى سنة ٣١٦ .

١٢ - وفى سنة ٢٥١ ثار الحسين بن محمد بن حمزة بن عبد الله بن الحسين بن على زين العابدين وقُتل .

١٣ - ونذكر اخيرا الفاطميين . فقد قامت دولتهم فى المغرب سنة ٢٩٧ هـ واستولوا على مصر سنة ٣٥٨ هـ كما استولوا على بعض الشام واسماؤهم بالجدول الحادى عشر .

ويوجد خلاف كبير فى أنساب آل البيت . وقد اعتمدت فى هذا الجدول على أرجح الأقوال .

هوامش

(١) بين الجاهلية وصدر الأسلام للمؤلف (كتاب الشهر لمجلة الأزهر فى ربيع الآخر سنة ١٣٩٢ هـ) يونية سنة ١٩٧٢ م .

(٢) راجع الجدولين الثانى والخامس .

(٣) يرى بعض الشيعة أن الأمامة بعد الحسين أنتقلت إلى أخيه محمد بن الحنفية بن على بن أبى طالب (والحنفية لقب أمه واسمها خولة بنت جعفر) وتوفى محمد سنة ٩٤ هـ فانتقلت إلى ابنه عبد الله المعروف بأبى هاشم الذى نقلها إلى محمد بن على بن عبد الله بن العباسى (والد السفاح) وينسبون للرسول عليه الصلاة والسلام أنه أخبر عمه العباس أن الخلافه ستؤول إلى ولده من بعد .

(٤) راجع أئمة الشيعة فى مقدمة الثانى فى هذا الكتاب .

الجدول الحادى عشر

الخلفاء الفاطميون من ٢٩٧ ــ ٥٦٧ هـ

وبمصر من ٣٥٨ ــ ٥٦٧ هـ (٩٦٩ ــ ١١٧١م)

١ ــ المهدى عبيد الله أبو محمد نودى به أميرالمؤمنين ٢٩٧ وتوفى ٣٢٢هـ

٢ ــ ابنه القائم بأمر الله محمد أبو القاسم توفى ٣٣٤

٣ ــ ابنه المنصور بنصر الله إسماعيل أبو الظاهر توفى ٣٤١

٤ ــ ابنه المعز لدين الله معد أبو تميم توفى ٣٦٥

٥ ــ ابنه العزيز بالله نزار أبو منصور توفى ٣٨٦

٦ ــ ابنه الحاكم بأمر الله منصور أبو على فُقد ٤١١

٧ ــ ابنه الظاهر لإعزاز دين الله على أبو الحسن توفى ٤٢٧

٨ ــ ابنه المنتصر بالله معد أبو تميم توفى ٤٨٧

٩ ــ ابنه المستعلى بالله أحمد أبو القاسم توفى ٤٩٥

١٠ ــ الآمر بأحكام الله منصور أبو على قُتل ٥٢٤

١١ ــ ابن عمه الحافظ لدين الله عبد المجيد أبو
الميمون بن محمد أبى القاسم بن المستنصر بالله توفى ٥٤٤

١٢ ــ ابنه الظافر بأمر الله إسماعيل أبو منصور قُتل ٥٤٩

١٣ ــ ابنه الفائز بنصر الله عيسى أبو القاسم توفى ٥٥٥

١٤ ــ ابن عمه العاضد لدين الله أبو محمد بن الأمير
يوسف بن الحافظ توفى ليلة عاشوراء ٥٦٧ هـ

الجدول الثانى عشر

بنو بُوَيْه بالعراق

من ٣٣٤ ــ ٤٤٧ هـ = ٩٤٥ ــ ١٠٥٥ م

بُوَيه يقال أن نسبه ينتهى إلى بهرام جور بن كسرى يزدجرد

١ ــ ابنه معز الدولة أحمد استولى على بغداد سنة ٣٣٤ وتوفى ٢٥٦

٢ ــ ابنه عز الدوله بختيار توفى ٣٦٧

٣ ــ ابن عمه عضد الدولة فناخسرو بن ركن الدولة بن بويه توفى ٣٧٢

٤ ــ ابنه صمصام الدولة كاليجار خلعه أخوه وسمل عينيه توفى ٣٧٦

٥ ــ أخوه شرف الدولة شيزريك توفى ٣٧٩
٦ ــ أخوه بهاء الدولة خاشاذ توفى ٤٠٣
٧ ــ ابنه سلطان الدولة توفى ٤١٢
٨ ــ أخوه مشرف الدولة توفى ٤١٦
٩ ــ اخوه جلال الدولة من ٤١٨ ــ ٤٣٥
١٠ ــ ابن أخيه أبو كاليجار المرزبان من ٤٣٦ ــ ٤٤٠
١١ ــ ابنه الملك الرحيم . قبض عليه
السلطان طُغْرلُ بك بن سلجوق
وانتهى حكم بنى بويه ٤٤٠ ــ ٤٤٧

الجدول الثالث عشر
الأسرة الأيوبية فى مصر
من ١٠ المحرم سنة ٥٦٧ هـ ــ ٢٩ المحرم سنة ٦٤٨ هـ (١١٧١ ــ ١٢٥٠ م)

١ ــ الناصر صلاح الدين أبو المظفَّر يوسف
ابن نجم الدين أبو الشكر أيوب بن شادى
ابن مروان الكردى حكم من ٥٦٧ ــ ٥٨٩[1] هـ
٢ ــ ابنه العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ٥٨٩ ــ ٥٩٥
٣ ــ ابنه المنصور ناصر الدين محمد خلع ٥٩٦
٤ ــ عم أبيه العادل سيف الدين أبو بكر محمد بن أيوب ٥٩٦ ــ ٦١٥
٥ ــ ابنه الكامل ناصر الدين أبو العالى محمد ٦١٥ ــ ٦٣٥
٦ ــ ابنه العادل الثانى سيف الدين أبو بكر محمد خُلع ٦٣٧
٧ ــ ابنه الصالح نجم الدين أبو الفتح أيوب ٦٣٧ ــ ٦٤٧
٨ ــ ابنه المعظم غياث الدين قورا نشاه قُتل ٦٤٨

هامش
أعتبر ابتداء الأسرة الأيوبية فى مصر من تاريخ وفاة العاضد آخر الخلفاء الفاطميين . ولكن الواقع ان صلاح الدين كان موجوداً بمصر قبل ذلك التاريخ بصفته وزيراً للعاضد . وكانت بيده كل مقاليد الحكم .

الجدول الرابع عشر
السلاطين المماليك البحرية
من صفر ٦٤٨ ــ ١٩ رمضان سنة ٧٨٤ هـ
(١٢٥٠ ــ ١٣٨٢ م)

١ ــ شجرة الدر عصمة الدين أم خليل الصالحية
تولت ١٠ صفر سنة ٦٤٨ وتنازلت ربيع الآخر سنة ٦٤٨ هـ

٢ ــ المعز عز الدين أيبك التركمانى ٦٤٨ ــ ٦٥٥

٣ ــ ابنه المنصور نور الدين على ٦٥٥ ــ ٦٥٧

٤ ــ المظفر سيف الدين قُطز ٦٥٧ ــ ٦٥٨

٥ ــ الظاهر بيبرس ركن الدين البندقدارى ٦٥٨ ــ ٦٧٦

٦ ــ ابنه السعيد ناصر الدين محمد بركة خان ٦٧٦ ــ ٦٧٨

٧ ــ أخوه العادل بدر الدين سلامش ٦٧٨

٨ ــ المنصور سيف الدين قلاوون العلائى الألفى ٦٧٨ ــ ٦٨٩

٩ ــ ابنه الأشرف خليل صلاح الدين ٦٨٩ ــ ٦٩٣

١٠ ــ أخوه الناصر محمد (ولايته الأولى من المحرم سنة ٦٩٣ ــ المحرم سنة ٦٩٤

١١ ــ العادل زين الدين كتبغا إلى المحرم سنة ٦٩٦

١٢ ــ المنصور حسام الدين لاجين إلى ربيع الآخر سنة ٦٩٨

م ــ الناصر محمد ولايته الثانية إلى شوال سنة ٧٠٨

١٣ ــ المظفر ركن الدين بيبرس الجاشناكير إلى رمضان ٧٠٩

م ــ الناصر محمد بن قلاوون ولايته الثالثة إلى ذى الحجة سنة ٧٤١

أولاد الناصر محمد بن قلاوون

١٤ ــ المظفر سيف الدين أبو بكر قتل ٧٤٢ هـ

١٥ ــ أخوه الأشرف علاء الدين كجك خلع ٧٤٢

١٦ ــ أخوه الناصر شهاب الدين أحمد قتل ٧٤٣

١٧ ــ أخوه الصالح عماد الدين إسماعيل إلى ٧٤٦

١٨ ــ أخوه الكامل سيف الدين شعبان قتل ٧٤٧

١٩ ــ أخوه المظفر سيف الدين حاجى ذُبح ٧٤٨

٢٠ ــ أخوه الناصر بدر الدين حسن (أول مرة) خلع ٧٥٢

٢١ ــ أخوه الصالح صلاح الدين صالح خلع ٧٥٥

م ــ أخوه الناصر حسن (ثانية) قتل ٧٦٢

٢٢ـ ابن أخيه المنصور صلاح الدين محمد بن المظفر حاجى خلع ٧٦٤
٢٣ ـ ابن عمه الأشرف زين الدين شعبان بن الأمير حسين
ابن الناصر محمد قتل ٧٧٨
٢٤ ـ ابنه المنصور علاء الدين على خلع ٧٨٣
٢٥ ـ أخوه الصالح زين الدين حاجى إلى ١٩ رمضان سنة ٧٨٤ هـ

الجدول الخامس عشر
السلاطين المماليك البرجية أو الجراكسة
من ٧٨٤ ـ ٩٢٣ هـ = ١٣٨٢ ـ ١٥١٧م .

١ ـ الظاهر برقوق سيف الدين أبو سعيد من ٧٨٤ ـ ٨٠١[1] هـ
٢ ـ ابنه الناصر فرج زين الدين أبو العلات ٨٠١ ـ ٨١٥
٣ ـ الخليفة المستعين بالله عباس . خُلع ونفى للاسكندرية ٨١٥
٤ ـ المؤيد شيخ أبو النصر الظاهرى ٨١٥ ـ ٨٢٤
٥ ـ ابنه المظفر شهاب الدين أحمد (عمره سنتان) خُلع ٨٢٤
٦ ـ زوج أمه الظاهر ططر سيف الدين ٨٢٤
٧ ـ ابنه الصالح ناصر الدين محمد أبو النصر
حكم أربعة شهور ثم خلعه برسباى ٨٢٤ ـ ٨٢٥
٨ ـ الأشرف برسباى سيف الدين أو سعيد ٨٢٥ ـ ٨٤١
٩ ـ ابنه العزيز يوسف جمال الدين (ثلاثة شهور وخلع ٨٤١ ـ ٨٤٢)
١٠ ـ الظاهر جقمق سيف الدين أبو سعيد ٨٤٢ ـ ٨٥٧
١١ ـ ابنه المنصور عثمان فخر الدين (أربعون يوما وخلع ٨٥٧
١٢ ـ الأشرف إينال سيف الدين أبو النصر ٨٥٧ ـ ٨٦٥
١٣ ـ ابنه المؤيد أحمد شهاب الدين (أربعه شهور خلع) ٨٦٥
١٤ ـ الظاهر خوشقدم سيف الدين أبو سعيد ٨٦٥ ـ ٨٧٢
١٥ ـ الظاهر بلباى سيف الدين أبو النصر (شهرين) ٨٧٢
١٦ ـ الظاهر تمربنا أبو سعيد (شهرين وخلع) ٨٧٢
١٧ ـ الأشرف قايتباى سيف الدين أبو النصر ٨٧٢ ـ ٩٠١ هـ.
١٨ ـ ابنه الناصر محمد ناصر الدين أبو السعادات (قتل) ٩٠١ ـ ٩٠٤

١٩ ــ خاله الظاهر قانصوه بن قانصوه أبو سعيد (خلع) ٩٠٤ ــ ٩٠٥
٢٠ ــ الأشرف جان بلاط أبو النصر (خلع) ٩٠٥ ــ ٩٠٦
٢١ ــ العادل طومان باى (فرّ وقيل قتل) ٩٠٦
٢٢ ــ الأشرف قانصوه الغورى ــ قتل فى
معركة مرج دابق بالشام وفقدت جثته ٩٠٦ ــ ٩٢٢
٢٣ ــ الأشرف طومان باى
شنقه السلطان سليم الأول على باب زويلة ٩٢٢ ــ ٩٢٣

هوامش

عزل سنة ٧٩١ هـ وأعيد للحكم الصالح حاجى آخر المماليك البحرية عندما أعيد برقوق ٧٩٢هـ

الجدول السادس عشر

سلاطين آل عثمان

من ٦٩٩-١٣٤١ ه . = ١٢٩٩-١٩٢٢ م .

١ - عثمان الأول بن ساوجى بن أرطغرل بك بن سليمان شاه
اعتبر سلطانا بعد وفاة علاء الدين السلجوقى حكم ٦٩٩-٧٢٦ هـ
٢ - ابنه أورخان الأول حكم فى ٧٢٦-٧٦١
٣ - ابنه مراد الأول حكم من ٧٦١-٧٩١
٤ - ابنه بايزيد الأول أسره تيمورلنك سنة ٨٠٤
ومات فى الأسر سنة . ٨٠٥ حكم من ٧٩١-٨٠٤
اثنى عشر عاما بدون سلطان
٥ - محمد الأول بن بايزيد الأول حكم من ٨١٧-٨٢٤
٦ - ابنه مراد الثانى ٨٢٤-٨٥٥
٧ - ابنه محمد الثانى الفاتح (فتح القسطنطينية
سنة ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م) . ٨٥٥-٨٨٦
٨ - ابنه بايزيد الثانى (حارب مصر مرتين
هزمه فيهما قايتباى ثم اصطلحا ٨٨٦-٩١٨
٩ - ابنه سليم الأول (فتح مصر (١٥١٧ م) ٩١٨-٩٢٦
١٠ - ابنه سليمان الأول القانونى ٩٢٦-٩٧٤
١١ - ابنه سليم الثانى ٩٧٤-٩٨٣

١٢ - ابنه مراد الثالث ٩٨٣-١٠٠٣
١٣ - ابنه محمد الثالث ١٠٠٣-١٠١٢
١٤ - ابنه أحمد الأول ١٠١٢-١٠٢٦
١٥ - أخوه مصطفى الأول (خلع سنة ١٠٢٧ وأعيد سنة ١٠٣١) ١٠٢٦-١٠٣٢
١٦ - عثمان الثانى بن أحمد الأول قُتل ١٠٣١ هـ
١٧ - أخوه مراد الرابع (فتح بغداد) توفى ١٠٤٩
١٨ - أخوه إبراهيم الأول قتل ١٠٥٨
١٩ - ابنه محمد الرابع توفى ١٠٩٩
٢٠ - أخوه سليمان الثانى توفى ١١٠٢
٢١ - أخوه أحمد الثانى توفى ١١٠٦
٢٢ - مصطفى الثانى بن محمد الرابع خلع ١١١٥
٢٣ - أخوه أحمد الثالث تنازل ١١٤٣
٢٤ - محمود الأول بن مصطفى الثانى توفى ١١٦٨
٢٥ - أخوه عثمان الثالث توفى ١١٧١
٢٦ - مصطفى الثالث بن أحمد الثالث توفى ١١٨٧
٢٧ - أخوه عبد الحميد الأول توفى ١٢٠٣
٢٨ - ابن أخيه سليم الثالث خلع ١٢٢٢
٢٩ - مصطفى الرابع بن عبد الحميد الأول خلع ١٢٢٣
٣٠ - محمود الثانى (عاصر محمد على باشا) توفى ١٢٥٥
٣١ - ابنه عبد المجيد الأول توفى ١٢٧٧
٣٢ - أخوه عبد العزيز (زار مصر فى عهد إسماعيل) توفى ١٢٩٣
٣٣ - مراد الخامس بن عبد المجيد الأول خلع ١٢٩٣
٣٤ - أخوه عبد الحميد الثانى خلع (١٩٠٩ م) خلع ١٣٢٧
٣٥ - أخوه محمد الخامس توفى ١٩١٨ م = ١٣٣٧ ه
٣٦ - أخوه محمد السادس خلع ١٩٢٢ م = ١٣٤١ ه
وقامت الجمهورية التركية

الجدول السابع عشر
بالولاة العثمانيين على مصر لغاية دخول الفرنسيين
٩٢٣-١٢١٣ هـ = ١٥١٧-١٧٩٨ م

١ - خيربك من شعبان سنة ٩٢٣ـإلى ذى القعدة سنة ٩٢٨ هـ
٢ - مصطفى باشا إلى رجب ٩٢٩
٣ - قاسم الجميل باشا (أول مرة) إلى شوال ٩٢٩
٤ - أحمد باشا الوزير إلى ربير الآخر ٩٣٠
٥ - م . قاسم باشا (ثانية) إلى جمادى الأولى ٩٣١
٦ - إبراهيم باشا إلى شعبان ٩٣١
٧ - سليمان باشا الخصى (أول مرة) إلى رجب ٩٤١
٨ - خسرو باشا إلى جمادى الآخرة ٩٤٣
٩ - م . سليمان باشا الخصى (ثانية) إلى المحرم ٩٤٥
١٠ - داود باشا الخصى إلى ربيع الأول ٩٥٦
١١ - مصطفى باشا ضفصاف إلى رجب ٩٥٦
١٢ - على باشا إلى المحرم ٩٦١
١٣ - محمد باشا دقادن زاده إلى ربيع الآخر ٩٦٣
١٤ - إسكندر باشا إلى رجب ٩٦٦
١٥ - على باشا الخصى إلى ذى القعدة ٩٦٧
١٦ - مصطفى جاهين باشا إلى جمادى الآخرة ٩٧١
١٧ - على باشا الصوفى الخادم إلى رمضان ٩٧٣
١٨ - محمود باشا إلى جمادى الآخرة ٩٧٥
١٩ - سنان باشا (أول مرة) إلى جمادى الآخرة ٩٧٦
٢٠ - جركس إسكندر باشا إلى المحرم ٩٧٩
٢١ - م . سنان باشا (ثانية) إلى الحجة ٩٨٠
٢٢ - حسين باشا الخادم إلى رمضان ٩٨٢ هـ
٢٣ - مسيح باشا الخادم إلى جمادى الأولى ٩٨٨
٢٤ - حسنى باشا الخادم إلى ربيع الآخر ٩٩١
٢٥ - إبراهيم باشا الوزير إلى شوال ٩٩٣
٢٦ - سنان باشا الدفتردار إلى جمادى الآخرة ٩٩٥
٢٧ - أويس باشا إلى رجب ٩٩٩
٢٨ - أحمد حافظ باشا إلى رمضان ١٠٠٣
٢٩ - محمد قورط باشا إلى رجب ١٠٠٤

٣٠ - السيد محمد باشا الشريف إلى الحجة ١٠٠٦
٣١ - خضر باشا إلى المحرم ١٠١٠
٣٢ - على باشا ياود النمر إلى ربيع الآخر ١٠١٢
٣٣ - الوزير الحاج إبراهيم باشا إلى ربيع الآخر ١٠١٣
٣٤ - محمد باشا الكرجى الخادم إلى صفر ١٠١٤
٣٥ - حسن باشا الدفتردار إلى المحرم ١٠١٦
٣٦ - محمد باشا معمر (كولكيران) إلى جمادى الآخرة ١٠٢٠
٣٧ - محمد باشا الصوفى إلى ربيع أول ١٠٢٤
٣٨ - أحمد باشا الدفتردار إلى صفر ١٠٢٧
٣٩ - مصطفى باشا المنيكلى إلى ذى القعدة ١٠٢٧
٤٠ - جعفر باشا إلى شعبان ١٠٢٨
٤١ - مصطفى باشا الحميدى إلى رمضان ١٠٢٩
٤٢ - حسن باشا أرناؤ وط إلى ربيع الآخر ١٠٣١
٤٣ - محمد باشا البستانجى رمضان سنة ١٠٣١
٤٤ - إبراهيم باشا السلحدار إلى رمضان سنة ١٠٣٢
٤٥ - الوزير مصطفى باشا قرة (أول مرة) إلى الحجة سنة ١٠٣٢
٤٦ - على باشا الشيشنجى إلى ربيع الآخر ١٠٣٣ هـ
٤٧ - م . مصطفى باشا قرة (ثانية) إلى شعبان ١٠٣٥
٤٨ - بيرم باشا إلى المحرم ١٠٣٨
٤٩ - الوزير طيانيه سى محمد باشا إلى ربيع الأول ١٠٤٠
٥٠ - موسى باشا السلحدار إلى الحجة ١٠٤٠
٥١ - خليل باشا البستانجى إلى رمضان ١٠٤٢
٥٢ - بكيرجى أحمد باشا الوزير إلى جمادى الأولى ١٠٤٥
٥٣ - حسين باشا الدالى إلى جمادى الأولى ١٠٤٧
٥٤ - محمد باشا جوان قابجى سلطان زاده إلى جمادى الأولى ١٠٥٠
٥٥ - نقاش مصطفى باشا البستانجى إلى رجب ١٠٥٢
٥٦ - مقصود باشا الوزير إلى صفر ١٠٥٤
٥٧ - أيوب باشا الوزير إلى صفر ١٠٥٦
٥٨ - حيدر أغا محمد زاده إلى٩ذى القعدة ١٠٥٧
٥٩ - مصطفى باشا موستارى إلى ٢٣ القعدة ١٠٥٧
٦٠ - محمد باشا شريف إلى صفر ١٠٥٩
٦١ - أحمد باشا الطرخونجى إلى صفر ١٠٦٠

٦٢ – عبد الرحمن باشا الطويشى إلى شوال ١٠٦٢
٦٣ – خاصكى محمد باشا إلى شعبان ١٠٦٦
٦٤ – خليج زادة مصطفى باشا الداماد إلى رمضان ١٠٦٧
٦٥ – محمد باشا إلى شوال ١٠٧٠
٦٦ – مصطفى باشا إلى رمضان ١٠٧١
٦٧ – إبراهيم باشا الدفتردار إلى رمضان ١٠٧٤
٦٨ – عمر باشا السلحدار إلى شعبان ١٠٧٧
٦٩ – إبراهيم باشا الصوفى إلى جمادى الآخرة ١٠٧٩
٧٠ – قرة قاش على باشا إلى شعبان ١٠٨٠
٧١ – إبراهيم باشا الكتخدا إلى صفر ١٠٨٤ هـ
٧٢ – حسين باشا إلى جمادى الآخرة ١٠٨٦
٧٣ – أحمد باشا الدفتردار إلى صفر ١٠٨٧
٧٤ – عبد الرحمن باشا إلى جمادى الأولى ١٠٩١
٧٥ – عثمان باشا إلى جمادى الأولى ١٠٩٤
٧٦ – حمزه باشا إلى جمادى الأولى ١٠٩٨
٧٧ – حسنى باشا كتخدا إلى المحرم ١٠٩٩
٧٨ – حسنى باشا الداماد (أول مرة) إلى المحرم ١١٠١
٧٩ – أحمد باشا الكتخدا إلى رجب ١١٠٢
٨٠ – على باشا خازندار إلى ذى القعدة ١١٠٦
٨١ – إسماعيل باشا إلى ربيع الأول ١١٠٩
٨٢ – حسين باشا البشناقى إلى ربيع الآخر ١١١١
٨٣ – قره محمد باشا إلى المحرم ١١١٦
٨٤ – سليمان باشا إلى جمادى الآخرة ١١١٦
٨٥ – محمد رامى باشا إلى جمادى الأولى ١١١٨
٨٦ – مسلم على باشا (أول مرة) إلى جمادى الآخرة ١١١٩
٨٧ – م . حسنى باشا الداماد (ثانية) إلى شعبان ١١٢١
٨٨ – إبراهيم باشا القبوذان إلى جمادى الآخرة ١١٢٢
٨٩ – خليل باشا الكوسج إلى جمادى الآخرة ١١٢٣
٩٠ – ولى باشا إلى شعبان ١١٢٦
٩١ – عابدى باشا إلى رجب ١١٢٩
٩٢ – م . مسلم على باشا الأزميرلى (ثانية) إلى القعدة ١١٣٢
٩٣ – رجب باشا إلى رجب ١١٣٣

٩٤ - محمد باشا النشانجي (أول مرة) إلى المحرم ١١٣٨
٩٥ - على الموره لى باشا إلى جمادى الآخرة ١١٣٨ هـ
٩٦ - م . محمد باشا النيشانجي (ثانية) إلى صفر سنة ١١٤٠ هـ
٩٧ - أبو بكر باشا (أول مرة) إلى القعدة ١١٤١
٩٨ - كبورلى زاده عبد الله باشا إلى المحرم ١١٤٦
٩٩ - محمد باشا السلحدار إلى المحرم ١١٤٦
١٠٠ - عثمان الحلبى باشا إلى المحرم ١١٤٧
١٠١ - م . بكير باشا (أبو بكر) ثانية إلى رجب ١١٤٩
١٠٢ - مصطفى باشا إلى رجب ١١٥٢
١٠٣ - سليمان باشا العظم الشامى إلى جمادى الأولى ١١٥٣ .
١٠٤ - على الحكيم باشا زاده (أول مرة) إلى جمادى الأولى ١١٥٤
١٠٥ - يحيى باشا إلى جمادى الأولى ١١٥٦
١٠٦ - محمد سعيد اليدكشى باشا إلى المحرم ١١٥٧
١٠٧ - محمد راغب باشا إلى رمضان ١١٦١
١٠٨ - أحمد باشا كور وزير إلى شوال ١١٦٣
١٠٩ - الشريف عبد الله باشا إلى شعبان ١١٦٦
١١٠ - ملك محمد أمين باشا إلى شوال ١١٦٦
١١١ - بلطجى مصطفى باشا إلى المحرم ١١٦٩
١١٢ - م . على الحكيم باشا زاده (ثانية) إلى رجب ١١٧١
١١٣ - محمد سعيد باشا إلى شعبان ١١٧١
١١٤ - مصطفى باشا الصدر الأعظم إلى شعبان ١١٧٤
١١٥ - أحمد كامل باشا إلى شعبان ١١٧٥
١١٦ - بكير باشا إلى ذى الحجة ١١٧٥
١١٧ - حسن باشا إلى ذى الحجة ١١٧٨
١١٨ - حمزة باشا إلى ربيع الأول ١١٨١
١١٩ - محمد راقم باشا إلى رمضان ١١٨٢
١٢٠ - دويدار محمد أورفلى باشا إلى رمضان ١١٨٣
١٢١ - أحمد باشا إلى صفر سنة ١١٨٤ هـ
١٢٢ - قره خليل أغا باشا إلى ربيع الأول ١١٨٨
١٢٣ - مصطفى النابلسى إلى ربيع الأول ١١٨٩
١٢٤ - إبراهيم باشا إلى ربيع الأول ١١٩٠
١٢٥ - محمد عزت باشا الكبير إلى جمادى الآخرة ١١٩٢

١٢٦ - رائف إسماعيل باشا (أول مرة) إلى شعبان ١١٩٣
١٢٧ - إبراهيم باشا إلى رمضان ١١٩٣
١٢٨ - م . إسماعيل باشا (ثانية) إلى صفر ١١٩٥
١٢٩ - محمد ملك يكن باشا إلى شعبان ١١٩٦
١٣٠ - الشريف على باشا إلى شعبان ١١٩٧
١٣١ - محمد السجدار باشاً إلى ذى الحجة ١١٩٩
١٣٢ - الشريف محمد ملك يكن باشا إلى المحرم ١٢٠١
١٣٣ - الشريف عابدى باشا إلى جمادى الآخرة ١٢٠٣
١٣٤ - إسماعيل باشا التونسى إلى رمضان ١٢٠٥
١٣٥ - محمد عزت باشا إلى ربيع الأول ١٢٠٩
١٣٦ - صالح باشا القيصرلى إلى ذى الحجة ١٢١٠
١٣٧ - أبو بكر باشا الطرابلسى إلى ٩ صفر ١٢١٣

ملحوظة ١ - المرموز لهم بحرف (م) تولوا الولاية مرتين

ملحوظة ٢ - اعتمدت فى هذا الجدول غالبا على ما ورد فى تقويم النيل لأمين باشا سامى . وتوجد بعض الخلافات بينه وبين الجبرتى فى أسماء وتاريخ بعض الولاة . وقد فضلت رواية أمين باشا لأنه اعتمد على عدة مصادر

ملحوظة ٣ - ذكرت نهاية ولاية كل والى . وليست حتما هذه النهاية بداية خلفه فقد يستغرق تعينه ووصوله بعض الوقت

الجدول الثامن عشر
الولاة على مصر من خروج الفرنسين إلى ولاية محمد على

١ - محمد باشا أبو مرق . . . اثنى عشر يوماً لغاية ١٢ جمادى سنة ١٢١٦ ه
= إلى ستمبر سنة ١٨٠١ م
٢ - محمد خسرو باشا من ١٣ جمادى الأولى سنة ١٢١٦ - ١٤ المحرم سنة ١٢١٨
= إلى مايو سنة ١٨٠٣م
٣ - طاهر باشا(قائمقام) عشرون يوماً لغاية ٤ صفر سنة ١٢١٨ه
= إلى مايو سنة ١٨٠٣م
٤ - أحمد باشا (قائمقام) يوم واحد لغاية ٥ صفر سنة ١٢١٨ ه
= إلى مايو سنة ١٨٠٣ م

٥ - إبراهيم بك (قائمقام) من ربيع أول سنة ١٢١٨ -آخر ذى القعدة سنة ١٢١٨
= يولية سنة ١٨٠٣ إلى مارس سنة ١٨٠٤ م

٦ - على باشا الطرابلسى عينى واليا أثناء قائمقامية إبراهيم بك وحضر للأسكندرية ومكث مدة بها ولما أراد التوجه للقاهرة خاف الغدر به فى الطريق فحاول الهروب إلى الشام ولكنه قتل عند القرين فى ٢٠ شوال سنة ١٢١٨ = فبراير سنة ١٨٠٤

٧ - أحمد باشا خورشيد فى غرة ذى حجة سنة ١٢١٨ - ١٥ صفر سنة ١٢٢٠ ه

٨ - محمد على باشابايعه العلماء بالولاية فى ١٣ صفر سنة ١٢٢٠ ه
= (١٢ مايو سنة ١٨٠٥) وأرسلوا إلى استانبول
= يطلبون اعتماد التعيين

الجدول التاسع عشر
أسرة محمد على لغاية خلع فاروق سنة ١٩٥٢ وانتهاء الملكية سنة ١٩٥٣

١ - محمد على باشا - أقامة العلماء وعلى رأسهم السيد عمر مكرم واليا فى ١٢/٥ ١٨٠٥ . ووافقت تركيا . واستمر حتى اعتزل لضعف صحته وشيخوخته سنة ١٨٤٧ . وكان يدبر الأمور بعد ذلك حفيده عباس حلمى الأول حتى صدر القرار بولاية إبراهيم باشا سنة ١٨٤٨ . الذى توفى فى نفس السنة . وتوفى محمد على سنة ١٨٤٩م

٢ - إبراهيم باشا بن محمد على توفى سنة ١٨٤٨

٣ - عباس حلمى الأول بن طوسون بن محمد على . قتل فى يوليه سنة١٨٥٤

٤ - سعيد باشا بن محمد على فى يوليه سنة ١٨٥٤ إلى يناير سنة ١٨٦٣

٥ - إسماعيل باشا بن إبراهيم باشا بن محمد على من يناير سنة ١٨٦٣ إلى يونيه سنة ١٨٧٩ . وخلع - وتوفى فى إستانبول سنة ١٨٩٥ م

٦ - محمد توفيق بن إسماعيل ١٨٧٩ - ١٨٩٢

٧ - عباس حلمى الثانى بن محمد توفيق لغاية ديسمبر سنة ١٩١٤ وخلع

٨ - حسين كامل بن إسماعيل ديسمبر سنة١٩١٤ - ٩/١٠/١٩١٧

٩ - أحمد فؤاد بن إسماعيل (السلطان ثم الملك) فى ١٠/١٠/١٩١٧ لغاية ١٩٣٥/٤/٢٨

١٠ - فاروق لغاية ٢٦/٧/١٩٥٢ . وخلع . وتنازل لابنه أحمد فؤاد الثانى . ثم ألغيت الملكية سنة ١٩٥٣

بيان بأهم المراجع

١ - القرآن الكريم .
٢ - السيرة النبوية لابن هشام .
٣ - المواعظ والاعتبار فى الخطط والآثار للمقريزى (بولاق سنة ١٢٧٠ هـ) .
٤ - الخطط التوفيقية الجديدة لعلى باشا مبارك (بولاق سنة ١٣٠٤ - ١٣٠٦ هـ)
٥ - صبح الأعشى للقلقشندى (المطبعة الأميرية ١٣٣٤ هـ/١٩١٦ م) .
٦ - عجائب الآثار فى التراجم والأخبار لعبد الرحمن الجبرتى (دار الطباعة سنة ١٢٩٧ هـ) .
٧ - المختصر فى أخبار البشر لأبى الفدا (المطبعة الحسينية سنة ١٣٢٥ هـ) .
٨ - حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطى (طبعة حجرية) .
٩ - تاريخ الأمم والملوك لابن جرير الطبرى (المطبعة الحسينية سنة ١٣٢٦ هـ) .
١٠ - صلة تاريخ الطبرى لعريب بن سعد القرطبى (المطبعة الحسينية سنة ١٣٢٦ هـ) .
١١ - المنتخب من ذيل المذيل للطبرى (المطبعة الحسينية سنة ١٣٢٦ هـ) .
١٢ - النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى (مطبعة دار الكتب سنة ١٩٢٩ م) .
١٣ - مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودى (بولاق ١٢٨٣ هـ) .
١٤ - الآثار الباقية من القرون الخالية لأبى الريحان البيرونى (طبع ليبزج سنة ١٨٧٨ م) .
١٥ - إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى (مطبعة دار السعادة سنة ١٣٢٦ هـ) .
١٦ - تقويم النيل لأمين باشا سامى (مطبعة دار الكتب سنة ١٣٤٦/١٩٢٨) .
١٧ - الطبقات الكبرى (لواقح الأنوار فى طبقات الأخيار) للشعرانى (بولاق سنة ١٢٨٦ هـ) .
١٨ - بدائع الزهور ووقائع الدهور لابن إياس (طبعة دار الشعب) .
١٩ - الفتوحات الأسلامية للسيد احمد بن الزينى دحلان (مطبعة السعادة سنة ١٣٣٠ هـ) .
٢٠ - سفينة الراغب وكفاية الطالب لمحمد باشا راغب (بولاق سنة ١٢٨٢ هـ) .
٢١ - دائرة معارف الشعب اصدار دار الشعب .
٢٢ - دائرة المعارف الأسلامية اصدار دار الشعب .
٢٣ - الموسوعة العربية الميسرة اصدار دار القلم ومؤسسة فرنكلين .

٢٤ - القاموس المحيط للفيروز ابادى (المطبعة الأميرية سنة ١٢٨٩) .
٢٥ - النفحة العنبرية فى أنساب خير البرية للفيروز ابادى (مخطوط) .
٢٦ - عمدة الطالب فى نسب آل أبي طالب لابن عقبة (مخطوط) .
٢٧ - معجم الأدباء لياقوت الحموى (دار المأمون . مكتبة الحلبى ١٣٥٥ هـ/ ١٩٣٦ م) .
٢٨ - الشمس والقمر فى حساب الزمن للمؤلف (تحت الطبع) .
٢٩ - الأزهر جامع وجامعة للمؤلف (تحت الطبع) .
٣٠ - الذراع وحدة قياس منذ أكثر من ٥٥٠٠ سنة للمؤلف (نشر بمجلة الأزهر فى ذى الحجة سنة ١٣٩٣ هـ) .
٣١ - حساب الجمل وعلم أسرار الأعداد والحروف للمؤلف (نشر بمجلة الأزهر فى ربيع الآخر سنة ١٣٩٣ هـ) .
٣٢ - القاهرة للدكتور عبد الرحمن زكى (دار المستقبل سنة ١٣٦٢ ه/١٩٤٣ م) .
٣٣ - تراث القاهرة العلمى والفنى للدكتور عبد الرحمن زكى (مكتبة الانجلو سنة ١٩٦٩) .
٣٤ - القاهرة القديمة للدكتورة سعاد ماهر (المكتبة الثقافية ٧٠ سنة ١٩٦٢ م) .
٣٥ - جامع السلطان حسن وما حوله للمرحوم حسن عبد الوهاب (المكتبة الثقافية ٥٦ سنة ١٩٦٢ م) .
٣٦ - مساجد ودول للأستاذة سنية قراعة (مكتب الصحافة الدولى - مطبعة أخبار اليوم سنة ١٩٥٨ م) .
٣٧ - مصر الأسلامية وتاريخ الخطط المصرية للأستاذ محمد عبد الله عنان (دار الكتب سنة ١٣٥٠ هـ/١٩٣١ م) .
٣٨ - ترام القاهرة للأستاذ سيد محمد كيلانى (مطبعة المدنى سنة ١٩٦٨ م) .
٣٩ - فى ربوع الأزبكية للأستاذ سيد محمد كيلانى (دار العرب سنة ١٩٥٨ م) .
٤٠ - نور الأبصار فى مناقب آل بيت النبى المختار للشبلبنجى (المطبعة الأميرية سنة ١٢٩١ هـ) .
٤١ - أحمد زكى الملقب بشيخ العروبة للأستاذ أنور الجندى (أعلام العرب ٢٩) .
٤٢ - التقويم العربى قبل الأسلام للمرحوم محمود باشا الفلكى (مجمع البحوث الأسلامية سنة ١٣٨٩ هـ) .
٤٣ - القاهرة وتنظيمها للمرحوم الأستاذ حسن عبد الوهاب .
٤٤ - مذكراتى فى نصف قرن لأحمد باشا شفيق .
٤٥ - المسألة المصرية والوفد للأستاذ محمود أبو الفتح .
٤٦ - مع الوفد المصرى للأستاذ محمود أبو الفتح .

٤٧ - الشعرانى للدكتور محمود الطويل (أعلام الأسلام العدد ١٤) .
٤٨ - المكافحون للأستاذ عبد الرحمن الخميسى .
٤٩ - سيرة السيد عمر مكرم للأستاذ محمد فريد أبو حديد (لجنة التأليف والترجمة سنة ١٩٤٨) .
٥٠ - بوليفار للأستاذ وديع الضبع (مكتبة النهضة سنة ١٩٥٧) .
٥١ - نكت الهميان فى نكت العميان لابن أيبك الصفدى .
٥٢ - تاريخ مصر من الفتح العثمانى للأستاذين عمر الأسكندرى وسليم حسن (المعارف سنة ١٣٣٥ هـ/١٩١٧ م) .
٥٣ - الرتب والألقاب المصرية لاحمد باشا تيمور .
٥٤ - قبر الأمام السيوطى وتحقيق موضعه لاحمد باشا تيمور .
٥٥ - تراجم مصرية وعربية للدكتور محمد حسين باشا هيكل .
٥٦ - سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون لابن نباته المصرى (المطبعة الأميرية سنة ١٢٧٨ هـ) .
٥٧ - تاريخ الحركة القومية للأستاذ عبد الرحمن الرافعى .
٥٨ - محاضرات أثرية للأستاذ يوسف أحمد .
٥٩ - الشهيد كمال الدين صلاح للأستاذ أبو الحجاج حافظ .
٦٠ - الآثار المصرية فى وادى النيل لجيمس بيكى ترجمة لبيب حبشى وشفيق فريد .
٦١ - التحفة الحليمية فى تاريخ الدولة العلية لابراهيم بك حليم .
٦٢ - اسماعيل باشا صبرى للدكتور محمد حسين باشا هيكل مقال بالسياسة الأسبوعية ١٠٥ فى ١٠/٣/١٩٢٨ .
٦٣ - محمد باشا شريف للأستاذ محمود عزمى مقال بالسياسة الأسبوعية ٦٩ فى ٢/٧/١٩٢٧ .
٦٤ - محمد المهدى للأستاذ محمد الهيهاوى مقال بالسياسة الأسبوعية ٩٣ فى ١٧/١٢/١٩٢٧ .
٦٥ - الوثائق الرسمية للحكومة البريطانية عن ثورة سنة ١٩١٩ نشرتها جريدة الأهرام فى مارس/أبريل سنة ١٩٦٩ .
٦٦ - الكافى فى تاريخ مصر لميخائيل بك شاروبيم ٤ أجزاء .
٦٧ - بين الجاهلية وصدر الأسلام للمؤلف (كتاب الشهر بمجلة الأزهر ربيع الآخر سنة ١٣٧٤ يوليه ١٩٧٢) .

الفهـــرس

هذا الكتاب وخطته ٣
تصدير ٧
مقدمه موضوعية ١٢
١ - التاريخ ـ التأريخ ـ التقويم ١٢
٢ - أنواع التاريخ ١٨
٣ - الأسماء والمسميات ٢٢
٤ - خطط مصر القاهرة ومؤرخو الخطط ٢٥
٥ - موضوع الكتاب ٣١
٦ - مصر القاهرة ـ عمرها ـ اسمها ٣٥
٧ - اصطلاحات فى الخطط ٤٠
٨ - خاتمة للمقدمة ٤٣

القسم الأول : الخليج المصرى أو شارع بور سعيد ٣٨٠٠ سنة من تاريخ مصر ... ٤٥
الفصل الأول : تاريخ الخليج المصرى ٤٦
الفصل الثانى : الخليج ومجرى النيل وفم الخليج ٥٧
الفصل الثالث : وفاء النيل وجبر الخليج ٦٢
الفصل الرابع : القاهرة الفاطمية والخليج ٧٥
الفصل الخامس : القناطر والمناظر على الخليج ٨٨

القسم الثانى : أسماء ومسميات ١٣١
مقدمه عن الاسم والمسمى والكنية واللقب ١٣٢
الفصل الأول : القصر العينى ١٦٧
الفصل الثانى : الاسماعيلية ـ باب اللوق ـ جاردن سيتى ١٨٤
الفصل الثالث : المنيرة والانشاء ٢٠٧

الفصل الرابع : مجرى العيون ــ السبع سقايات ــ سكة حديد حلوان ٢٥٧
الفصل الخامس : الأزبكية ٢٧٠
الفصل السادس : الشارع الأعظم أو شارع المعز لدين الله ٣٢٢
الفصل السابع : من باب زويلة إلى الصليبة ــ الحلمية بركة الفيل ــ الحوض المرصود . . ٣٧٠
الفصل الثامن : حي القبة ومجاورته ٤١٠
الفصل التاسع : جزيرة الروضة ٤٢٦
الفصل العاشر : القاهرة تختنق ــ عالجوها والعلاج قريب ــ مدينة النور ٤٦٧

القسم الثالث : الجداول التاريخية بأسماء الحاكمين والولاة بمصر منذ الفتح العربي . . ٤٧٧

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٦/٢٥١٨

ISBN ٩٧٧ - ٠١ - ٠٩٤٢ - ٨

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب